منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله

الهاشمي الخوئي قدس سره

من منشورات

انتشارات

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

32101 012793517

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

H. Hāshimī al-Khū'ī

تكملة

منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي قدس سره

صنفها

الفاضل البارع المحقق الشيخ حسن (حسن زاده) الآملی

الجزء السابع عشر

عنى بتصحيحه و تهذيبه العالم الفاضل : السيد ابراهيم الميانجي

الناشر :

مكتبة الاسلامية بطهران

طهران، شارع ١٥ خرداد شرقي

تلفن ٥٢١٩٦٦

حق چاپ و عکسبرداری از این نسخه محفوظ است

(طبع في المطبعة الاسلامية بطهران)

2264
.1067
.754
1985
juz' 17

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي خلق الانسان، وعلّمه البيان، وأكرمه بنورالعقل والعرفان والصّلاة والسّلام على أفصح من نطق بالضّاد، و على آله مناهج الرّشاد.

أمّا بعد فيقول المفتاق إلى رحمة ربّه نجم الدّين الحسن بن عبدالله الطبري الآملي اُوتيا كتابهما يمينا، وحوسبا حساباً يسيراً: قال الله عزّ من قائل «أنزل من السّماء ماءً فسالت أودية بقدرها»، وقال تعالى «ومن الماء كلّ شيء حيّ».

أما إنّ كلمات مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ممّا فاض من سماء العلم، و هي للأرواح ماء الحياة، و إنّ هذه الأسفار أودية سالت بقدر ماوسع لنا أن نستفيض ممّا أفاضه المرتضى، فكم أودع فيهامن حقائق متقنة كليّة حكميّة، ونفائس مبرمة دقيقة عقليّة، ومباحث رصينة أخلاقيّة واجتماعيّة، ومطالب أصيلة قيمة في اُصول العقائد الحقّة الإلهيّة وغيرها ممّا تلوح لمن أمعن النّظر في الكتاب، و نسأل الله أن يزيد ما أنعم كما نرجوه لأن ينفعنا و جميع بغاة العلم بها فانّه قريب مجيب لا يردّ من سأله، ولا يخيّب من أمله.

وهذا هو السفر الثالث من «تكملة منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة» يرتقى المنهاج به إلى سابع عشر فنقول مستعيناً بالله الوهّاب:

نام كتاب: منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه
مؤلف: علامه محقق حاج ميرزا حبيب اله خوئى
مصحح: فاضل محترم سيد ابراهيم ميانجى
ناشر: كتابفروشى اسلاميه
تعداد: ٢٠٠٠ جلد
نوبت چاپ: چهارم ــ ١٣٦٤ شمسى
چاپخانه: اسلاميه

[تتمة المختار الاول من كتبه عليه السلام و رسائله]

قوله عليه السلام : (واعلموا أنّ دارالهجرة قد قلعت بأهلها و قلعوا بها) أي أنّ مدينة الرّسول صلى الله عليه وآله فارقت أهلها وخلت منهم و كذا أهلها فارقوها على ما بيّنا في تفسير لغات الكتاب . وأمّا مراده عليه السلام منه فقال بعضهم : إنّه عليه السلام يخبرهم من قوله واعلموا -إلى- على القطب، عن سبب حركته و خروجه من المدينة أنّ المدينة قامت فيها رحى الفتنة و اضطربت أحوال ساكنيها و اُمورهم و جاشت جيش المرجل من الهرج والمرج، وانقلبت أحوال البلد وتبدّلت بحيث ليس المقام فيها للنّاس سيّما للمؤمنين والخواص بميسور، ولذا خرج منها و جعل الكوفة مهاجره ومقرّ خلافته .

أقول : لا يخفى على أنّ هذا التفسير لا يناسب المقام و لا يوافق قوله عليه السلام فأسرعوا إلى أميركم و بادروا جهاد عدوّكم ، فانّه عليه السلام كتب إليهم الكتاب ليستنفرهم إلى الجهاد كما صرّح به في ذيل الكتاب ونفر من المدينة نحو البصرة لجهاد النا كثين، لا أنّه يخبرهم عن صرف سبب خروجه منها، وهذا ظاهر لا كلام فيه.

و يقرب من هذا التّفسير ما قيل: إنّه عليه السلام كنّى بقلعها بأهلها و قلعهم بها عن اضطراب اُمورهم بها وعدم استقرار قلوبهم من ثوران هذه الفتنة .

أقول : الظّاهر أنّه عليه السلام لمّا أخبر أهل الكوفة عن أمر عثمان و عن سيرته معه وعمّا جرى عليه من طلحة والزّبير و عائشة وعن بيعة النّاس أعلمهم أنّ منهم من نكثوا البيعة و أثاروا الفتنة و نشّطوا أقواماً على الحرب وهيّجوا بين النّاس الشرّ و العداوة و الشحناء حتّى أقاموا الحرب ، فنهضوا أهل المدينة مجاهدين في سبيل الله أعداء الله لا طفاء هذه النّائرة و إزالة الفتنة نهضةً خلت المدينة من أهلها و فارقها ساكنوها ، سيّما أنّهم كانوا من أفعال عثمان وشيعته متألّمين ، فلمّا رأوا أنّ آل عثمان تمسّكوا بدم عثمان تفتيناً لم يلبثوا في المدينة خوفاً من أن تشيع الفتنة و يفسد المبطلون ، فبادروا إلى جهاد عدوّهم فقلعوا بالمدينة مسرعين .

فهو عليه السلام أراد إعلام أهل الكوفة بنهوض أهل المدينة على ذلك الحدّ ليرغبوا في الجهاد و ينصروا دين الله و ينهضوا لقتال أصحاب الجمل معهم ويهتمّوا همّتهم في إماتة الباطل وإزاحة أهله ، ولذا أمرهم عليه السلام بالسّرعة إليه والمبادرة بالجهاد .

قوله عليه السلام : (وجاشت جيش المرجل) أي غلت كغليان الماء في القدر. والمراد إخبار أهل الكوفة باضطراب أهل المدينة و ولعهم بالجهاد لما علموا بمسير النا كثين و أتباعهم إلى البصرة لإثارة الفتنة . وهذا أيضاً تحريض أهل الكوفة على النهضة و الجهاد .

قوله عليه السلام : (وقامت الفتنة على القطب) أي الفتنة الّتي أثارها النّا كثون و أتباعهم قامت على القطب ،شبّه الفتنة بالرحى بقرينة القطب ، أي أنّ رحى الفتنة دائرة و المراد أنّ الفتنة قائمة و نارها مشتعلة فاسرعوا إلى إطفائها ، ففيها أيضاً تحريض أهل الكوفة على الجهاد .

وقد قدّر بعض الشّارحين الجملة بقوله : قامت الفتنة في المدينة على القطب حيث فسّرها بأنّ رحى الفتنة في المدينة دائرة ؛ و لا يخفى أنّ ذلك التقدير غير مناسب للمقام لأنّ فتنة الحرب حين إرساله عليه السلام الكتاب إلى أهل الكوفة كانت في البصرة بين أصحاب الجمل و عامله عليه السلام عثمان بن حنيف قائمة كما سيتّضح في شرح الكتاب الثاني إن شاء الله تعالى .

و هو عليه السلام كان ساعتئذ في ذي قار كما دريت ممّا حقّقنا آنفاً ؛ و بالجملة أنّه عليه السلام أعلم أهل الكوفة بأنّ الفتنة قائمة على القطب ولا حاجة إلى ذلك التقدير فكأنّما اغترّ ذلك البعض من الجمل المتقدّمة .

ثمّ يمكن أن يقال: إنّه عليه السلام أراد بالقطب نفسه ، فانّه عليه السلام قطب الاسلام والمسلمين يقال : فلان قطب بني فلان أي سيّدهم الّذي يدور عليه أمرهم، و كذا يقال لصاحب الجيش : قطب رحى الحرب تشبيهاً بالنقطة الّتي يدور عليها الفلك و يسمّونها قطب الفلك ، فيكون المعنى أنّ تلك الفتنة أقبلت إليه وقامت وهجمت عليه فتكون كلمة على ، على هذا الوجه للضّرر و على الوجه الأوّل للإستعلاء

ويمكن أن يكون على الوجهين للإستعلاء ، فاذا كانت الفتنة قائمة على القطب بهذا المعنى فللرّعيّة أن تعاونوه باطفائها و نجاته منها لأنّهم في الحقيقة ينجون أنفسهم منها وينصرون دين الله ، ويطلبون بذلك رفعتهم ومنزلتهم ، ونعم ماقال الشاعر :

لك العزّ إن مولاك عزّ و إن يهن فأنت لدى بحبوحـة الهون كاهن !

و يمكن أن يجعل كلمة الأمير في قوله الآتي قرينة على إرادة هذا المعنى من القطب .

و بعد ما بادر ذهننا إلى هذا المعنى فرأينا أنّ المولى فتح‌الله القاساني فسّر القطب في شرحه الفارسي على النهج بهذا الوجه ، فالحمد لله على الوفاق .

قوله عليه السلام (فأسرعوا إلى أمير كم و بادروا جهاد عدوّكم إن شاءالله تعالى) أي إذا سمعتم ما قلنا من عمل النّاكثين و ما فعل أهل المدينة لإزهاق الباطل ونصرة الدّين، فأسرعوا إلى أمير كم يعني بالأمير نفسه عليه السلام، وبادروا جهاد عدوّكم يعني بالعدوّ أصحاب الجمل .

الترجمة

باب دوم از بابهای سه گانه نهج البلاغة : در نامه‌ها و رساله های بر گزيدۀ أمير المؤمنين علي عليه السلام كه‌بدشمنانش وأميران شهرهايش نوشته‌است، ودر اين باب نيز فرمانهاى بر گزيده‌اى كه بعمّال خويش فرستاد ، و وصيّتها و أندرز ها كه بدودمان و يارانش فرمود ، نگاشته آمد .

اين يكى ازنامه هاى آن قطب اسلام ومسلمين است كه هنگامي ازمدينه بسوى بصره ، براى خاموش كردن آتش فتنۀ أصحاب جمل رهسپار شد ، درجايى بنام ذى قار رسيد ، آنرا بمردم كوفه نوشت و از ايشان يارى خواست و فرزندش إمام حسن مجتبى و عمّار بن ياسر وقيس را بسوى كوفه گسيل داشت كه نامه را بكوفيان رسانند و ايشان را بمدد و نصرت خوانند . و اين نخستين كتاب اين باب است :

اين نامه‌ايست از بندۀ خدا علي أمير المؤمنين بمردم كوفه كه پيشانى يارى

كنند گان دين و كوهان عربند (كنايه از اينكه آنان در شرف نسبت بأنصار دين چون پيشانى نسبت به پيكرند و برفعت درميان عرب همچون كوهان نسبت باشتر) شما را از أمر عثمان خبر دهم چنانكه شنيدن آن همچون ديدن آن باشد :

همانا كه مردم عثمان را بأفعال او عيب كردند و براو طعن وإنكار نمودند من مردى ازمهاجرين بودم كه بسيار از او درخواست ميكردم كه مردم‌را خوشنود سازد، وهمواره اورا نصيحت ميكردم‌و براه رستگارى دلالت مينمودم ، وازسرزنش او خود دارى مينمودم ، وهيچ اورا سرزنش نميكردم (چه معنى «اُقلُ‌عتابه» در اينجا بمعنى نفى عتاب‌است نه‌اينكه كمتر اورا سرزنش ميكردم چنانكه مترجمين باشتباه رفته‌اند ، ودرشرح بيان كرده‌ايم كه مردان خدا برفق ومدارا نهى‌ازمنكر ميكنند و از درشتى سر باز زنند ، و ممكن است كه معنى جمله چنين باشد كه من همواره عثمان را نصيحت و دلالت ميكردم و سر زنش او را بر خويشتن تحميل ميكردم و بتوبيخ او و از إرشاد و هدايتش دريغ نداشتم ، چه عثمان از أندرز هاى أمير المؤمنين عليه السلام ميرنجيد و ميگفت كه أبوالحسن نميخواهد دودمان مرا در نعمت آسايش ببيند ، و اين بنا بروجهى است كه « اُقلُ » را بمعنى بر ميدارم وحمل ميكنم ، بگيريم ، چنانكه دربحث لغوى اين كتاب تحقيق كرده ايم كه «اُقلُ »هم براى نفى و هم براى جمل استعمال ميشود) .

وسست ترين رفتنشان در كشتن او رفتن بشتاب واضطراب بود ، ونرم‌ترين راندنشان راندن سخت (يعنى آندو در كشتن عثمان شتاب‌بسيار ميكردندومردم‌را بر آن بر ميأنگيختند هنگاميكه عثمان در حصر بود و آب را برويش بستند از طلحه سبب خواست ، طلحه درجواب گفت : چون تو دين خدارا تبديل كردى و تغيير دادى ؛ و آنگاه كه تشنگى بر او چيره شد و ندا درداد كه اى مردم ما را آب دهيد و از آنچه خدا برشما روزى كرد ما را بخورانيد ، زبير بعثمان خطاب كرد و گفت : اى نعثل والله هرگزآب نخواهى چشيد ، وطلحه اول كسى‌بود كه تير بخانهٔ عثمان رها كرد ، و گفتار طلحه وزبير درقتل عثمان وتحريض و ترغيب

آن‌دومردم را بر آن بسیار است) .

و از عائشه دربارهٔ او خشمی ناگهانی بود (سبب خشم وی برعثمان این بود که میگفت عثمان اموال مسلمانان را طعمهٔ خویش و خویشاوندانش گردانید ودودمان و پیروانش را بدان برگزید و دین خـدا را تغییر داد و از سنت رسول إعراض کرد ، گاهی عثمان برمنبر بود که عائشه نعلین وپیراهن پیغمبر را درمیان مجلس بمردم نموده و گفت : این نعلین و پیراهن رسولخدا هنوز کهنه نشده که فرعون این اُمت عثمان دین خدا را تبدیل کرده‌است .و میگفت : بکشید نعثل‌را که او فاجر است ، ونیز میگفت : بکشید نعثل‌را خدا نعثل را بکشد . ونعثل مردی یهود بود دراز ریش که عائشه عثمان را بدان تشبیه میکرده است ، و عائشه اول کسی بود که بر عثمان طعن کرده‌است و کارهای او را عیب گرفته و مردم را بر کشتن او برانگیخت) .

پس برایش گروهی مقدّر شد که او را کشتند و مردم با من بیعت کردند بی‌آنکه بیعت با مرا ناخوش و ناپسند داشته باشند و کاره باشند،وبی‌آنکه إجبار شده باشند بلکه بمیل و رغبت و اختیار بیعت کردند . بدانید که مدینه از أهلش خالی شد و مردم از آن بر کنده شدند (یا اینکه مدینه با أهلش بر کنده شد وأهل آن با مدینه ، که در دلالت مقصود آکداست ، وخلاصه اینکه مردم مدینه ازآنجا بیرون آمدند بقصد یاری دین خدا وجهاد في سبیل‌الله در رکاب أمیرالمؤمنین علیه‌السلام برای خاموش کردن آتش فتنهٔ اصحاب جمل ، این گفتار حضرت برای ترغیب وتهییج أهل کوفه است که درجهاد و نصرت دین تأسّی بأهل مدینه کنند) .

ومدینه چون دیگ بجوش آمده‌است (مراد این‌است که وقتی مردم دیدند گروهی ببهانهٔ خون عثمان بیعت را شکستند ونقض عهد کردند وقصد تفتین‌دارند بخصوص که از افعال عثمان سخت رنج دیدند و دل آزرده بودند برای دفع آنان چنان نهضت وقیام کردند که از اضطراب وهیجان گویا چون دیگ بجوش آمدند)

فتنه بر قطب ايستاده‌است (كنايه از اينكه آسياى فتنه دور ميزند يعنى آتش فتنه مشتعل‌است يا اينكه مراد أمير المؤمنين عليه السلام ازقطب خود آنحضرت باشد چه آن بزرگوار قطب إسلام ومسلمين و مدار إيمان و أهل آن است ، يعنى فتنهٔ اصحاب جمل بر آن بزرگوار روى‌آورده‌است وبر آن قطب عالم‌إمكان دور ميزند) پس بشتابيد بسوى أمير خود و پيشى گيريد بجهاد دشمن خود اگرخدا خواهد .

و من كتاب له عليه السلام اليهم بعد فتح البصرة و هو الكتاب الثانى من باب المختار من كتب أمير المؤمنين عليه السلام

وَجَزاكُمُ اللهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ ما يَجْزِي الْعامِلِينَ بِطاعَتِهِ ، وَالشّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ وَ دُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ .

اللغة

(جزاكم) الجزاء يائيّ وهو ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ ، قال‌الله تعالى : «وجزاهم بما صبروا جنّة وحريراً» وقال تعالى: «وجزاء سيّئة سيّئة مثلها» يقال: جزاه كذا و بكذا و على كذا يجزيه جزاءً من باب ضرب .

(أهل) قال الخليل : أهل الرّجل أخصّ النّاس به ، أهل البلد و البيت سكّانه ، و أهل كلّ نبيّ اُمّته ، و أهل الأمر وُلاته ، وأهل الاسلام من يدين به.

و قوله عليه السلام :(أهل بيت نبيّكم) إشارة إلى قوله تعالى : « إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل‌البيت » ، فالمراد من قوله : أهل‌بيت نبيّكم ، هو أهل البيت في الآية .

الاعراب

(من أهل مصر) تميز لضمير المفعول أعني «كم» في «جزاكم» لأنّه يجوز جرّ التميز بمن إذا لم يكن تميزا لعدد وما كان فاعلاً في المعنى والتميز المحول عن المفعول كقولهم رطل من زيت ونعم من رجل، قال أبو بكر بن الأسود:

تخيّره فلم تعدل سواه　　فنعم المرء من رجل تهامي

و قال آخر:

يا سيّداً ما أنت من سيّد　　موطأ الأكناف رحب الذراع

واستثنى ابن مالك الأولين في الألفيّة وقال:

واجرر بمن إن شئت غير ذي العدد　　و الفاعل المعنى كطب نفساً تفد

(عن أهل بيت نبيّكم) تتعلّق بقوله جزاكم.

(أحسن ما يجزي) مفعول مطلق نوعي فناب أحسن عن المصدر المحذوف في الانتصاب على المفعول المطلق ويدلّ عليه و هو صفة له أي جزاكم الله الجزاء أحسن ما يجزي العاملين بطاعته كقولهم: سرت أحسن السير، أي سرت السير أحسن السير.

والظّاهر أنّ كلمة ما مصدريّة أي أحسن جزاء العاملين بطاعته، ويجوز أن تكون من الموصولات و حذف العائد إليها و التقدير: أحسن الّذي يجزي به العاملين بطاعته.

(بطاعته) متعلّق للعاملين، ولنعمته للشاكرين يقال عمل بطاعته وشكر لنعمته.

المعنى

ضمير (إليهم) في قول الرّضي رضوان الله عليه يرجع إلى أهل الكوفة في الكتاب السّابق، فقوله صريح بأنّه عليه السلام كتب إلى أهل الكوفة هذا الكتاب بعد فتح البصرة و العجب من الفاضل الشّارح البحراني حيث قال في شرحه على النّهج: يشبه أن يكون الخطاب لأهل الكوفة مع أنّه نقل في عنوانه قول الرّضي ومن كتاب له عليه السلام إليهم بعد فتح البصرة.

ثمّ إنّ هذا الكتاب لجزء الكتاب الّذي كتب عليه السلام إليهم بعد فتح البصرة ولم يذكره الرّضي رضي الله عنه بتمامه إمّا لعدم عثوره عليه ، أو لاختياره منه هذا القدر لبلاغته ،و هـذا ليس بعزيز في النهج كما بيّنا في المباحث السّالفة أنّ خطبة واحدة قطّعت و جزّئت في أربع مواضع من النّهج و ذكر في كلّ موضع جزء منها ، أو أتى ببعض ما في الخطب والكتب وترك بعضهما الآخر وستقف على أكثر ما قدّمنا في المباحث الآتية أيضاً .

ثمّ نقل هذا الكتاب والّذي قبله في المجلّد الثّامن من البحار ص٤٠٩ الطّبع الكمباني ، و دونك الكتاب بالسّند والتمام .

سند الكتاب ونقله بتمامه و نسخ اخرى منه

إنّ ما يهمّنا في ذلك الشّرح تحصيل سند ما في النّهج ونقله من الجوامع و المجاميع الّتي اُلّفت قبل الرّضيّ رضوان الله عليه كالجامع الكافي لثقة الاسلام الكلينيّ المتوفّى سنة ٣٢٨ هـ ، والبيان والتّبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفّى سنة ٢٥٥ هـ ، و الكامل لأبي العبّاس محمّد بن يزيد المعروف بالمبرّد المتوفّى سنة ٢٨٥ هـ ، والكتاب المعروف بالتّاريخ اليعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب الكاتب المتوفّى حدود سنة ٢٩٢هـ ،وفي الكنى والألقاب للمحدّث القمّي رحمه الله أنّه توفّى سنة ٢٤٦ هـ ، و تاريخ الاُمم و الملوك المعروف بالتّاريخ الطبري لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري الآملي المتوفّى سنة ٣١٠ هـ ، و كتاب صفّين للشيخ أبي الفضل نصر بن مزاحم المنقري التّميمي الكوفي من جملة الرّواة المتقدّمين بل الواقعة في درجة التّابعين كان من معاصري محمّد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام باقر العلوم و كأنّه كان من رجاله عليه السلام و أدرك عليّ بن موسى الرّضا عليهما السلام كما في الخرائج للرّاوندي ، و كتب الشيخ الأجلّ المفيد قدّس سرّه المتوفّى سنة ٤١٣ هـ ، لا سيّما ما نقل في كتبه باسناده عن المورّخ المشهور محمّد بن عمر بن واقد الواقدي المدني المتوفّى سنة ٢٠٧ هـ ، و كتاب الامامة والسّياسة المعروف بتاريخ الخلفاء

من مؤلّفات عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري المتوفّى سنة ٢٧٦ ه‍ ، و مروج الذّهب و معادن الجوهر في التّاريخ لأبي الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعوديّ المتوفّى سنة ٣٤٦ ه‍ ، و كتب أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي المشتهر بالشيخ الصّدوق المتوفّى سنة ٣٨١ ه‍ و غيرها من الكتب المشهورة للعلماء الأقدمين الّذين كانوا قبل الرّضي جامع النّهج ببضع سنين إلى فوق مئين و هو توفّى سنة ٤٠٦ من هجرة خاتم النّبيّين .

و إنّما حدانا على ذلك طعن بعض المخالفين من السّابقين واللّاحقين بل بعض المعاصرين على النّهج بأنّه ليس من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بل ممّا وضعه الرّضي أو من جمعه و نسبه إليه عليه السلام .

وقد نقل القاضي نور الله رحمه الله في مجالس المؤمنين عند ترجمة الشريف المرتضى علم الهدى أخ الرّضي من تاريخ اليافعي أنّه قال : وقد اختلف النّاس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، هل هو جمعه أو أخوه الرّضي و قد قيل : إنّه ليس من كلام عليّ بن أبي طالب و إنّما أحدهما هو الّذي وضعه و نسبه إليه ، انتهى ما أردنا من نقل القاضي كلام اليافعي .

أقول : الظّاهر أنّ اليافعي أخذ هذا الطّعن من القاضي ابن خلكان في وفيات الأعيان ونقله بألفاظه في تاريخه و القائل واحد ، وقد قاله القاضي عند ترجمة علم الهدى و هو مات سنة ٦٨١ ه‍ و اليافعي سنة ٧٦٨ ه‍ ، إلّا أنّ ابن خلّكان قال بعد قوله في اختلاف الناس أنّه ليس من كلامه عليه السلام و إنّما الّذي جمعه و نسبه إليه هو الّذي وضعه . والفرق بينهما أنّ القائل بالوضع على عبارة اليافعي هو علم الهدى أو أخوه الرّضي ، و أمّا على ما في الوفيات فيمكن أن يكون غيرهما .

ثمّ إنّ تلك الشّبهة الواهية إنّما صدرت من معاند جاهل هتّاك لم يتفحّص في الكتب ولم يكن عارفاً بأنحاء الكلام ، و إلّا فكيف يجتري العالم المتتبّع الباحث عن فنون الكلام أن ينحل الكلام الّذي هو فوق كلام المخلوق و دون كلام الخالق إلي من نسبة منشآته و أشعاره و سائر كلماته إلى ما في النّهج كنسبة السّهاء إلى

الشمس. على أنّ الألسن قد كلّت عن أن يتفوّه باتيان خطبة من خطبه لفظاً أو معنى، و الخطباء الّذين تشار إليهم بالبنان و تثنى عليهم الخناصر عياله عليه السلام و كلّ أخذوا منه، وقدقدّمنا بعض ما أشرنا إليه في شرح المختار ٢٣٧.

و قد افترى بعض المخالفين على الرّضي بأنّ الخطبة الشقشقيّة الّتي تدلّ على إثبات إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام وخلافته بعد رسول الله بلا فصل من مجعولاته نسبها إليه، و أقول: إنّها من الخطب الّتي أعجزت العقلاء عن فهم معناها، و أعيت الخطباء البلغاء عن أن يأتوا بمثلها فأنّى للرّضي و لغير الرّضي هذا النّفس و هذا الأسلوب و ما جرى بين مصدّق بن شبيب وشيخه ابن الخشاب مشهور معروف قد نقله الشّارحان المعتزلي والبحراني الأول في آخر شرحه عليها، و الآخر في أوّله و نقلها ابن أبي جمهور الأحسائي في المجلي أيضاً (ص٣٩٣ طبع طهران ١٣٢٩ هـ) و هي رويت على طرق كثيرة روتها الخاصّة و العامّة أتى بها المجلسيّ قدّس سرّه في المجلّد الثّامن من البحار (ص١٦٠ من الطّبع الكمباني) فلا حاجة إلى نقلها.

و أمّا ما في الوفيات و تاريخ اليافعي من أنّ النّاس قد اختلفوا في النّهج هل المرتضى جمعه أو الرّضي فيدفعه ما قاله جامع النّهج في مقدّمته عليه: فانّي كنت في عنفوان السنّ و غضاضة الغصن ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمّة عليهم السلام «إلخ»، ولا كلام في أنّ خصائص الأئمّة من كتب الرّضي رحمه الله، على أنّ جلّ المورّخين والمحدّثين من الشّيعة بل كلّهم و كذلك من العامّة قالوا: إنّه ممّا جمعه الرّضي، و ارتياب من لا خبرة له في ذلك لا يعبأ به.

على أنّ كثيراً من المؤلّفين حتّى من كبار الصّحابة والتّابعين اعتنوا بجمع خطبه عليه السلام و كتبه وسائر كلماته، و قد ذكر عدّة منها الاستاذ الشعراني في مقالته المفيدة القيّمة على شرحنا هذا في أوّل المجلّد الأول من تكملة المنهاج، وعلى شرح المولى صالح القزويني على نهج البلاغة بالفارسيّة، و كذا عدّ عدّة كثيرة منها عليّ بن عبدالعظيم التبريزي الخياباني في ص ٣٤٩ من كتابه الموسوم بوقايع الأيّام في أحوال شهر الصّيام طبع إيران.

و قد التمس منّي غير واحد من أصدقائي الاهتمام كلّ الاهتمام بذكر مدارك ما في النهج من الكتب الأقدمين الّذين جمع الرّضي كلماته عليه‌السلام منها و أوصاني بذلك مكرّراً، و أرجو من الله أن اُجيب التماسهم بقدر الوسع بل الطّاقة فانّي لم آل جهداً إلى الآن في ما لابدّ منه في تفسير كلماته عليه‌السلام و ما يحتاج إليها من أراد أن يغوص في بحار معانيها لاقتناء دُررها من السند واللّغة والاعراب و نقد المعاني و نضد الحقائق في كلّ باب ، و نقل الآيات والأخبار المناسبة في كلّ مقام بعون الله الفيّاض الوهّاب .

و أمّا سند الكتاب المعنون و نقله بتمامه و نسخ اُخرى منه :

فقال الشّيخ الأجلّ أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النّعمان المعروف بالمفيد المتوفّى ٤١٣ هـ في كتاب الجمل (ص ٢٠١ طبع النجف) في رواية عمر بن سعد عن يزيد بن الصلت ، عن عامر الأسدي قال : إنّ عليّاً عليه‌السلام كتب بعد فتح البصرة مع عمر بن سلمة الأرحبي إلى أهل الكوفة : من عبدالله عليّ بن أبي طالب إلى قرضة بن كعب ومن قبله من المسلمين ، سلام عليكم ، فانّي أحمد الله إليكم الّذي لا إله إلّا هو ، أمّا بعد فانّا لقينا القوم النّاكثين لبيعتنا المفرّقين لجماعتنا الباغين علينا من امتنا فحاججنا هم إلى الله فنصرنا الله عليهم وقتل طلحة والزّبير وقد تقدّمت إليهما بالنذر ، و أشهدت عليهما صلحاء الاُمّة و مكّنتهما في البيعة فما أطاعا المرشدين و لا أجابا النّاصحين ، و لاذ أهل البغي بعائشة فقتل حولها جمّ لا يحصي عددهم إلّا الله ، ثمّ ضرب الله وجه بقيّتهم فأدبروا ، فماكانت ناقة الحجر بأشأم منها على أهل ذلك المصر مع ما جاءت به من الحوب الكبير في معصيتها لربّها و نبيّها من الحرب واغترار من اغترّ بها وما صنعته من التفرقة بين المؤمنين و سفك دماء المسلمين لا بيّنة و لا معذرة و لا حجّة لها ، فلمّا هزمهم الله أمرت أن لايقتل مدبر ، ولا يجهز على جريح ، ولا يهتك ستر ، ولا يدخل دار إلّا باذن أهلها ، وقد آمنت النّاس و استشهد منّا رجال صالحون ، ضاعف الله لهم الحسنات و رفع درجاتهم ، و أثابهم ثواب الصّابرين ، و جزاهم من أهل مصر عن أهل بيت

نبيّهم أحسن ما يجزي العاملين بطاعته و الشاكرين لنعمته ، فقد سمعتم و أطعتم و دعيتم فأجبتم فنعم الاخوان و الأعوان على الحقّ أنتم ، والسّلام عليكم و رحمة الله و بركاته ؛ كتب عبد الله بن أبي رافع في رجب سنة ستّ وثلاثين . انتهى .

بيان : عبد الله بن أبي رافع كان كاتبه عليه السلام .

ثمّ إنّ كتابه عليه السلام إليهم بعد فتح البصرة روي بوجه آخر أيضاً رواها علم الهدى الشّريف المرتضى في الشافي (ص ٢٨٧ ، الطبع الناصري ١٣٠٢) و الشيخ الطّوسي في تلخيصه ، و الشيخ المفيد في الجمل (ص ١٩٨) و في الارشاد (ص١٢٣ طبع طهران ١٣٧٧ هـ)

رووا عن الواقدي أنّه عليه السلام كتب إلى أهل الكوفة بعد فتح البصرة :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عليّ أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة ، سلام عليكم فانّي أحمد الله إليكم الّذي لا إله إلاّ هو ، أمّا بعد فانّ الله حكم عدل لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم و إذا أراد الله بقوم سوءً فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال ، و إنّي اُخبركم عنّا وعمّن سرنا إليه من جموع أهل البصرة و من سار إليه من قريش وغيرهم مع طلحة والزّبير بعد نكثهما صفقة أيمانهما ، فنهضت من المدينة حين انتهى إليّ خبرهم و ما صنعوه بعاملي عثمان بن حنيف حتّى قدمت ذا قار فبعثت ابني الحسن و عمّاراً و قيساً ، فاستنفرتهم لحقّ الله و حقّ رسوله و حقّنا فأجابني أخوانكم سرعا حتّى قدموا عليّ فسرت بهم و بالمسارعة إلى طاعة الله حتّى نزلت ظهر البصرة فأعذرت بالدّعاء و أقمت الحجّة و أقلت العثرة و الزلّة من أهل الرّدّة من قريش وغيرهم، واستتبتهم عن نكثهم بيعتي و عهد الله لي عليهم فأبوا إلاّ قتالي وقتال من معي والتّمادي في الغيّ ، فناهضتهم بالجهاد و قتل من قتل منهم و ولّى من ولّى إلى مصرهم ، فسألوني ما دعوتهم إليه من كفّ القتال فقبلت منهم و أغمدت السّيوف عنهم و أخذت بالعفو فيهم و أجريت الحقّ والسّنّة بينهم واستعملت عليهم عبد الله بن العبّاس على البصرة ، و أنا سائر إلى الكوفة إن شاء الله تعالى ، و قد

بعثت إليكم زجر بن قيس الجعفي لتسألوه يخبركم عنّا و عنهم و ردّهم الحق علينا و ردّهم الله وهم كارهون ، والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته ، وكتب عبدالله بن أبي رافع في جمادى الأُولى سنة ستّ وثلاثين .

ففي الارشاد : ثمّ كتب عليه السلام بالفتح إلى أهل الكوفة ـ إلى أن قال : من جموع أهل البصرة ومن تأشّب إليهم من قريش (مكان ومن سار إليه من قريش ـ كما في الجمل)ـ ثمّ نقل إلى قوله عليه السلام : و ولّى من ولّى إلى مصرهم، مع اختلاف يسير في بعض العبارات ، و بعده : وقتل طلحة والزّبير علي نكثهما وشقاقهما وكانت المرأة عليهم أشأم من ناقة الحجر فخذلوا و أدبروا و تقطّعت بهم الأسباب، فلمّا رأوا ما حلّ بهم سألوني العفو عنهم فقبلت منهم و غمدت ـ إلى آخره مع اختلاف قليل في بعض الألفاظ والجمل .

ونقل الكتاب أبوجعفر الطّبريّ في التاريخ (٥٤٥ ج٣ طبع مصر١٣٥٧هـ) بالاجمال و الاختصار قال : ما كتب به عليّ بن أبي طالب من الفتح إلى عامله بالكوفة : كتب إلى السرّي ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمّد و طلحة قالا : وكتب عليّ بالفتح إلى عامله بالكوفة حين كتب في أمرها وهو يومئذ بمكّة :

من عبد الله أمير المؤمنين أمّا بعد فانّا التقينا في النصف من جمادى الآخرة بالخريبة فناء من أفنية البصرة فأعطاهم الله عزّ وجلّ سنة المسلمين وقتل منّا ومنهم قتلى كثيرة واُصيب ممّن اُصيب منّا ثمامة بن المثنى و هند بن عمرو و علباء بن الهيثم و سيحان و زيد ابنا صوحان و محدوج ، وكتب عبدالله بن أبي رافع وكان الرّسول زفر بن قيس إلى الكوفة بالبشارة في جمادى الآخرة .

أقول : الظاهر أنّ الكتاب واحد و إنما روي بطرق مختلفة بعضه نقل في طريق و بعضه الآخر في طريق آخر ، و روايته كذلك لا تدلّ على تعدّد الكتاب إليهم بعد الفتح وماوجدنا في كتب الآثار بعد الفحص والتتبّع مايدلّ على تعدّده .

ثمّ إنّ محاسن هذا الكتاب كثيرة بل كلّه حسن ، واختيار بعضه وترك الباقي

كما فعله السيّد الرّضي ليس بصواب و القول بعدم عثوره على الكتاب بتمامه لا يخلو من دغدغة .

(كتابان آخران له عليه السلام)

هذان الكتابان غير مذكورين في النهج و إنّما نقلهما المفيد قدّس سرّه في الجمل (ص ١٩٧) عن الواقدي أحدهما كتبه إلى أهل المدينة بعد فتح البصرة و ثانيهما إلى امّ هاني بنت أبي طالب بعد الفتح أيضاً .

أمّا الأوّل فاستدعى كاتبه عبدالله بن أبي رافع وقال: اكتب إلى أهل المدينة :

بسم الله الرّحمن الرّحيم ، من عبد الله عليّ بن أبي طالب : سلام عليكم فانّي أحمد الله إليكم الّذي لا إله إلاّ هو فانّ الله بمنّه وفضله وحسن بلائه عندي و عندكم حكم عدل ، و قد قال سبحانه في كتابه و قوله الحقّ : «إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم ، و إذا أراد الله بقوم سوءً فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال» وإنّي مخبركم عنّا و عمّن سرنا إليه من جموع أهل البصرة ومن سار إليهم من قريش وغيرهم مع طلحة والزّبير ونكثهما على ما قد علمتم من بيعتي و هما طائعان غير مكرهين فخرجت من عندكم بمن خرجت ممّن سارع إلى بيعتي و إلى الحقّ حتّى نزلت ذاقار فنفر معي من نفر من أهل الكوفة وقدم طلحة والزّبير البصرة وصنعا بعاملي عثمان بن حنيف ما صنعا ، فقدّمت إليهم الرّسل وأعذرت كلّ الاعذار ، ثمّ نزلت ظهر البصرة فأعذرت بالدّعاء وقدّمت الحجّة و أقلت العثرة والزّلة و استتبتهما و من معهما من نكثهم بيعتي و نقضهما عهدي فأبوا إلاّ قتالي و قتال من معي والتّمادي في الغيّ ، فلم أجد بداً في مناصفتهم لي فناصفتهم بالجهاد ، فقتل الله من قتل منهم ناكثاً ، و ولّى من ولّى منهم ، وأغمدت السّيوف عنهم وأخذت بالعفو فيهم وأجريت الحقّ والسنّة في حكمهم واخترت لهم عاملاً استعملته عليهم و هو عبد الله بن عباس ، وإنّي سائر إلى الكوفة إن شاء الله تعالى ، و كتب عبدالله بن أبي رافع في جمادى الاُولى سنة ستّ وثلاثين من الهجرة .

وقال علم الهدى في الشّافي : وروى الواقديّ أيضاً كتاب أمير المؤمنين عليه السلام

إلى أهل المدينة يتضمّن مثل معاني كتابه إلى أهل الكوفة وقريباً من ألفاظه .

أقول : ولعلّ الوجه في عدم ذكر الرّضي كتابه عليه‌السلام إلى أهل المدينة في النهج كان ذلك أعنى أنّ كتابه إلى أهل المدينة كان قريباً من كتابه إلى أهل الكوفة في ألفاظه و معانيه .

أمّا الكتاب الثّاني : فكتب عليه‌السلام إلى امُّ هاني بنت أبي طالب :

سلام عليك أحمد إليك الله الّذي لا إله إلاّ هو ، أمّا بعد فانّا التقينا مع البغاة و الظلمة في البصرة فأعطانا الله تعالى النصر عليهم بحوله وقوّته ، و أعطاهم سنة الظّالمين فقتل كلّ من طلحة والزُّبير و عبدالرّحمن بن عتاب وجمع لايحصى و قتل منّا بنو مخدوع و ابنا صوحان و علباء و هند وثمامة فيمن يعدّ من المسلمين رحمهم الله ـ والسّلام .

ولقد حان أن نرجع إلى تتميم واقعة الجمل وفاءً بالعهد الّذي عهدناه في الكتاب المتقدّم ، وليعلم أوّلاً أنّ غرضنا كلّه أن نأتي بالكتب والخطب والأشعار والحكم الّتي صدرت منه عليه‌السلام على الترتيب الواقع في بدء واقعة الجمل إلى آخرها حتّى نذكر سند ما في النهج على ما وجدنا طائفة منه في سالف الأيّام ، واُخرى حين شرح الكتاب بالتّتبّع و الفحص على قدر الوسع و الطّاقة ، و كذا نذكر في ذكر نحو هذه الوقائع ما لم يأت به في النّهج من كلماته عليه‌السلام كما فعلنا في نقل واقعة صفّين على اسلوب بديع بين فيه كثير مافي النهج، وذكر طائفة من كلماته عليه‌السلام لم تذكر فيه مع فوائد غزيرة جليلة قدّمناها في ذكر واقعة صفّين ، فنقول :

لمّا أتى أمير المؤمنين عليّاً عليه‌السلام الخبر و هو بالمدينة بأمر عائشة و طلحة والزُّبير أنّهم قدتوجّهوا نحوالعراق، خرج يبادر وهو يرجو أن يدركهم ويردّهم فلمّا انتهى إلى الرّبذة أتاه عنهم أنّهم قد أمعنوا ، فأقام بالرّبذة أيّاماً و أتاه عن القوم أنّهم يريدون البصرة فسرّى بذلك عنه ، وقال : إنّ أهل الكوفة أشدّ إليّ حبّاً وفيهم رؤوس العرب وأعلامهم ، ثمّ دعا هاشم بن عتبة المرقال و كتب معه كتاباً إلى أبي موسى الأشعري ، و كان بالكوفة من قبل عثمان أن يوصل الكتاب إليه

ليستنفر النّاس منها إلى الجهاد معه .

روى أبو مخنف ، قال : حدّثني الصعقب ، قال : سمعت عبد الله بن جنادة يحدّث أنّ علياً عليه السلام لمّا نزل الرّبذة بعث هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص إلى أبي موسى الأشعري و هو الأمير يومئذ على الكوفة لينفّر إليه النّاس ، و كتب إليه معه من عبدالله عليّ أمير المؤمنين إلى عبدالله بن قيس (هو أبو موسى الأشعري) أمّا بعد فانّي قد بعثت إليك هاشم بن عتبة لتشخص إليّ من قبلك من المسلمين ليتوجّهوا إلى قوم نكثوا بيعتي و قتلوا شيعتي و أحدثوا في الاسلام هذا الحدث العظيم ، فأشخص بالنّاس إليّ معه حين يقدم عليك فانّي لم اُولك المصر الّذي أنت فيه ولم أقرّك عليه إلّا لتكون من أعواني على الحقّ و أنصاري على هذا الأمر ، و السّلام .

نقل هذا الكتاب أيضاً في جمل المفيد (ص ١١٥ طبع النجف) ، وتاريخ أبي جعفر الطبري (ص ٥١٢ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧ هـ) ، إلّا أنّ المفيد ذهب إلى أنّه عليه السلام أرسل هاشم بالكتاب إلى أبي موسى من ذي قار ، فانّه رحمه الله قال: لمّا بلغ الرّبذة وجد القوم قد فاتوا فنزل بها قليلاً ، ثمّ توجّه نحو البصرة حتّى نزل بذي قار فأقام بها ، ثمّ أرسل ذلك الكتاب مع هاشم ، الخ .

و لكن على رواية أبي مخنف و ابن إسحاق و الطبري و غيرهم ما نقلناه و رتّبناه .

فقدم هاشم با لكتاب على أبي موسى الأشعري ، فدعا أبو موسى السائب بن مالك الأشعري فأقرأه الكتاب ، وقال له : ما ترى ؟ فقال له أبو السائب : اتّبع ما كتب به إليك، فأبى ذلك وحبس الكتاب و بعث إلى هاشم يتوعّده و يخوّفه .

(كتاب هاشم بن عتبة الى أمير المؤمنين عليه السلام من الكوفة)

فقال السائب : فأتيت هاشم بن عتبة فأخبرته برأي أبي موسى فكتب هاشم إلى أمير المؤمنين عليه السلام : لعبد الله عليّ أمير المؤمنين من هاشم بن عتبة : أمّا بعد

يا أمير المؤمنين و إنّي قدمت بكتابك على امرءٍ مُشاقّ عاق بعيد الرّحم ظاهر الغلّ والشنآن فتهدّدني بالسجن وخوّفني بالقتل ، و قد كتبت إليك هذا الكتاب مع المحلّ بن خليفة أخي طيّ و هو من شيعتك و أنصارك و عنده علم ما قبلنا فاسأله عمّا بدالك واكتب إليّ برأيك ، والسلام .

فلمّا قدم المحلّ بكتاب هاشم على عليّ عليه السلام سلّم عليه ثمّ قال : الحمدلله الّذي أدّى الحقّ إلى أهله و وضعه موضعه ، فكره ذلك قوم قدوالله كرهوا نبوّة محمد صلى الله عليه وآله ثمّ بارزوه و جاهدوه ، فردّ الله عليهم كيدهم في نحورهم ، و جعل دائرة السّوء عليهم ، والله يا أمير المؤمنين لنجاهدنّهم معك في كلّ موطن حفظاً لرسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته إذ صاروا أعداءً لهم بعده ؛ فرحّب به عليٌّ عليه السلام و قال له خيراً ، ثمّ أجلسه إلى جانبه و قرأ كتاب هاشم و سأله عن الناس و عن أبي موسى الأشعريّ ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أثق به ولا آمنه على خلافك إن وجد من يساعده على ذلك . فقال عليٌّ عليه السلام : والله ما كان عندي بمؤتمن و لا ناصح ، و لقد أردت عزله فأتاني الأشتر فسألني أن اقرّه و ذكر أنّ أهل الكوفة به راضون فأقررته .

(كتاب على عليه السلام الى أبي موسى الاشعرى)

ثمّ دعا عليه السّلام عبدالله بن عباس ومحمد بن أبي بكر وبعثهما إلى أبي موسى وكتب معهما :

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين عليه السلام إلى عبد الله بن قيس : أمّا بعد يا ابن الحائك يا عاض إير أبيه ، فوالله إنّي كنت لأرى أنّ بعدك من هذا الأمر الّذي لم يجعلك الله له أهلاً و لا جعل لك فيه نصيباً سيمنعك من ردّ أمري و الانتزاء عليّ ، وقد بعثت إليك ابن عباس و ابن أبي بكر فخلّهما والمصر و أهله و اعتزل عملنا مذؤماً مدحوراً ، فان فعلت ، و إلاّ فانّي قد أمرتهما أن ينابذاك على سواء إنّ الله لا يهدي كيد الخائنين ، فاذا ظهرا عليك قطّعاك إرباً إرباً ، و السلام على من شكر النعمة و وفى بالبيعة و عمل برجاء العاقبة .

أقول : هذا الكتاب غير مذكور في النهج و إنّما ذكر فيه كتاب آخر منه عليه السلام إليه وهو الكتاب ٦٣ منه وهو قوله عليه السلام : من عبدالله علي ّ أمير المؤمنين إلى عبدالله بن قيس ، أمّا بعد فقد بلغني عنك قول هو لك و عليك ، إلخ .

قال أبو مخنف : فلمّا أبطأ ابن عباس و ابن أبي بكر عن علي ّ عليه السلام و لم يدر ما صنعا رحل عن الرّبذة إلى ذي قار فنزلها ، فلمّا نزل ذاقار بعث إلى الكوفة الحسن ابنه عليه السلام و عمّار بن ياسر و زيد بن صوحان و قيس بن سعد بن عبادة ومعهم كتاب إلى الكوفة ، فأقبلوا حتّى كانوا بالقادسيّة ، فتلقّا هم النّاس ، فلمّا دخلوا الكوفة قرأوا كتاب علي ّ عليه السلام وهو :

من عبد الله علي ّ أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين : أمّا بعد فانّي خرجت مخرجي هذا إمّا ظالماً ، و إمّا مظلوماً ، و إمّا باغياً ، وإمّا مبغيّاً علي ّ ، فأنشد الله رجلاً بلغ كتابي هذا إلاّ نفر إلي ّ ، فان كنت مظلوماً أعانني ، و إن كنت ظالماً استعتبني ، والسلام .

أقول : أتى بهذا الكتاب الشريف الرّضي في النّهج مع اختلاف يسير و هو الكتاب ٥٧ منه قوله : ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة، أمّا بعد فانّي خرجت من حيّي هذا ، إلخ .

و كذا نقل هذا الكتاب أبوجعفر الطبري ّ في التاريخ (ص ٥١٢ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧ ه) و بين النسخ اختلاف في الجملة و نذكرها في شرح الكتاب بعون الله الملك الوهّاب .

فلمّا دخل الحسن بن علي ّ عليهما السلام و عمّار الكوفة اجتمع إليهما الناس ، فقام الحسن عليه السلام ، فاستنفر الناس وخطب خطبة رواها أبومخنف على صورتين فاحداهما ما قال : حدّثني جابر بن يزيد قال : حدّثني تميم بن حذيم الناجي قال : قدم علينا الحسن بن علي ّ عليهما السلام وعمّار بن ياسر يستنفران الناس إلى علي ّ عليه السلام ومعهما كتابه ، فلمّا فرغا من قراءة كتابه قام الحسن عليه السلام وهو فتى حدث والله إني لأرثي له من حداثة سنّه و صعوبة مقامه ، فرماه النّاس بأبصارهم و هم يقولون : اللّهم ّ

سدّد منطق ابن بنت نبيّنا ، فوضع يده على عمود يتساند إليه وكان عليلاً من شكوى به فقال :

(خطبة الحسن بن على عليهما السلام فى الكوفة يستنفر الناس الى أبيه عليه السلام)

الحمد لله العزيز الجبّار ، الواحد القهّار ، الكبير المتعال ، سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به ومن هومستخف بالليل وسارب بالنهار ، أحمده على حسن البلاء ، وتظاهر النعماء ، وعلى ما أحببنا و كرهنا من شدّة و رخاء ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، و أنّ محمّداً عبده و رسوله ، امتنّ علينا بنبوّته ، و اختصّه برسالته ، و أنزل عليه وحيه ، و اصطفاه على جميع خلقه ، و أرسله إلى الإنس و الجنّ حين عبدت الأوثان ، و اُطيع الشيطان ، وجحد الرّحمن ، فصلّى الله عليه وعلى آله، وجزاه أفضل ما جزى المسلمين ؛

أمّا بعد فانّي لا أقول لكم إلاّ ما تعرفون أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أرشد الله أمره ، و أعزّ نصره ، بعثني إليكم يدعوكم إلى الصواب ، و إلى العمل بالكتاب، والجهاد في سبيل الله ، وإن كان في عاجل ذلك ماتكرهون، فانّ في آجله ما تحبّون إن شاء الله ، ولقد علمتم أنّ عليّاً صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وحده وأنّه يوم صدق به لفي عاشرة من سنّه ، ثمّ شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله جميع مشاهده وكان من اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله و آثاره الحسنة في الاسلام ماقد بلغكم ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله راضياً عنه حتّى غمضه بيده، وغسله وحده والملائكة أعوانه و الفضل ابن عمّه ينقل إليه الماء ، ثمّ أدخله حفرته ، و أوصاه بقضاء دينه وعداته وغير ذلك من اُموره ، كلّ ذلك من منّ الله عليه ؛ ثمّ والله ما دعا إلى نفسه ، ولقد تداكّ الناس عليه تداكّ الإبل الهيم العطاش ورودها ، فبايعوه طائعين ، ثمّ نكث منهم ناكثون بلا حدث أحدثه ، ولا خلاف أتاه ، حسداً له وبغياً عليه فعليكم عباد الله بتقوى الله وطاعته ، والجدّ والصبر والاستعانة بالله ، والخفوف إلى مادعاكم إليه أمير المؤمنين عليه السلام عصمنا الله وإيّاكم بما عصم به أولياءه وأهل طاعته ، وألهمنا

و إيّاكم تقواه ، وأعاننا و إيّاكم على جهاد أعدائه ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ثمّ مضى إلى الرهبة فهيأ منزلاً لأبيه أمير المؤمنين عليه السلام .

قال جابر : فقلت لتميم : كيف أطاق هـذا الغلام ما قد قصصته من كلامه ؟ فقال : ولما سقط عنّي من قوله أكثر ولقد حفظت بعض ما سمعت .

و أمّا صورتها الأخرى فروي عن موسى بن عبدالرّحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه أنّه لما دخل الحسن عليه السلام وعمّار الكوفة اجتمع إليهما النّاس فقام الحسن عليه السلام فاستنفر الناس ، فحمد الله و صلّى على رسوله ثمّ قال :

أيّها الناس إنّا جئنا ندعوكم إلى الله و إلى كتابه و سنّة رسوله وإلى أفقه من تفقّه من المسلمين ، و أعدل من تعدّلون ، و أفضل من تفضّلون ، و أوفى من تبايعون ، من لم يعيه القرآن ، ولم تجهله السنّة ، ولم تقعد به السابقة ، إلى من قرّبه الله تعالى ورسوله قرابتين : قرابة الدّين، وقرابة الرّحم، إلى من سبق الناس إلى كلّ مأثرة ، إلى من كفى الله به رسوله والنّـاس متخاذلون ، فقرّب منهم وهم متباعدون ، وصلّى معه وهم مشركون ، وقاتل معه وهم منهزمون ، وبارز معه وهم محجمون ، وصدّقه وهم يكذّبون ؛ إلى من لم تردّ له راية ، ولا تكافأ له سابقة ، و هو يسألكم النصر ، و يدعوكم إلى الحقّ ، و يأمركم بالمسير إليه لتوازروه وتنصروه على قوم نكثوا بيعته و قتلوا أهل الصلاح من أصحابه ، ومثّلوا بعمّاله ، وانتهبوا بيت ماله ، فاشخصوا إليه ، رحمكم الله، فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر واحضروا بما يحضر به الصّالحون .

ونقل ابن قتيبة الدّينوري في الإمامة والسياسة خطبته عليه السلام بوجه آخر قال: (ص٦٧ ج١ طبع مصر ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧ م) ثمّ قام الحسن بن عليّ عليهما السلام فقال : أيّها الناس إنّه قد كان من مسير أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ما قد بلغكم ، وقد أتيناكم مستنفرين، لأنّكم جبهة الأنصار ، و رؤوس العرب ، وقد كان من نقض طلحة والزّبير بعد بيعتهما وخروجهما بعائشة ما بلغكم ، و تعلمون أنّ وهن النساء وضعف رأيهنّ إلى التلاشي ، ومن أجل ذلك جعل الله الرّجال قوّامين على النساء

و أيم الله لو لم ينصره منكم أحد لرجوت أن يكون فيمن أقبل معه من المهاجرين والأنصار كفاية .

و نقل الخطبة في (جمل المفيد ص ١١٧ طبع نجف) أيضاً ونسخته قريبة من نسخة الامامة والسياسة .

و أقول : الظاهر أنّ تلك النسخ كلّها كانت خطبة واحدة منه عليه السلام و هي كما قال تميم بن حذيم الناجي حفظ بعضها فريق ، وحفظ طائفة منها فريق آخر فنقلوا ماحفظوا ، أو اختار بعضهم بعضها اختصاراً وترك الآخر الآخر كذلك .

ولمّا فرغ الحسن بن عليّ عليهما السلام من خطبته قام بعده عمّار فحمدالله و أثنى عليه و صلّى على رسوله ثمّ قال :

يا أيّها الناس أخو نبيّكم وابن عمّه يستنفركم لنصر دين الله ، وقد بلاكم الله بحقّ دينكم وحرمة اُمّكم ، فحقّ دينكم أوجب ، وحرمته أعظم ، أيها الناس عليكم بامام لايؤدّب ، وفقيه لايعلّم ، وصاحب بأس لاينكل ، وذي سابقة في الاسلام ليست لأحد ، وإنّكم لو قد حضرتموه بيّن لكم أمركم إن شاء الله .

أقول : لقد مضى وجه قول عمّار فيه عليه السلام عليكم بامام لا يؤدّب في شرح الخطبة ٢٣٦ ص٢ ج١٦ من تكملة المنهاج .

ثمّ إنّ المفيد قدّس سرّه نقل خطبة عمّار بن ياسر في الجمل (ص١١٧ طبع النجف) تغاير الاُولى ، ونقلها ابن قتيبة في الامامة والسياسة على وجه تغايرهما ، ولا بعد أن تكون خطبته أيضاً قطّعت وفرّقت ، و ذكرت في كتاب طائفة منها وفي آخر اُخرى منها .

ثمّ قام بعدهما قيس بن سعد فقال :

أيّها الناس إنّ هذا الأمر لواستقبلنا به الشورى لكان عليّ أحقّ الناس به لمكانه من رسول الله صلّى الله عليه وآله وكان قتال من أبى ذلك حلالاً فكيف بالحجّة على طلحة والزّبير وقد بايعاه طوعاً ثمّ خلعا حسداً و بغياً ، وقد جاءكم عليّ في المهاجرين والأنصار ، ثمّ أنشأ يقول :

رضينا بقسم الله إذ كان قسمنا عليّاً و أبناء الرّسول محمّد
و قلنا لهم أهلاً وسهلاً ومرحباً نمدّ يدينا من هدى و تودّد
فما للزبير الناقض العهد حرمة ولا لأخيه طلحة فيه من يد
أتاكم سليل المصطفى و وصيّه و أنتم بحمدالله عارضه الندى
فمن قائم يرجى بخيل إلى الوغى وضمّ العوالي و الصفيح المهنّد
يسود من أدناه فغير مدلع و إن كان ما نقضيه غير مسوّد
فان يك ما نهوى فذاك نريده و إن تخط ما نهوى فغير تعمّد

تذكرة : قد ذكرنا في المجلّد ١٦ من تكملة المنهاج من ص ١٩ إلى ص٢٣ طائفة من أشعار الصحابة والتابعين في مدح أمير المؤمنين وتعريفه بأنه وصيّ رسول الله صلّى الله عليه وآله ومنها بيتان من قيس بن سعد هذا وقد قدّمنا هنالك أنّ هذه الكلمة الصادرة من هؤلاء العظام مع قربهم بزمـان رسول الله صلّى الله عليه وآله بل إدراك كثير منهم إيّاه مما يعتنى بها ويبجّلها من يطلب الحقّ ويبحث عنه ، فراجع.

فلمّا فرغ القوم من كلامهم وسمع أبوموسى خطبتهم قام فصعد المنبر وقال: الحمد لله الّذي أكرمنا بمحمّد فجمعنا ـ إلى آخر ما نقلنا كلامه لأهل الكوفة وتثبيطه إيّاهم عن نصرة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في شرح الخطبة ٢٣٦ في ص٦ من المجلّد السادس عشر من تكملة المنهاج ، و كذا احتجاج عمّار بن ياسر رحمة الله عليهما عليه من كلامه «لا حاجة إلى الاعادة ـ فراجع .

ثمّ قام زيد بن صوحان ، وبعده عبدالله بن عبد خير ، وبعده عبد خير ، ثمّ رجل آخر وخاصموا أبا موسى واحتجّوا عليه و وبّخوه بفعاله ولاموه بمقاله ونهوه عن تثبيطه الناس عن نصرة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، نقل كلام كلّ واحد منهم المفيد رحمه الله في الجمل ، ثمّ قال : وبلغ أمير المؤمنين ماكان من أمر أبي موسى وتخذيله الناس عن نصرته ، فقام إليه مالك الأشتر «ره» فقال : يا أمير المؤمنين إنّك قد بعثت إلى الكوفة رجلاً قبل من العنت الآن فلم أره حكم شيئاً و هؤلاء اخلف من بعثت أن يستنيب لك الناس على ماتحبّ ، ولست أدري مايكون ، فان رأيت جعلت فداك

أن تبعثني في إثرهم فان أهل الكوفة أحسن لي طاعة ، و إن قدمت عليهم رجوت أن لا يخالفني أحد منهم .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : الحق بهم على اسم الله ، فأقبل الأشتر حتّى دخل الكوفة وقد اجتمع الناس بالمسجد الأعظم ، فأخذ لا يمرّ بقبيلة فيها جماعة في مجلس أو مسجد إلّا دعاهم وقال لهم : اتّبعوني إلى القصر ، فانتهى إلى القصر في جماعة من الناس فاقتحم وأبوموسى قائم في المسجد الأعظم يخطب الناس ويثبطهم عن نصرة عليّ عليه السلام والحسن عليه السلام وعمّار وقيس يقولون له : اعتزل عملنا لا اُمّ لك ، وتنحّ عن منبرنا .

فبيناهم في الكلام والمشاجرة إذ دخل غلمان أبي موسى ينادون يا أبا موسى هذا الأشتر اخرج من في المسجد ، ودخل عليه أصحاب الأشتر فقالوا له: اخرج من المسجد يا ويلك أخرج الله روحك إنّك و الله لمن المنافقين ، فخرج أبو موسى و أنفذ إلى الأشتر أن أجّلني هذه العشيّة ، قال : قد أجّلتك وتبيت في القصر هذه اللّيلة واعتزل ناحية عنه ، ودخل الناس ينتهبون متاع أبي موسى فأتبعهم الأشتر بمن أخرجهم من القصر وقال لهم : إني أجّلته ، فكفّ الناس عنه .

قال أبوجعفر الطبري في التاريخ : وأتت الأخبار علياً عليه السلام باختلاف الناس بالكوفة ، فقال للأشتر : أنت شفعت في أبي موسى أن اُقرّه على الكوفة ، فاذهب فاصلح ما أفسدت ؛ فقام الأشتر فشخص نحو الكوفة ، فأقبل حتّى دخلها و الناس في المسجد الأعظم ، فجعل لا يمرّ بقبيلة إلّا دعاهم ، وقال : اتبعوني إلى القصر حتّى وصل القصر فاقتحمه وأبوموسى يومئذ يخطب الناس على المنبر ويثبّطهم وعمار يخاطبه والحسن عليه السلام يقول : اعتزل عملنا وتنحّ عن منبرنا لا اُمّ لك .

ثمّ صعد الحسن بن عليّ عليهما السلام ثانياً وبعده عمّار بن ياسر (ره) وخطبا خطبة ثمّ صعد المنبر الأشتر رضوان الله عليه و خطب خطبة ، ثمّ قام حجر بن عديّ الكندي رحمه الله تعالى وخطب خطبة ، نقل خطبهم الشيخ الأجلّ المفيد (ره) في الجمل استنفر كلّ واحد منهم الناس إلى أمير المؤمنين عليه السلام والجهاد في سبيل الله ،

فأجابهم النـاس بالسمع و الطاعة .

قال المفيد في الجمل نقلاً عن الواقدي : وكان أمير المؤمنين عليه السلام كتب مع ابن عبّاس كتاباً إلى أبي موسى و غلّظه فقال ابن عباس : قلت في نفسي أقدم على رجل وهو أمير بمثل هذا الكتاب أن لاينظر في كتابي ونظرت أن أشقّ كتاب أمير المؤمنين عليه السلام، و كتبت من عندي كتاباً عنه لأبي موسى : أمّا بعد فقد عرفت مودتك إيّانا أهل البيت و انقطاعك إلينا و إنّـما نرغب إليك لما نعرف من حسن رأيك فينا ، فاذا أتاك كتابي فبايع لنا النّاس والسلام . فدفعه إليه ، فلمّا قرأه أبوموسى قال لي : أنا الأمير بل و أنت قلت الأمير فدعا النّاس إلى بيعة عليّ عليه السلام فلمّا بايع قمت وصعدت المنبر فرام ، انزالي منه فقلت : أنت تنزلني عن المنبر وأخذت بقائم سيفي فقلت : اثبت مكانك والله لأن نزلت إليك هذبتك به ، فلم يبرح فبايعت النّاس لعليّ عليه السلام وخلعت أبا موسى في الحال و استعملت مكانه قرضة بن عبد الله الأنصـاري ، و لم أبرح من الكوفة حتّى سيرت لعلي عليه السلام في البرّ و البحر من أهلها سبعة آلاف رجل ، ولحقته بذي قار قال : وقد سار معه من جبال طيّ وغيرها ألفا رجل .

(ظهور معجزة من أمير المؤمنين عليه السلام باخباره بالغيب)

قد تظافرت الأخبار و تناصرت الآثار من الفريقين أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أخبر النّاس في ذي قار بأنّ رجالاً من قبل الكوفة يأتونه لنصرته و يبايعونه على الموت ، و إنّما اختلفت تلك الرّوايات في العدد الّذي أخبر عليه السلام به .

ففي الارشاد للمفيد قدّس سرّه (ص١٤٩ طبع طهران ١٣٧٧هـ) : قال عليه السلام بذي قار و هو جالس لأخذ البيعة : يأتيكم من قبل الكوفة ألف رجـل لا يزيدون رجلاً ولا ينقصون رجلاً يبايعونني على الموت ؛ قال ابن عبّاس : فجزعت لذلك وخفت أن ينقص القوم عن العدد أو يزيدون عليه فيفسد الأمر علينا ولم أزل مهموماً دأبي إحصاء القوم حتّى ورد أوائلهم فجعلت أحصيهم فاستوفيت عددهم تسعمائة وتسعة

و تسعون رجلاً ، ثمّ انقطع مجيء القوم فقلت : إنّا لله و إنّا إليه راجعون ما ذا حمله على ماقال ، فبينما أنا مفكّر في ذلك إذرأيت شخصاً قد أقبل حتّى إذا دنى وإذا هو رجل عليه قباء صوف معه سيفه وترسه وأدواته ، فقرب من أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : امدد يدك اُبايعك ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : على مَ تبايعني ؟ قال : على السمع والطاعة والقتال بين يديك حتّى أموت أو يفتح الله عليك ؛ فقال عليه السلام : ما اسمك ؟ قال : اُويس ، قال : أنت اُويس القرني ؟ قال : نعم ، قال : الله أكبر أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أنّي أدرك رجلاً من اُمّته يقال له : اُويس القرني يكون من حزب الله ورسوله يموت على الشهادة يدخل في شفاعته مثل ربيعة و مضر قال ابن عبّاس : فسرّى والله عنّي .

وقال في الجمل : روى نصر بن عمرو بن سعد عن الأحلج ، عن زيد بن عليّ قال : لمّا أبطأ على عليّ عليه السلام خبر أهل البصرة ونحن في فلاة قال عبدالله بن عباس : فأخبرت عليّاً بذلك فقال لي : اسكت يا ابن عباس ، فوالله لتأتينا في هذين اليومين من الكوفة ستّة آلاف وستّمائة رجل وليغلبنّ أهل البصرة وليقتلنّ طلحة و الزّبير فوالله إنّني أستشرف الأخبار وأستقبلها حتّى إذا أتى راكب فاستقبلته واستخبرته فأخبرني بالعدّة الّتي سمعتها من علي عليه السلام لم تنقص رجلاً واحداً .

و قال أبو جعفر الطبريّ في التاريخ (ص ٥١٣ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧ ه) : حدّثني عمر قال : حدّثنا أبو الحسن قال : حدّثنا أبو مخنف ، عن جابر ، عن الشعبي عن أبي الطفيل قال : قال عليّ عليه السلام يأتيكم من الكوفة اثناعشر ألف رجل و رجل فقعدت على نجفة ذي قار فأحصيتهم ، فما زادوا رجلاً ولا نقصوا رجلاً .

ثمّ قال : حدّثني عمر قال : حدّثنا أبو الحسن ، عن بشير بن عاصم ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبيه قال : خرج إلى عليّ عليه السلام اثنا عشر ألف رجل وهم أسباع على قريش و كنانة و أسد الخ .

و روى أبو مخنف كما في شرح الفاضل الشارح المعتزلي (ص ١٠٢ ج ١ طبع طهران ١٣٠٤ ه الخطبة ٣٣) عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن زيد بن عليّ بن عباس

قال : لمّا نزلنا مع علي عليه السلام ذا قار قلت : يا أمير المؤمنين ما أقلّ من يأتيك من أهل الكوفة فيما أظنّ ؟ فقال : و الله ليأتينّي منهم ستّة آلاف و خمسة و ستّون رجلاً لايزيدون ولاينقصون ، قال ابن عبّاس : فدخلني والله من ذلك شكّ شديد في قوله وقلت في نفسي: والله إن قدموا لأعدّنّهم .

قال أبو مخنف : فحدّث ابن إسحاق عن عمّه عبد الرّحمن بن يسار قال : نفر إلى عليّ عليه السلام إلى ذي قار من الكوفة في البحر والبرّ ستّة آلاف وخمسمائة و ستّون رجلاً أقام عليّ عليه السلام بذي قار خمسة عشر يوماً حتّى سمع صهيل الخيل وشحيج البغال حوله ، فلمّا سار بهم منقلة قال ابن عباس : والله لأعدّنّهم فان كانوا كما قال و إلاّ أتممتهم من غير هم فانّ النّاس قد كانوا سمعوا قوله ، فعرضتهم فوالله ما وجدتهم يزيدون رجلاً و لا ينقصون رجلاً ، فقلت : الله أكبر صدق الله و رسوله ، ثمّ سرنا .

وقال المسعوديّ في مروج الذهب : أتاه عليه السلام من أهل الكوفة نحو من سبعة آلاف وقيل ستّة آلاف وخمسمائة وستّون رجلاً ، وقال: قتل من أصحاب علي عليه السلام في وقعة الجمل خمسة آلاف

و الأخبار الواردة في العدّة الّتي خرجوا مع عليّ عليه السلام من المدينة و في أنّه عليه السلام سار من ذي قار قاصداً البصرة في اثنى عشر ألف ، و في عدد القتلى من أصحابه عليه السلام و غيرها لا يناسب العدد الّذي ذكره المفيد في الارشاد ، ولم نر مع كثرة فحصنا في الآثار من يوافقه في نقل ذلك المقدار .

(عدة خطب خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام فى ذى قار و تحقيق أنيق)
(فى سند عدة خطب مذكورة فى النهج وبيان أصلها ولم شعثها)

(١) قال المفيد في الارشاد (ص ١١٩ طبع طهران ١٣٧٧ ه) و لمّا نزل بذي قار أخـذ البيعة على من حضره ثمّ تكلّم فأكثر من الحمد لله و الثّناء عليه الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال :

قد جرت اُمور صبرنا عليها وفي أعيننا القذى تسليماً لأمر الله تعالى فيما امتحننا به ، ورجاء الثواب على ذلك، وكان الصبر عليها أمثل من أن يتفرّق المسلمون و تسفك دماؤهم ، نحن أهل بيت النّبوّة و عترة الرّسول و أحقّ الخلق بسلطان الرّسالة و معدن الكرامة الّتي ابتدأ الله بها هذه الاُمّة ، وهذا طلحة والزّبير ليسا من أهل النبوّة و لا من ذرّيّة الرّسول حين رأيا أنّ الله قد ردّ علينا حقّنا بعد أعصر ، فلم يصبرا حولاً واحداً ولاشهراً كاملاً ، حتّى وثبا على دأب الماضين قبلهما ليذهبا بحقّي ويفرّقا جماعة المسلمين عنّي، ثمّ دعا عليهما .

(٢) قال أبوجعفر الطبريّ في التاريخ (ص ٥٠١ ج٣ طبع مصر ١٣٥٧م): كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشّعبي قال : لمّا التقوا بذي قار تلقاهم عليٌّ في اُناس فيهم ابن عباس فرحّب بهم وقال :

يا أهل الكوفة أنتم ولّيتم شوكة العجم وملوكهم وفضضتم جموعهم حتّى صارت إليكم مواريثهم ، فأغنيتم حوزتكم وأعنتم الناس على عدوّهم ، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة ، فان يرجعوا فذاك ما نريد ، و إن يلجوا داريناهم بالرّفق ، وبايّناهم حتّى يبدأونا بظلم ، ولن ندع أمراً فيه صلاح إلاّ آثرناه على مافيه الفساد إن شاءالله ، ولا قوّة إلاّ بالله .

أقول : هذه الخطبة والّتي قبلها ما ذكرنا في النهج و يمكن أن يكون جميعها خطبة واحدة فتفرّقت باختلاف الروايات .

(٣) وقال الواقدي كما في جمل المفيد : لمّا صار أهل الكوفة إلى ذي قار ولقوا عليّاً عليه السلام بها رحّبوا به و قالوا : الحمد لله الّذي خصّنا بمودّتنا وأكرمنا بنصرتك ، فجزاهم خيراً ، ثمّ قام عليه السلام و خطبهم فحمد الله و أثنى عليه و ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله فصلّى عليه ثمّ قال :

يا أهل الكوفة إنّكم من أكرم المسلمين وأعدلهم سنّة ، وأفضلهم في الاسلام سهماً ، و أجودهم في العرب مركباً و نصاباً ، حربكم بيوتات العرب و فرسانهم و مواليهم ، أنتم أشدّ العرب ودّا للنّبيّ صلى الله عليه وآله ، و إنّما اخترتكم ثقة بعد الله لما

بذلتم لي أنفسكم عند نقض طلحة والزّبير بيعتي وعهدي، وخلافهما طاعتي وإقبالهما بعائشة لمخالفتي ومبارزتي ، وإخراجهما لها من بيتها حتّى أقدما ها البصرة ، وقد بلغني أنّ أهل البصرة فرقتان : فرقة الخير والفضل و الذّين قد اعتزلوا و كرهوا ما فعل طلحة والزّبير، ثمّ سكت عليه السلام فأجابه أهل الكوفة : نحن أنصارك وأعوانك على عدوّك و لو دعوتنا إلى أضعافهم من الناس احتسبنا في ذلك الخير و رجوناه فردّ عليهم خيراً .

أقول : هذه الخطبة ليست بمذكورة في النهج و قد رواها المفيد قدّس سرّه في الارشاد أيضاً (ص ١١٩ طبع طهران ١٣٧٧ ه) وبين النسختين اختلاف في الجملة و كأنّ ما في الارشاد أحكم و أقوم .

قال رحمه الله : وقد روى عبدالحميد بن عمران العجلي ، عن سلمة بن كهيل قال: لما التقى أهل الكوفة أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار رحّبوا به ثمّ قالوا: الحمد لله الّذي خصّنا بجوارك وأكرمنا بنصرتك، فقام أمير المؤمنين عليه السلام فيهم خطيباً فحمد الله و أثنى عليه وقال :

يا أهل الكوفة إنّكم من أكرم المسلمين ، و أقصدهم تقويماً ، وأعدلهم سنّة و أفضلهم سهماً في الاسلام ، و أجودهم في العرب مركباً ونصاباً ، أنتم أشدّ العرب ودّاً للنبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته، وإنّما جئتكم ثقة بعدالله بكم للّذي بذلتم من أنفسكم عند نقض طلحة و الزّبير و خلفهما طاعتي ، و إقبالهما بعائشة للفتنة و إخراجهما إيّاها من بيتها حتّى أقدماها البصرة فاستغووا طغامها وغوغاها ، مع أنّه قد بلغني أنّ أهل الفضل منهم وخيارهم في الدّين قد اعتزلوا و كرهوا ما صنع طلحة والزّبير ثمّ سكت عليه السلام ، فقال أهل الكوفة : نحن أنصارك وأعوانك على عدوّك ، ولو دعوتنا إلى أضعافهم من الناس احتسبنا في ذلك الخير و رجوناه ، فدعا لهم أمير المؤمنين عليه السلام و أثنى عليهم ثمّ قال :

لقد علمتم معاشر المسلمين أنّ طلحة والزّبير بايعاني طائعين غير مكرهين راغبين ثمّ استأذناني في العمرة فأذنت لهما فسارا إلى البصرة فقتلا المسلمين وفعلا

المنكر ، اللّهمّ إنّهما قطعاني وظلماني و نكثا بيعتي و ألبّا النّاس عليّ ، فاحلل ما عقدا ، و لا تحكم ما أبرما ، و أرهما المساءة فيما عملا .

(٤) قال المفيد ره في الجمل (ص١٢٨ طبع النجف) نقلاً عن الواقدي أيضاً :

لمّا أراد عليه السلام المسير من ذي‌قار تكلّم فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال :

إنّ الله عزّ وجلّ بعث محمّداً صلى الله عليه وآله للناس كافّة ورحمة للعالمين. فصدع بما اُمر به، وبلّغ رسالات ربّه ، فلمّا ألمّ به الصدع ، و رتق به الفتق ، و آمن به السبيل وحقن به الدّماء ، و ألّف بين ذوي الأحقاد والعداوة الواغرة في الصدور ، والضغائن الكامنة في القلوب فقبضه الله عزّ و جلّ إليه حميداً ، و قد أدّى الرسالة ، و نصح للاُمّة ، فلمّا مضى صلى الله عليه وآله لسبيله دفعنا عن حقّنا من دفعنا ، و ولوا من ولوا سوانا ثمّ وليها عثمان بن عفّان فنال منكم و نلتم منه حتّى إذا كان من أمره ما كان أتيتموني فقلتم : بايعنا ، فقلت لكم : لا أفعل ، فقلتم : بلى لابدّ من ذلك، فقبضتم يدي فبسطتموها ، و تداككتم عليّ تداكّ الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها حتّى لقد خفت أنّكم قاتلي أو بعضكم قاتل بعض ، فبايعتموني و أنا غير مسرور بذلك ولا جذل ، وقد علم الله سبحانه أنّي كنت كارهاً للحكومة بين اُمّة محمّد، ولقد سمعته يقول : ما من وال يلي شيئاً من أمر اُمّتي إلاّ أتى الله يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه على رؤوس الخلائق ، ثمّ ينشر كتابه : فان كان عادلاً نجا ، و إن كان جائراً هوى .

ثمّ اجتمع عليّ ملأكم و بايعني طلحة والزّبير وأنا أعرف الغدر في وجههما والنكث في عينيهما ثمّ استأذناني في العمرة فأعلمتهما أن ليس العمرة يريدان ، فسارا إلى مكّة واستخفا عائشة وخدعاها. وشخص معهما أبناء الطلقاء، فقدموا البصرة هتكوا بها المسلمين وفعلوا المنكر ، وياعجبا لاستقامتهما لأبي بكر وعمر و بغيهما عليّ وهما يعلمان أنّي لست دون أحدهما ، ولو شئت أن أقول لقلت ، و لقد كان معاوية كتب إليهما من الشام كتاباً يخدعهما فيه ، فكتماه عنّي و خرجا يوهمان الطغام أنّهما يطلبان بدم عثمان ، والله ما أنكرا عليّ منكراً ، ولا جعلا بيني و بينهما نصفاً ، و أنّ دم

عثمان لمعصوب بهما و مطلوب فيهما ، يا خيبة الدّاعي إلى ما دعى ، وبما ذا اجيب والله إنّهما لفي ضلالة صمّاء ، و جهالة عمياء ، و إنّ الشيطان قد دبر لهما حزبه واستجلب منهما خيله ورجله ، ليعيد الجور إلى أوطانه ويردّ الباطل إلى نصابه .

ثمّ رفع يديه وقال : اللّهمّ إنّ طلحة والزّبير قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي فاحلل ما عقدا ، و انكث ما أبرما ، و لا تغفر لهما أبداً ، و أرهما المساءة فيما عملا و أملا .

و قد نقل هذه الخطبة المفيد رحمه الله في الارشاد أيضاً ، والطبرسي رحمه‌الله في الاحتجاج وبين النسخ اختلاف في الجملة وما في الارشاد أمتن و أتقن .

قال رحمه‌الله (١١٧طبع طهران ١٣٧٧هـ) : ومن كلامه عليه السلام عند نكث طلحة والزّبير بيعته و توجّههما إلى مكّة للاجتماع مع عائشة في التأليب عليه والتأليف على خلافه ماحفظه العلماء عنه عليه السلام أنه بعد أن حمد الله وأثنى عليه قال :

أمّا بعد فانّ الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله للناس كافة ، وجعله رحمة للعالمين ، فصدع بماأُمر به ، وبلّغ رسالات ربه ، فلمّ بهالصدع ، و رتق بهالفتق ، وآمن به السبيل وحقن بهالدّماء ، و ألّف به بين ذوي الاحن والعداوة والوغر في الصدور ، والضغائن الراسخة في القلوب ، ثمّ قبضه الله إليه حميداً لم يقصّر في الغاية الّتي إليها أدّى الرسالة ، ولا بلّغ شيئاً كان في التقصير عنهالقصد ؛ وكان من بعده ماكان من التنازع في الامرة ، فتولّى أبوبكر و بعده عمر ، ثمّ تولّى عثمان ، فلمـا كان من أمره ما عرفتموه أتيتموني فقلتم : بايعنا ، فقلت : لا أفعل ، فقلتم : بلى ، فقلت : لا وقبضت يدي فبسطتموها ، ونازعتكم فجذبتموه ، وتداككتم عليّ تداكّ الابل الهيم على حياضها يوم ورودها حتّى ظننت أنّكم قاتلي ، و أنّ بعضكم قاتل بعضاً لديّ فبسطت يدي فبايعتموني مختارين، وبايعني في أوّلكم طلحة والزّبير طائعين غير مكرهين، ثمّ لم‌يلبثا أن‌استأذناني في‌العمرة ، والله يعلم أنّهما أرادا الغدرة، فجدّدت عليهماالعهد في‌الطاعة ، وأن لا يبغيا الأمّة الغوائل ، فعاهداني ثمّ لم يفيالي. ونكثا

بيعتي ونقضا عهدي ،فعجباً لهما من انقيادهما لأبي بكر وعمر ،وخلافهما لي،ولست بدون أحدالرّجلين ، ولوشئت أن أقول لقلت اللّهمّ احكم عليهما بماصنعا في حقّي وصغّرا من أمري و ظفّرني بهما .

أقول : الخطبة ٢٢٧ من النهج كأنّها جزء هذه الخطبة حيث قال عليه السلام : وبسطتم يدي فكففتها ، ومددتموها فقبضتها ، ثمّ تداككتم عليّ تداكّ الابل الهيم على حياضها يوم ورودها . الخ . وانما تغايرها في قليل من العبارات . نعم الخطبة ٥٤ منه وهي قوله عليه السلام : فتداكّوا عليّ تداكّ الإبل الهيم يوم ورودها قدأرسلها راعيها وخلعت مثانيها ـ الخ . يشبه أن تكون جزءخطبة اُخرى وإن كانت تشابهها في بعض العبارات والجمل ، كما أنّ ذيل كلامه عليه السلام وهو الكلام ١٣٥ من باب الخطب أوّله : ما أنكروا عليّ منكراً ـ الخ تشابه كثيراً من فقرات هذه الخطبة ولا يبعد أن تكونا جزئين من هذه الخطبة .

وليعلم أنا قد قدّمنا في شرح الخطبة ٢٢٩ وهي قوله عليه السلام : (فصدع بما اُمر وبلّغ رسالة ربه.فلمّ الله به الصدع ورتق به الفتق ـ الخ) أنها لجزء خطبة وحكمنا بذلك بالحدس والفراسة لما قلنا هنالك (ص١٩ ج ١٥ تكملة المنهاج) أنا وإن فحصنا وتتبّعنا فيمظانّها لم نظفر بها وبحمدالله تعالى أصاب حدسنا حيث أصبناها في جمل المفيد وإرشاده و احتجاج الطبرسي ، ولا يخفى أنها لجزء من هذه الخطبة المنقولة عن الواقدي فيجمل المفيد والارشادوقدقال الرضيُ رحمه‌الله ثمّة : إنّه عليه السلام خطبها بذي قار و هو متوجّه إلى البصرة ذكرها الواقدي في كتاب الجمل و لم يتعرّض أحد من الشراح لذلك مع أنّ من أهمّ مايجب عليهم في شرح كلامه عليه السلام تحقيق أمثال هذه الاُمور،فتحصّل مماذكرنا أنّ الخطبة٢٢٧من النهج والخطبة٢٢٩منه جميعا بعض هذه الخطبة خطب بها أميرالمؤمنين عليه السلام في ذي قار ، وأنّ الخطبة ٥٤ و١٣٥أيضاً يمكن أن تكوناجزئين منها .

ثمّ اعلم أنّ ذيل الخطبة المذكورة نقله الطبريّ في التاريخ (ص ٤٩٥ ج٣ طبع مصر ١٣٥٧ ﻫ) عنه عليه السلام قاله لعثمان بن حنيف في الرّبذة ، وقد أتاه عثمان من

البصرة لمّا صنع الناكثون به ما صنعوا كما سنذكره بالاختصار .

قال الطبري : حدّثني عمر قال : حدّثنا أبوالحسن عن أبي محمد عن عبدالله ابن عمير عن محمّد ابن الحنفية قال : قدم عثمان بن حنيف على علي عليه السلام بالربذة وقد نتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه فقال : يا أمير المؤمنين بعثتني ذا لحية وجئتك أمرد قال ، أصبت أجراً وخيراً إنّ النّاس وليهم قبلي رجلان فعملا بالكتاب ، ثمّ وليهم ثالث فقالوا و فعلوا ، ثمّ بايعوني وبايعني طلحة والزبير ثمّ نكثا بيعتي وألّبا النّاس عليّ ، ومن العجب انقيادهما لأبي بكر وعمر وخلافهما عليّ ، والله إنهما ليعلمان أني لست بدون رجل ممن قد مضى ، اللّهمّ فاحلل ما عقدا ، ولاتبرم ما قد أحكما في أنفسهما وأرهما المساءة فيما عملا .

(٥) الخطبة الّتي نقلناها في ذيل شرح الخطبة ٢٢٩ من النهج عن الكافي (ص ١٩ ج ٥، تكملة المنهاج) وهي لم تذكر بتمامها في النهج كما قلنا ثمّ وهي الخطبة ١٤٥ من النهج أوّلها: فبعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحقّ ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته « الخ » وإن كان بين نسخة النهج وبين نسخة الكافي اختلاف في الجملة في بعض الكلمات والجمل ، ولكنهما خطبة واحدة بلا ارتياب كما يعلم بأدنى تأمّل ونظر متى قوبلت النسختان .

وكذا الخطبة ٢٣٧ من النهج يذكر عليه السلام فيها آل محمد صلى الله عليه وآله بقوله : هم عيش العلم وموت الجهل يخبر كم حلمهم عن علمهم « الخ » هي ذيل الخطبة ١٤٥ من النهج أعني ذيل تلك الخطبة المنقولة عن الكافي بلا كلام .

فتحصّل أنّ الخطبة ١٤٥ من النهج والخطبة ٢٣٧ منه واحدة والخطبة بتمامها وسندها هو الّذي نقلناها عن الكافي ورواها غير الكليني بسند آخر أيضاً خطب بها عليه السلام في ذي قار كما قدّمنا .

ثمّ إنّ الرّضيّ رضوان الله عليه لم يتعرّض في كلا الموضعين من النهج لبيان الخطبة بأنّه عليه السلام أين خطبها أوّلاً ، وجعل الخطبة في موضع ثمّ ذيّلها في موضع آخر ثانياً .

(٦) الخطبة ٣٣ الّتي ذكرها الرضيّ في النهج قال رحمه الله : ومن خطبة له عند خروجه لقتال أهل البصرة ، قال عبدالله بن عباس : دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار وهو يخصف نعله « الخ ».

وهذه الخطبة نقلها المفيد رحمه الله في الارشاد (ص١١٨ طبع طهران ١٣٧٧هـ) وقال: إنّه عليه السلام خطب القوم بها في الرّبذة لا في ذي قار كما في النهج ، على أنّ بين النسختين اختلاف في الجملة ، أمّا ما في النهج فلا حاجة الى تسويده، و أمّا ما في الارشاد فقال :

ولمّا توجّه أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصرة نزل الرّبذة فلقيه بها آخر الحاج فاجتمعوا ليسمعوا من كلامه و هو في خبائه ، قال ابن عباس رضي الله عنه: فأتيته فوجدته بخصف نعلاً فقلت له : نحن إلى أن تصلح أمرنا أحوج منا إلى ما تصنع فلم يكلّمني حتّى فرغ من نعله ثمّ ضمّها إلى صاحبتها وقال لي: قوّمهما ، فقلت: ليس لهما قيمة ، قال : على ذاك قلت : كسر درهم قال : الله لهما أحبّ إليّ من أمركم هذا إلاّ أن اُقيم حقاً أو أدفع باطلا، قلت: إنّ الحاج قد اجتمعوا ليسمعوا من كلامك فتأذن لي ان أتكلّم فان كان حسناً كان منك وإن كان غير ذلك كان منّي ؟ قال : لا أنا أتكلّم ثمّ وضع يده على صدري وكان شثن الكفّين فآلمني ، ثمّ قام فأخذت بثوبه وقلت : نشدتك الله والرّحم قال : لاتنشدني ثمّ خرج فاجتمعوا عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أمّا بعد ، فانّ الله تعالى بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وليس في العرب أحد يقرأ كتاباً ولايدّعي نبوّةً ، فساق الناس إلى منجاتهم ، أم والله ما زلت في ساقتها ما غيّرت ولابدّلت ، ولاخنت حتى تولّت بحذافيرها ، ما لي ولقريش ، أم والله لقد قاتلتهم كافرين ولاُقاتلنّهم مفتونين ، وأنّ مسيري هذا عن عهد إليّ فيه ،أم والله لأبقرنّ الباطل حتى يخرج الحقّ من خاصرته ، ما تنقم منا قريش إلاّ أن الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا وأنشد :

ذنب لعمري شربك المحض خالصاً　　و أكلك بالزّبد المقشّرة التّمرا

و نحنُ وهبناك العلاء ولم تكن عليّاً وحطنا حولك الجردوالسمرا

انتهى ما في الارشاد .

ثمّ إنّ الخطبة ١٠٢ من النهج لقريبة منها ، أوّلها : فانّ الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله وليس أحد من العرب يقرء كتاباً اه ، وقال الرّضيّ رضي الله عنه: وقد تقدّم مختارها بخلاف هذه الرواية .

أقول : وأراد ما تقدّم مختارها هوالخطبة ٣٣ الّتي نقلناها عنه و عن المفيد فتحصّل أنّ الخطبة ٣٣والخطبة ١٠٢ من النهج واحدة وإنما الاختلاف في الرواية وهي الّتي أتى بها المفيد في الارشاد ، والحمد لله على إنعامه وإفضاله .

وبالجملة لمّا فرغ عليه السلام من الخطبة قام الأشتر رضي الله عنه فقال : خفّض عليك يا أميرالمؤمنين ، فوالله ما أمر طلحة والزبير علينا بمحيل ، لقد دخلا في هذا الأمر اختياراً ثمّ فارقانا على غيرجور عملناه ، ولاحدث في الإسلام أحدثناه ثمّ أقبلا يثيران الفتنة علينا تائهين جائرين ليس معهما حجّة ترى ، ولا أثريعرف لقد لبسا العار ، وتوجّها نحوالدّيار ، فان زعما أنّ عثمان قتل مظلوماً فليستقد آل عثمان منهما ، فأشهد أنهما قتلاه ، وأُشهدالله يا أميرالمؤمنين لئن لم يدخلا فيما خرجا منه ولم يرجعا إلى طاعتك وماكانا عليه لنلحقهما بابن عفان .

وقام أبوالهيثم بن التّيهان و كذا عديّ بن حاتم وقالا قريباً ممّا قال الأشتر ، نقل قولهما المفيد في الجمل .

وقام أبو زينب الأزدي فقال : والله إن كنّا على الحق انك لأهدانا سبيلاً وأعظمنا في الخير نصيباً ، وإن كنّا على الضلالة ـ العياذ بالله أن نكون عليه ـ لأنك أعظمنا وزراً وأثقلنا ظهراً ، وقد أردنا المسير إلى هؤلاء القوم ، وقطعنا منهم الولاية وأظهرنا منهم البراءة ، وظاهرناهم بالعداوة ، ونريد بذلك ما يعلمه الله عزّ وجلّ ، وأنا ننشدك الله الّذي علّمك ما لم تكن نعلمْ ، ألسنا على الحقّ و عدوّنا على الضلال ؟ فقال عليه السلام : أشهد لئن خرجت لدينك ناصراً صحيح النية قد قطعت منهم الولاية ، وأظهرت منهم البراءة كما قلت إنك لفي رضوان الله ، فابشر ياأبا زينب فانك والله

على الحقّ فلاتشك ، فانّك إنما تقاتل الأحزاب فأنشأ أبوزينب يقول :

سيروا إلى الأحزاب أعداء النّبيّ　　فإنّ خير الناس أتباع عليّ
هذا أوان طاب سلّ المشرفيّ　　وقودنا الخيل وهزّ السمهر

وفي جمل المفيد : لمّا استقرّ أمر أهل الكوفة على النهوض لأمير المؤمنين عليه السلام وخفّ بعضهم لذلك ، بادر ابن عبّاس ومن معه من الرسل فيمن اتبعهم من أهل الكوفة إلى ذي قار للالتحاق بأمير المؤمنين عليه السلام وإخباره بما عليه القوم من الجدّ والاجتهاد في طاعته ، وأنّهم لاحقون به غير متأخّرين عنه ، وإنّما تقدّمهم ليستعدّ للسفر وللحرب ، وقدكان استخلف فرضة بن كعب الأنصاري على الكوفة ، ويحثّ الناس على اللّحاق به .

فورد على أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً قد كتب اليه من البصرة ما صنعه القوم بعامله عثمان بن حنيف رحمه الله وما استحلّوه من الدّماء ونهب الأموال وقتل من قتلوه من شيعته وأنصاره و ما أثاروه من الفتنة فيها فوجده ابن عباس و قد أحزنه ذلك وغمّه وأزعجه وأقلقه ،فأخبروه بطاعة أهل الكوفة ،ووعده منهم بالنصرة ، فسرّ عند ذلك وأقام ينتظر أهل الكوفة والمدد الّذي ينتصر بهم على عدوّه .

«دخول الناكثين البصرة والحرب بينهم وبين عثمان بن حنيف»
«عامل أمير المؤمنين عليه السلام»

قال الدينوري في الإمامة والسياسة : لمّا نزل طلحة والزبير وعائشه البصرة اصطفّ لها النّاس في الطريق - إلى أن قال : أتاهم رجل من أشراف البصرة بكتاب كان كتبه طلحة في التأليب على قتل عثمان ، فقال لطلحة : هل تعرف هذا الكتاب ؟ قال : نعم . قال : فما ردّك على ما كنت عليه ؟ و كنت أمس تكتب إلينا تؤلّبنا على قتل عثمان وأنت اليوم تدعونا إلى الطلب بدمه ، و قد زعمتما أنّ علياً دعاكما إلى أن تكون البيعة لكما قبله إذ كنتما أسنّ منه ، فأبيتما إلاّ أن تقدّماه لقرابته وسابقته ، فبايعتماه فكيف تنكثان بيعتكما بعد الّذي عرض عليكما ؟ .

قال طلحة : دعانا إلى البيعة بعد أن اغتصبها وبايعه الناس ، فعلمنا حين عرض

علينا أنّه غير فاعل ، ولو فعل أبى ذلك المهاجرون والأنصار ، وخفنا أن نردّ بيعته فنقتل ، فبايعناه كارهين .

قال : فما بدا لكما في عثمان ؟ قال : ذكرنا ما كان من طعننا عليه وخذلاننا إيّاه فلم نجد من ذلك مخرجاً إلاّ الطلب بدمه . قال : ما تأمراني به ؟ قال : بايعنا على قتال عليّ ونقض بيعته . قال : أرأيتما إن أتانا بعدكما من يدعونا إلى ما تدعوان إليه ما نصنع ؟ قالا : لا تبايعه ، قال : ما أنصفتما ، أتأمرانني أن أُقاتل عليّاً وأنقض بيعته وهي في أعناقكما وتنهياني عن بيعة من لا بيعة له عليكما ؟ أما إنّنا قد بايعنا عليّاً فان شئتما بايعنا كما بيسار أيدينا .

ونذكر ما صنع القوم بعثمان بن حنيف و غيره من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام عن تاريخ أبي جعفر الطبري وجمل المفيد ومروج الذّهب للمسعوديّ وغيرها من كتب نقلة السير والآثار على الاختصار بما اتّفق عليه حاملو الأخبار .

قال المفيد في الجمل : روى الواقدي و أبومخنف عن أصحابهما و المدائني وابن دأب عن مشايخهما بالأسانيد الّتي اختصرنا القول باسقاطها ، و اعتمدنا فيها على ثبوتها في مصنفات القوم و كتبهم فقالوا : إنّ عائشة وطلحة والزبير لمّا ساروا من مكّة إلى البصرة أعدوا السير مع من اتّبعهم من بني اُميّة وعمّال عثمان وغيرهم من قريش ، حتّى صاروا إلى البصرة ، فنزلوا حفر أبي موسى .

فبلغ عثمان بن حنيف وهو عامل البصرة يومئذ و خليفة أمير المؤمنين عليه السلام وكان عنده حكيم بن جبلة ، فقال له حكيم : ما الّذي بلغك ؟ فقال : خبّرت أنّ القوم قد نزلوا حفر أبي موسى ، فقال له حكيم : ائذن لي أن أسير إليهم فاني رجل في طاعة أمير المؤمنين عليه السلام فقال له عثمان : توقّف عن ذلك حتّى اُراسلهم .

فأرسل إلى عمران بن حصين و أبي الأسود الدؤلي فذكر لهما قدوم القوم وسألهما المسير إليهم وخطابهم على ماقصدوا به و كفّهم عن الفتنة فخرجا حتّى دخلا على عائشة فقالا لها : يا اُمّ المؤمنين ما حملك على المسير ؟ فقالت : غضبت لكما من سوط عثمان و عصاه ولا أغضب أن يقتل ، فقالا لها : و ما أنت من سوط عثمان

وعصاه إنّماأنت حبيس رسول الله صلّى الله عليه وآله ، و إنا نذكرك الله أن يهراق الدّماء في سبيلك ، فقالت : و هل من أحد يقاتلني ؟ فقال لهاأبوالأسود الدؤليّ : نعم والله قتالاً أهونه شديد .

ثمّ خرجا من عندها فدخلا على الزبير وبعده على طلحة وجعلا يعدّدان لهما مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وفضائله ، فقالا لهما : ننشد كما الله أن يهراق الدّماء في سبيلكما ، فأبيا النصح والاعراض عن الفتنةفآيسا منهما فخرجا من عندهما حتّى، صارا إلى عثمان بن حنيف فأخبراه الخبر فأذن عثمان للنّاس بالحرب .

ولما بلغ عائشة رأي ابن حنيف في القتال ركبت الجمل و أحاطتها القوم و سارت حتّى وقفت بالمربد واجتمع اليها الناس حتى امتلأ المربد بهم ، فتكلّمت و كانت جهوريّة يعلوصوتها كثرة كأنّه صوت امرأة جليلة فحمدت الله عزّ وجلّ وأثنت عليه وقالت :

أمّا بعد فانّ عثمان بن عفان قد كان غيّر و بدّل فلم يزل يغسّله بالتوبة حتى صار كالذّهب المصفّى ، فعدوا عليه و قتلوه في داره و قتل ناس معه في داره ظلماً وعدواناً ، ثمّ آثروا علياً فبايعوه من غير ملاء من الناس ولاشورى ولااختيار فابتزّ والله أمرهم وكان المبايعون له يقولون :خذها إليك واحذرن أباحسن إناغضبنا لكم على عثمان من السوط فكيف لا نغضب لعثمان من السيف إنّ الأمر لايصحّ حتّى يردّ الأمر إلى ما صنع عمر من الشورى فلايدخل فيه أحدسفك دم عثمان .

فقال بعض النّاس: صدقت، وقال بعضهم: كذبت ،واضطربوا بالفعال وتركتهم وسارت حتّى أتت الدباغين ، و قد تحيز الناس بعضهم مع طلحة والزبير و عائشة ، وبعضهم متمسّك ببيعة أمير المؤمنين عليه السلام والرضا به

فسارت من موضعها ومن معها واتّبعها على رأيها ومعهاطلحة والزبير ومروان ابن الحكم وعبدالله بن الزبير حتّى أتوادارالامارة ، فسألوا عثمان بن حنيف الخروج عنها ، فأبى عليهم ذلك ، واجتمع إليه أنصاره وزمرة من أهل البصرة فاقتتلوا قتالاً شديداً حتّى زالت الشمس ، و اُصيب يومئذ من عبدالقيس خاصّة خمسمائة شيخ

مخضوب من أصحاب عثمان بن حنيف و شيعة أمير المؤمنين عليه السلام سوى من اُصيب من سائر الناس ، وبلغ الحرب بينهم التزاحف إلى مقبرة بنى مازن ثمّ خرجوا على مسناة البصرة حتى انتهوا إلى الرابوقة و هى سلعة دار الرزق ، فاقتتلوا قتالا شديداً كثر فيه القتلى والجرحى من الفريقين .

ثمّ إنّهم تداعوا إلى الصلح ودخل بينهم الناس لما رأوا من عظيم ما ابتلوا به فتصالحوا على أنّ لعثمان بن حنيف دار الامارة والمسجد وبيت المال ، و طلحة و الزبير وعائشة ما شاؤا من البصرة ولايحاجّوا حتّى يقدم أمير المؤمنين عليه السلام فان أحبّوا فعند ذلك الدخول في طاعته ، وإن أحبّوا أن يقاتلوا ، و كتبوا بذلك كتاباً بينهم وأوثقوا فيه العهود و أكّدوها وأشهدوا الناس على ذلك و وضع السلاح وأمن عثمان بن حنيف على نفسه وتفرّق الناس عنه، ونقل الكتاب في تاريخ الطبري بتمامه

ثمّ طلب طلحة والزبير أصحابهما في ليلة مظلمة باردة ذات رياح وندى حتّى أتوا دار الامارة وعثمان بن حنيف غافل عنهم ، وعلى باب الدّار السبابجة يحرسون بيوت الأموال ، وكانوا قوماً من الزّط من أربع جوانبهم ووضعوا فيهم السيف فقتلوا أربعين رجلاً منهم صبراً ، يتولّى منهم ذلك الزبير خاصّة .

ثمّ هجموا على عثمان فأوثقوه رباطاً وعمدوا إلى لحيته وكان شيخاً كثّ اللّحية فنتفوها حتّى لم يبق منها شيء ولاشعرة واحدة وقال طلحة : عذّبوا الفاسق وانتفوا شعر حاجبيه و أشفار عينيه و أوثقوه بالحديد .

وفي الامامة والسياسة للدينوري : أنّ طلحة والزبير ومروان بن الحكم أتوه نصف اللّيل في جماعة معهم في ليلة مظلمة سوداء مطيرة ، وعثمان نائم ، فقتلوا أربعين رجلاً من الحرس ، فخرج عثمان فشدّ عليه مروان فأسره و قتل أصحابه فأخذه مروان فنتف لحيته ورأسه وحاجبيه ، فنظر عثمان بن حنيف إلى مروان فقال : إن فتنى بها في الدّنيا لم تفتني بها في الآخرة .

« تنازع طلحة والزبير لامامتهما الناس فى الصلاة »

فلمّا أصبحوا اجتمع الناس اليهم وأذّن مؤذّن المسجد لصلاة الغداة ،فرام

طلحة أن يتقدّم للصلاة بهم ، فدفعه الزبير وأراد أن يصلّي بهم ، فمنعه طلحة ، فما زالا يتدافعان حتّى كادت الشمس أن تطلع ، فنادى أهل البصرة : الله الله يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في الصلاة نخاف فوتها ، ثمّ اتّفقوا على أن يصلّي بالنّاس عبدالله ابن الزبير يوماً ومحمّد بن طلحة يوماً .

ثمّ بلغ حكيم بن جبلة العبدي رحمه الله ما صنع القوم بعثمان بن حنيف وشيعة أمير المؤمنين عليه السلام ، فنادى في قومه يا قـوم انفروا إلى هـؤلاء الضالّين الظّالمين الّذين سفكوا الدّم الحرام ، وفعلوا بالعبد الصالح واستحلّوا ماحرّم الله عزّ وجلّ ، فأجابه سبعمائة رجل من عبدقيس ، وأقبل عليهم طلحة و الزبير و من معهما واقتتلوا قتالا شديداً حتّى كثرت بينهم الجرحي والقتلى .

ثمّ إنّ القوم غلبوا على بيت المال فمانعهم الخزّان والموكّلون به ، فقتل القوم سبعين رجلاً منهم ، وضربوا رقاب خمسين من السبعين صبراً من بعد الأسر وممّن قتلوه حكيم بن جبلة العبدي رحمه الله وكان من سادات عبد القيس وزهّاد ربيعة ونسّاكها ومن شيعة أمير المؤمنين عليه السلام .

وقال المسعودي في مروج الذهب : وهؤلاء أوّل من قتلوا ظلماً في الاسلام .

« تعجب أبى الاسود الدؤلى من طلحة والزبير لما دخلا بيت مال البصرة»

«ومن أمير المؤمنين عليه السلام لما دخله»

لمّا دخل طلحة والزبير بيت المال تأمّلا إلى ما فيه من الذّهب و الفضّة قالا : هذه الغنائم الّتي وعدنا الله بها و أخبرنا أنّه يعجّلها لنا ، قال أبوالأسود الدؤلي : وقد سمعت هذا منهما ورأيت علياً عليه السلام بعد ذلك و قد دخل بيت مال البصرة فلمّا رأى ما فيه قال : صفراء بيضاء غرّي غيري المال يعسوب الظلمة ، وأنا يعسوب المؤمنين ، فلا والله ما التفت إلى ما فيه ولا أفكر فيما رآه منه ، و ما وجدته عنده إلاّ كالتراب هواناً فتعجّبت من القوم ومنه عليه السلام .

أقول : سيأتى كلامه عليه السلام في باب المختار من حكمه : أنا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجار (الحكمة ٣١٦) .

ثمّ الظاهر من مراد المسعودي بقوله : و هؤلاء أوّل من قتلوا ظلماً في الاسلام أنّهم أوّل من قتلهم المسلمون ظلماً ، وإلاّ فقد قدّمنا في تكملة المنهاج (ص ٢٧٥ ج ١ ، ١٥ من المنهاج) أنّ ياسراً أباعمار رحمه الله وسميّة اُمّه هما أوّل قتيلين في الاسلام قتلهما الكفّار .

ثمّ لمّا أخذ القوم عثمان بن حنيف قال طلحة و الزبير لعائشة : ما تأمرين في عثمان ؟ فقالت : اقتلوه قتله الله ، وكانت عندها امرأة من أهل البصرة فقالت لها: يا اُمّاه أين يذهب بك ؟ أتأمرين بقتل عثمان بن حنيف و أخوه سهل خليفة على المدينة وله مكانة من الأوس والخزرج ما قد علمت ، والله لئن فعلت ذلك ليكونن له صولة بالمدينة يقتل فيها ذراري قريش، فآب إلى عائشة رأيها و قالت : لاتقتلوه ولكن احبسوه وضيّقوا عليه حتّى أرى رأيي .

فحبس أيّاماً ثمّ بدالهم في حبسه و خافوا من أخيه أن يحبس مشائخهم بالمدينة ويوقع بهم ، فتركوا حبسه فخرج حتّى جاء إلى أميرالمؤمنين عليه السلام وهو بذي قار فلمّا نظر إليه أميرالمؤمنين عليه السلام وقد نكل به القوم بكى . و قال : يا عثمان بعثتك شيخاً ملتحياً فرددت أمرد إليّ ، اللّهمّ إنّك تعلم أنّهم اجترأوا عليك واستحلّوا حرماتك، اللّهمّ اقتلهم بمن قتلوا من شيعتي وعجّل لهم النقمة بما صنعوا بخليفتي .

أقول : هذا ما نقلنا على ما ذكره المفيد في الجمل عن الواقدي و أبي مخنف والمدائني وغيرهما، وأمّا على ما قاله أبوجعفر الطبري في التاريخ كما قدّمناه آنفا باسناده عن محمّد ابن الحنفيّة أنّ عثمان بن حنيف قدم على علي عليه السلام بالربذة وقد نتفوا شعر رأسه و لحيته وحاجبيه ، فقال : يا أميرالمؤمنين بعثتني ذالحية وجئتك أمرد ، قال عليه السلام: أصبت أجراً وخيراً ـ الخ .

ثمّ إنّ قوله عليه السلام: اللّهمّ إنّك تعلم أنّهم اجترؤا اه .ليس بمذكور في النهج ولمّا بلغ أميرالمؤمنين عليه السلام قبيح ما ارتكب القوم من قتل من قتلوا من المسلمين صبراً و ما صنعوا بصاحب رسول الله عليه السلام عثمان بن حنيف و تعبئتهم

للقتال ، عبّى عليه السلام الناس للقتال وسار من ذي قار وقدم صعصعة بن صوحان بكتاب إلى طلحة والزبير وعائشة يعظّم عليهم حرمة الإسلام ويخوّفهم فيما صنعوه وقبيح ما ارتكبوه .

قال صعصعة رحمه‌الله: فقدمت عليهم فبدأت بطلحة و أعطيته الكتاب و أدّيت الرسالة فقال : الآن حين غضب ابن أبي طالب الحرب ترفق لنا ، ثمّ جئت إلى الزبير فوجدته ألين من طلحة ، ثمّ جئت إلى عائشة فوجدتها أسرع الناس إلى الشرّ ، فقالت : نعم ، قد خرجت للطلب بدم عثمان والله لأفعلنّ وأفعلنّ .

فعدت إلى أمير المؤمنين عليه السلام فلقيته قبل أن يدخل البصرة فقال عليه السلام : ما وراءك يا صعصعة ؟ قلت : يا أمير المؤمنين رأيت قوماً ما يريدون إلاّ قتالك ، فقال عليه السلام : الله المستعان .

«كتاب أمير المؤمنين (ع) الى طلحة والزبير وعائشة »

أقول : ما نقلناه ههنا ذكره المفيد في الجمل ولم ينقل الكتاب الّذي كتبه إلى طلحة والزبير وعائشة وأدّاه صعصعة اليهم و الظاهر أنّ هذا الكتاب هو الّذي نقله الدينوري في الإمامة و السياسة (ص ٧٠ ج ١ طبع مصر ١٣٧٧ ﻫ) فإنّ الدينوري وإن لم يتعرّض بأنّ الكتاب الّذي كتبه اليهم كان صعصعة حامله ،ولكن يلوح للمتتبّع في الأخبار أنّ الكتاب هو ما في الامامة والسياسة، قال الدّينوري :

لمّا بلغ عليّاً عليه السلام تعبئة القوم عبّى الناس للقتال ثمّ كتب إلى طلحة والزبير أمّا بعد فقد علمتما أنّي لم أرد الناس حتّى أرادوني ،ولم أبايعهم حتّى بايعوني وإنكما لممّن أراد و بايع ، و إنّ العامّة لم تبايعني لسلطان خاصّ ، فان كنتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل باظهاركما الطاعة و إسراركما المعصية ، وإن كنتما بايعتماني طائعين فارجعا إلى الله من قريب ، إنك يا زبير لفارس رسول الله صلى الله عليه وآله و حواريه ، و إنك يا طلحة لشيخ المهاجرين وإنّ دفاعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه كان أوسع عليكما من خروجكما منه [بعد] إقراركما به وقد زعمتما أنّي قتلت عثمان فبيني وبينكما فيه بعض من تخلّف عنّي و عنكما من

أهل المدينة ، وزعمتما أنّي آويت قتلة عثمان فهؤلاء بنو عثمان فليدخلوا في طاعتي ثمّ يخاصموا إليّ قتلة أبيهم ، وما أنتما وعثمان إن كان قتل ظالماً أو مظلوماً وقد بايعتماني وأنتما بين خصلتين قبيحتين: نكث بيعتكما ، وإخراجكما أمّكما .

وكتب إلى عائشة :

أمّا بعد فانّك خرجت غاضبة لله ولرسوله تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً ، ما بال النساء والحرب والاصلاح بين الناس ، تطلبين بدم عثمان ولعمري لمن عرّضك للبلاء وحملك على المعصية أعظم إليك ذنباً من قتلة عثمان ، وما غضبت حتى أغضبت وما هجت حتى هيجت ، فاتّقي الله وارجعي إلى بيتك .

فأجابه طلحة والزبير : إنّك سرت مسيراً له ما بعده ولست راجعاً وفي نفسك منه حاجة ، فامض لأمرك، أما أنت فلست راضياً دون دخولنا في طاعتك ، و لسنا بداخلين فيها أبداً ، فاقض ما أنت قاض .

وكتبت عائشة: جلّ الأمر عن العتاب، والسلام .

أقول : هذان الكتابان منه عليه السلام إلى طلحة والزبير، وعائشة غير مذكورين في النهج .

ثمّ دعا عليه السلام عبدالله بن عباس فقال له : انطلق إليهم فناشدهم وذكّرهم العهد الّذي لي في رقابهم ، فجاءهم ابن عباس فبدأ بطلحة فوقع بينهما كلام كثير فأبى طلحة إلاّ إثارة الفتنة، قال ابن عباس: فخرجت إلى علي عليه السلام وقد دخل البيوت بالبصرة، فقال: ما وراءك ؟ فأخبرته الخبر فقال عليه السلام : اللّهمّ افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين .

أقول : كذا نقله المفيد في الجمل والظاهر أنه عليه السلام بعث ابن عباس إلى الزبير وأمره أن لايلقى طلحة وذلك لما مرّ في باب الخطب (الكلام ٣١ منه) قوله عليه السلام لابن عبّاس لما أنفذه إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل : لا تلقينّ طلحة فانك إن تلقه تجده كالثور عاقصاً قرنه يركب الصعب ويقول هو الذّلول ، ولكن ألق الزبير فانه ألين عريكة فقل له يقول لك ابن خالك : عرفتني بالحجاز

وأنكرتني بالعراق فماعدا مما بدا .

ولما نقله المفيد في الجمل أيضاً ويوافق ما في النهج من أن ابن عباس قال : وقدكان أميرالمؤمنين عليه السلام أوصاني أن ألقى الزبير (ص ١٥٣ طبع النجف) كما سنذكره ؛ فعلى هذا مع فرض صحة الأولى وعدم سهو الراوي باتيان طلحة مكان الزبير يمكن أن يقال: إنه عليه السلام بعثه إليهم غير مرة .

قال ابن عباس : قد كان أميرالمؤمنين عليه السلام أوصاني أن ألقى الزبير و إن قدرت أن اُكلمه وابنه ليس بحاضر ، فجئت مرة أو مرتين كل ذلك أجده عنده ثم جئت مرة اُخرى فلم أجده عنده فدخلت عليه وأمر الزبير مولاه شرحساً أن يجلس على الباب ويحبس عنا الناس ، فجعلت اُكلمه فقال : عصيتم أن خولفتم والله لتعلمن عاقبة ابن عمك ، فعلمت أن الرجل مغضب ، فجعلت اُلاينه فيلين مرة و يشتد اُخرى ، فلما سمع شرحساً ذلك أنفذ إلى عبدالله بن الزبير وكان عند طلحة فدعاه ، فأقبل سريعاً حتى دخل علينا،ثم جرى بينه و بين ابن الزبير كلام كثير فأبى ابن الزبير إلا القتال والجدال .

أقول : إن عبدالله بن الزبير كان أشد عداوة من أبيه بأميرالمؤمنين عليه السلام وقال عليه السلام : ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشوم عبدالله نقله الشارح المعتزلي في شرحه على النهج (ص ٤٧٤ ج ٢ طبع طهران ١٣٠٢ هـ) وذكر هذا الكلام ابن عبدالبر في الاستيعاب عن أميرالمؤمنين عليه السلام في عبدالله بن الزبير إلا أنه لم يذكر لفظة المشوم .

و بالجملة أنه عليه السلام أكثر إليهم الرسل فعادوا منهم اليه عليه السلام باصرارهم على خلافه واستحلال دمه ودم شيعته ، فلما رأى عليه السلام أنهم لايتعظون بوعظ ولا ينتهون عن الفساد وعبوا للقتال كتب الكتائب ورتب العساكر فنفر من ذي قار متوجهاً الى البصرة.

« من كلامه (ع) لما نفر من ذي قار متوجها الى البصرة »

في الارشاد للمفيد قدس سره : ومن كلامه عليه السلام وقد نفر من ذي قار متوجهاً

الى البصرة بعد حمدالله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله.

أمّا بعد فانّ الله تعالى فرض الجهاد وعظّمه وجعله نصرة له، والله ماصلحت دنيا قط ولا دين إلاّ به، وإنّ الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله وشبّه في ذلك وخدع، وقد بانت الأمور وتمحّصت، والله ما أنكروا عليّ منكراً ولاجعلوا بيني وبينهم نصفا، وأنّهم ليطلبون حقاً تركوه، ودماً سفكوه، ولئن كنتشركتهم فيه إنّ لهم لنصيبهم منه، وان كانوا ولّوه دوني فما تبعته إلاّ قبلهم، وإنّ أعظم حجتهم لعلى أنفسهم، وإنّي لعلى بصيرتي ما لبست عليّ، وإنّها للفئة الباغية فيها اللّحم «الحمخ» واللّحمة «الحمةخ» قد طالت جلبتها، وأمكنت درّتها، يرضعون ما فطمت، ويحيون بيعة تركت، ليعود الضلال إلى نصابه، ما أعتذر مما فعلت، ولا أتبرّأ مما صنعت، فيا خيبة للدّاعي ومن دعى لو قيل له إلى من دعوتك، وإلى من أجبت ومن إمامك وما سنته إذاً لزاح الباطل عن مقامه، ولصمت لسانه فيما نطق، وأيم الله لأفرطنّ لهم حوضاً أنا ماتحه، لايصدرون عنه، ولا يلقون بعده ريّاً أبدا، وإنّي لراض بحجّة الله عليهم، وعذره فيهم، إذ أنا داعيهم فمعذّر إليهم، فان تابوا وأقبلوا فالتوبة مبذولة، والحقّ مقبول، وليس على الله كفران، وإن أبوا أعطيتهم حدّ السيف وكفى به شافياً من باطل، وناصراً لمؤمن.

أقول: كلامه هذا مذكور في النهج أيضاً إلاّ أنه قطّعت في ثلاثة مواضع منه، وذكر في كل موضع قطعة منه بل كرّر بعض جمله فيها.

الموضع الأوّل هو الخطبة العاشرة منه قال الرضيّ: ومن خطبة له عليه السلام:

ألا وإنّ الشيطان قدجمع حزبه واستجلب خيله اه.

الموضع الثاني هو الخطبة الثانية والعشرون منه قوله: ومن خطبة له عليه السلام:

ألا وإنّ الشيطان قد ذمّر حزبه واستجلب جلبه ليعود الجور إلى أوطانه، ويرجع الباطل إلى نصابه اه.

الموضع الثالث هو الخطبة الخامسة والثلاثون والمائة منه قوله: ومن كلامه عليه السلام في معني طلحة والزبير: والله ما أنكروا عليّ منكراً ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً.

إلى قوله عليه السلام : وأيم الله لأفرطن لهم حوضاً أنا ماتحه لا يصدرون عنه بري ، ولا يعبون بعده في حسي . وأمّا بعده إلى آخرها وقد مرّ بيانه قبيل هذا .

واعلم أنّ ثقة الاسلام الكليني قدّس سرّه روى في الكافي خطبة منه عليه السلام خطبها يوم الجمل ، ونقلها الفيض قدّس سرّه في الوافي (ص ٢٧ ج ٩ من كتاب الجهاد) تشترك فيها الخطبة الثانية و العشرون المذكورة و الخطبة الواحدة والعشرون والمائة .

أوّلها : وأيّ امرىء منكم أحسّ من نفسه رباطة جاش - الخ. فالظاهر أيضاً أنهما خطبة واحدة تشتتت في الجوامع فما وجدها الرضي فيها أتى بها في النهج فدونك ما في الكافي على ما في الوافي :

عليّ عن أبيه ، عن السرّاد رفعه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب يوم الجمل فحمدالله وأثنى عليه ثم قال :

أيّها الناس إنّي أتيت هؤلاء القوم ودعوتهم واحتججت عليهم فدعوني إلى أن أصبر للجلاد ، وأبرز للطعان، فلاُمّهم الهبل قد كنت و ما اُهدّد بالحرب ، ولا اُرهب بالضّرب، أنصف القادة من راماها، فلغيري فليبرقوا وليرعدوا، فأنا أبوالحسن الّذي فللت حدّهم ، وفرّقت جماعتهم ، وبذلك القلب ألقى عدوّي ، وأنا على ما وعدني ربّي من النصر والتأييد والظفر ، وإنّي لعلى يقين من ربّي وغير شبهة من أمري . أيّها الناس إنّ الموت لا يفوته المقيم ، ولا يعجزه الهارب ، ليس عن الموت محيص ، ومن لم يمت يقتل ، وإنّ أفضل الموت القتل ، و الّذي نفسي بيده لألف ضربة بالسّيف أهون عليّ من ميتة على فراش . واعجبا لطلحة ألّب الناس على ابن عفّان حتّى إذا قتل أعطاني صفقة بيمينه طائعاً، ثمّ نكث بيعتي ، اللّهمّ خذه ولا تمهله وأنّ الزبير نكث بيعتي وقطع رحمي وظاهر عليّ عدوّي فاكفنيه اليوم بما شئت. انتهى ما في الكافي .

ونقل بعض هذه الخطبة المفيد رحمه الله في الارشاد (ص ١١٤ طبع طهران ١٣٧٧ هـ) ورواه في كتاب الجمل (النصرة في حرب البصرة) مسنداً عن الواقدي ، ص ١٧٤

طبع النجف .

وبما حقّقنا علمت أنّ خطبة واحدة تفرّقت في عدّة مواضع من النهج و كم لها من نظير، وديدن الرّضي رحمه الله في النهج كان اختيار محاسن كلامه عليه السلام فقط لا ذكر طرق الرّوايات واختلافها كما نصّ بذلك في خطبته في صدر الكتاب حيث قال :

وربّما جاء في أثناء هذا الاختيار اللّفظ المردّد والمعنى المكرّر، والعذر في ذلك أنّ روايات كلامه عليه السلام تختلف اختلافاً شديداً فربّما اتّفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه ثمّ وجد بعد ذلك في رواية اُخرى موضوعا غير وضعه الأوّل إمّا بزيادة مختار أو بلفظ أحسن عبارة فتقتضي الحال أن يعاد استظهاراً للاختيار وغيره على عقائل الكلام ، وربّما بعد العهد أيضاً بما اختير أوّلا فاُعيد بعضه سهواً ونسياناً لا قصداً واعتماداً . إلى آخر ما قال .

ثمّ انتهى عليه السلام إلى البصرة و راسل القوم و ناشدهم الله فأبوا إلاّ قتاله ، وقال المسعوديّ في مروج الذهب : ذكر عن المنذر بن الجارود فيما حدث به أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي عن ابن عائشة عن معن بن عيسى عن المنذر بن جارود قال :

لما قدم عليّ عليه السلام البصرة دخل مما يلي الطفّ، فأتى الزاوية فخرجت أنظر إليه فورد موكب نحو ألف فارس يقدمهم فارس على فرس أشهب عليه قلنسوه وثياب بيض متقلّد سيفا معه راية ، وإذا تيجان القوم الأغلب عليها البياض والصفرة مدجّجين في الحديد والسلاح فقلت : من هذا ؟ فقيل : أبو أيّوب الأنصاري صاحب رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وهؤلاء الأنصار وغيرهم .

ثمّ تلاهم فارس آخر عليه عمامة صفراء و ثياب بيض متقلّد سيفاً متنكّب قوساً معه راية على فرس أشقر في نحو ألف فارس فقلت : من هذا ؟ فقيل : هذا خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين .

ثمّ مرّ بنا فارس آخر على فرس كميت معتم بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة

بيضاء وعليه قباء أبيض وعمامة سوداء قد سد لها بين يديه ومن خلفه شديد الأدمة عليه سكينة و وقار رافع صوته بقراءة القرآن متقلّد سيفاً متنكّب قوساً معه راية بيضاء في ألف من الناس مختلفي التيجان حوله مشيخة و كهول وشباب كان قدأوقفوا للحساب ، أثر السجود قد أثّر في جباههم ، فقلت : من هذا ؟ فقيل : عمّار بن ياسر في عدّة من الصحابة المهاجرين والأنصار وأبنائهم .

ثمّ مرّ بنا فارس على فرس أشقرعليه ثياب بيض و قلنسوة بيضاء و عمامة صفراء متنكّب قوساً متقلّد سيفاً تخطّ رجلاه في الأرض في ألف من الناس الغالب على تيجانهم الصّفرة والبياض معه راية صفراء قلت : من هذا ؟ قيل : هذا قيس بن سعد بن عبادة في الأنصار وأبنائهم وغيرهم من قحطان .

ثمّ مرّ بنا فارس على فرس أشهل ما رأينا أحسن منه عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سد لها بين يديها بلواء قلت : من هذا ؟ قيل : هوعبدالله بن العباس في عدّة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله .

ثمّ تلا موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالأولين قلت : من هذا ؟ قيل : قثم بن العباس أو سعيد بن العاص .

ثمّ أقبلت المواكب والرّايات بقدم بعضها بعضاً واشتبكت الرماح .

ثمّ ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح والجديد مختلفو الرايات في أوّله راية كبيرة يقدمهم رجل كانما كسر وجبر « قال ابن عائشة : و هذه صفة رجل شديد الساعدين نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق ، كذلك تخبر العرب في وصفها إذا أخبرت عن الرجل أنه كسر وجبر » كأنما على رؤوسهم الطير وعن ميسرتهم شابٌّ حسن الوجه قلت : من هؤلاء؟ قيل: هذا عليُّ بن أبي طالب عليه السلام وهذان الحسن والحسين عن يمينه وشماله ، و هذا محمّد ابن الحنفيّة بين يديه معه الراية العظمى ، وهذا الّذي خلفه عبدالله بن جعفر بن أبيطالب ، وهؤلاء ولد عقيل وغيرهم من فتيان بني هاشم وهؤلاء المشايخ أهل بدر من المهاجرين و الأنصار فساروا حتّى نزلوا الموضع المعروف بالزّاوية ، فصلّى عليه السلام أربع ركعات

وعفّر خدّيه على التربة وقد خالط ذلك دموعه ، ثمّ رفع يديه يدعو :

اللّهمّ ربّ السماوات وما أظلّت ، والأرضين وما أقلّت ، وربّ العرش العظيم هذه البصرة أسألك من خيرها وأعوذ بك من شرّها ،اللّهمّ أنزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزلين ، اللّهمّ هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي وبغوا عليّ ونكثوا بيعتي اللّهمّ احقن دماء المسلمين .

أقول : كلامه هذا ليس بمذكور في النهج ولعلّ السرّ فيه أنه لم يكن منه عليه السلام حقيقة بل هو من رسول الله صلى الله عليه وآله فقاله اقتباساً منه وتأسّياً به صلى الله عليه وآله قال ابن هشام في السيرة النبوية (ص ٣٢٩ ج ٢ طبع مصر ١٣٧٥ﻫ و١٩٥٥م) في ذكر مسيره صلى الله عليه وآله إلى خيبر : قال ابن اسحاق : حدّثني من لا أتّهم ، عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي ، عن أبيه ، عن أبي معتّب بن عمرو : أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أشرف على خيبر ، قال لأصحابه وأنا فيهم : قفوا ، ثمّ قال :

اللّهمّ ربّ السماوات وما أظللن ، وربّ الأرضين وما أقللن ، وربّ الشياطين وما أضللن ، وربّ الرّياح وما أذرين ، فإنّا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرّها وشرّ أهلها وشرّ ما فيها . أقدموا باسم الله قال : وكان يقولها صلى الله عليه وآله لكلّ قرية دخلها .

ولما تقرّر أمر الكتائب في الفريقين فخرج كلّ فريق بقومه وقام خطباؤهم بالتحريض على القتال ، فقام عبدالله بن الزبير في معسكرهم وحرّض الناس على القتال ومن جملة ما قال :

أيّها الناس إنّ هذا الرعث والوعث قتل عثمان بالمدينة ثمّ جاءكم بنشر اُموركم بالبصرة أترضون أن يتوردكم أهل الكوفة في بلادكم اغضبوا فقد غضبتم وقاتلوا فقد قوتلتم إنّ علياً لا يرى أنّ معه في هذا الأمر أحد سواه، والله لئن أظفر بكم ليهلكنّ دينكم ودنياكم .

وأكثر من نحو هذا القول وشبهه ، فبلغ ذلك أمير المؤمنين علياً عليه السلام فقال لولده الحسن عليه السلام : قم يا بنيّ فاخطب ، فقام خطيباً فحمدالله وأثنى عليه وقال :

أيّها الناس قد بلغتنا مقالة ابن الزبير و قد كان والله يتجنّي علـى عثمان الذنوب ، وقد ضيّق عليه البلاد حتى قتل ، وأنّ طلحة راكز رايته على بيت ماله وهوحي ، وأما قوله : إنّ علياً ابتزّ الناس أمرهم فانّ أعظم الناس حجّة لأبيه زعم أنّه بايعه بيده ولم يبايعه بقلبه، فقدأقرّ بالبيعة وادّعى الوليجة ، فليأت على ماادّعاه ببرهان وأنّى له ذلك،وأمّا تعجّبه من تورد أهل الكوفة على أهل البصرة فماعجبه من أهل حق تورد واعلى أهل الباطل ، ولعمرى والله ليعلمنّ أهل البصرة و ميعادما بيننا وبينهم ، اليوم نحاكمهم إلى الله تعالى ، فيقضي الله بالحقّ وهوخير الفاصلين .

فلمّا فرغ الحسن عليه السلام من كلامه قام رجل يقال له : عمر بن محمود وأنشد شعراً يمدح الحسن عليه السلام .

فلمّا بلغ طلحة والزبير خطبة الحسن عليه السلام و مدح المادح له قام طلحة خطيباً في أصحابه وحرّض الناس على إثارة الفتنة وألّب وأجلب على أمير المؤمنين عليه السلام النّاس .

فقام إليه رجل يقال له: جبران بن عبدالله من أهل الحجاز كان قدم البصرة وهو غلام واعترض على طلحة واحتجّ عليه بنكث البيعة فهمّ القوم به فخرج منهم إشفاقاً على دمه ، ثمّ كثر اللغط والتنازع .

ولمّا بلغ أمير المؤمنين عليه السلام لغط القوم واجتماعهم على حربه قام في الناس خطيباً .

« خطبة أمير المؤمنين (ع) في البصرة لما بلغه لغط القوم واجتماعهم على حربه »

فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النّبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ قال :

أيّها الناس إنّ طلحة والزبير قدما البصرة وقد اجتمع أهلها على طاعة الله وبيعتي ، فدعواهم إلى معصية الله تعالى وخلافي ، فمن أطاعهما منهم فتنوه و مـن عصاهما قتلوه ، وقد كان من قتلهما حكيم بن جبلة ما بلغكم ، و قتلهم السبابحة وفعلهما بعثمان بن حنيف ما لم يخف عليكم ، و قد كشفوا الآن القناع و أذنوا بالحرب ، وقام طلحة بالشتم والقدح في أديانكم ، وقد أرعد وصاحبه وأبرقا، وهذا

أمران معهما الفشل ، ولسنا نريد منكم أن تلقونهم بظنون ما في نفوسكم عليهم ، ولا ترون ما في أنفسكم لنا ، ولسنا نرعد حتّى نوقع ، ولا نسيل حتّى نمطر ، و قد خرجوا من هدى إلى ضلال ، و دعونا كم الى الرّضا ، و دعونا إلى السخط فحلّ لنا ولكم ردّهم إلى الحقّ والقتال ، وحلّ لهم بقصاصهم القتل ، و قد والله مشوا إليكم ضراراً ، وأذاقوكم أمس من الجمر ، فاذا لقيتم القوم غداً فاعذروا فى الدعاء واحسنوا فى التقيّة ، واستعينوا بالله واصبروا إنّ الله مع الصابرين .

أقول : نقلها المفيد قدّس سرّه فى الجمل (ص ١٦١ طبع النجف) و هي بتمامها ليست بمذكورة في النهج وأتى ببعضها فيه وهو : ومن كلام له عليه السلام : وقد أرعدوا وأبرقوا ومع هذين الأمرين الفشل ، ولسنا نرعد حتى نوقع ، ولا نسيل حتى نمطر . وهو الكلام التاسع من باب الخطب من النهج .

قال المفيد رحمه الله في الجمل نقلاً عن الواقدي : ثمّ إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أنظرهم وأنذرهم ثلاثة أيّام ليكفّوا ويرعوا ، فلما علم إصرارهم على الخلاف قام في أصحابه وقال :

«خطبة اخرى له عليه السلام فى ذلك المقام يحرض أصحابه على الجهاد»

عباد الله انهدوا إلى هؤلاء القوم منشرحة صدوركم ، فانهم نكثوا بيعتي وقتلوا شيعتي ، ونكلوا بعاملي ، وأخرجوه من البصرة بعد أن آلموه بالضرب المبرح والعقوبة الشديدة ، وهو شيخ من وجوه الأنصار والفضلاء ، ولم يرعوا له حرمة وقتلوا السبابجة رجالا صالحين ، و قتلوا حكيم بن جبلة ظلما و عدوانا لغضبه لله تعالى ثمّ تتبّعوا شيعتي بعد أن ضربوهم وأخذوهم في كلّ غابية و تحت كلّ رابية يضربون أعناقهم صبرا ، ما لهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون ، فانهدوا إليهم عباد الله وكونوا اسوداً عليهم فانّهم شرار ، و مساعدهم على الباطل شرار ، فالقوهم صابرين محتسبين موطنين أنفسكم أنكم منازلون ومقاتلون ، قدوطّنتم أنفسكم على الضرب والطعن ومنازلة الأقران ، فأيّ امرء أحسّ من نفسه رباطة جاش عند الفزع وشجاعة عند اللّقاء و رأى من أخيه فشلاً أو وهنا فليذبّ عنه كما يذبّ عن نفسه

فلو شاء الله لجعله مثله .

أقول : بعض هذه الخطبة مذكور في النهج الكلام ١٢١ من باب الخطب أوله : وأيّ امرىء منكم أحسّ من نفسه ـ الخ، ونقلها المفيد رحمه الله فى الارشاد (ص ١١٥ طبع طهران ١٣٧٧ هـ) أيضاً و بين النسخ اختلاف يسير في بعض من الكلمات والجمل .

وفي جمل المفيد: ثمّ إنّ أمير المؤمنين عليه السلام رحل بالناس إلى القوم غداة الخميس لعشر مضين من جمادى الأولى ، وعلى ميمنته الأشتر ، و على ميسرته عمّار بن ياسر ، وأعطى الراية محمّد بن الحنفيّة ابنه ، و سار حتّى وقف موقفاً ثمّ نادى في الناس لاتعجلوا حتى أعذر إلى القوم .

أقول : مضى كلامه عليه السلام لابنه محمّد ابن الحنفيّة لمّا أعطاه الراية يوم الجمل تزول الجبال ولاتزل ، عضّ على ناجذك أعر الله جمجمتك ، تدفي الأرض قدمك إرم ببصرك أقصى القوم ، و غضّ بصرك ، و اعلم أنّ النصر من عندالله سبحانه الكلام الحادى عشر من باب الخطب من النهج .

وقد مضى في ص ٢٤١ من المجلّد الأول من تكملة المنهاج أنّ أمير المؤمنين عليه السلام دفع يوم الجمل رايته إلى ابنه محمّد ابن الحنفية وقد استوت الصفوف وقال له:احمل، فتوقّف قليلا ، فقال له : احمل، فقال:ياأمير المؤمنين ، أما ترى السهام كأنها شآبيب المطر، فدفع في صدره فقال: ادر كك عرق من امّك ـ الخ ، نقله المسعودي في مروج الذهب .

فدعا عليه السلام : عبدالله بن عباس فأعطاه المصحف وقال : امض بهذا المصحف إلى طلحة والزبير وعائشه وادعهم إلى ما فيه وقل لطلحة والزبير : ألم تبايعاني مختارين ؟ فما الّذي دعاكما إلى نكث بيعتي وهذا كتاب الله بيني و بينكما .

فذهب إليهم ابن عباس فبدأ بالزبير ثمّ انصرف عنه إلى طلحة ، ثمّ انصرف عنه إلى عائشه ، وجرى بينه وبينهم كلام كثير فأبوا إلّا طغياناً وبغياً والقتال وسفك الدّماء وإثارة الفتنة وإنارة الحرب ، فرجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره الخبر

وقال له عليه السلام: ما تنتظر؟ والله لايعطيك القوم إلاّ السيف فاحمل عليهم قبل أن يحملوا عليك؛ فقال عليه السلام: نستظهر بالله عليهم؛ قال ابن عباس: فوالله ما رمت من مكاني حتى طلع عليّ نشابهم كأنه جرد منتشر فقلت: ما ترى ياأمير المؤمنين إلى ما يصنع القوم مرنا ندفعهم، فقال عليه السلام: حتّى أعذر اليهم ثانية.

فأخذ عليه السلام مصحفا كما نقله الطبري مسنداً في التاريخ و المفيد في الجمل عن الواقدي، فطاف به في أصحابه وقال: من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إليه وهو مقتول وأنا ضامن له على الله الجنّة؟ فقام فتى من أهل الكوفة حدث السنّ من عبد القيس يقال له: مسلم بن عبدالله عليه قباء أبيض محشو فقال: أنا أعرضه ياأمير المؤمنين عليهم وقد احتسبت نفسي عندالله، فأعرض عليه السلام عنه إشفاقاً.

ونادى ثانية: من يأخذ هذا المصحف ويعرضه على القوم وليعلم أنّه مقتول وله الجنّة؟ فقال الفتى أنا أعرضه.

ونادى ثالثة: من يأخذ المصحف ويدعوهم إلى ما فيه؟ فقال الفتى: أنا فدفع المصحف اليه وقال: امض اليهم و اعرضه عليهم و ادعهم إلى ما فيه.

فأقبل الفتى حتى وقف بازاء الصفوف ونشر المصحف وقال: هذا كتاب الله وأمير المؤمنين يدعو كم إلى ما فيه، فقالت عائشة: اشجروه بالرّماح فقبّحه الله، فتبادروا إليه بالرّماح فطعنوه من كلّ جانب فقطعوا يده اليمنى، فأخذه بيده اليسرى فدعاهم فقطعوا يده اليسرى، فأخذه بصدره والدّماء تسيل على قبائه، فقتل رضوان الله عليه، وكانت أمّه حاضرة فصاحت و طرحت نفسها عليه و جرّته من موضعه ولحقها جماعة من عسكر أمير المؤمنين عليه السلام أعانوها على حمله حتّى طرحته بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام وهي تبكي و تقول:

لاهمّ إنّ مسلماً دعاهم ... يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضّبوا من دمه قناهم ... وأمّه قائمة تراهم
تأمرهم بالقتل لا تنهاهم

فلمّا رأى أمير المؤمنين عليه السلام ما قدم عليه القوم من العناد واستحلوه من سفك

الدّم الحرام رفع يديه إلى السماء وقال :

اللّهمّ اليك شخصت الأبصار وبسطت الأيدي وأفضت القلوب وتقرّبت إليك بالأعمال ، ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين .

أقول : قوله عليه السلام هذا نقلناه من جمل المفيد ونقله نصر بن مزاحم المنقري في صفين (ص ٢٥٦ طبع الطهران ١٣٠١هـ) مع زيادة و أتى به الرّضيّ رحمه الله في النهج وهو الخامس عشر من باب الكتب والرسائل ، وقد مضى في ص ٣٢٦ من المجلّد الأول من تكملة المنهاج كلامنا فيه وسيأتي طائفة اُخرى في شرحه إنشاء الله تعالى .

قال الطبريّ بعد نقل شهادة الفتى : فقال عليّ عليه السلام : الآن حلّ قتالهم .

وفي الامامة والسياسة للدينوري فلمّا توافقوا للقتال أمر عليّ عليه السلام منادياً ينادي من أصحابه لا يرمينّ أحد سهماً ولا حجراً ولا يطعن برمح حتّى أعذر إلى القوم فأتّخذ عليهم الحجة البالغة .

فكلّم عليه السلام طلحة و الزبير قبل القتال فقال لهما : استحلفا عائشة بحقّ الله وبحقّ رسوله على أربع خصال أن تصدق فيها : هل تعلم رجلاً من قريش أولى منّي بالله ورسوله ، وإسلامي قبل كافة الناس أجمعين ، و كفايتي رسول الله صلى الله عليه وآله كفّار العرب بسيفي و رمحي ، وعلى براءتي من دم عثمان ، وعلى أنّي لم أستكره أحداً على بيعة ، وعلى أنّي لم أكن أحسن قولاً في عثمان منكما ؟ فأجابه طلحة جواباً غليظاً ، ورقّ له الزبير .

ثمّ رجع عليّ عليه السلام إلى أصحابه فقالوا : يا أمير المؤمنين بم كلّمت الرّجلين؟ فقال عليّ عليه السلام إنّ شأنهما لمختلف أمّا الزبير فقاده اللّجاج و لن يقاتلكم ، وأمّا طلحة فسألته عن الحقّ فأجابني بالباطل ، ولقيته باليقين ولقيني بالشكّ ، فوالله ما نفعه حقّي ولا ضرّني باطله ، وهو مقتول غداً في الرّعيل الأوّل .

أقول : ما نقله الدينوري من كلامه عليه السلام ليس بمذكور في النهج .

وفي احتجاج الطبرسي عن الأصبغ بن نباتة قال : كنت واقفاً مع أمير المؤمنين

عليه السلام يوم الجمل فجاء رجل حتّى وقف بين يديه فقال : يا أمير المؤمنين كبّر القوم و كبّرنا، وهلّل القوم وهلّلنا ، وصلّى القوم وصلّينا ، فعلى ما نقاتلهم ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : على ما أنزل الله في كتابه ، فقال : يا أمير المؤمنين ليس كلّ ما أنزل الله في كتابه أعلمه فعلّمنيه ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : ما أنزل الله في سورة البقرة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ليس كلّما أنزل الله في سورة البقرة أعلمه فعلّمنيه ، فقال عليه السلام: هذه الآية « تلك الرّسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم فوق بعض درجات وآتينا عيسى بن مريم البيّنات و أيّدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الّذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البيّنات و لكن اختلفوا فمنهم من آمن و منهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا و لكنّ الله يفعل ما يريد » فنحن الّذين آمنّا ، وهم الّذين كفروا ، فقال الرّجل : كفر القوم و ربّ الكعبة ، ثمّ حمل وقاتل حتّى قتل رحمه الله . انتهى .

وفي تاريخ الطبري (ص٧ ج ٤ طبع مصر ١٣٥٨هـ ١٩٣٩ م) قال أبو مخنف: وحدّثني إسماعيل بن يزيد ، عن أبي صادق ، عن الحضرميّ قال : سمعت عليّاً عليه السلام يحرّض الناس في ثلاثة مواطن : يحرّض الناس يوم الجمل ، ويوم صفين ، و يوم النهر : يقول : عباد الله اتّقوا الله ـ إلى آخر ما نقلناه في ص ٢٣٨ من المجلد الأول من تكملة المنهاج . ونقله المفيد رحمه الله فى الارشاد ايضاً (ص ١٠٧ طبع طهران ١٣٧٧هـ) إلاّ أنّه ذكر في عنوانه يوم صفين فقط و لكنّه لا يفيد الاختصاص به وبين النسختين اختلاف يسير ، والظاهر أنّ الرضيّ رضوان الله عليه لم يعثر عليه وإلاّ لذكره في النهج لأنّ الكلام بليغ جدّاً وكان اهتمام الرضي اختيار البليغ من كلامه عليه السلام ودونك قوله هذا على ما في الارشاد : قال :

ومن كلامه عليه السلام في تحضيضه على القتال يوم صفين بعد حمد الله والثناء عليه

عباد الله اتّقوا الله وغضّوا الأبصار، واخفضوا الأصوات، وأقلّوا الكلام، ووطّنوا أنفسكم على المنازلة ، والمجادلة ، والمبارزة ، والمبالطة ، والمبالدة ، والمعانقة والمكادمة ، واثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلّكم تفلحون ، وأطيعوا الله ورسوله ولا

تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إنّ الله مع الصابرين ، اللّهمّ ألهمهم الصبر وأنزل عليهم النصر، وأعظم لهم الأجر.

وقد تظافرت الأخبار أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أمر جنده أن لا يبدأوا القوم الناكثين بقتال ، ولا يرموهم بسهم ، ولا يضربوهم ولا يطعنوهم برمح ، حتّى جاء عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي من الميمنة بأخ له مقتول ، وجاء قوم من الميسرة برجل قد رمي بسهم فقتل ، فقال علي عليه السلام: اللّهمّ اشهد .

وفي جمل المفيد : ثمّ دعا عليه السلام ابنه محمد بن الحنفيّة فأعطاه الراية وهي راية رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : يا بنيّ هذه راية لا تردّ قط ولا تردّ أبداً ، قال محمد : فأخذتها والريح تهبّ عليها فلمّا تمكّنت من حملها صارت الريح على طلحة والزبير وأصحاب الجمل ، فأردت أن أمشي بها فقال امير المؤمنين عليه السلام : قف يا بنيّ حتّى آمرك .

ثمّ نادى أيّها النّاس لا تقتلوا مدبراً ، ولا تجهّزوا على جريح ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تهيجوا امرأة ، ولا تمثّلوا بقتيل .

فبينا هو يوصي أصحابه إذ ظلّلنا نبل القوم فقتل رجل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام ، فلمّا رآه قتيلاً قال : اللّهمّ اشهد، ثمّ رمي ابن عبد الله بن بديل فقتل ، فحمل أبوه عبدالله ومعه عبدالله بن العباس حتّى وضعاه بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال عبدالله بن بديل: حتّى متى يا أمير المؤمنين ندلي نحورنا للقوم يقتلوننا رجلاً رجلاً قد والله أعذرت إن كنت تريد الاعتذار .

أقول : قال اليعقوبي في تاريخه: ثمّ رمى رجل آخر فأصاب عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقتله فأتى به أخوه عبدالرحمن يحمله فقال عليّ عليه السلام اللّهمّ اشهد والله العالم .

وفي مروج الذهب للمسعودي : ثمّ قام عمّار بن ياسر بين الصفين فقال : أيّها النّاس ما أنصفتم نبيّكم حيث كففتم عقائلكم في الخدور ، و أبرزتم عقيلته للسيوف ، وعائشة على الجمل المسمى عسكراً في هودج من دفوف الخشب . قد ألبسوه المسوح وجلود البقر ، وجعلوا دونه اللّبود قد غشى على ذلك بالدّروع، فدنا

عمّار من موضعها ، فنادى : إلى ما ذا تدعينني ؟ قالت : إلى الطلب بدم عثمان ، فقال : قتل الله في هـذا اليوم الباغي والطالب بغير الحقّ ، ثمّ قال : أيّها الناس إنكم لتعلمون أيّنا الممالي في قتل عثمان، ثمّ أنشأ يقول وقد رشقوه بالنبل :

فمنك البكاء و منك العويل ومنك الرّياح و منك المطر
و أنت أمرت بقتل الامام و قاتله عندنـا من أمـر

وتواتر عليه الرّمي واتّصل فحرّك فرسه و زال عن موضعه فقال : مـا ذا تنتظر يا أمير المؤمنين وليس لك عند القوم إلاّ الحرب فقال عليّ عليه السلام : أيّها الناس إذا هزمتموهم فلا تجهّزوا على جريح ، ولا تقتلوا أسيراً ، ولا تتّبعوا مولّياً ، ولا تطلبوا مدبراً ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثّلوا بقتيل ، ولا تهتكوا ستراً ، ولا تقربوا من أموالهم إلاّ ما تجدونه في عسكرهم من سلاح أو كراع او عبد أو أمة ، وما سوى ذلك فهو ميراث اورثتهم على كتاب الله .

أقول : وقد مضى في ص ٢٢٢ من المجلّد الأول من تكملة المنهاج عن نصر في كتاب صفين باسناده عن عبدالرحمن بن جندب الأزدي عن أبيه أنّ علياً عليه السلام كان يأمرنا في كلّ موطن لقينا معه عدوّه يقول : لا تقاتلوا القوم حتّى يبدأوكم –إلى آخره وسيأتي شرحه ونقل أقواله الاُخر في الكتاب الخامس عشر إنشاء الله تعالى .

ثمّ قد ذكرنا في شرح الكتاب الأوّل البيتين المذكورين وقائلهما فراجع.

وقال المفيد في الجمل : روى عبدالله بن رياح مولى الأنصاري عن عبدالله بن زياد مولى عثمان بن عفان قال : خرج عمّار بن ياسر يوم الجمل إلينا فقال : يـا هؤلاء على أيّ شيء تقاتلونا ؟ فقلنا : على أنّ عثمان قتل مؤمناً ، فقال عمّار : نحن نقاتلكم على أنّه قتل كافراً ؛ قال : وسمعت عمّاراً يقول : والله لو ضربتمونا حتى تبلغ سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحقّ و أنّكم على الباطل ، قال : و سمعته والله يقول : ما نزل تأويل هذه الآية إلاّ اليوم « يا أيها الّذين آمنوا من يرتدّ

منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه» (المائدة: ٥٩).

و في احتجاج الطبرسي: روى الواقدي أنّ عمّار بن ياسر لما دخل على عايشة ـ بعد أن ظفر عليّ عليه السلام و أصحابه على أصحاب الجمل ـ فقال لها: كيف رأيت ضرب بنيك على الحقّ؟ فقالت: استبصرت من أجل أنك غلبت، فقال عمّار: أنا أشدّ استبصاراً من ذلك، والله لو ضربتمونا حتى تبلغونا سعيفات هجر لعلمنا أنّا على الحقّ وأنّكم على الباطل، فقالت عائشة: هكذا يخيّل اليك اتّق الله يا عمّار أذهبت دينك لابن أبيطالب.

أقول: قد قال عمّار في صفين أيضاً: إنّي لأرى وجوه قوم لايزالون يقاتلون حتّى يرتاب المبطلون، والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لكنّا على الحقّ وكانوا على الباطل. وقد مرّ بيانه في ص ٢٨٥ من المجلّد الأوّل من تكملة المنهاج واختلاف النسخ فيه فراجع.

روى الواقديّ قال: حدّثني عبدالله بن الفضيل عن أبيه عن محمّد ابن الحنفيّة قال: لمّا نزلنا البصرة وعسكرنا بها وصففنا صفوفنا دفع أبي عليّ عليه السلام إليّ باللّواء وقال: لاتحدّثنّ شيئاً ثمّ نام فنالنا نبل القوم فأفزعته ففزع و هو يمسح عينيه من النوم وأصحاب الجمل يصيحون: يا لثارات عثمان، فبرز عليه السلام و ليس عليه إلّا قميص واحد، ثمّ قال: تقدّم باللّواء، فتقدّمت وقلت: يا أبة في مثل هذا اليوم بقميص واحد، قال: أحرز امرء أجله والله قاتلت مع النبيّ صلّى الله عليه وآله وأنا حاسر أكثر ممّا قاتلت وأنا دارع، ثمّ دنا كل من طلحة والزبير فكلّمهما ورجع وهو يقول: يأبى القوم إلّا القتال، فقاتلوهم فقد بغوا، ودعا بدرعه البتراء ولم يلبسها بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله إلّا يومئذ فكان بين كتفيه منها متوهياً.

قال: وجاء أمير المؤمنين عليه السلام وفي يده شسع نعل فقال له ابن عباس: ماتريد بهذا الشّسع يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أربط بها ما قد توهى من هذا الدّرع من خلفي، فقال له ابن عبّاس: أفي مثل هذا اليوم تلبس مثل هذا؟ فقال عليه السلام: لم؟ قال: أخاف عليك، قال عليه السلام: لاتخف أن أوتى من ورائي والله يا ابن عبّاس

ما ولّيت في زحف قطّ ثمّ قال له : البس يا ابن عباس ، فلبس درعاً سعدياً ثمّ تقدّم إلى الميمنة وقال: احملوا، ثمّ إلى الميسرة وقال : احملوا ، وجعل يدفع في ظهري ويقول : تقدّم يا بنيّ فجعلت أتقدّم حتى انهزموا من كلّ وجه .

وروى الواقدي عن هشام بن سعد عن شيخ من مشايخ أهل البصرة قال : لمّا صفّ علي بن أبي طالب عليه السلام صفوفه أطال الوقوف والناس ينتظرون أمره ، فاشتدّ عليهم ذلك ، فصاحوا حتّى متى ، فصفق بإحدى يديه على الأخرى ثمّ قال :عباد الله لاتعجلوا فإني كنت أرى رسول الله صلى الله عليه وآله يستحبّ أن يحمل إذا هبت الريح قال : فأمهل حتّى زالت الشّمس وصلّى ركعتين ثمّ قال : ادعوا ابني محمّداً ، فدعي له محمد ابن الحنفيّة فجاء وهو يومئذ ابن تسع عشرسنة ، فوقف بين يديه ودعا بالراية فنصبت فحمدالله وأثنى عليه وقال : أما هذه الراية لم تردّ قطّ ولا تردّ أبداً وإني واضعها اليوم في أهلها ، ودفعها إلى ولده محمد وقال: تقدّم يا بنيّ فلمّا رآه القوم قد أقبل والراية بين يديه فتضعضعوا فما هو إلاّ أنّ الناس التقوا ونظروا إلى غرة أميرالمؤمنين عليه السلام و وجدوا مسّ السلاح حتى انهزموا .

وروى محمدبن عبدالله بن عمر بن دينار قال : قال أميرالمؤمنين عليه السلام لابنه محمد: خذالراية وامض، وعليّ عليه السلام خلفه فناداه يا أباالقاسم ! فقال : لبّيك ياأبة ،فقال: يا بنيّ لايستنفزّنك ماترى قد حملت الراية وأنا أصغر منك فمااستنفزني عدوّي وذلك أنني لم أبارز أحداً إلاّ حدّثتني نفسي بقتله ، فحدّث نفسك بعون الله تعالى بظهورك عليهم ولا يخذلك ضعف النفس من اليقين فإنّ ذلك أشدّ الخذلان ،قال :قلت يا أبة أرجو أن أكون كما تحبّ إن شاء الله ، قال : فالزم رايتك فإن اختلفت الصفوف قف في مكانك وبين أصحابك فإن لم تبين من أصحابك فاعلم أنّهم سيرونك.

قال : والله إنّي لفي وسط أصحابي فصاروا كلّهم خلفي وما بيني وبين القوم أحد يردّهم عنّي وأنا أريد أن أتقدّم في وجوه القوم فما شعرت إلاّ بأبي خلفي قد جرّد بسيفه وهو يقول : لاتقدّم حتّى أكون أمامك ، فتقدّم بين يدي يهرول ومعه طائفة من أصحابه ، فضرب الّذين في وجهه حتّى نهضوهم ولحقتهم بالراية فوقفوا

وقفة واختلط الناس وركدت السيوف ساعة فنظرت إلى أبي يفرّج الناس يميناً وشمالاً ويسوقهم أمامه فأردت أن أجول فكرهت خلافه ووصيّته لي - لا تفارق الراية - حتّى انتهى إلى الجمل وحوله أربعة آلاف مقاتل من بني ضبّة والأزد وتميم وغيرهم وصاح : اقطعوا البطان .

فأسرع محمّد بن أبي بكر فقطعه وأطلع الهودج ، فقالت عائشة : من أنت ؟ قال : أبغض أهلك إليك، قالت: ابن الخثعمية ؟ قال : نعم ولم تكن دون اُمّهاتك قالت : لعمري بل هي شريفة دع عنك هذا الحمد لله الّذي سلمك قال : قد كان ذلك ما تكرهين ؛ قالت : يا أخي لو كرهته ما قلت ما قلت ، قال : كنت تحبّين الظفر وإنّي قتلت ، قالت : قد كنت اُحبّ ذلك لكنه ما صرنا إلى ما صرنا أحببت سلامتك لقرابتي منك فاكفف ولا تعقّب الأمور وخذ الظاهر ولا تكن لومة ولا عذلة فإنّ أباك لم يكن لومة ولا عذلة .

قال : وجاء علي عليه السلام فقرع الهودج برمحه وقال : يا شقيراء بهذا وصّاك رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قالت : يا ابن أبي طالب قد ملكت فاسمح ، وفي تاريخ الطبري : فاسجح .

ثمّ أمر عليه السلام ابنه محمّداً أن يتولّى أمرها ويحملها إلى دار ابن خلف حتّى ينظر عليه السلام في أمرها ، فحملها إلى الموضع وأنّ لسانها لا يفتر من السبّ له ولعلي عليه السلام والترحّم على أصحاب الجمل .

وروي عن ابن الزبير قال : خرجت عائشة يوم البصرة وهي على جملها عسكر قد اتّخذت عليه خدراً ودقّته بالدّفوف خشية أن يخلص إليها النبل ، وسار إليهم علي بن أبي طالب عليه السلام حتى التقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً وأخذ بخطام الجمل يومئذ سبعون رجلاً من قريش كلّهم قتل ، وخرج مروان بن الحكم وعبدالله بن الزبير ورأيتهما جريحين ، فلمّا قتلت تلك العصابة من قريش أخذ رجال كثير من بني ضبّة بخطام الجمل فقتلوا عن آخرهم ، ولم يأخذ بخطامه أحد إلاّ قتل حتى غرق الجمل بدماء القتلى ، وتقدّم محمّد بن أبي بكر فقطع بطان الجمل واحتمل الخدر

ومعه أصحاب له وفيه عائشة حتّى أنزلوها بعض دور البصرة ، و ولّى الزبير منهزماً فأدركه ابن جرموز فقتله ، ولمّا رأى مروان توجّه الأمر على أصحاب الجمل نظر إلى طلحة وهو يريد الهرب فقال : والله لا يفوتني ثاري من عثمان ، فرماه بسهم فقطع أكحله فسقط بدمه وحمل من موضعه وهو يقول : إنّ الله هذا والله سهم لم يأتني من بعد ما أراه إلاّ من معسكرنا ، والله ما رأيت مصرع شيخ أضيع من مصرعي ثمّ لم يلبث أن هلك .

روى الطبريّ في التاريخ باسناده عن أبي البختري الطائيّ قال : أطافت ضبّة والأزد بعائشة يوم الجمل ، وإذا رجال من الأزد يأخذون بعر الجمل فيفتّونه ويشمّونه ويقولون : بعر جمل اُمّنا ريحه ريح المسك ، و رجل من أصحاب عليّ عليه السلام يقاتل ويقول :

جرّدت سيفي في رجال الأزد أضرب في كهولهم و المرد
كلّ طويل الساعدين نهد

وماج الناس بعضهم في بعض ، فصرخ صارخ : اعقروا الجمل ، فضربه بجير بن دلجة الضّبي فقيل له : لم عقرته ؟ فقال : رأيت قومي يقتلون فخفت أن يفنوا ورجوت إن عقرته أن يبقى لهم بقيّة .

وروى باسناده عن الصعب بن عطيّة عن أبيه قال : لمّا أمسى الناس و تقدّم عليّ عليه السلام واُحيط بالجمل ومن حوله وعقره بجير بن دلجة وقال : إنكم آمنون فكفّ بعض الناس عن بعض ، وقال في ذلك حين أمسى وانخنس عنهم القتال :

إليك أشكو عجري و بجري و معشراً غشّوا عليّ بصري
قتلت منهم مضراً بمضري شفيت نفسي و قتلت معشري

أقول : قد ذكر البيتان في الديوان المنسوب إليه عليه السلام أيضاً و فيه « أعشوا » مكان « غشّوا » ، و« إني قتلت مضري بمصري » مكان المصراع الثالث : « و جذعت أنفي » مكان « شفيت نفسي » . ولكنّ الصريح من كلام أبي العباس محمّد بن يزيد المعروف بالمبرد المتوفى سنة ٢٨٥هـ في الكامل ص ١٢٦ ج ١ طبع مصر أنه عليه السلام

لم يقل كلامه على هيئة الشعر حيث قال :

حدّثني التّوزي قال : حدّثني محمد بن عباد بن حبيب بن المهلّب أحسبه عن أبيه قال : لمّا انقضى يوم الجمل خرج عليّ بن أبيطالب رضي الله عنه في ليلة ذلك اليوم ومعه قنبر وفي يده مشعلة من نار يتصفّح القتلى حتّى وقف على رجل ، قال التوزي : فقلت : أهوطلحة ؟ قال : نعم ؛ فلمّا وقف عليه قال : ياعزّ عليّ أبا محمد أن أراك معفّراً تحت نجوم السماء وفي بطون الأودية ، شفيت نفسي وقتلت معشري إلى الله أشكو عجري وبجري . انتهى قوله .

أقول : الظاهر أنّ غيره أخذ كلامه هذا وأدرجه في الشعر ، و قد نقلنا في المجلّد الأوّل من تكملة المنهاج (من ص ٣٠٦ - إلى ٣١٤) أبياتاً عديدة من ذلك الديوان أنها مما قالها غيره عليه السلام كما بيّناها بالشواهد والمآخذ ، وقد عثرنا على عدّة اُخرى منها بعد ذلك فخذها :

ما في ذلك الدّيوان من ثلاثة عشر بيتاً قالها في صفين :

لنا الراية السوداء يخفق ظلّها ... إذا قيل قدّمها حصين تقدما

إلى آخرها، فأتى بتمامها نصر بن مزاحم المنقري في كتاب صفّين (ص١٤٥ الطبع الناصري) وأسندها باسناده عن الحصين بن المنذر إليه عليه السلام، وقال الفاضل الشارح المعتزلي ابن ابي الحديد في شرحه على النهج : هكذا روى نصر بن مزاحم، و سائر الرواة رووا له عليه السلام الأبيات الستة الأولى و رووا باقي الأبيات من قوله « و قد صبرت عك ولخم » الخ - للحصين بن المنذر صاحب الراية .

واعلم أنّ البيت الثامن منه على ما في الديوان هو البيت الرابع في كتاب صفين . على أنّ بين نسختي صفين والديوان اختلافاً يسيراً في بعض عبارات الأبيات

وما في ذلك الدّيوان:

قد كنت ميتاً فصرت حيّاً ... وعن قليل تصير ميتاً

عز بدار الفناء بيت ... فأين دار البقاء بيتاً

ففي مادّة خضر من سفينة البحار نقل عن المناقب لابن شهر آشوب أنّ أمير المؤمنين عليه السلام رأى الخضر في المنام فسأله نصيحة قال: فأراني كفّه فإذا فيها مكتوب بالخضرة:

قد كنت ميتاً فصرت حيّاً ... وعن قليل تعود ميتاً

فابن لدار البقاء بيتاً ... ودع لدار الفناء بيتاً

وما في السيرة الهشامية (ص ٢٢٥ ج ٢ طبع مصر ١٣٧٥ هـ) فنقل عن ابن إسحاق أنه لما قتل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام عمرو بن عبدود في غزوة الخندق قال عليه السلام في ذلك:

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ... ونصرت ربّ محمّد بصوابي

فصددت حين تركته متجدّلا ... كالجذع بين دكادك وروابي

وعففت عن أثوابه لو إنني ... كنت المقطر بزّني أثوابي

لا تحسبنّ الله خاذل دينه ... ونبيّه يا معشر الأحزاب

ثمّ قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يشكّ فيها لعليّ بن أبي طالب عليه السلام

وما في الديّوان المنسوب اليه

لكلّ اجتماع من خليلين فرقة ... وكلّ الّذي دون الفراق قليل

وإنّ افتقادي فاطماً بعد أحمد ... دليل على أن لا يدوم خليل

فقال أبو العباس محمّد بن يزيد المعروف بالمبرد في (ص ٢٦٨ ج ٢ من كتابه الكامل طبع مصر): ويروى أنّ عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه تمثّل عند قبر فاطمة عليها السلام، ثمّ ذكر البيتين والمصراع الثاني من الأوّل فيه: «وإنّ الّذى دون الفراق قليل» والأوّل من الثاني: «وإنّ افتقادي واحداً بعد واحد».

وفي البيان والتبيين للجاحظ (ص ١٨١ ج ٣ طبع مصر ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ بتحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون): وقال الآخر:

ذكرت أبا أروى فبتّ كأنني ... بردّ أمور ماضيات وكيل

لكلّ اجتماع من خليلين فرقة ... وكلّ الّذي قبل الفراق قليل

وأنّ افتقادي واحداً بعد واحد دليل على أن لا يدوم خليل

وهو كما ترى لم يسمّ قائل الأبيات .

وقال عبدالسلام محمد هارون في الهامش : ذكر ابن الأنباري أنّ هذه الأبيات لعليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه حين دفن فاطمة رضي الله عنها . وقال ابن الأعرابي : إنها لشقران السلاماني . وفي الكامل ٧٢٤ ليبسك أن الشعر تمثّل به عليّ بن أبي طالب عند قبر فاطمة . وقد روى البحتريّ في حماسة ٢٢٣ البيتين الأخيرين . انتهى كلامه .

وما في ذلك الديوان :

الناس من جهة التمثال أكفاء أبوهم آدم والأمّ حوّاء

إلى آخر الأبيات فأسندها عبدالقاهر الجرجاني في أسرار البلاغة (ص٢١٤ طبع مصر ١٣١٩هـ) إلى محمد بن الرّبيع الموصلي ، وقيل : إنّها منسوبة إلى عليّ القيرواني كما في ذيل ص ٣٠٧ من كتاب « اخلاق محتشمى » المنسوب إلى المحقق الطوسي قدّس سرّه (طبع ايران ، الطبع الأول) وذكرناه في المجلّد الأوّل من تكملة المنهاج ص ٣٠٦. ولنعد إلى ما كنا بصدده :

ورإي ذلك اليوم من الجمل الّذي ركبته عائشة كلّ العجب ، و ذلك كما في إثبات الوصيّة للمسعودي واحتجاج الطبرسي وتاريخ الطبري وغيرها أنّه كلّما ابتزّ منه قائمه من قوائمه ثبت على الأخرى حتّى نادى أمير المؤمنين عليه السلام : اقتلوا الجمل فإنّه شيطان ، وتولّى محمد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر عقره بعد طول دمائه.

وقال المفيد في الجمل : روى ابراهيم بن نافع عن سعيد بن أبي هند قال : أخبرنا أصحابنا ممّن حضر القتال يوم البصرة أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قاتل يومئذ أشدّ القتال وسمعوه وهو يقول : تبارك الّذي أذن لهذه السيوف تصنع ما تصنع .

وقال فيه : روى الواقديّ قال : حدّثني عبدالله بن عمر بن عليّ بن أبي طالب قال : سمع أبي أصوات الناس يوم الجمل وقد ارتفعت فقال لابنه محمد : ما يقولون؟ قال : يقولون : يا ثارات عثمان ، قال : فشدّ عليهم و أصحابه يهشون في وجهه

يقولون : ارتفعت الشمس وهويقول : الصبر أبلغ حجة ، ثمّ قام خطيبا يتوكأعلى قوس عربية فحمدالله وأثنى عليه وذكرالنبيّ فصلّى عليه وقال :

« خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في اثناء حرب الجمل »

أمّا بعد فانّ الموت طالب حثيث لا يفوته الهارب ولا يعجزه ، فأقدموا ولا تنكلوا ، وهذه الأصوات الّتي تسمعوها من عدوّكم فشل واختلاف ، إنا كنّا نؤمر في الحرب بالصّمت ، فعضّوا على الناجذ ،واصبروا الوقع السيوف ، فوالّذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من موتة على فراشي ، فقاتلوهم صابروا محتسبين فانّ الكتاب معكم والسنّة معكم ، ومن كانا معه فهوالقويُّ ، اصدقوهم بالضرب فأيّ امرء أحسّ من نفسه شجاعة وإقداماً وصبراً عند اللّقاء فلايبطرنّه ، ولايرى أنّ له فضلاً على من هودونه ، وإن رأى من أخيه فشلاً وضعفاً فليذبّ عنه كما يذبُّ عن نفسه ، فانّ الله لو شاء لجعله مثله

أقول : أتى الرضيُّ رضوان الله عليه ببعض هذه الخطبة في النهج ، قوله : ومن كلام له عليه السلام قاله للأصحاب في ساعة الحرب : وأيّ امرء منكم أحسّ من نفسه الخ (الكلام ١٢٢ من باب الخطب من النهج) ، ونقله المفيد في الإرشاد ص ١١٤ طبع طهران ١٣٧٧ﻫ وبين النسخ اختلاف في الجملة .

ثمّ لمّا حمل أميرالمؤمنين عليه السلام الناكثين وحمل أعوانه معه فما كان القوم إلّا كرماد اشتدّت به الريح في يوم عاصف ، ولمّا رأت عائشة هزيمة القوم نادت يابنيّ الكرّة الكرّة اصبروا فانّي ضامنة لكم الجنّة،فحفّوا بهامن كلّ جانب ،واستقدموا حتّى دنوا من عسكر أميرالمؤمنين عليه السلام ، و لفّت عائشة نفسها ببردة كانت معها وقلبت يمينها على منكبها الأيمن إلى الأيسر والأيسر إلى الأيمن كماكان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل عند الإستسقاء ، ثمّ قالت : ناولوني كفّاً من تراب ، فناولوها فحثت به وجوه أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام وقالت : شاهت الوجوه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله بأهل بدر، ولمّا فعلت عائشة من السبّ المبرح وحصب أصحاب أميرالمؤمنين قال عليه السلام : وما رميت إذ رميت ولكنّ الشيطان رمى و ليعودن وبالك عليك

إن شاء الله تعالى .

قال المفيد في الجمل : روى محمد بن موسى عن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال : سمعت معاذ بن عبدالله التميمي وكان قد حضر الجمل يقول : لمّا التقينا و اصطففنا نادى منادي عليّ بن أبي طالب عليه السلام : يامعشر قريش اتّقوا الله على أنفسكم فإنّي أعلم أنكم قد خرجتم وظننتم أنّ الأمر لايبلغ إلى هذا ، فالله الله في أنفسكم فإنّ السيف ليس له بقيا ، فان أحببتم فانصرفوا حتّى نحاكم هؤلاء القوم ، و إن أحببتم فإليّ فإنّكم آمنون بأمان الله ، قال : فاستحيينا أشدّ الحياء وأبصرنا ما نحن فيه ولكنّ الحفاظ حملنا على الصبر مع عائشة حتّى قتل من قتل منّا ، فوالله لقد رأيت أصحاب عليّ عليه السلام وقد وصلوا إلى الجمل وصاح منهم صائح : اعقروه ، فعقروه ونادى عليّ عليه السلام : من طرح السلاح فهو آمن ، ومن دخل بيته فهو آمن ،فوالله ما رأيت أكرم عفواً منه .

وفي الامامة والسياسة للدّينوري . قال حية بن جهين : نظرت إلى عليّ عليه السلام وهو يخفق نعاساً فقلت له : تا الله ما رأيت كاليوم قطّ ، إنّ بإزائنا لمائة ألف سيف وقدهزمت ميمنتك وميسرتك وأنت تخفق نعاساً؟فانتبه ورفع يديه وقال :اللّهمّ إنك تعلم ما كتبت في عثمان سواداً في بياض وأنّ الزبير وطلحة ألّبا وأجلبا عليّ الناس،اللّهمّ أولانا بدم عثمان فخذه اليوم .

وفي مروج الذهب : قد كان أصحاب الجمل حملوا على ميمنة عليّ عليه السلام وميسرته فكشفوها فأتاه بعض ولد عقيل وعليّ عليه السلام يخفق نعاساً على قربوس سرجه فقال له : يا عمّ قد بلغت ميمنتك وميسرتك حيث ترى وأنك تخفق نعاساً ؟ قال : اسكت يا ابن أخي فإنّ لعمّك يوماً لايعدوه ،والله لايبالي عمّك وقع على الموت أو وقع الموت عليه

ثمّ بعث إلى ولده محمد ابن الحنفيّة و كان صاحب رايته : احمل على القوم فأبطأ محمد عليه وكان بإزائه قوم من الرّماة ينتظر نفاد سهامهم، فأتاه عليّ عليه السلام فقال: هلاّ حملت؟فقال: لاأجد متقدّماً إلاّ على سهم أوسنان وإني لمنتظر نفاد سهامهم وأحمل،فقال:

احمل بين الأسنة فإنّ للموت عليك جنّة، فحمل محمد فسكن بين الرماح والنشاب فوقف فأتاه عليٌّ فضرب بقائم سيفه و قال: أدركك عرق أمّك، و أخذ الراية وحمل وحمل الناس معه فما كان القوم إلاّ كرماد اشتدّت به الريح في يوم عاصف وطافت بنوأمّية بالجمل وقطع على خطام الجمل سبعون يداً من بني ضبّة، و رمي الهودج بالنشاب والنبل وعرقب الجمل و وقع الهودج والناس مفترقون يقتتلون.

ولمّا سقط الجمل و وقع الهودج جاء محمد بن أبي بكر فأدخل يده فقالت: من أنت؟ قال: أقرب الناس قرابة وأبغضهم إليك أنا محمد أخوك يقول لك أمير المؤمنين هل أصابك شيء؟ قالت: ما أصابني إلاّ سهم لم يضرّني.

فجاء عليٌّ عليه السلام حتّى وقف عليها فضرب الهودج بقضيب و قال: ياحميراء رسول الله أمرك بهذا؟ ألم يأمرك أن تقرّي في بيتك، والله ما أنصفك الّذين أخرجوك إذ صانوا عقائلهم و أبرزوك، وأمر أخاها محمداً فأنزلها في دار صفيّة بنت الحارث بن أبي طلحة العبدي وهي أمّ طلحة الطلحات، و وقع الهودج و الناس مفترقون يقتتلون، والتقى الأشتر بن مالك بن الحارث النخعيّ وعبدالله بن الزبير فاعتركا وسقطا إلى الأرض عن فرسيهما والناس حولهم يجولون وابن الزبير ينادي: اقتلوني و مالكاً، و اقتلوا مالكاً معي؛ فلايسمعهما أحد لشدّة الجلاد و وقع الحديد، ولايراهما راء لظلمة النقع وترادف العجاج، وجاء ذوالشهادتين خزيمة ابن ثابت إلى عليّ فقال، يا أمير المؤمنين لاتنكس اليوم رأس محمد واردد إليه الراية فدعا به وردّ عليه الراية وقال:

اطعنهم طعن أبيك تحمد　　لاخير في حرب إذا لم توقد

بالمشرفيّ و القنا المسرّد

ثمّ استسقى فأُتي بعسل وماء فحسا منه حسوة وقال: هذا الطائفيُّ وهو غريب البلد فقال له عبدالله بن جعفر: ماشغلك ما نحن فيه عن علم هذا؟ قال: إنه والله يا بنيّ ما ملأ بصدر عمّك شيء قطّ من أمر الدنيا، ثمّ دخل عليه السلام البصرة وكانت الواقعة في الموضع المعروف بالخريبة يوم الخميس لعشر خلون من جمادى

الآخرة سنة ستّ وثلاثين .

وقال الدينوريّ : فشقّ عليّ في عسكر القوم يطعن ويقتل ثمّ خرج وهو يقول الماء الماء ، فأتاه رجل بأداوة فيها عسل فقال له : يا أمير المؤمنين أمّا الماء فإنّه لا يصلح لك في هذا المقام ولكن أذوقك هذا العسل فقال : هات ، فحسا منه حسوة ثمّ قال : إنّ عسلك لطائفيّ ، قال الرّجل : لعجباً منك والله يا أمير المؤمنين لمعرفتك الطائفيّ من غيره في هذا اليوم وقد بلغت القلوب الحناجر ، فقال له عليّ عليه السلام : إنه والله يا ابن أخي ما ملأ صدر عمّك شيء قطّ ولا هابه شيء ، ثمّ أعطى الراية لابنه محمّد وقال : هكذا فاصنع فاقتتل الناس ذلك اليوم قتالاً شديداً وكانوا كذلك يروحون ويغدون على القتال سبعة أيّام وإنّ عليّاً خرج إليهم بعد سبعة أيّام فهزمهم .

«قتل الزبير بن العوام»

كان الزّبير ممّن ولّى يوم الجمل مدبراً وعدّه الطبريّ في التاريخ ممّن انهزم يوم الجمل فاختفى و مضى في البلاد قال : كتب إليّ السريّ عن شعيب عن سيف عن محمّد وطلحة قالا : ومضى الزبير في صدر يوم الهزيمة راجلاً نحو المدينة فقتله ابن جرموز ، وممّن ولّى مدبراً مروان بن الحكم وأوى إلى أهل بيت من عنزة وعدّ نفراً كثيراً منهم في تاريخه .

وقد تظافرت الأخبار عن الفريقين أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام خرج بنفسه حاسراً على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله الشهباء بين الصفين ، فنادى يا زبير اخرج إليّ فخرج شائكاً في سلاحه فدنا إليه حتى اختلفت أعناق دابّتيهما فقال له عليّ : ويحك يا زبير ما الّذي أخرجك ؟ قال : دم عثمان ، قال : قتل الله أولانا بدم عثمان أما تذكر يوماً لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله في بني بياضة وهو راكب حماره فضحك إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وضحكت أنت معه فقلت أنت : يا رسول الله ما يدع عليّ زهوه فقال لك: ليس به زهو ، أتحبّه يا زبير ؟ فقلت: إني والله لأحبّه فقال لك : إنّك

والله ستقاتله وأنت له ظالم .

فقال الزبير : أستغفر الله لو ذكرتها ما خرجت ، فقال عليه السلام : ياز بير ارجع فقال : وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان ، هذا والله العار الّذي لايغسل فقال : يا زبير ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار ،فانصرف الزبير ودخل على عائشة فقال : يا اُمّاه ما شهدت موطناً قطّ في الشرك ولافي الإسلام إلاّ ولي فيه رأي وبصيرة غير هذا الموطن ، فانّه لا رأي لي فيه ولابصيرة ، وعلى نقل الدينوري في الامامة والسياسة قال :وإني لعلى باطل ،قالت له عائشة :يا أباعبدالله خفت سيوف بني عبدالمطلب، فقال: أما والله إنّ سيوف بني عبدالمطلب طوال حداد يحملها فتية أنجاد.

وقال المسعودي في مروج الذهب : ولمارجع الزبير عن الحرب قال ابنه عبدالله : أين تدعنا ؟ فقال :يا بنيّ أذكرني أبوحسن بأمر كنت قد أنسيته قال : بل خفت سيوف بني عبدالمطلب فانها طوال حداد يحملها فتيـة أنجاد فقال : لا والله ولكني ذكرت ما أنسانيه الدّهر فاخترت العار على النار أبا لجبن تعيّرني لا أبا لك ؟ ثمّ أمال سنانه وشدّ في الميمنة فقال عليّ عليه السلام : افرجوا له فقدها جوه ثمّ رجع فشدّ في الميسرة،ثمّ رجع فشدّ في القلب،ثمّ عاد إلى ابنه فقال:أيفعل هذا جبان.

وقال الدينوري: إنّ الزبير قال لابنه عبدالله حينئذ : عليك بحربك ، أمّا أنا فراجع إلى بيتي ، فقال له ابنه عبدالله : الآن حين التقت حلقتا البطان واجتمعت الفئتان ، والله لانغسل رؤسنا منها ، فقال الزبير لابنه : لاتعد هذا منّي جبنا،فوالله ما فارقت أحداً في جاهلية و لا إسلام ، قال : فما يردّك ؟ قال : يردّني ما إن علمته كسرك .

ثمّ انصرف الزبير راجعاً إلى المدينة حتى أتى وادي السباع و الأحنف بن قيس معتزل في قومه من بني تميم ، فأتاه آت فقال له : هذا الزّبير مارّ. فقال : ما أصنع بالزّبير ؟ وقد جمع بين فئتين عظيمتين من الناس يقتل بعضهم بعضاًوهو مارّ إلى منزله سالماً .

فلحقه نفر من بني تميم فسبقهم إليه عمرو بن جرموز التميمي فقال للزبير :

يا أباعبدالله أحييت حرباً ظالماً أومظلوماً ثمّ تنصرف ؟أتائبأنتأم عاجز ؟فسكت عنه ، ثمّ عاوده فقال له : يا أباعبداللهحدّثني عن خصال خمس أسألك عنها ، فقال: هات . قال : خذلك عثمان ، وبيعتك علياً ، وإخراجك اُمّالمؤمنين ، وصلاتكخلف ابنك ، ورجوعك عن الحرب .

فقال الزبير : نعم اُخبرك أمّا خذلي عثمان فأمر قدّرالله فيه الخطيئةوأخّر التوبة ، و أمّا بيعتي علياً فوالله ما وجدت من ذلك بدّاً حيث بايعه المهاجرون والأنصار وخشيت القتل ،وأمّا إخراجنا اُمّنا عائشة فأردناأمراً وأراد الله غيره، وأمّا صلاتي خلف ابني فإنما قدّمته عائشة اُمّ المؤمنين و لم يكنلي دون صاحبي أمر وأمّا رجوعي عن هذا الحرب فظنّ بي ما شئت غيرالجبن .

فقال ابن جرموز : والهفا على ابنصفيّة أضرم ناراً ثمّ أراد أنيلحقبأهله قتلني الله إن لم أقتله وسار معه ابن جرموز وقد كفر على الدّرع ، فلمّا انتهى إلى وادي السباع استغفله فطعنه .

وقال المسعودي في مروج الذهب : وقد نزل الزبير إلى الصلاة فقال لابن جرموز : أتؤمّني أو أؤمّك ؟ فأمّه الزّبير فقتله عمرو فيالصلاة ، وأتى عمرو علياً بسيف الزبير وخاتمه ورأسه وقيل : إنه لم يأت برأسه فقال عليّ عليه السلام : سيف طال ما جلى به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولكن الحين ومصارع السوء،وقاتل ابن صفيّة في النار ، ففي ذلك يقول ابن جرموز :

أتيت علياً برأس الزبير — و كنت اُرجّي به الزلفة
فبشّر بالنّار قبل العيان — و بئس بشارة ذي التحفة
فقلت إنّ قتل الزبير — لو لا رضاك من الكلفة
فان ترض ذلك فمنكالرضا — و إلاّ فدونك لي حلفة
و ربّ المحلّين والمحرمين — و ربّ الجماعة و الاُلفة
لسيّان عندي قتل الزبير — وضرطة عنز بذي الجحفة

«قتل طلحة»

في الكافي : قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته يوم الجمل : وا عجباً لطلحة

ألّب الناس على ابن عفان حتّى إذا قتل أعطاني صفقته بيمينه طائعاً ، ثمّ نكث بيعتي اللّهمّ خذه ولاتمهله ، وأنّ الزبير نكث بيعتي وقطع رحمي وظاهر على عدوّي فاكفنيه اليوم بما شئت .

وقال الدينوري في الامامة والسياسة : إنّ القوم اقتتلوا حول الجمل حتّى حال بينهم اللّيل وكانوا كذلك يروحون ويغدون على القتال سبعة أيّام وأنّ عليّاً خرج إليهم بعد سبعة أيّام فهزمهم ، فلمّا رأى طلحة ذلك رفع يديه إلى السماء وقال : إن كنّا قد داهنّا في أمر عثمان وظلمناه فخذله اليوم منّا حتى ترضى، فما مضى كلامه حتّى ضربه مروان ضربة أتى منها على نفسه فخرّ .

قال الطبري في التاريخ (ص٥٣٤ ج٣ طبع مصر ١٣٥٧هـ) كتب إليّ السري عن شعيب عن سيف عن اسماعيل بن أبي خالد عن حكيم بن جابر قال : قال طلحة يومئذ ـ أي يوم حرب الجمل ـ اللّهمّ أعط عثمان منّي حتّى يرضى ، فجاء سهم غرب وهو واقف فخل ركبته بالسرج وثبت حتى امتلاء موزجه دماً ، فلمّا ثقل قال لمولاه : اردفني وابغني مكاناً لاأُعرف فيه ، فلم أر كاليوم شيخاً أضيع دماً ، فركب مولاه وأمسكه وجعل يقول : قد لحقنا القوم حتى انتهى به إلى دار من دور البصرة خربة وأنزله في فيئها ، فمات في تلك الخربة ودفن في بني سعد . انتهى .

وقال المفيد في الجمل : روى اسماعيل بن عبد الملك عن يحيى بن شبل عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السلام قال : حدّثني أبي عليّ زين العابدين عليه السلام قال : قال لي مروان بن الحكم : لمّا رأيت الناس يوم الجمل قد كشفوا قلت والله لأُدركنّ ثاري ولأفوزنّ منه الآن ، فرميت طلحة فأصبت نساه ، فجعل الدّم ينزف ، فرميته ثانية فجاءت به فأخذوه حتّى وضعوه تحت شجرة فبقي تحتها ينزف منه الدّم حتى مات .

وفي مروج الذهب للمسعودي بعد ما رجع الزبير عن الحرب نادى عليّ عليه السلام طلحة حين رجع الزّبير : يا أبا محمّد ما الّذي أخرجك ؟ قال : الطلب بدم عثمان . قال عليّ عليه السلام : قتل الله أولانا بدم عثمان ، أما سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول :

اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه ؟ وأنت أوّل من بايعني ثمّ نكثت ، وقد قال الله عزّ وجلّ « ومن نكث فانّما ينكث على نفسه » فقال : أستغفر الله ثمّ رجع ، فقال مروان بن الحكم : رجع الزبير و يرجع طلحة ما اُبالي رميت ههنا أم ههنا فرماه في أكحله فقتله ، فمرّ به عليّ عليه السلام بعد الوقعة في موضعه في قنطرة قرة فوقف عليه فقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون والله لكنت كارهاً لهذا أنت والله كما قال القائل :

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه		إذا ما هو استغنى و يبعده الفقر
كأنّ الثريا علّقت في يمينـه		وفي خدّه الشعرى وفي الآخر البدر

وذكر أنّ طلحة لما ولّى سمع وهو يقول :

ندمت ندامة وضلّ حلمي		ولهفي ثمّ لهف أبي و اُمّي
ندمت ندامة الكسعي لمّا		طلبت رضا بني حزم بزعمي

وهو يمسح عن جبينه الغبار وهو يقول : وكان أمر الله قدراً مقدوراً . وقيل : إنه سمع ويقول هذا الشعر وقد جرحه في جبهته عبدالملك ورماه مروان في أكحله وقد وقع صريعاً يجود بنفسه .

ونقل الطبرسي في الاحتجاج عن نصر بن مزاحم أنّ قتل طلحة كان قبل قتل الزّبير فانه قال : روى نصر بن مزاحم أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام حين وقع القتال وقتل طلحة تقدّم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله الشهباء بين الصفين فدعا الزبير فدنا إليه ـ الخ .

قال : وروي أيضاً أنّ مروان بن الحكم يوم الجمل كان يرمي بسهامه فـي العسكرين معاً ويقول : أصبت أيّاً منهما فهو فتح لقلة دينه و تهمته للجميع

بيان : الكسع بالضم فالفتح حيّ من اليمن و منه قولهم ندامة الكسعي . قال الميداني في مجمع الأمثال في بيان مثلهم : أندم من الكسعي ما هذا لفظه : قال حمزة : هو رجل من كسعة و اسمه محارب بن قيس ، وقال غيره : هو من بني كسع ثمّ من بني محارب و اسمه غامد بن الحارث ومن حديثه أنه كان

يرعى إبلاً له بوادٍ معشب فبينا هو كذلك إذ ابصر بنبعة في صخرة فأعجبته فقال : ينبغي أن يكون هذه قوساً ، فجعل يتعهّدها ويرقبها حتى أدركت قطعها و جفّفها فلمّا جفّت اتّخذت منها قوساً و أنشأ يقول :

يا ربّ وفقني لنحت قوسي — فانها من لذّتي لنفسي
وانفع بقوسي ولدي و عرسي — أنحتها صفراء مثل الورس
صفراء ليست كقسيّ النّكس

ثمّ دهنها وخطمها بوتر ثمّ عمد إلى مكان من برايتها فجعل منه خمسة أسهم وجعل يقلّبها في كفّه ويقول :

هنّ و ربّي أسهم حسان — تلذّ للرامي بها البنان
كأنّما قوّمها ميزان — فابشروا بالخصب ياصبيان
إن لم يعقني الشوم والحرمان

ثمّ خرج حتّى أتى قترة على موارد حمر فكمن فيها ، فمرّ قطيع منها فرمى عيراً منها فأمخطه السهم أي أنفذه فيه و جازه و أصاب الجبل فأورى ناراً فظنّ أنّه أخطأ فأنشأ يقول :

أعوذ بالله العزيز الرحمن — من نكد الجدّ معاً والحرمان
مالي رأيت السهم بين الصّوان — يوري شراراً مثل لون العقيان
فأخلف اليوم رجاء الصّبيان

ثمّ مكث على حاله فمرّ قطيع آخر فرمى عيراً منها فأمخطه السهم و صنع صنيع الأوّل فأنشأ يقول :

لا بارك الرّحمن في رمي القتر — أعوذ بالخالق من سوء القدر
أأمخط السهم لازهاق الضرر — أم ذاك من سوء احتيال ونظر

ثمّ مكث على حاله فمرّ قطيع آخر فرمى عيراً منها فأمخطه السهم و صنع صنيع الثاني فأنشأ يقول :

ما بال سهمي يوقد الحبا حبا — قد كنت أرجو أن يكون صائباً
و أمكن العير و ولّى جانباً — فصار رأيي فيه رأياً خائباً

ثمّ مكث مكانه فمرّ به قطيع آخر فرمى عيراً منها فصنع صنيع الثالث فأنشأ يقول:

يا أسفاً للشوم و الجدّ النكد   أخلف ما أرجو لأهل و ولد

ثمّ مرّ به قطيع آخر فرمى عيراً منها فصنع صنيع الرابع فأنشأ يقول:

أبعد خمس قد حفظت عدّها   أحمل قوسي و أُريد ردّها
أخزى الاله لينها و شدّها   والله لا تسلم عندي بعدها
و لا أُرجّي ما حييت رفدها

ثمّ عمد إلى قوسه فضرب بها حجراً فكسّرها، ثمّ بات فلمّا أصبح نظر فاذاً الحمر مطرّحة حوله مصرعة وأسهمه بالدّم مضرّجة فندم على كسر القوس فشدّ على إبهامه فقطعها وأنشأ يقول:

ندمت ندامة لو أنّ نفسي   تطاوعني إذا لقطعت خمسي
تبيّن لي سفاء الرأي منّي   لعمر أبيك حين كسرت قوسي

قال الفرزدق:

ندمت ندامة الكُسعي لمّا   غدت منّي مطلّقة نوار
وكانت جنّتي فخرجت منها   كآدم حين لجّ به الضرار
وكنت كفاقيء عينيه عمداً   فأصبح ما يضيء له النهار
ولو إنّي ملكت يدي وقلبي   لكان عليّ للقدر الخيار

وقال آخر:

ندمت ندامة الكسعي لمّا   رأت عيناه ما صنعت يداه

وقال علم الهدى في الشافي: إنّ طلحة تمثّل بهذا البيت، وروى المفيد في آخر الجمل مسنداً أنّ طلحة لمّا قدم مكّة بعد قتل عثمان وبيعته علياً عليه السلام وقبل حرب الجمل جاء إلى عائشة فلمّا رأته قالت: يا أبا محمّد قتلت عثمان و بايعت علياً فقال لها: يا أُمّاه مثلي كما قال الشاعر:

ندمت ندامة الكسعي لمّا   رأت عيناه ما صنعت يداه

«بحث كلامي»

قد بيّن في المجلد الأول من تكملة المنهاج(ص ٣٦٧ـ ٣٧٩) أنّ محاربي عليّ ومنهم أصحاب صفين والجمل كفرة ، وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يسر فيهم بسيرة الكفار ، لأنّ التساوي في الكفر لا يوجب التساوي في جميع أحكامه ، لأنّ أحكام الكفر مختلفة ، فحكم الحربي خلاف حكم الذمّي ، و حكم أهل الكتاب خلاف حكم من لا كتاب له ، من عبّاد الأصنام ، فانّ أهل الكتاب يؤخذ منهم الجزية ويقرّون على أديانهم ، ولا يفعل ذلك بعبّاد الأصنام ، وحكم المرتدّ بخلاف حكم الجميع ، وإذا كان أحكام الكفر مختلفة مع الاتفاق في كونه كفراً لا يمتنع أن يكون من حاربه عليه السلام كافراً وإن سار فيهم بخلاف أحكام سائر الكفار كما سنتلو عليك طائفة من سيرته عليه السلام في أصحاب الجمل، وفعله عليه السلام حجّة في الشرع بما ثبت من إمامته وعصمته فيجب أن يكون سيرته فيهم هو الّذي يجب العمل به .

فان قلت : فما الوجه فيما نقل من الفريقين أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال : قاتل ابن صفيّة في النّار ، ثمّ إنّ رجوعه عن الحرب يدلّ على توبته فلا يشمله أحكام المحاربين ، على أنّ الزبير كان من العشرة المبشّرة بالجنة ، و كذلك الكلام في طلحة أنّ قوله : ندمت ندامة الكسعي يدلّ على أنّه تاب و كان من العشرة أيضاً ؟ .

قلت : قد أورد كثيراً من هذه الاعتراضات القاضي عبد الجبّار في المغني وأجابها علم الهدى الشريف المرتضى في الفصل الأخير من الشافي بما لا مزيد عليه ومن نظر في تلك الأجوبة نظر دقّة وتأمّل لرأى أنّها شافية كافية ، و ذكر بعض تلك الأسألة وأجوبتها في الزبير خاصة في كتابه الموسوم بتنزيه الأنبياء، و كأنّ ما أتى به فيه هو خلاصة ما فصّله في الشافي وقد صنف الشافي قبله ، قال :

فان قيل : فما الوجه فيما ذكره النظام من أنّ ابن جرموز لمّا أتى أمير المؤمنين عليه السلام برأس الزبير وقد قتله بواد السباع قال أمير المؤمنين عليه السلام: والله كان ابن صفيّة بجبان ولا لئيم ولكنّ الحين ومصارع السوء ، فقال ابن جرموز:

الجائزة يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: سمعت النّبي صلى الله عليه وآله يقول: بشر قاتل ابن صفيّة بالنّار، فخرج ابن جرموز وهو يقول شعراً: أتيت علياً برأس الزبير إلى آخر الأبيات، وقد كان يجب على علي عليه السلام أن يقيده بالزّبير وكان يجب على الزبير إن بان له أنه على خطاء أن يلحق بعلي عليه السلام فيجاهد معه؟.

الجواب: أنّه لاشبهة في أنّ الواجب على الزبير أن يعدل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وينحاز إليه ويبذل نصرته لاسيما إذا كان رجوعه على طريق التوبة والانابة، ومن أظهر ما أظهر من المباينة والمحاربة إذا تاب وتبين خطاؤه يجب عليه أن يظهر ضدّ ما كان أظهره لاسيّما وأمير المؤمنين عليه السلام في تلك الحال مصاف لعدوّه و محتاج إلى نصرة من هو دون الزبير في الشجاعة والنجدة، قال: وليس هذا موضع استقصاء ما هو يتصل بهذا المعنى، وقد ذكرناه في كتابنا الشافي.

فأمّا أمير المؤمنين عليه السلام فانّما عدل أن يقيد ابن جرموز بالزبير لأحد أمرين إن كان ابن جرموز قتله غدراً وبعد أن آمنه، أوقتله بعد أن ولّى مدبراً وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام أمر أصحابه أن لايتبعوا مدبراً ولا يجهّزوا على جريح، فلمّا قتل ابن جرموز الزبير مدبراً كان بذلك عاصياً مخالفاً لأمر إمامه عليه السلام، فالسبب في أنه عليه السلام لم يقده به أنّ أولياء الدّم الّذين هم أولاد الزبير لم يطالبوا بذلك ولا حكموا فيه، وكان أكبرهم والمنظور إليه عبدالله محارباً لأمير المؤمنين عليه السلام مجاهراً له بالعداوة و المشاقة فقد أبطل بذلك حقه، لأنّه لو أراد أن يطالب به لرجع عن الحرب وبايع وسلم ثمّ طالب بعد ذلك فانتصف له منه.

وإن كان الأمر الآخر وهو أن يكون ابن جرموز ما قتل الزبير إلاّ مبارزة بغير غدر ولا أمان تقدّم على ما ذهب إليه قوم، فلايستحقّ بذلك قوداً ولا مسألة ههنا في القود.

فان قيل: على هذا الوجه ما معنى بشارته بالنار؟

قلنا: المعنى فيها الخبر عن عاقبة أمره لأنّ الثواب والعقاب إنما يحصلان علي عواقب الأعمال و خواتيمها، و ابن جرموز هذا خرج مع أهل النهر على

أمير المؤمنين عليه السلام فقتل هناك ، فكان بذلك الخروج من أهل النار لا بقتل الزبير .

فإن قيل : فأيّ فائدة لإضافة البشارة بالنار إلى قتل الزبير و قتله طاعة وقربة ، وإنما يجب أن يضاف البشارة بالنار إلى ما يستحقّ به النار ؟ .

قلنا : عن هذا جوابان :

أحدهما أنّه صلّى الله عليه وآله أراد التعريف و التنبيه و إنما يعرف الإنسان بالمشهور من أفعاله والظاهر من أوصافه ، وابن جرموز كان غفلاً خاملاً وكان فعله بالزبير من أشهر ما يعرف به مثله ، وهذا وجه في التعريف صحيح .

و الجواب الثاني أنّ قتل الزبير إذا كان باستحقاق على وجه الصواب من أعظم الطاعات وأكبر القربات ، ومن جرى على يده يظنّ به الفوز بالجنّة ،فأراد عليه السّلام أن يعلّم الناس أنّ هذه الطاعة العظيمة الّتي يكثر ثوابها إذا لم تعقّب بما يفسده غير نافعة لهذا القاتل ، وأنه سيأتي من فعله في المستقبل ما يستحقّ به النار ، فلا تظنّوا به لما اتّفق على يده من هذه الطاعة خيراً .

وهذا يجري مجرى أن يكون لأحدنا صاحب خصيص به خفيف في طاعته مشهور بنصيحته فيقول هذا المصحوب بعد برهة من الزّمان لمن يريد إطرافه وتعجيبه : أوليس صاحبي فلان الّذي كانت له من الحقوق كذا و كذا و بلغ من الاختصاص بي إلى منزلة كذا قتلته وأبحت حريمه وسلبت ماله وإن كان ذلك إنما استحقّه بما تجدّدمنه في المستقبل ، وإنما عرف بالحسن من أعماله على سبيل التعجب وهذا واضح . انتهى .

وقال في الشافي : وأمّا الكلام في توبة طلحة فهو على المخالف أضيق وأحرج من الكلام في توبة الزبير ، لأنّ طلحة قتل بين الصفين وهو مباشر للحرب مجتهد فيها و لم يرجع عنها حتّى أصابه السهم فأتى على نفسه ، و ادّعاء توبة مثل هذا مكابرة .

فأمّا قوله أنه لمّا أصابه السهم أنشد البيت الّذي ذكره وأنّه يدلّ على توبته فبعيد من الصواب ، بل البيت المرويّ بأنه يدلّ على خلاف التوبة أولى ، لأنّه

جعل ندمه مثل ندامة الكسعي ، وخبر الكسعي معروف لأنه ندم حيث لا ينفعه الندامة وحيث فات الأمر وخرج عن يده ، ولو كان ندم طلحة واقعاً على وجه التوبة الصحيحة لم يكن مثل ندامة الكسعي ، بل كان شبيهاً لندامة من تلافى ما فرّط على وجه ينتفع به .

ثمّ أخذ بردّ ما تمسّك بها القاضي عبدالجبار في توبته وتصحيح عمله فراجع فانه رحمه الله أفاد بما هو فوق المراد .

أقول : لا يخفى أنّ طلحة قال البيت في حال كان يجود فيها بنفسه ولا يقبل التوبة في مثل تلك الحال كما حققناه في المجلّد الأول من التكملة .

وأمّا كونهما من العشرة المبشّرة بالجنّة ففي الاحتجاج نقلاً عن سليم بن قيس الهلالي : لما التقى أمير المؤمنين عليه السلام أهل البصرة يوم الجمل نادى الزبير يا أبا عبدالله اخرج إليّ ، فخرج الزّبير ومعه طلحة ، قال : والله إنكما لتعلمان واُولو العلم من آل محمّد وعائشة بنت أبي بكر أنّ كلّ أصحاب الجمل ملعونون على لسان محمّد صلى الله عليه وآله وقد خاب من افترى ، قال الزبير : كيف نكون ملعونين ونحن أهل الجنّة ؟ فقال عليّ عليه السلام : لو علمت أنكم من أهل الجنّة لما استحللت قتالكم ؛ فقال له الزبير : أما سمعت حديث سعيد بن عمرو بن نفيل وهو يروي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : عشرة من قريش في الجنّة ؟ قال عليّ عليه السلام : سمعته يحدّث بذلك عثمان في خلافته ، فقال الزبير : أفتراه كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال له عليّ عليه السلام : لست اُخبرك بشيء حتّى تسمّيهم ، قال الزبير : أبو بكر وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وعبدالرحمن بن عوف ، و سعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعيد بن عمرو بن نفيل ؛ فقال له عليّ عليه السلام : عددت تسعة فمن العاشر ؟ قال له : أنت ؛ قال له عليّ عليه السلام : أمّا أنت فقد أقررت أنّي من أهل الجنّة ، وأمّا ما ادّعيت لنفسك وأصحابك فأنا به من الجاحدين الكافرين قال له الزبير : أفتراه كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : ما أراه كذب ولكنّه والله اليقين ، فقال عليّ عليه السلام والله إنّ بعض من سمّيته لفي تابوت في شعب في جبّ في أسفل

درك من جهنّم على ذلك الجبّ صخرة إذا أراد الله أن يسعّر جهنّم رفع تلك الصخرة سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله، وإلاّ أظفرك الله بي وسفك دمي على يديك، وإلاّ أظفرني الله عليك وعلى أصحابك وعجّل أرواحكم إلى النار، فرجع الزبير إلى أصحابه وهو يبكي.

وروى حسين الأشقر، عن أبي يعقوب يوسف البزاز، عن جابر، عن أبي جعفر محمّد بن علي عليهما السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لما مرّ على طلحة بين القتلى قال: اقعدوه فاُقعد فقال عليه السلام: إنه كانت لك سابقة ولكنّ الشيطان دخل في منخريك فأوردك النّار.

وروى المفيد في الجمل مثل كلامه ذلك في الزّبير أيضاً أنّ امير المؤمنين عليه السلام لما رأى رأس الزّبير وسيفه قال للأحنف الّذي جاء برأسه إليه عليه السلام: ناولني السيف، فناوله فهزّه وقال: سيف طالما قاتل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن الحين ومصارع السوء، ثمّ تفرّس في وجه الزّبير وقال: لقد كان لك برسول الله صلى الله عليه وآله صحبة ومنه قرابة، ولكن دخل الشيطان منخرك فأوردك هذا المورد. ومن أراد أكثر من ذلك فعليه بالشافي.

« كلامه عليه السلام حين قتل طلحة وتفرق الناس »

قال الشيخ المفيد قدّس سرّه في الارشاد: ومن كلامه عليه السلام حين قتل طلحة وانفضّ أهل البصرة: بنا تسنّمتم الشرف، وبنا انفجرتم. الخ (ص١٢١ طبع طهران ١٣٧٧ هـ).

وذكر كلامه هذا في النهج أيضاً وهو الخطبة الرابعة منه وبين النسختين اختلاف في الجملة إلاّ أنّ في ذيلهما بوناً بعيداً.

فما في النهج: غرب رأي امرىء تخلّف عنّي، ما شككت في الحقّ مذ اُريته لم يوجس موسى خيفة على نفسه، أشفق من غلبة الجهّال ودول الضّلال، اليوم تواقفنا على سبيل الحقّ والباطل، من وثق بماء لم يظمأ.

وما في الارشاد غرب فهم امرىء تخلّف عنّي، ما شككت في الحقّ منذ اُريته

كان بنو يعقوب على المحجّة العظمى حتى عقّوا أباهم وباعوا أخاهم ، وبعد الاقرار كانت توبتهم وباستغفار أبيهم وأخيهم غفر لهم .

« كلام أمير المؤمنين عليه السلام عند تطوفه على القتلى وتكليمه اياهم »

نقل كلامه عليه السلام عند تطوّفه على القتلى الشيخ الأجلّ المفيد في الجمل والارشاد وبعضه العالم الجليل الطبرسي في الاحتجاج و ذكر طائفة منه في غيرهما من الجوامع :

ففي الجمل لمّا انجلت الحرب بالبصرة وقتل طلحة والزبير و حملت عائشة إلى قصر بني خلف ركب أمير المؤمنين عليه السلام وتبعه أصحابه وعمّار بن ياسر رحمه الله يمشي مع ركابه حتّى خرج إلى القتلى يطوف عليهم ، فمرّ بعبدالله بن خلف الخزاعي وعليه ثياب حسان مشهرة فقال الناس : هذا والله رأس الناس ، فقال عليه السلام : ليس برأس الناس ولكنّه شريف منيع النفس .

ثمّ مرّ بعبدالرّحمن بن عتاب بن أسيد فقال : هذا يعسوب القوم و رأسهم كما تروه ، ثمّ جعل يستعرض القتلى رجلاً رجلاً ، فلمّا رأى أشراف قريش صرعى في جملة القتلى قال :

جدعت أنفي أما والله إن كان مصرعكم لبغيضاً إليّ و لقد تقدّمت إليكم وحذّرتكم عضّ السيوف و كنتم أحداثاً لاعلم لكم بما ترون ، ولكن الحين ومصارع السوء ونعوذ بالله من سوء المصرع .

وفي مروج الذّهب : و وقف عليه السلام على عبدالرّحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن اُميّة وهو قتيل يوم الجمل فقال :

لهفي عليك يعسوب قريش قتلت الغطاريف من بني عبد مناف شفيت نفسي وجدعت أنفي ، فقال له الأشتر : ما أشدّ جزعك عليهم يا أمير المؤمنين ، وقد أرادوا بك ما نزل بهم ؟ فقال لي : إنه قامت عني وعنهم نسوة لم يقمن عنك .

قال : واُصيب كفّ ابن عتاب بمنى ألقاها عقاب و فيها خاتم نقشه : عبد الرّحمن بن عتاب ، و كان اليوم الّذي وجد فيه الكفّ بعد يوم الجمل بثلاثة أيام .

أقول : الظاهر أنّ قصة الكفّ لاتخلو من اختلاق وفرية وإن نقلها أبو جعفر الطبري أيضاً .

ثمّ سار حتّى وقف على كعب بن سور القاضي وهو مجدّل بين القتلى وفي عنقه المصحف فقال : نحّوا المصحف وضعوه في مواضع الطهارة ، ثمّ قال : اجلسوا لي كعباً فأُجلس ورأيته ينخفض إلى الأرض فقال : يا كعب بن سور. قد وجدت ما وعدني ربّي حقاً فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً ؟ ثمّ قال : اضجعوا كعباً .

وقال في الارشاد : ثمّ مرّ بكعب بن سور فقال : هذا الّذي خرج علينا في عنقه المصحف يزعم أنّه ناصر أُمّه يدعو الناس إلى ما فيه وهو لايعلم ما فيه، ثمّ استفتح فخاب كلّ جبّار عنيد أما إنه دعا الله أن يقتلني فقتله الله ، اجلسوا كعب بن سور فأُجلس فقال له: يا كعب لقد وجدت.الخ .

وقال الطبرىّ في التاريخ : قد كان كعب بن سور أخذ مصحف عائشة فبدر بين الصفين يناشدهم الله عزّوجلّ في دمائهم واعطى درعه فرمى بها تحته واتي بترسه فتنكّبه فرشقوه رشقاً واحداً فقتلوه فكان أوّل مقتول بين يدي عائشة من أهل الكوفة ثمّ روى عن مخلّد بن كثير عن أبيه قال : أرسلنا مسلم بن عبدالله يدعو بني أبينا فرشقه أصحاب الجمل رشقاً واحداً كما صنع بكعب فقتلوه فكان أوّل من قتل بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام .

ثمّ مرّ عليه السلام بطلحة بن عبيدالله فقال : هذا الناكث بيعتي و المنشىء الفتنة في الأُمّة والمجلب عليّ والدّاعي إلى قتلي وقتل عترتي اجلسوا طلحة بن عبيدالله فأُجلس فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : يا طلحة قد وجدت ما وعدني ربّي حقاً فهل وجدت ما وعدك ربك حقا ، ثمّ قال : اضجعوا طلحة و سار فقال له بعض من كان معه : يا أمير المؤمنين أتكلّم كعباً وطلحة بعد قتلهما ؟ فقال : أم والله لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر، ولو أذن لهما في الجواب لرأيت عجباً، ويعني بالقليب بئر بدر .

وقد مضى كلامه عليه السلام لما مرّ بطلحة وعبدالرحمن بن عتاب بن أسيد وهما

قتيلان يوم الجمل :لقد أصبح أبو محمد بهذا المكان غريباً أما والله لقد كنت ـ الخ . (الكلام ٢١٧ من باب الخطب) .

ومرّ عليه السلام بمعيد بن المقداد بن عمر وهو في الصرعى فقال عليه السلام : رحم الله أبا هذا إنما كان رأيه فينا أحسن من رأي هذا ، فقال عمّار : الحمد لله الّذي أوقعه وجعل خدّه الأسفل إنّا والله يا أمير المؤمنين لانبا لي عمّن عند عن الحقّ من ولد و والد ، فقال عليه السلام:رحمك الله يا عمّار وجزاك الله عن الحقّ خيراً .

ومرّ بعبدالله بن ربيعة بن درّاج وهو في القتلى فقال : هذا البائس ما كان أخرجه ؟ أدين أخرجه أم نصر لعثمان ؟ والله ما كان رأي عثمان فيـه ولا في أبيه بحسن .

ثمّ مرّ بمعيدبن زهيربن أبي اُمية فقال : لوكانت الفتنة برأس الثريّا لتناولها هذا الغلام ، والله ما كان فيها بذي نخيرة ولقد أخبرني من أدركه و أنه ليولول فرقاً من السّيف .

بيان : قيل : النخيرة.صوت في الأنف ، يريدعليه السلام أنّه كان يخاف من الحرب ولم يكن فيها صوت . وأقول : كذا مذكورة في إرشاد المفيد ولكنه تصحيف وأصله كما في جمله : والله ما كان فيها بذي مخبرة ، و المخبر و المخبرة بفتح الأوّل والثالث وبضمّ الثالث في الثاني أيضاً العلم بالشيء والوقوف عليه ، فالمراد أنه كان غلاماً حدثا غمراً لاعلم له بعواقب الاُمور وآداب الحرب و القتال و نحوها ، فلا حاجة إلى ذلك التكلف الناشي من التحريف .

ثمّ مرّ بمسلم بن قرظة فقال : البرّ أخرج هذا والله لقد كلّمني أن اُكلّم عثمان في شيء كان يدّعيه قِبَله بمكّة ، فلم أزل به حتّى أعطاه و قال لي : لولا أنت ما اعطيته ، إن هذا ما علمت ، بئس أخوالعشيرة ثمّ جاء المشوم للحين ينصر عثمان .

ثمّ مرّ بعبدالله بن حميدبن زهير فقال : هذا أيضاً ممّن أوضع في قتالنا زعم يطلب الله بذلك ، ولقد كتب إليّ كتاباً يوذي عثمان فيها فأعطاه شيئاًفرضي عنه

وفي الجمل ثمّ مرّ بعبدالله بن عمير بن زهير قال: هذا أيضاً ممّن أوضع في قتالنا يطلب بزعمه دم عثمان ولقد كتب ـ الخ.

ثمّ مرّ بعبدالله بن حكيم بن حزام فقال: هذا خالف أباه في الخروج وأبوه حين لم ينصرنا قد أحسن في بيعته لنا، وإن كان قد كفّ وجلس حين شكّ في القتال ما ألوم اليوم من كفّ عنّا وعن غيرنا ولكنّ المليم الّذي يقاتلنا.

ثمّ مرّ بعبدالله بن المغيرة بن الأخنس فقال: أمّا هذا فقتل أبوه يوم قتل عثمان في الدّار فخرج مغضباً لقتل أبيه وهو غلام حدث جبن لقتله، و في الجمل فخرج غضباً لمقتل أبيه وهو غلام لاعلم له بعواقب الأمور.

ثمّ مرّ بعبدالله بن أبي عثمان بن الأخنس بن شريق فقال: أما هذا فكأنّي أنظر إليه وقد أخذ القوم السيوف هارباً يعدو من الصفّ فنهنهت عنه فلم يسمع من نهنهت حتى قتله وكان هذا ممّا خفي على فتيان قريش أغمار لاعلم لهم بالحرب خدعوا واستزلّوا فلمّا وقفوا لحجوا فقتلوا.

ثمّ أمر عليه السلام مناديه فنادى: من أحبّ أن يواري قتيله فليواره، وقال عليه السلام واروا قتلانا في ثيابهم الّتي قتلوا فيها فإنّهم يحشرون على الشهادة و إنّي لشاهد لهم بالوفاء.

ثمّ رجع إلى خيمته واستدعى عبدالله بن أبي رافع و كتب كتاباً إلى أهل المدينة ،وآخر إلى أهل الكوفة أخبرهم بالفتح و عمّا جرى عليهم من فعل القوم ونكثهم ومقاتلتهم وغيرها ممّا وقعت في وقعة الجمل ،وقد نقلنا الكتب في صدر شرح هذا الكتاب فلا عائدة إلى الإعادة.

«خطبة أمير المؤمنين (ع) في البصرة بعدما كتب الى المدينة والكوفة بالفتح»

قال المفيد في الجمل: لمّا كتب أمير المؤمنين عليه السلام بالفتح قام في الناس خطيباً فحمدالله وأثنى عليه وصلّى على محمد وآله ثم قال:

أمّا بعد فإنّ الله غفور رحيم عزيز ذوانتقام جعل عفوه ومغفرته لأهل طاعته وجعل عذابه وعقابه لمن عصاه وخالف أمره، وابتدع في دينه ما ليس منه ،وبرحمته

نال الصالحون ، وقد أمكنني الله منكم يا أهل البصرة وأسلمكم بأعمالكم ، فإيّاكم أن تعودوا لمثلها ، فانّكم أوّل من شرع القتال والشقاق ، وترك الحق والانصاف.

أقول : هذه الخطبة وما كلّم عليه السلام به القتلى ليست في النهج إلّا كلامه الّذي كلّم به طلحة وعبدالرّحمن لمّامرّ بهما كما مضى آنفاً .

« عدل على عليه السلام وزهده »

ثمّ نزل عليه السلام ودخل على بيت مال الكوفة « البصرة ظ» في جماعة من المهاجرين والانصار فنظر إلى مافيه من العين والورق فجعل يقول : ياصفراء غرّي غيري وأدام النظر إلى المال مفكّرا ، فلمّا رأى كثرة ما فيها فقال : هذا جنياي ، ثمّ قال : اقسموه بين أصحابي ومن معي خمسمائة خمسمائة ،ففعلوا فما نقص درهم واحد وعدد الرّجال اثنا عشر ألفاً ، وقبض ما كان في عسكرهم من سلاح ودابة ومتاع و آلة وغير ذلك ، فباعه وقسّمه بين أصحابه وأخذ لنفسه ما أخذ لكلّ واحد ممن معه من أصحابه و أهله خمسمائة درهم ، فأتاه رجل من أصحابه فقال : يا أمير المؤمنين إنّ اسمي سقط من كتابك أوقال وخلفني عن حضور كذا وأدلى بعذر فدفع الخمسمائة الّتي كانت سهمه عليه السلام إلى ذلك الرّجل .

وروى أبومخنف لوط بن يحيى عن رجاله قال : لمّا أراد أمير المؤمنين عليه السلام التوجه إلى الكوفة قام في أهل بصرة فقال : ماتنقمون عليّ يا أهل البصرة ؟وأشار إلى قميصه وردائه فقال : والله إنهما لمن غزل أهلي ، ماتنقمون منّي ياأهل البصرة وأشار إلى صرّة في يده فيها نفقته فقال: والله ما هي إلّا من غلّتي بالمدينة ، فان أنا خرجت من عندكم بأكثر مماترون فأنا عندالله من الخائنين .

وروى الثوري عن داود بن أبي هند عن أبي حرز الأسود قال : لقد رأيت بالبصرة لمّا قدم طلحة والزبير أرسل إلى اُناس من أهل البصرة أنا فيهم ، فدخلنا بيت المال معهما فلمّا رأيا ما فيه من الأموال قالا : هذا ما وعدنا الله ورسوله ، ثمّ تليا هذه الآية « وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجّل لكم هذه » إلى آخر الآية وقالا: نحن أحقُّ بهذا المال من كلّ أحد ، ولمّا كان من أمر القوم ما كان

دعانا عليٌّ بن أبيطالب عليه السلام فدخلنا معه بيت المال ، فلمّارأى ما فيه ضرب إحدى يديه على الأُخرى وقال : غرّي غيري ، وقسّمه بين أصحابه بالسويّة حتى لم يبق إلّا خمسمائة درهم عزلها لنفسه ، فجاءه رجل فقال : إنّ اسمي سقط من كتابك فقال عليه السلام : ردّوها ردّوها عليه ، ثمّ قال : الحمد لله الّذي لم يصل إليّ من هذا المال شيئاً و وفّره على المسلمين .

أقول : و قد مضى نحوها المروي عن أبي الأسود الدؤلي آنفاً . و يا ليت كلامه عليه السلام بلغ إلى أُمراء هذه الأعصار و قرع أسماعهم الموقورة لعلّهم يعقلون ومن نوم الغفلة عن الحقّ ينتبهون ، و من فحص عن سيرتهم شاهت وجوههم رأى أن ليس شأنهم إلّا تزويق الباطل وتزيين العاطل ، وليس مقالهم إلّا أن لا يصل إلى غيرهم شيء من حطام الدنيا ولعمري قد أصبحنا في دهرعنود و زمان كنود يظلم على عباد الله فوق العدّ والاحصاء ولم يبق من العدل إلّا اسمه كالعنقاء و الكيمياء ولو تفوّه زعيم ربّانيٌّ وهاد إلهيٌّ أين العدل و الانصاف ؟ ولم غلب على الناس الفقر والافلاس ؟ أُجيب بالسجن و النفي والقتل ، فالحريُّ بنا أن نثني القلم على ما كنا بصدده لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً .

« خطبته عليه السلام بعد قسمة المال ، وخطبة اخرى »

« له عليه السلام لما خرج من البصرة »

روى الواقدي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا فرغ من قسمة المال قام خطيباً فحمدالله وأثنى عليه وقال :

أيّها النّاس إني أحمد الله على نعمه ، قتل طلحة والزبير وهربت عائشة ، وأيم الله لو كانت طلبت حقاً وهانت باطلاً لكان لها في بيتها مأوى ، و ما فرض الله عليها الجهاد وإنّ أوّل خطأها في نفسها وما كانت والله على القوم أشأم من ناقة الصخرة وما ازداد عدوّكم بما صنع الله إلّا حقداً ، وما زادهم الشيطان إلّا طغياناً ، ولقد جاؤوا مبطلين ، وأدبروا ظالمين ، إنّ إخوتكم المؤمنين جاهدوا في سبيل الله و آمنوا يرجون مغفرة الله ، وإننا لعلى الحقّ ، وإنّهم لعلى الباطل ، و يجمعنا الله و إيّاهم

يوم الفصل ، وأستغفر الله لي ولكم . (كتاب الجمل للمفيد ص ٢٠٠ طبع النجف) .

أقول : هذه الخطبة ليست بمذكورة في النهج .

وروى نصر بن عمر بن سعد عن أبي خالد عن عبدالله بن عاصم عن محمد بن بشير الهمداني عن الحارث بن السريع قال : لما ظهر أمير المؤمنين علي عليه السلام على أهل البصرة وقسّم ماجواه العسكر قام فيهم خطيباً فحمدالله وأثنى عليه وصلّى على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال :

أيّها النّاس إنّ الله عزّ وجلّ ذو رحمة واسعة ، ومغفرة دائمة ، لأهل طاعته وقضى أنّ نقمته وعقابه على أهل معصيته ، يا أهل البصرة يا أهل المؤتفكة ويا جند المرأة وأتباع البهيمة ، رغا فرجفتم ، وعقر فانهزمتم ، أحلامكم دقاق ، وعهدكم شقاق ، ودينكم نفاق ، وأنتم فسقة مراق ، أنتم شرّ خلق الله ، أرضكم قريبة من الماء ، بعيدة من السماء ، خفت عقولكم ، وسفهت أحلامكم . شهرتم سيوفكم علينا وسفكتم دماءكم ، وخالفتم إمامكم ، فأنتم أكلة الآكل وفريسة الظافر ، والنار لكم مدّخر ، والعار لكم مفخر ، يا أهل البصرة نكثتم بيعتي ، وظاهرتم عليّ ذوي عداوتي فما ظنكم يا أهل البصرة الآن ؟ .

فقام إليه رجل منهم فقال : نظنّ خيراً يا أمير المؤمنين و نرى أنك ظفرت وقدرت فان عاقبت فقد أجرمنا ، وإن عفوت فالعفو أحبّ إلى ربّ العالمين ؛ فقال عليه السّلام : قد عفوت عنكم فإيّاكم والفتنة ، فانكم أوّل من نكث البيعة وشقّ عصا الأمة ، فارجعوا عن الحوبة واخلصوا فيما بينكم وبين الله بالتوبة . (كتاب الجمل للمفيد ص ٢٠٣ طبع النجف) .

أقول : وقد روى هذه الخطبة في الارشاد أيضا (ص ١٢٣ طبع طهران ١٣٧٧ هـ) وبين الروايتين اختلاف في الجملة ، قال : و من كلامه عليه السلام بالبصرة حين ظهر على القوم بعد حمدالله تعالى والثناء عليه .

أمّا بعد فانّ الله ذو رحمة واسعة ومغفرة دائمة و عفو جمّ وعقاب أليم ، قضى أنّ رحمته ومغفرته وعفوه لأهل طاعته من خلقه ، و برحمته اهتدى المهتدون

وقضى أنّ نقمته وسطوته وعقابه على أهل معصيته من خلقه ، وبعد الهدى و البينات ما ضلّ الضالّون ، فما ظنكم يا أهل البصرة وقد نكثتم بيعتي وظاهرتم عليّ عدوّي

فقام إليه رجل فقال : نظنّ خيراً ونراك قد ظهرت و قدرت ، فإن عاقبت فقد اجترمنا ذلك، وإن عفوت فالعفو أحبّ إلى الله تعالى، فقال : قد عفوت عنكم فإيّاكم والفتنة فإنكم أوّل الرعية نكث البيعة وشقّ عصا هذه الأمّة، ثمّ جلس للناس فبايعوه .

ونقل المسعودي طائفة من هذه الخطبة في مروج الذهب . وأتى ببعضها الشريف الرضي رضوان الله عليه في الموضعين من النهج أحدهما قوله : و من كلامه عليه السلام فيذمّ أهل البصرة : كنتم جند المرأة و أتباع البهيمة الخ (الكلام الثالث عشر من باب الخطب) . والموضع الآخر قوله : ومن كلامه عليه السلام في مثل ذلك : أرضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء الخ (الكلام الرابع عشر من باب الخطب) .

وذيل الكلام الثالث عشر ملتقطة من خطبة اُخرى رواها المفيد في الجمل عن الواقدي (ص ٢١٠ طبع النجف) أنه عليه السلام لمّا خرج من البصرة وصار على علوة استقبل الكوفة بوجهه وهو راكب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله و قال :

الحمد لله الّذي أخرجني من أخبث البلاد وأخشنها تراباً ، وأسرعها خراباً وأقربها من الماء ، وأبعدها من السماء ، بها مغيض الماء ، وبها تسعة أعشار الشرّ وهي مسكن الجنّ ، الخارج منها برحمة ، والدّاخل إليها بذنب ، أما أنها لا تذهب الدّنيا حتّى يجيء إليها كلّ فاجر ، ويخرج منها كلّ مؤمن ، و حتّى يكون مسجدها كأنه جؤجؤ سفينة .

ورواها الطبرسي في الاحتجاج أيضاً عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال : لمّا فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من قتال أهل البصرة وضع قتباً على قتب ثمّ صعد عليه فخطب فحمد الله وأثنى عليه فقال :

يا أهل البصرة يا أهل المؤتفكة يا أهل الدّاء العضال ، يا أتباع البهيمة ، يا جند المرأة ، رغا فأجبتم ، وعقر فهربتم ، ماؤكم زعاق ، ودينكم نفاق ، وأحلامكم دقاق .

ثمّ نزل يمشي بعد فراغه من خطبته ، فمشينا معه فمرّ بالحسن البصري وهو يتوضّأ فقال : ياحسن أسبغ الوضوء فقال : يا أميرالمؤمنين لقد قتلت بالأمس اُناساً يشهدون أن لا إله إلّا الله وحده لاشريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله، ويصلّون الخمس ، ويسبغون الوضوء . فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام : لقد كان ما رأيت فما منعك أن تعين علينا عدوّنا ؟ فقال : والله لأصدّقنك يا أميرالمؤمنين لقد خرجت في أوّل يوم فاغتسلت وتحنّطت وصببت عليّ سلاحي وأنا لا أشكّ في أنّ التخلّف عن اُمّ المؤمنين عائشة كفر ، فلما انتهيت إلى موضع من الخريبة نادى منادٍ : يا حسن إلى أين ؟ ارجع فإنّ القاتل والمقتول في النّار ، فرجعت ذعراً و جلست في بيتي ، فلمّا كان في اليوم الثاني لم أشك أنّ التخلّف عن اُمّ المؤمنين هو الكفر فتحنّطت وصببت عليّ سلاحي وخرجت اُريد القتال حتّى انتهيت إلى موضع من الخريبة فنادى مناد من خلفي : يا حسن إلى أين مرّة اُخرى فإنّ القاتل والمقتول في النّار ، قال عليّ عليه السلام : صدقت أفتدري من ذلك المنادي ؟ قال : لا ؛ قال عليه السلام : أخوك إبليس وصدقك أنّ القاتل والمقتول منهم في النّار ، فقال الحسن البصري : الآن عرفت يا أميرالمؤمنين أنّ القوم هلكى .

ثمّ قال الطبرسي في الاحتجاج بعدعدّة فصول : روي أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قال : في أثناء خطبة خطبها بعد فتح البصرة بأيّام حاكيا عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله : يا عليّ إنك باق بعدي ومبتلى باُمّتي ومخاصم بين يدي الله ، فأعدّ للخصومة جواباً فقلت : بأبي أنت واُمّي يا رسول الله بيّن لي ما هذه الفتنة الّتي ابتلى بها ؟ و على ما اُجاهد بعدك ؟ فقال لي : إنك ستقاتل بعدي الناكثة و القاسطة و المارقة ـ وحلاّهم وسماهم رجلاً رجلاً ـ وتجاهد من اُمّتي كلّ من خالف القرآن وسنّتي ممّن يعمل في الدّين بالرأي ولا رأي في الدّين إنما هو أمر الربّ ونهيه ؛ فقلت : يا رسول الله فأرشدني إلى الفلج عند الخصومة يوم القيامة ، فقال صلى الله عليه وآله : نعم ، إذا كان ذلك كذلك فاقتصر على الهدى إذا قومك عطفوا الهدى على الهوى ، وعطفوا القرآن على الرأي ، فتأوّلوه برأيهم بتتبّع الحجج من القرآن لمشتبهات الأشياء

الطارية عند الطمأنينة إلى الدّنيا، فاعطف أنت الرأي على القرآن ، و إذا قومك حرّفوا الكلم عن مواضعه عند الأهواء الساهية والآراء الطامحة و القادة الناكثة والفرقة القاسطة والأخرى المارقة أهل الإفك المردي والهوى المطغي و الشبهة الخالقة ، فلاتنكلنّ عن فضل العاقبة فانّ العاقبة للمتقين .

بيان: الناكثة أتباع الجمل ،والقاسطة أتباع معاوية،والمارقة الخوارج فالطائفة الأولى أثاروا فتنة الجمل ،والثانية أقاموا غزوة صفين،والثالثة حرب نهروان .

وروى في الإحتجاج عن أبي يحيى الواسطي قال : لمّا فتح أمير المؤمنين عليه السلام البصرة اجتمع الناس عليه وفيهم الحسن البصري ومعه الألواح ، فكان كلّما لفظ أمير المؤمنين عليه السلام بكلمة كتبها ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام بأعلى صوته: ما تصنع ؟ فقال : نكتب آثارهم لنحدّث بها بعد كم ؛ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أما إنّ لكلّ قوم سامريّاً وهذا سامريّ هذه الأمّة أما أنه لايقول: لامساس،ولكنه يقول : لا قتال .

بيان : قوله عليه السلام أنه لايقول لامساس إشارة إلى قوله تعالى : « قال فما خطبك يا سامريّ ـ إلى قوله تعالى : قال فاذهب فإنّ لك في الحيوة أن تقول لامساس » الآية (طه ـ ٩٩) .

وفي الاحتجاج عن المبارك فضالة عن رجل ذكره قال: أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام بعد الجمل فقال له : يا أمير المؤمنين رأيت في هذه الواقعة أمراً هالني من روح قد بانت ، وجثّة قد زالت ، ونفس قد فاتت ، لا أعرف فيهم مشركاً بالله فالله الله ممّا يحلّلني من هذا إن يك شرّاً فهذا نتلقى بالتوبة، وإن يك خيراً ازددنا منه ، أخبرني عن أمرك هذا الّذي أنت عليه أفتنة عرضت لك فأنت تنفح الناس بسيفك أم شيء خصّك به رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ .

فقال عليه السلام إذاً أخبرك إذن أنبئك إذن أحدّثك، إنّ ناساً من المشركين أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وأسلموا ثمّ قالوا لأبي بكر : استأذن لنا على رسول الله حتّى نأتي قومنا فنأخذ أموالنا ثمّ نرجع ، فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وآله فاستأذن

لهم فقال عمر : يا رسول الله أترجع تلك الجماعة من الاسلام إلى الكفر ؟ فقال : وما علمك يا عمر أن ينطلقوا فيأتوا بمثلهم معهم من قومهم ؟ ثمّ إنهم أتوا أبابكر في العام المقبل فسألوه أن يستأذن لهم على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فاستأذن لهم وعنده عمر فقال مثل قوله ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال : والله ما أراكم تنتهون حتّى يبعث الله عليكم رجلاً من قريش يدعوكم إلى الله فتختلفون عنه اختلاف الغنم الشرد .
فقال له أبوبكر : فداك أبي واُمّي يا رسول الله أنا هو ؟ فقال: لا ؛ فقال عمر: أنا هو ؟ قال : لا ، فقال : عمر : فمن هو يا رسول الله ؟ فأومى إليّ وأنا أخصف نعل رسول الله وقال هو خاصف النعل عند كما ابن عمّي وأخي وصاحبي و مبرىء ذمّتي والمؤدّي عنّي ديني وعداتي والمبلّغ عنّي رسالاتي ، ومعلّم الناس من بعدي ،ومبيّنهم من تأويل القرآن ما لايعلمون ، فقال الرجل : أكتفي منك بهذا يا أمير المؤمنين ما بقيت ، فكان ذلك الرّجل أشدّ أصحاب علي عليه السلام فيما بعد من خالفه .

و فيه أيضاً : روى يحيى بن عبدالله بن الحسن عن أبيه عبدالله بن الحسن قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام يخطب بالبصرة بعد دخولها بأيّام ، فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني من أهل الجماعة ؟ و من أهل الفرقة ؟ و من أهل البدعة ؟ ومن أهل السنة ؟ .

فقال عليه السلام : ويحك أما إذا سألتني فافهم عنّي ولا عليك أن لا تسأل عنها أحداً بعدي ، أمّا أهل الجماعة فأنا ومن اتّبعني و إن قلّوا وذلك الحقّ عن أمر الله عزّوجلّ وعن أمر رسوله . وأمّا أهل الفرقة المخالفون لي ولمن اتّبعني و إن كثروا وأمّا أهل السنّة فالمتمسّكون بما سنّه الله ورسوله و إن قلّوا و أمّا أهل البدعة فالمخالفون لأمر الله ولكتابه ولرسوله العاملون برأيهم وأهوائهم وإن كثروا ، وقد مضى منهم الفوج الأوّل وبقيت أفواج ، فعلى الله قبضها واستيصالها عن جدد الأرض.

فقام إليه عمّار وقال : يا أمير المؤمنين إنّ الناس يذكرون الفيء ويزعمون أنّ من قاتلنا فهو وماله وولده فيء لنا .

فقام إليه رجل من بكر بن وائل يدعا عباد بن قيس وكان ذا عارضة ولسان شديد فقال : يا أمير المؤمنين والله ما قسّمت بالسويّة ولا عدلت في الرعيّة . فقال عليه السّلام : ولم ؟ ويحك ، قال : لأنك قسّمت ما في العسكر و تركت الأموال

والنساء والذُّرِّيَّة ، فقال : أيُّها النَّاس من كانت له جراحة فليداوها بالسمن فقال عباد : جئنا نطلب غنائمنا فجاءنا بالترّهات، فقال له أمير المؤمنين : إن كنت كاذباً فلا أماتك الله حتَّى يدركك غلام ثقيف، فقيل: ومن غلام ثقيف ؟ فقال : رجل لا يدع لله حرمة إلا انتهكها ، فقيل : أفيموت أو يقتل ؟ قال : يقصمه قاصم الجبارين بموت فاحش يحترق منه دبره لكثرة ما يجري من بطنه .

يا أخا بكر أنت امرء ضعيف الرأي أو ما علمت أنّا لا نأخذ الصغير بذنب الكبير وأنَّ الأموال كانت لهم قبل الفرقة وتزوّجوا على رشدة و ولدوا على فطرة وإنما لكم ماحوى عسكرهم ، وما كان في دورهم فهو ميراث فان عدا أحد منهم أخذنا بذنبه ، وإن كفَّ عنّا لم نحمل عليه ذنب غيره .

يا أخا بكر لقد حكمت فيهم بحكم رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل مكّة فقسّم ما حوى العسكر ولم يتعرّض لما سوى ذلك ، وإنما اتبعت اثره حذو النعل بالنعل .

يا أخا بكر أما علمت أنَّ دار الحرب يحلُّ ما فيها ، وأنَّ دار الهجرة يحرم ما فيها إلاّ بحقّ فمهلاً مهلاً رحمكم الله فان لم تصدّقوني و أكثرتم عليَّ ـ و ذلك أنه تكلّم في هذا غير واحد ـ فأيّكم يأخذ عائشة بسهمه؟ فقالوا : يا أمير المؤمنين أصبت وأخطأنا وعلمت وجهلنا فنحن نستغفر الله ، ونادى النّاس من كلِّ جانب : أصبت يا أمير المؤمنين أصاب الله بك الرشاد والسداد .

فقام عبّاد فقال : أيّها النّاس إنكم والله إن اتّبعتموه وأطعتموه لن يضلَّ بكم عن منهل نبيّكم صلى الله عليه وآله حتّى قيس شعرة و كيف لا يكون ذلك وقد استودعه رسول الله صلى الله عليه وآله علم المنايا والقضايا وفصل الخطاب على منهاج هارون عليه السلام و قال له : أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي فضلاً خصّه الله به وإكراماً منه لنبيّه حيث أعطاه ما لم يعط أحداً من خلقه .

ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السلام : انظروا رحمكم الله ما تؤمرون به فامضوا له فانَّ العالم أعلم بما يأتي به من الجاهل الخسيس الأخسّ ، فانّي حاملكم إن شاء الله إن أطعتموني على سبيل النجاة ، وإن كان فيه مشقّة شديدة ومرارة عتيدة، والدُّنيا

خلوة الحلاوة لمن اغترّ بها من الشقوة والندامة عمّا قليل. ثمّ إني اُخبر كم أنّ جيلاً من بني إسرائيل أمرهم نبيّهم أن لا يشربوا من النهر فلجّوا في ترك أمره فشربوا منه إلاّ قليلاً منهم، فكونوا رحمكم الله من اُولئك الّذين أطاعوا نبيّهم ولم يعصوا ربّهم، وأمّا عائشة فأدركها رأي النساء ولها بعد ذلك حرمتها الاُولى والحساب على الله، يعفو عمّن يشاء ويعذّب من يشاء.

بيان: فلان ذو عارضة أي ذو جلد وصراحة وقدرة على الكلام. و ذلك أنّه تكلّم في هذا غير واحد، جملة معترضة من كلام الراوي، قيس شعرة أي قدرها. العتيد: الحاضر المهيّأ. ثمّ إنّ ما نقلنا من كلامه عليه السلام في الروايتين الأخيرتين عن الاحتجاج ليس بمذكور في النهج.

«سيرة علي عليه السلام في اهل البصرة»

قد تظافرت الأخبار أنه لمّا انهزم الناس يوم الجمل أمر أمير المؤمنين منادياً ينادي أن لا تجهّزوا على جريح، ولا تتبعوا مدبراً، ولا تكشفوا ستراً، ولا تأخذوا أموالاً، ولا تهيجوا امرأة، ولا تمثّلوا بقتيل وقال عمّار له عليه السلام: ما ترى في سبي الذّرية؟ قال: ما أرى عليهم من سبيل إنّما قاتلنا من قاتلنا. وقال له بعض القراء من أصحابه: اقسم من ذراريهم لنا وأموالهم وإلاّ فما الّذي أحلّ دماءهم ولم يحلّ أموالهم؟ فقال عليه السلام: هذه الذّرية لاسبيل عليها وهم في دار هجرة، وإنما قتلنا من حاربنا وبغى علينا، وأمّا أموالهم فهي ميراث لمستحقيها من أرحامهم، فقال عمّار رحمه الله تعالى: لانتبع مدبرهم، ولا نجهز على جريحهم؟ فقال: لا، لأني آمنتهم وقال عليه السلام: مروا نساء هؤلاء المقتولين من أهل البصرة أن يعتدن منهم، و إذا اُتي بأسير منهم فإن كان قد قاتل قتله، وإن لم تقم عليه بيّنة بالقتل أطلقه.

«تجهيز علي عليه السلام عائشة من البصرة الى المدينة»

قال الدينوري في الامامة والسياسة (ص ٨٧ ج ١ طبع مصر ١٣٧٧ هـ): أتى محمّد بن أبي بكر فدخل على اُخته عائشة. قال لها: أما سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: عليٌّ مع الحقّ و الحقّ مع عليّ ثمّ خرجت تقاتلينه بدم عثمان؟ ثمّ دخل

عليها علي عليه السلام فسلّم وقال: يا صاحبة الهودج قد أمرك الله أن تقعدي في بيتك ثمّ خرجت تقاتلين. أترتحلين؟ قالت: أرتحل؛ فبعث معها علي عليه السلام أربعين امرأة وأمرهنّ أن يلبسن العمائم ويتقلّدن السيوف وأن يكنّ من الّذين يلينها ولا تطلع على أنهنّ نساء، فجعلت عائشة تقول في الطريق: فعل الله في ابن أبي طالب وفعل، بعث معي الرّجال، فلمّا قدمن المدينة وضعن العمائم و السيوف و دخلن عليها فقالت: جزى الله ابن أبي طالب الجنة.

وذكر قريباً من هذه الرواية المفيد في كتاب الجمل (ص ٢٠٧ طبع النجف) وصرّح فيه أنّه عليه السلام أنفذ معها أربعين امرأة على الوصف المذكور. ثمّ قال: فجعلت عائشة تقول في الطريق: اللّهم افعل بعليّ بن أبيطالب و افعل، بعث معي الرجال ولم يحفظ بي حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا قدمن المدينة معها ألقين العمائم والسيوف ودخلن معها، فلمّا رأتهنّ ندمت على ما فرطت بذمّ أمير المؤمنين عليه السلام وسبّه وقالت: جزى الله ابن أبي طالب خيراً فلقد حفظ فيّ حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقال المسعودي في مروج الذهب: وخرجت عائشة من البصرة وقد بعث معها عليّ عليه السلام أخاها عبدالرّحمن بن أبي بكر وثلاثين رجلاً وعشرين امرأة من ذوات الدين من عبدالقيس وهمدان وغيرهما ثمّ ذكر النساء على الوصف المذكور (ص ١٤ ج ٢ طبع مصر ١٣٤٦ ه).

أقول: الظاهر أنّ إرسال النساء معها على الوصف المذكور لا يخلو من دغدغة ولا يعقل له وجه يعتنى به، لأنّ هذه الروايات كلّها متّفقة في أنّ الأمر التبس على عائشة في أثناء الطريق من البصرة إلى المدينة و ما فهمت أنهنّ نساء، و هذا لا يستقيم مع دهائها وفطانتها، ولأنّ هذا العمل منه عليه السلام لو كان لحفظ حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله يدفعه أنّ أخاها عبدالرحمن كان معها، على أنّ العلم البتّي حاصل بأنه لو لم يكن معها أخوها لما كان أنفذ أمير المؤمنين معها إلاّ رجالاً يثق بهم، والصواب في ذلك ما في تاريخ أبي جعفر الطبري بأنه عليه السلام سرّحها و أرسل معها جماعة من رجال ونساء، و جهّزها من غير أن يتعرّض بلبسهنّ العمائم و تقلّدهنّ السيوف

ولم ينقل ما رواه القوم أصلاً ، صرّح بذلك في الموضعين : ص ٥٢٠ و ص ٥٤٧ من المجلّد الثالث طبع مصر ١٣٥٧ﻫ .

« تأميره عليه السلام ابن العباس على البصرة ووصيته له وخطبته الناس »

قال المفيد في الجمل : و ممّا رواه الواقديّ عن رجاله قال : لمّا أراد أمير المؤمنين عليه السلام الخروج من البصرة استخلف عليها عبدالله بن عباس ووصّاه وكان في وصيّته له أن قال :

يا ابن عباس عليك بتقوى الله والعدل بمن وليت عليه ، و أن تبسط للناس وجهك ، وتوسّع عليهم مجلسك ، وتسعهم بحلمك ، وإيّاك والغضب فانه طيرة الشيطان وإيّاك والهوى فانه يصدّك عن سبيل الله ، واعلم أنّ ما قرّبك من الله فهو مباعدك من النار ، وما باعدك من الله فمقرّبك من النار ، و اذكر الله كثيراً ولا تكن من الغافلين .

أقول : أتى ببعض هذه الوصيّة في آخر باب الكتب و الرّسائل من النهج قوله : و من وصية له عليه السلام بعبدالله بن العباس عند استخلافه إيّاه على البصرة : سع الناس بوجهك و مجلسك ـ الخ .

وروى أبومخنف لوط بن يحيى قال : لمّا استعمل أمير المؤمنين عليه السلام عبدالله ابن العباس على البصرة خطب الناس فحمدالله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ ثمّ قال :

معاشر الناس قد استخلفت عليكم عبدالله بن العباس فاسمعوا له وأطيعوا أمره ما أطاع الله ورسوله ، فان أحدث فيكم أو زاغ عن الحقّ فاعلموا أنّي أعزله عنكم فاني أرجو أن أجده عفيفاً تقيّاً ورعاً ، وإني لم اُوله عليكم إلاّ وأنا أظنّ ذلك به غفر الله لنا ولكم .

قال : فأقام عبدالله بالبصرة حتّى عمد أمير المؤمنين عليه السلام إلى التوجّه إلى الشام ،فاستخلف عليها زياد بن أبيه وضمّ إليه أبا الأسود الدؤلي ولحق بأمير المؤمنين عليه السلام حتّى صار إلى صفين .

أقول: خطبته هذه ما ذكرت في النهج. وقال أبوجعفر الطبري في التاريخ :

أمّر عليٌّ عليه السلام ابن عباس على البصرة و ولي زياداً الخراج وبيت المال ، وامر ابن عباس أن يسمع منه فكان ابن عباس يقول : استشرته عند هنة كانت من الناس، فقال: إن كنت تعلم أنك على الحقّ و أنّ من خالفك على الباطل أشرت عليك بما ينبغي وإن كنت لاتدري أشرت عليك بما ينبغي كذلك ، فقلت : إنّي على الحقّ و إنّهم على الباطل ، فقال : اضرب بمن أطاعك من عصاك ومن ترك أمرك ، فان كان أعزّ للاسلام وأصلح له أن يضرب عنقه فاضرب عنقه ، فاستكتبه .

وروى ثقة الاسلام الكليني رضوان الله عليه في الكافي خطبة اُخرى له عليه السلام خطب الناس في البصرة بعد انقضاء الحرب نقلها الفيض قدّس سرّه في الوافي أيضاً (ص ١٧ ج ١٤) قال : محمد بن عيسى عن السّراد عن مؤمن الطاق عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لما انقضت القصّة فيما بينه وبين طلحة والزبير وعائشة بالبصرة صعد المنبر فحمدالله وأثنى عليه وصلّى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال :

أيها الناس إنّ الدّنيا حلوة خضرة تفتنّ الناس بالشهوات وتزيّن لهم بعاجلها وأيم الله إنّها لتغرّ من أملها ، وتخلف من رجاها و ستورث غدا أقواماً الندامة والحسرة باقبالهم عليها وتنافسهم فيها وحسدهم وبغيهم على أهل الدين والفضل فيها ظلماً وعدواناً وبغياً وأشراً وبطراً و بالله أنه ماعاش قوم قطّ في غضارة من كرامة نعم الله في معاش دنيا ولادائم تقوى في طاعة الله والشكر لنعمه فأزال ذلك عنهم إلاّ من بعد تغيير من أنفسهم ، وتحويل عن طاعة الله والحادث من ذنوبهم وقلّة محافظته وترك مراقبة الله وتهاون بشكر نعمة الله ، لأنّ الله تعالى يقول في محكم كتابه « إنّ الله لايغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال » .

ولو أنّ أهل المعاصي و كسبة الذّنوب إذاهم حذروا زوال نعمة الله وحلول نقمته وتحويل عافيته أيقنوا أنّ ذلك من الله تعالى بما كسبت أيديهم فأقلعوا وتابوا وفزعوا إلى الله تعالى بصدق من نيّاتهم وإقرار منهم له بذنوبهم وإساءتهم لصفح لهم

عن كلّ ذنب ، وإذاً لأقالهم كل عثرة ولردّ عليهم كل كرامة نعمة ثمّ أعاد لهم من صلاح أمرهم وممّا كان أنعم به عليهم كلّ ما زال عنهم وفسد عليهم ، فاتقوا الله أيها الناس حقّ تقاته ، واستشعروا خوف الله تعالى ، وأخلصوا اليقين ، وتوبوا إليه من قبيح ما استنفركم الشيطان من قتال وليّ الأمر و أهل العلم بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وما تعاونتم عليه من تفريق الجماعة ، وتشتيت الأمر ، وفساد صلاح ذات البين ، إنّ الله يقبل التوبة ويعفوعن السيئة ويعلم ما تفعلون .

أقول : وهذه الخطبة ما ذكرت في النهج أيضاً .

« اشارة اجمالية الى ماعندالائمة من سلاح رسول الله ﷺ و غيرها »

في الكافي للكليني قدّس سرّه وفي الوافي ص ١٣٤ ج ٢ من الطبع المظفري في باب ماعندهم من سلاح رسول الله ﷺ ومتاعه : أبان ، عن يحيى بن أبي العلاء قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: درع رسول الله ﷺ ذات الفضول لها حلقتان من ورق في مقدّمها ، وحلقتان من ورق في مؤخّرها ، وقال : لبسها عليّ عليه السلام يوم الجمل .

وفي الكافي : أبان، عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : شدّ عليّ عليه السلام بطنه يوم الجمل بعقال أبرق نزل به جبرئيل عليه السلام من السماء ، وكان رسول الله ﷺ يشدّ به على بطنه إذا لبس الدّرع .

وفي الفقيه : كان ﷺ يلبس من القلانس اليمنيّة والبيضاء والمصريّة ذات الأُذنين في الحرب ، وكانت له عنزة يتّكي عليها و يخرجها في العيدين فيخطب بها وكان له قضيب يقال له الممشوق ، وكان له فسطاط يسمّى الكنّ ، وكانت له قصعة تسمّى السعة ، وكان له قعب يسمّى الرّي ، وكان له فرسان يقال لأحدهما المرتجز وللآخر السكب ، و كان له بغلتان يقال لاحداهما الدّلدل و للأُخرى الشهباء وكان له نافتان يقال لاحداهما العضباء وللأُخرى الجدعاء ، و كان له سيفان يقال لأحدهما ذوالفقار وللآخر العون ، وكان له سيفان آخران يقال لأحدهما المخذم وللآخر الرسوم ، وكان له حمار يسمّى اليعفور ، وكانت له عمامة تسمّى السحاب وكان له درع تسمّى ذات الفضول لها ثلاث حلقات فضّة : حلقة بين يديها، وحلقتان

خلفها، وكانت له راية تسمّى العقاب، وكان له بعير يحمل عليه يقال له الدّيباج وكان له لواء يسمّى العلوم، وكان له مغفر يقال له الأسعد، فسلّم ذلك كلّها إلى عليّ عليه السلام عند موته وأخرج خاتمه وجعله في اصبعه فذكر عليّ عليه السلام أنه وجدفي قائم سيف من سيوفه صحيفة فيها ثلاثة أحرف: صل من قطعك، و قل الحقّ ولو على نفسك، وأحسن إلى من أساء إليك.

الكافي: محمّد، عن ابن عيسى، عن الحسين، عن النضر، عن يحيى الحلبي، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال: ترك رسول الله صلّى الله عليه وآله في المتاع سيفاً، ودرعا، وعنزة، ورحلاً، وبغلته الشهباء فورث ذلك كلّه عليّ بن أبي طالب.

الكافي: محمّد، عن أحمد، عن الحسين، عن فضالة، عن عمر بن أبان قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عمّا يتحدّث الناس أنّه دفع إلى اُمّ سلمة صحيفة مختومة فقال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لما قبض ورث عليّ عليه السلام علمه وسلاحه وماهناك، ثمّ صار إلى الحسن، ثمّ صار إلى الحسين، قال؛ قلت: ثمّ صار إلى عليّ بن الحسين، ثمّ صار إلى ابنه، ثمّ انتهى اليك؟ فقال: نعم.

الكافي: الاثنان، عن الوشاء، عن أبان، عن الفضيل بن يسار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لبس أبي درع رسول الله صلّى الله عليه وآله ذات الفضول فخطت و لبستها أنا ففضّلت.

الكافي: الاثنان، عن الوشاء، عن حماد بن عثمان، عن عبدالأعلى بن أعين، قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: عندي سلاح رسول الله صلّى الله عليه وآله لا اُنازع فيه، ثمّ قال: إنّ السّلاح مدفوع عنه لووضع عند شرّ خلق الله لكان خيرهم، ثمّ قال: إنّ هذا الأمر يصير إلى من يلوي له الحنك فا ذا كانت من الله فيه المشيّة خرج فيقول الناس ما هذا الّذي كان ويضع الله له يداً على رأس رعيّته.

أقول: قد مضى في (ص ٢٥٤ ج ١ من تكملة المنهاج) أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام تقدّم في صفين للحرب على بغلة رسول الله صلّى الله عليه وآله الشهباء نقلاً عن المسعودي في مروج الذهب و الأخبار في ذلك المعنى متظافرة جداً ونقلها وبيانها ينجرّ ان إلى بحث طويل الذيل ولسنا في ذلك المقام إلاّ أنّه لمّا قادناشرح الخطبة

إلى الإشارة إلى وقعة الجمل مجملة ، وقد تظافرت الأخبار بأن أمير المؤمنين عليه السلام لبس درع رسول الله ذات الفضول يوم الجمل أحببت أن اُشير إلى ما عند الأئمة من سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله و غيرها .

ثمّ المراد من قوله عليه السلام في الخبر الأخير : إنّ هذا الأمر يصير إلى من يلوي له الحنك ، هو قائم آل محمد صلى الله عليه وآله وليّ العصر الحجة بن الحسن العسكري عجّل الله تعالى فرجه الشريف .

فقد آن أن نشرع في شرح جمل الكتاب فإنّ غرضنا من شرح هذا الكتاب والّذي قبله أن نورد واقعة الجمل على الايجاز والاختصار وأن نبين مدارك الخطب والخطب الواردة منه عليه السلام في النهج وطرق اسنادها ممّا تتعلّق بالجمل ، فقد أتعبنا لذلك أنفسنا ، وأسهرنا أعيننا ، وبذلنا جهدنا على ما أمكننا حتّى استقام الأمر على النهج الّذي قدّمناه ، فللّه الحمد على ما هدانا ، وله الشكر بما أولانا .

قوله عليه السلام : (وجزاكم الله من أهل مصر عن أهل بيت نبيّكم) لما أنّ أهل الكوفة أجابوا دعوته عليه السلام مخلصين وقاموا بنصرته مرتاحين ، وهو عليه السلام من أهل بيت نبيّهم خاطب أهل الكوفة في الكتاب ، ودعا لهم بدعاء مستطاب مستجاب ، بقوله : جزاكم الله من أهل مصر عن أهل بيت نبيّكم .

قوله عليه السلام : (أحسن ما يجزي العاملين بطاعته ، و الشاكرين لنعمته) العمل بطاعته تعالى فعل أوامره وترك نواهيه ، والنعمة تعمّ جميع ما أنعم الله به عباده ومنه نعمة وجود الأنبياء والأوصياء .

ثمّ إنّ الشكر بإزاء كل نعمة بحسبها كالتوبة عن الذّنب مثلاً ، ففي بعضها يتمّ الشكر بالقول فقط مثلاً أن يقول : الحمد لله ربّ العالمين ، وفي بعضها لا يتمّ إلاّ بالفعل وهو على أنحاء أيضاً ومنه الجهاد في سبيل الله تعالى فمن الشكر بإزاء نعمة وجود النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته أن يبذل الأموال و الأنفس دونهم كما فعل أهل الكوفة فكأنّما هو عليه السلام أشار في كلامه إلى أنهم عملوا بطاعة الله و شكروا لنعمته ويمكن أن يقال : ومن ثمّ أتى بهيئة الجمع دون الإفراد أي لم يقل العامل

بطاعته والشاكر لنعمته ليومىء إلى أنهم كانوا العاملين والشاكرين، كما يمكن أن يقال إنّ لفظ الجمع تنبىء عن كثرة ثوابهم وجزائهم أيضاً .

ثمّ إنّ فيه إيماء أيضاً إلى جزاء العاملين بطاعته و الشاكرين لنعمته حيث خصّهما بالذّكر دون غيرهما .

قوله عليه السلام : (فقد سمعتم ـ الخ) أي إنما كان لكم جزاء العاملين بطاعته لأنكم أيضاً سمعتم أمر الله وأطعتموه ، لأنّ أمر حجة الله هو أمره تعالى ، ودعيتم إلى نصرة أهل بيت نبيّكم وهي نصرة دين الله في الحقيقة فأجبتم الدّاعي وإنما لم يذكر متعلّقات الأفعال لأنّها ظاهرة من سياق الكلام ومن معاني الكلمات ، أو لأنّ الغرض كما قيل ذكر الأفعال دون نسبتها إليها .

الترجمة

اين يكى از نامه هاى آن بزرگوار است كه بعد از فتح بصره بمردم كوفه نوشت :

اي مردم كوفه خداوند شما را از جانب أهل بيت پيغمبرتان نيكوترين جزائي كه به إطاعت كنندگان و سپاسگزارانش ميدهد پاداش دهد كه فرمان وليّ خدا را شنيديد وإطاعت كرديد ، وبياري دين خدا دعوت شديد وإجابت كرديد .

ومن كتاب له عليه السلام كتبه لشريح بن الحارث قاضيه وهو الكتاب الثالث من باب المختار من كتبه ورسائله عليه السلام

رُوِيَ أَنَّ شُرَيْحَ بْنَ الْحارِثِ قاضِيَ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام اشْتَرىٰ عَلىٰ عَهْدِهِ داراً بِثَمانينَ ديناراً ، فَبَلَغَهُ ذٰلِكَ فَاسْتَدْعىٰ شُرَيْحاً وَ قالَ لَهُ : بَلَغَني أَنَّكَ ابْتَعْتَ داراً بِثَمانينَ ديناراً ، وَكَتَبْتَ لَها كِتاباً ، وَ أَشْهَدْتَ فيهِ شُهُوداً ؛ فَقالَ شُرَيْحٌ : قَدْ كانَ ذٰلِكَ يا أَميرَالْمُؤْمِنينَ ، قالَ : فَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ مُغْضَبٍ ثُمَّ قالَ لَهُ : يا شُرَيْحُ أَما إِنَّهُ سَيَأْتيكَ مَنْ لا يَنْظُرُ في كِتابِكَ، وَ لا يَسْئَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ حَتّىٰ يُخرِجَكَ مِنْها شاخِصاً وَ يُسَلِّمَكَ إِلىٰ قَبْرِكَ خالِصاً ، فَانْظُرْ يا شُرَيْحُ لا تَكُونُ ابْتَعْتَ هٰذِهِ الدّارَ مِنْ غَيْرِ مالِكَ ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلالِكَ ، فَإِذا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دارَالدُّنْيا و دارَالْآخِرَةِ، أَما لَوْ إِنَّكَ كُنْتَ أَتَيْتَني عِنْدَ شِرائِكَ ما شَرَيْتَ لَكَتَبْتُ لَكَ كِتاباً عَلىٰ هٰذِهِ النُّسْخَةِ، فَلَمْ تَرْغَبْ في شِراءِ هٰذِهِ الدّارِ بِدِرْهَمٍ فَما فَوْقَهُ ؛ وَ النُّسْخَةُ هٰذِهِ :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ

هٰذا ما اشْتَرىٰ عَبْدٌ ذَليلٌ مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أُزْعِجَ لِلرَّحيلِ ، اشْتَرىٰ مِنْهُ داراً مِنْ دارِ الْغُرُورِ مِنْ جانِبِ الفانينَ ، وَ خِطَّةِ الْهالِكينَ ، وَتَجْمَعُ

هذِهِ الدّارَ حُدُودٌ أرْبَعَةٌ : فَالْحَدُّ الْأَوّلُ يَنتَهي إلىٰ دَواعِي الْآفاتِ ، وَالْحَدُّ الثّاني يَنتهي إلىٰ دَواعِي الْمُصيباتِ ، وَالْحَدُّ الثّالِثُ يَنتَهي إلى الْهَوَى الْمُرْدي ، وَالْحَدُّ الرّابِعُ يَنْتَهي إلى الشّيْطانِ الْمُغْوي ، وَفيهِ يُشْرَعُ بابُ هذِهِ الدّارِ ؛ اشْتَرىٰ هذَا الْمُغْتَرُّ بِالْأَمَلِ مِنْ هذَا الْمُزْعَجِ بِالْأَجَلِ هذِهِ الدّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَناعَةِ وَالدُّخُولِ في ذُلِّ الطَّلَبِ وَالضَّراعَةِ ، فَما أَدْرَكَ هذَا الْمُشْتَرِي فيما اشْتَرىٰ مِنْ دَرَكٍ .

فَعَلىٰ مُبَلْبِلِ أَجْسامِ الْمُلُوكِ وَسالِبِ نُفُوسِ الْجَبابِرَةِ ، وَمُزيلِ مُلْكِ الْفَراعِنَةِ ، مِثْلِ كِسْرىٰ وَقَيْصَرَ وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ ، وَمَنْ جَمَعَ الْمالَ عَلَى الْمالِ فَأَكْثَرَ ، وَمَنْ بَنىٰ وَشَيَّدَ ، وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ ، وَادَّخَرَ وَاعْتَقَدَ وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ إشْخاصُهُمْ جَميعاً إلىٰ مَوْقِفِ الْعَرْضِ وَالْحِسابِ ، وَمَواضِعِ الثَّوابِ وَالْعِقابِ إذا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفَصْلِ الْقَضاءِ وَخَسِرَ هُنالِكَ الْمُبْطِلُونَ .

شَهِدَ عَلىٰ ذٰلِكَ الْعَقْلُ إذا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوىٰ وَسَلِمَ مِنْ عَلائِقِ الدُّنْيا.

أقول : نقل الكتاب في البحار (ص٦٣٢ ج ٨ وص ٥٤٥ ج٩ من طبع الكمباني) .نقله أبو نعيم الاصفهاني في حلية الأولياء ، والعلامة الشيخ البهائي في الأربعين على ما نتلو عليك وسيأتي من ذي قبل بعض كلماته عليه السلام لشريح في بحثنا المعنون القضاء والقاضي في الاسلام ذيل شرح هذا الكتاب .

« وهم و رجم »

إنّ ما يهمّنا ولابدّ لنا منه ههنا قبل بيان لغة الكتاب وإعرابه تقديم مطلب

لم يتعرّضه أحد من شرّاح النهج ، وهو أنّ الحافظ أبا نعيم أحمد بن عبدالله الاصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ أسند هذا الكتاب في كتابه حلية الأولياء إلى الفضيل بن عياض قاله للفيض بن إسحاق في واقعة اقتضت ذلك ، وبين ما في النهج وبين الحلية اختلاف يسير في بعض الألفاظ والعبارات ولكنهما واحد بلا ارتياب ودونك ما نقله أبو نعيم:

قال أبو نعيم في ترجمة الفضيل بن عياض من حلية الأولياء (ص ١٠١ و ١٠٢ ج ٨ طبع مصر ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م) ما هذا لفظه :

حدّثنا سليمان بن أحمد ، ثنا بشر بن موسى ، ثنا عليّ بن الحسين بن مخلّد قال : قال الفيض بن إسحاق : اشتريت داراً و كتبت كتاباً و أشهدت عدولاً فبلغ ذلك الفضيل بن عياض فأرسل إليّ يدعوني فلم أذهب ، ثمّ أرسل إليّ فمررت إليه فلمّا رآني قال : يا ابن يزيد بلغني أنّك اشتريت داراً وكتبت كتاباً و أشهدت عدولاً ؟ قلت : قد كان كذلك ، قال : فانه يأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسأل عن بيّنتك حتّى يخرجك منها شاخصاً يسلّمك إلى قبرك خالصاً ، فانظر أن لا تكون اشتريت هذه الدّار من غير مالك ، أو ورثت مالاً من غير حلّه ، فتكون قد خسرت الدّنيا والآخرة ، ولو كنت حين اشتريت كتبت على هذه النسخة :

هذا ما اشترى عبد ذليل من ميّت قد ازعج بالرّحيل، اشترى منه داراً تعرف بدار الغرور ، حدّ منها في زقاق الفناء إلى عسكر الهالكين ، و يجمع هذه الدّار حدود أربعة : الحدّ الأوّل ينتهي منها إلى دواعي العاهات ، و الحدّ الثاني ينتهي إلى دواعي المصيبات ، والحدّ الثالث ينتهي منها إلى دواعي الآفات، والحدّ الرّابع ينتهي إلى الهوى المردي والشيطان المغوي ، و فيه يشرع باب هذه الدّار على الخروج من عزّ الطاعة إلى الدّخول في ذلّ الطلب ، فما أدركك في هذه الدّار فعلى مبلبل أجسام الملوك ، وسالب نفوس الجبابرة ، و مزيل ملك الفراعنة مثل كسرى وقيصر ، وتبّع وحمير ، ومن جمع المال فأكثر واتّحد و نظر بزعمه الولد ، ومن بنى وشيّد وزخرف وأشخصهم إلى موقف العرض إذا نصب الله عزّ وجلّ كرسيّه لفصل القضاء ، وخسر هنالك المبطلون ، يشهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى ، ونظر بالعينين إلى زوال الدّنيا ، وسمع صارخ الزّهد عن عرصاتها.

ما أبين الحقّ لذي عينين إنّ الرّحيل أحد اليومين

فبادروا بصالح الأعمال فقد دنا النقلة و الزوال . انتهى .

أقول : مع فرض صحّة إسناد الرواية إلى الفضيل أوّلاً ، وعدم سهو الراوي وعدم الإسقاط والحذف ثانياً ، ما كان للفضيل و أضرابه أن يسوقوا الكلام إلى ذلك الحدّ من الزّهد في الدّنيا والرغبة عنها أو يعبروا تلك المعاني اللّطيفة بتلك الألفاظ الوجيزة ثالثاً ، بل لا نشكّ في أنّ سبك العبارات على هذا الأسلوب البديع ، وسوق المعاني على هذا النهج المنيع و التنفير عن الدّنيا بهذه الغاية والجودة واللّطافة إنما نزل من حضرة القدس العلويّة .

ولا ننكر أنّ مثل تلك الواقعة وقع للفضيل أيضاً إلاّ أنّ الفضيل لما رأى أنّ عمل الفيض بن إسحاق شبيه بعمل شريح ويناسبه انتقل إلى ماقاله أمير المؤمنين عليه السلام لشريح فخاطب به الفيض تنبيهاً له ، وإنما لم ينسب الكلام إليه عليه السلام إمّا لعلمه بأنّ الفيض أيضاً عالم بذلك الكتاب لاشتهاره بين أهله ، أو كان نقله من باب الاقتباس إن لم يتطرّق إليه سقط وحذف من الراوي

و كم لما قلنا من نظير وشبيه نظماً ونثراً ، مثلاً أنّ العروضي نقل في كتابه المعروف بـ « چهار مقاله » أى أربع مقالات ، أنّ نوح بن منصور أمير الخراسان كتب إلى آلبتكين كتاباً توعّده فيه بالعقوبة و أوعده بالقتل و الأسر و النهب فلمّا بلغه الكتاب أمر الإسكافيّ الكاتب البليغ المشهور أن يجيبه عن كتابه ويستخفّ به ويستهين ، فكتب الإسكافيّ : « يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين » .

فانظر فيه كيف اقتبس كتابه من القرآن الكريم من غير أن يتفوّه باسناده إليه .

ثمّ لا ننكر فضل الفضيل وأنّ له كلمات فاضلة لأنّه كان له شأن و إدراك السعادة العظمى لأنّه كان من سلسلة الرواة وأتى بكثير من رواياته وكلماته الأنيقة العذبة أبو نعيم في الحلية ، ولأنّه أدرك أباعبدالله عليه السلام و اغترف من بحر حقائقه

بقدر وسعه ، واقترف من كنوز معارفه بمبلغ كدّه وجهده، روى عنه عليه السلام نسخة يرويها النجاشيّ ولكن كلماته موجودة ونقل كثير منها في الحلية بينها وبين الكتاب بون بعيد ومسافة كثيرة لاتشابهه في سلك ألفاظه ولاتدانيه في سبك معانيه .

ثمّ ممّا يؤيّد كلامنا بأنّ الفضيل اقتبس الكتاب منه عليه السلام ما أسند إليه أبونعيم في الحلية أيضاً وهو عن الصادق عليه السلام قال أبونعيم (ص ١٠٠ ج ٨ حلية الأولياء الطبع المذكور) : حدّثنا محمّد بن عليّ، ثنا المفضل بن محمّد الجندي ، ثنا محمّد بن عبدالله بن يزيد المقري قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : سمعت الفضيل ابن عياض يقول : يغفر للجاهل سبعون ذنباً مالم يغفر للعالم ذنب واحد . انتهى .

وهذه الرواية مع أنها لاتدلّ على أنّ الفضيل قائلها تنافي ما في الكافي ونقلها الفيض في الوافي (ص٥٢ ج ١) في أوّل باب لزوم الحجة على العالم وتشديد الأمر عليه مسنداً عن المنقري عن حفص بن غياث عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال يا حفص يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد .

وإن اختلج ببالك أنّ تنظيم قبالة الأرض والدّار على هذا النظم المتضمّن للحدود لم يعهد مثله في صدر الاسلام ، بل صار متعارفا معهوداً بعد ذلك العصر فكيف يصحّ اسناد هذا الكتاب إلى الأمير عليه السلام ؟ .

فاعلم : أنّ أمثال هذه الأمور الغير المعهودة الصادرة منه عليه السلام ليس بعزيز حتّى يستغرب من إسناد هذا الكتاب إليه عليه السلام .

ومن نظر في كتبه ورسائله حيث إنّه عليه السلام يبيّن في بعضها آداب العامل والوالي ، وفي بعضها وظائف الخليفة والأمير ، وفي بعضها فنون المجاهدة ورسوم المقاتلة ، وفي بعضها تعيين أوقات الفرائض ، وفي بعضها ما يتمّ به صلاح الاجتماع وما به يصير المدينة فاضلة وغيرها من المطالب المتنوّعة في الموضوعات المختلفة الشاخصة الّتي لم تتغيّر بتغيّر الأعصار ، ولم تختلف باختلاف الأمصار قطّ، لأنّها حقائق والحقيقة فوق الزّمان والزّماني وغير متغيّر بتغيّر المادّة والمادّيات، علم أنّ جميع ما فاض من سماء علمه ممّا يتحيّر فيه العقول ، و يستغرب ، و أنّ

بروز نحو هذا الكتاب منه عليه السلام ليس بمستبعد .

على أنّه رويت عنه عليه السلام واقعة اُخرى وقبالة نظير هذه الواقعة والقبالة نقلها حسين بن معين الدّين الميبدي في شرح الدّيوان المنسوب إلى الأمير عليه السلام (ص ٤٤٨ طبع ايران ١٢٨٥ هـ) : روى أنّ بعض أهل الكوفة اشترى داراً و ناول أمير المؤمنين عليه السلام رقاً وقال له : اكتب لي قبالة ، فكتب عليه السلام : بسم الله الرحمن الرّحيم هذا ما اشترى ميّت عن ميّت داراً في بلدة المذنبين ، و سكنة الغافلين . الحدّ الأوّل منها ينتهي إلى الموت ، والثاني إلى القبر ، و الثالث إلى الحساب والرابع إمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النار ، ثمّ كتب في ذيلها هذه الأبيات :

النفس تبكي على الدّنيا وقد علمت — أنّ السلامة منها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها — إلاّ الّتي كان قبل الموت بانيها
فإن بناها بخير طاب مسكنها — و إن بناها بشرّ خاب ثاويها
أين الملوك الّتي كانت مسلّطة — حتّى سقاها بكأس الموت ساقيها
لكلّ نفس وإن كانت على وجل — من المنيّة آمال تقوّيها
فالمرءُ يبسطها والدّهر يقبضها — والنفس تنشرها والموت تطويها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها — و دورنا لخراب الدّهر نُبنيها
كم من مدائن في الآفاق قد بُنيت — أمست خراباً ودون الموت أهليها

و كذا روي عن الصادق عليه السلام نحو هذا الحديث من جهة تحديد الحدود الأربعة كما في المناقب لمحمّد بن شهر آشوب عن هشام بن الحكم قال : كان رجل من ملوك أهل الجبل يأتي الصادق عليه السلام في حجّة كلّ سنة ، فينزله أبو عبدالله عليه السلام في دار من دوره في المدينة ، وطال حجّه و نزوله فأعطى أبا عبدالله عليه السلام عشرة آلاف درهم ليشتري له داراً وخرج إلى الحجّ ، فلمّا انصرف قال : جعلت فداك اشتريت لي الدّار؟ قال عليه السلام : نعم ، وأتى بصكّ فيه :

بسم الله الرّحمن الرّحيم هذا ما اشترى جعفر بن محمّد لفلان بن فلان الجبلي ، اشترى داراً في الفردوس ، حدّها الأوّل رسول الله صلّى الله عليه وآله ، و الحدّ الثاني

أميرالمؤمنين عليه السلام ، والحدُّ الثالث الحسن بن عليٍّ ، و الحدُّ الرابع الحسين بن عليٍّ عليهما السلام .

فلمّا قرأ الرّجل ذلك قال : قدرضيت جعلني الله فداك قال: فقال أبوعبدالله عليه السلام : إنّي أخذت ذلك المال ففرّقته في ولدالحسن والحسين عليهما السلام وأرجو أن يتقبّل الله ذلك ، ويثيبك به الجنّة .

قال : فانصرف الرّجل إلى منزله وكان الصكُّ معه ، ثمّ اعتلّ علّة الموت فلمّا حضرته الوفاة جمع أهله و حلّفهم أن يجعلوا الصكّ معه ، ففعلوا ذلك فلمّا أصبح القوم غدوا إلى قبره فوجدواالصكّ على ظهرالقبر مكتوب عليه : وفى لي والله جعفربن محمد عليهما السلام بما قال .

أقول : وللخدشة في هذا الحديث المنسوب إلى الصادق عليه السلام مجال و إنما ذكرناه تأييداً لما قدّمنا وبالجملة إنما يستفاد من واقعة الأمير عليه السلام مع شريح ومع بعض أهل الكوفة أنّ القبالة المتداولة في زماننا تكتب في ابتياع الأملاك حيث يتعيّن فيه الحدود ويذكر فيه الشروط والشهود إنما كانت متعارفة في زمن الصحابة أيضاً هب أنّها بتلك الكيفيّة لم تكن معهودة في صدر الاسلام ، فلا بأس أن يكون أميرالمؤمنين عليه السلام مبتكرة فيه ، فانّه عليه السلام كان سبّاقاً إلى العجائب والغرائب دائماً فلا مجال لتوهّم إسناد الكتاب إلى غيره عليه السلام بمجرّد الاستبعاد بل استناده إلى مثل الفضيل مستبعد جدّاً ، بل عدم صحة الاسناد إليه معلوم قطعاً .

« سندالكتاب »

نحن بعون الله تعالى وجدنا أسانيد جلّ ما في نهج البلاغة و نرجو من الله الهادي تحصيل أسانيد ما لم يحصل بعد ، وببالي إن أخذ التوفيق بيدي أن أذكر أسانيد ما فيالنهج وما لم يأت به الرّضيُّ رضوان الله عليه من كلامه عليه السلام في آخر الشرح .

فنقول : يا ليت الرّضيّ ذكر أسانيد ما نقل فيالنهج ومداركه لئلاّ يتقوّل عليه بعض الأقاويل ، ولكنّ الانصاف أن يقال: كفى في سنده أنّ مثل الرّضيّ

أسنده إليه عليه السلام .

ثمّ نقول في المقام : أوّلاً إنّ الشريف الرّضيّ مع جلالة شأنه و فخامة أمره وتتبّعه في الآثار وعرفانه بالأخبار وتبحّره في فنون الكلام وتضلّعه في جلّ ما أتى به الشرع أسند الكتاب أعني ذلك الكتاب الّذي كتبه عليه السلام لشريح، إليه عليه السلام

وثانياً أنّ العلاّمة الشيخ بهاء الدّين العاملي قدّس سرّه رواه مسنداً في كتابه المعروف بالأربعين وهو الحديث الرابع عشر منه و سلسلة سنده من المشائخ العظام والرواة الأجلاّء ، فبعد اللّتيا والّتي فلامجال لأحد أن يناقش في إسناد الكتاب إليه عليه السلام ، وفي اقتباس الفضيل منه عليه السلام ودونك الكتاب وسنده على ما في الأربعين.

روى الشيخ رحمه الله بسنده المتصل إلى الشيخ الجليل محمّد بن بابويه ـ و قد ذكر سنده إلى ابن بابويه في الحديث الأوّل من الأربعين ـ عن صالح بن عيسى بن أحمد، عن محمّد بن محمّد بن عليّ، عن محمّد بن الفرج الرخجي ـ بالراء المهملة المضمومة والخاء المعجمة المفتوحة والجيم ثقة من أصحاب الرّضا عليه السلام ـ عن عبدالله بن محمّد العجلي، عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسني ـ المعروف بشاه عبدالعظيم المدفون بالري ـ عن أبيه، عن أبان مولى زيد بن عليّ، عن عاصم بن بهدلة قال :

قال لي شريح القاضي : اشتريت داراً و كتبت كتاباً وأشهدت عدولاً ، فبلغ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فبعث إليّ مولاه قنبر، فأتيته فلمّا دخلت عليه قال : يا شريح اتّق الله فإنّه سيأتيك من لا ينظر في كتابك، ولا يسأل عن بيّنتك حتّى يخرجك من دارك شاخصاً ، ويسلّمك إلى قبرك خالصاً، فانظر أن لا تكون اشتريت هذه الدّار من غير مالكها ، و وزنت مالاً من غير حلّه ، فاذا قد خسرت الدّارين جميعاً : الدّنيا والآخرة . ثمّ قال عليه السلام : فلو كنت عند ما اشتريت هذه الدّار أتيتني فكتبت لك كتاباً على هذه النسخة إذ لم تشترها بدرهمين ، قال: قلت: وما كنت تكتب يا أمير المؤمنين ؟ قال عليه السلام : كنت أكتب لك هذا الكتاب :

بسم الله الرّحمن الرّحيم هذا ما اشترى عبد ذليل من ميّت اُزعج بالرّحيل اشترى داراً في دار الغرور من جانب الفانين إلى عسكر الهالكين وتجمع هذه الدّار

حدود أربعة : فالحدّ الأوّل منها ينتهي إلى دواعي الآفات ، و الحدّ الثاني منها ينتهي إلى دواعي العاهات ، والحدّ الثالث منها ينتهي إلى دواعي المصيبات ، والحدّ الرابع منها ينتهي إلي الهوى المردي و الشيطان المغوي ، و فيه يشرع باب هذه الدّار .

اشترى هذا المفتون بالأمل ، من هذا المزعج بالأجل ، جميع هذه الدّار بالخروج من عزّ القنوع ، والدّخول في ذلّ الطلب ، فما أدرك هذا المشتري من درك فعلى مبلي أجسام الملوك وسالب نفوس الجبابرة مثل كسرى و قيصر ، وتبّع وحمير ، ومن جمع المال إلى المال فأكثر ، وبنى فشيّد ، ونجّد فزخرف وادّخر بزعمه للولد ، إشخاصهم جميعاً إلى موقف العرض لفصل القضاء ، و خسر هنالك المبطلون شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسرى الهوى ، ونظر بعين الزوال لأهل الدّنيا ، وسمع منادي الزّهد ينادي في عرصاتها :

ما أبين الحقّ لذي عينين　　إنّ الرّحيل أحد اليومين

تزوّدوا من صالح الأعمال ، وقرّبوا الآمال بالآجال .

« اللغة »

(على عهده) أي في زمانه فإنّ كلمة الجارّة ههنا بمعنى في ، وأحد معاني العهد الزّمان ، ففي أقرب الموارد : كان ذلك في عهد شبابي أي زمانه ، و منه كان ذلك على عهد فلان أي في زمانه . انتهى .

(دينار) الدّينار ضرب من النقود القديمة الذّهبيّة ، و في أقرب الموارد أنه فارسي معرّب ، وأصله دنّار بالتشديد بدليل جمعه على دنانير و تصغيره على دنينير ، لأنّهما يرجعان الكلمة إلى أصلها غالباً فاُبدل من أحد حرفي تضعيفه ياءً لئلاّ يلتبس بالمصادر الّتي يجيء على فِعّال كقوله تعالى : « و كذّبوا بآياتنا كذّاباً » (النبأ ـ ٢٩) إلاّ أن يكون بالهاء فيخرج على أصله مثل الصنّارة والدنّامة لأنّه أمن الآن من الالتباس ، قاله في الصحاح .

(استدعاه) أي طلبه (أشهدت فيه شهوداً) أي أحضرت فيه شهوداً ، أوتكون

كلمة في الجارة بمعنى على نحو قوله تعالى « ولأصلّبنكم في جذوع النخل » (طه ٧٦) ويقال : أشهد فلاناً على كذا أي جعله شاهداً عليه ، فالمعنى وجعلت قوماً شهوداً عليه ، والشهود جاء مصدراً وغير مصدر والمراد هنا الثاني يقال : شهد عند الحاكم لفلان على فلان بكذا شهادة من بابي علم وكرم إذا أدّى ما عنده من الشهادة ، فهو شاهد فيجمع على شهود نحو عادل وعدول ، وشهد كصاحب وصحب ، وأشهاد كناصر وأنصار وشاهدين كعالم وعالمين . وفي نسختي الأربعين وحلية الأولياء : و أشهدت عدولاً ولكن الشهود أنسب بالمقام من العدول .

(أما) بفتح الأوّل وتخفيف الثاني : حرف تنبيه ههنا .

(سيأتيك من) المراد من مَن إمّا الموت أو ملك الموت ، والثاني أولى لأنّ من يستعمل غالباً في ذوي العقول كما أنّ ما يستعمل غالباً في غير ذوي العقول وإنّما قلنا غالباً لأنّ ما قد يستعمل في ذوي العقول كقوله تعالى : « والسماء وما بنيها » (الشمس ـ ٦) ومن في غير ذوي العقول كقوله تعالى « فمنهم من يمشي على بطنه » (النور ـ ٤٥) والتفصيل مذكور في الموصولات من كتب النحو .

(لا ينظر في كتابك) يقال : نظره و نظر إليه إذا أبصره بعينه و نظر فيه إذا تدبّره وفكّر فيه ، يقدّره ويقيسه ومنه قوله تعالى « ونظر نظرة في النّجوم فقال إني سقيم » (الصافات ـ ٨٧ و ٨٨) و لذا قال بعضهم : إنّ نظر يتعدّى إلى المبصرات بنفسه ويتعدّى إلى المعاني بفي .

(لا يسألك عن بيّنتك) السؤال إذا كان بمعنى الاستخبار يتعدّى إلى مفعولين إلى الأوّل بنفسه وإلى الثاني بعن كما في المقام ، وقد يتعدّى إلى الثاني بالباء مضمّنة معنى عن نحو : سل به خبيراً ، إي سل عنه ، وقد تخفف الهمزة من فعله فيقال سال يسال سل ومسول كخاف يخاف خف ومخوف ، المستفاد من ظاهر كلام المرزوقي في شرح الحماسة (الحماسة ٧٥٧ ص ١٧١٥ طبع مصر ١٣٧١ هـ) أنّ التخفيف هو لغة هذيل . قال عبدالله بن الدمينة (الحماسة ٥١٠) .

سلي البانة الغناء بالأجرع الّذي　　　به البانُ هل حيّيتُ أطلال دارك

فقوله : سلي ، كان أصله اسألي فخذف الهمزة تخفيفاً وألقيت حركتها على السين فصار إسلي ، ثمّ استغنى عن همزة الوصل لتحرّك ما بعدها فحذفت فصارت سلي ، وعلى هذا القياس قوله تعالى : « سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بيّنة » (البقرة ـ ٢٠٩) .

(البيّنة) الحجّة . و في نسخة الأربعين عن بيتك أي دارك الّتي اشتريتها والأوّل أنسب بالمقام ، وما يختلج في البال أنّ الثاني حرّف من الكتّاب وإلاّ لقال عليه السلام : حتّى يخرجك منه ، لا من دارك كما لا يخفى على العارف بأساليب الكلام ، والشاهد لذلك ترجمة ابن خاتون العاملي بالفارسية في شرحه على الأربعين للشيخ بهاء الدّين قدّس سرّه حيث قال : زود باشد كه بر تو وارد شود شخصى كه نگاه بسند تو نكند ، واز گواهان تو چيزى نپرسد ، الخ . على أنّ النسختين متفقتان في الأوّل .

(شاخصاً) إشارة إلى قوله تعالى : « إنما يؤخّرهم ليوم تشخص فيه الأبصار » (الحجر ـ ٤٤) وقوله تعالى : « فاذا هي شاخصة أبصار الّذين كفروا » (الأنبياء ٩٨) قال الراغب في المفردات : قال تعالى : تشخص فيه الأبصار ، شاخصة أبصارهم أي أجفانهم لاتطرف . وفي مجمع البيـان التفسير : شخص المسافر شخوصاً إذا خرج من منزله ؛ وشخص عن بلد إلى بلد وشخص بصره إذا نظر إليه كأنه خرج إليه . يقال : شخص بصره فهو شاخص إذا فتح عينيه وجعل لايطرف مع دوران في الشحمة ، وشخص الميّت بصره وببصره أي رفعه ، وفي منتهى الارب : شخص بصره : وا كرد چشم را و وا داشت وبرهم نزد آنرا وبلند كرد نگاه را ، وشخصت عينه باز ماند چشم او .

ويمكن أن يتّخذ الشاخص من شخص المسافر من بلد إلى بلد شخوصـاً بمعنى ذهب وسار وخرج من موضع إلى غيره ، ومنه حديث إقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل .

أو من شخص السهم إذا ارتفع عن الهدف ، ومنه الدّعاء : اللّهمّ إليك شخصت

الأبصار أي ارتفعت أجفانها ناظرة إلى عفوك ورحمتك ، قال الجوهري في الصحاح: أشخص الرامي إذا جاز سهمه الغرض من أعلاه ، و هو سهم شاخص ، فالمراد على هذا الوجه الأخير حتّى يخرجك منها مرفوعاً أي محمولاً على أكتاف الرّجال .

والوجهان الأخيران ممّا احتملهما الشيخ في الأربعين أيضاً و جعل العبارة على الأوّل كناية عن الموت ، فانّه ذكر معنى الشاخص على الوجه الّذي أتى به الجوهري في الصّحاح حيث قال : شخص بصره بالفتح فهو شاخص إذا فتح عينيه وصار لايطرف ، وهو كناية عن الموت و كذا الطريحي في مجمع البحرين .

ولكن في أقرب الموارد بعد ما في الصحاح أتى بقيد زائد و هو قوله : مع دوران الشحمة ، وهذا المعنى لايناسب قوله عليه السلام : حتّى يخرجك ، فانّ المرء مالم يمت لايخرج من داره ، ولايخفى أنّ المعنى الّذي ذكره في الصحاح لايشير إلى الموت ، غاية الأمر إلى شدّة الأمر وهوله ، ولذا فسّر الكلبي كما في مجمع البيان قوله تعالى : « فإذا هي شاخصة أبصار الّذين كفروا » بقوله : إنّ أبصار الّذين كفروا تشخص في ذلك اليوم أي لاتكاد تطرف من شدّة ذلك اليوم وهوله، ينظرون إلى تلك الأهوال .

وبالجملة إنّ شخص بالمعنى الأوّل لايدلّ على موت الشاخص إلاّ أن يؤخذ الشاخص من شخص الميت بصره وببصره إذا رفعه ، و كذا شخصت عينه ، حتّى يستقيم المعنى الكنائي ، أو من شخص المسافر بمعنى ذهب و سار على نوع من التجوّز .

(يسلّمك إلى قبرك) من التسليم أي يعطيك قبرك ويناولك إيّاه يقال :سلّمه إلى فلان أي أعطاه إيّاه فتناوله منه ، ويمكن أن يؤخذ من الاسلام لأنّ أسلم جاء بمعنى سلّم أيضاً يقال : فلان أسلم أمره إلى فلان أي سلّمه إليه .

(خالصاً) الخالص هو المحض و المراد هنا العاري من أعراض الدّنيا وحطامها أي يخرجك عارياً منها .

(نقدت الثمن من غير حلالك) يقال : نقدته ونقدته لفلان الثمن أي أعطيته

إيّاه نقداً معجّلاً ، فالمراد أنك ابتعتها بيعاً نقداً أي بيع الحالّ بالحالّ .

وعلى نسخة الشيخ في الأربعين : و وزنت مالاً مـن غير حلّه ، أي وزنت للدّار أو لبائعها مالاً يقال : وزنت فلاناً و وزنت لفلان كما يقال : كلت زيداً و كلت لزيد قال تعالى « وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » (المطففين ـ ٤) .

وعلى نسخة أبي نعيم في الحلية : أو ورثت مالاً من غيرحلّه ، و معناه ظاهر ولكنّ الصواب أن يقال : إنّ ورثت محرّف وزنت لعدم مناسبة ورثت في المقام وتفسير العبارة على ورثت لايخلو من تكلّف وتعسّف . وما في المتن موافق للنسختين .

(ترغب في شراء) الأفعال كما تتغيّر معانيها بتغيّر الأبواب سواء كانت الأبواب مجرّدة أوغيرمجرّدة كذلك تتغيّر معانيها بتغيّر صلاتها ، وكذاالحكم في مصادرها ، فالرغبة ومشتقاتها إذا كانت صلتها كلمة في الجارّة تفيدمعنى الارادة والميل إلى الشيء ونحوهما يقال : رغب في الشيء إذا أراده و أحبّه ، و مال إليه وطمع فيه وحرص عليه ، وإذا كانت صلتها كلمة عن الجارّة تفيد الاعراض والترك يقال : رغب عنه إذا زهد فيه ولم يرده وأعرض عنه وتركه قال تعالى : « ومن يرغب عن ملّة إبراهيم إلاّ من سفه نفسه » (البقرة ـ ١٢٦) .

(الدّرهم) بكسر الدّال وفتح الهاء و كسرها : ضرب من النقود القديمة المضروبة من الفضّة للمعاملة ، قال في الصحاح ومنتهى الارب : إنه فارسيّ معرّب وفي أقرب الموارد والمنجد : يوناني معرّب . وربّما قالوا درهام أيضاً بكسر الدّال قال الشاعر :

لو أنّ عندي مائتي درهام　　　لجاز في آفاقها خاتامي

وجمع الدّرهم دراهم ؛ وجمع الدّرهام دراهيم ، قال الشاعر :

تنفي يداها الحصى في كلّ هاجرة　　　نفي الدّراهيم تنقاد الصياريف

نقل البيتين في الصحاح .

(ميّت) أصله ميوت على وزن فيعل من الموت .

(اُزعج للرّحيل) اُزعج بالبناء للمفعول أي شُخص به للرّحيل يقال

أزعجه فانزعج أي أقلقه وقلعه من مكانه فقلق وانقلع ، هذا إن كانت اللاّم للتعليل وإن كانت بمعنى إلى فالمعنى سبق إليه يقال : أزعجه إلى المعصية أي ساقه إليها كما في لسان العرب في مادّة أزز على ما في أقرب الموارد .

(دار الغرور) الغرور بضمّ الغين المعجمة مصدر يقال غرّه يغرّه غروراً من باب نصر أي خدعه وأطمعه بالباطل ولذا قيل : الغرور تزيين الخطاء بما يوهم أنّه صواب ، وكذا قيل : الغرور شرك الطريق بفتحتين ، و المراد من دار الغرور الدُّنيا قال تعالى « وما الحيوة الدُّنيا إلاّ متاع الغرور » (آل عمران ـ ١٨٤ والحديد ـ ٢١) و قال تعالى : « إنّ وعدالله حقّ فلا تغرّنّكم الحيوة الدُّنيا ولايغرّنّكم بالله الغرور » (لقمان ـ ٣٥) و لذا توصف الدُّنيا بالغرور بالفتح و يقال : دنيا غرور بل أحد معاني الغرور بالفتح الدُّنيا، قال ابن السكيت كما في صحاح الجوهري : الغرور الشيطان ومنه قوله تعالى « ولايغرّنّكم بالله الغرور » .

أقول: الصواب أنّ كلّ ما يغرُّ الانسان من مال وجاه وشهوة وشيطان وغيرها فهو غرور بالفتح وإنما فسّر بالشيطان لأنّه الغارّ الحقيقي و تلك الأُمور آلات و وسائط . إذهو أخبث الغارين، وبالدُّنيا لأنّها تغرُّ وتضرُّ وتمرُّ كما قاله عليه السلام وسيأتي في باب المختار من حكمه .

(خِطّة) واحدة خطط قال الجوهريّ في الصّحاح : الخطّة بالكسر الأرض يختطّها الرّجل لنفسه وهو أن يعلم عليها علامة بالخطّ ليعلم أنّه قداختارها لنفسه ليبنيها داراً ، ومنه خطط الكوفة والبصرة ، والمراد منها البقعة و الناحية والجانب وأمثالها ويقال بالفارسية : سرزمين .

(تجمع هذه الدّار) أي تحويها وتحيط بها . (دواعي) جمع الدّاعية بمعنى السببَ ، قال الحريري : وتاقت نفسي إلى أن أفضّ ختم سرّه وأبطن داعية يسرّه، أي أعرف باطن سبب يسرّه نقله في أقرب الموارد ، دواعي الدّهر: صروفه ، دواعي الصدر : هومومه ، و لكن المراد هنا معناها الأوّل أى أسباب الآفات والمصيبات .

وفي الحلية : والحدُّ الأوّل منها وفي الأربعين والحدُّ الثاني منها ينتهي إلى دواعي العاهات، وهي جمع العاهة أي الآفة، وأصل العاهة عَوَهَة، يقال: عيه الزرع وأيف وأرض معيوهة أي ذات عاهة وطعام ذو معوَهة أي من أكله أصابته عاهة وفي النهاية الأثيرية: في الحديث نهى عن بيع الثمار حتّى تذهب العاهة ، أي الآفة الّتي تصيبها فتفسدها يقال : عاه القوم وأعوهوا إذا أصابت ثمارهم و ماشيتهم العاهة ، و منه الحديث : لا يورد ذو عاهة على مصحّ ، أي لا يورد من بابله آفة من جرب أو غيره على من إبله صحاح لئلاّ ينزل بهذه ما نزل بتلك فيظنّ المصحُّ أنّ تلك أعدتها فيأثم .

وفي مجمع البحرين : في الحديث بظهر الكوفة قبر لا يلوذ به ذو عاهة إلا شفاه الله ، أي آفة من الوجع ، وفي الحديث : لم يزل الإمام مبرءاً عن العاهات أي هو مستوي الخلقة من غير تشويه .

وقيل : الفرق بين الآفات والعاهات أنّ العاهات تكون الأمراض الظاهرية من قبيل برص أو جذام ، والآفات تكون الأمراض الباطنيّة من مثل الحمّى .

(المردي) اسم فاعل من الإرداء بمعنى الاهلاك ، فالهوى المردي أي الهوى المهلك ، والرّدي : الهلاك ، والمراد هنا هلاك الدّين ، و يقال أيضاً : أرداه في البئر مثلا أي أسقطه فيها ، فالمعنى على هذا الوجه الهوى المسقط إلى هوّة جهنّم ومآل المعنيين واحد .

(المغوي) كالمردي فاعل من الأغواء أي المضلّ ، وهو إشارة إلى قوله تعالى حاكياً عن الشيطان : « ولأُغوينّهم أجمعين » (الحجر ـ ٤١) « قال فبعزّتك لأُغوينّهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلصين » (ص ـ ٨٥) .

وفي الحلية (زقاق الفناء) الزقاق بضمّ الأوّل وتخفيف الثاني: السكّة وقيل: الطريق الضيق دون السكة نافذاً كان أو غير نافذ يذكّر ويؤنّث جمعه زقاق بالضمّ فالتشديد وأزقّة .

(يشرع) بالبناء للمفعول من الاشراع أي يفتح ، وفي القاموس :أشرع باباً إلى الطريق فتحه . أو من الاشراع بمعنى التهيّؤ أى يتهيّأ للدُّخول و الخروج

نحو قول جعفر بن علبة الحارثي (الحماسة ٤) :

فقالوا لنا ثنتان لابدّ منهما صدور رماح أُشرعت أو سلاسل

أي إذا كان الأمر على هذا فلابدّ من أحدهما إمّا صدور رماح هيّأت للطعن أو سلاسل ، أي إمّا القتل أو الأسر ولكن المعنى الأوّل أبين وأنسب .

في الأربعين : بالخروج من عزّ القنوع ، والقنوع بالضمّ : القناعه .

(الضّراعة) : الذّلة : مصدر من ضرع ضراعة من بابي منع و شرف أي خضع وذلّ وتذلّل .

(أدرك) بمعنى لحق يقال : طلب الشيء حتّى أدركه أي حتّى لحقه و وصل إليه .

(درك) قال في الصحاح : الدرك التبعة ، تسكن وتحرّك ، يعني أنّ الدرك يقرأ على وجهين بفتح الأوّلين وبفتح الأوّل وسكون الثاني يقال : ما لحقك من درك فعليّ خلاصه ، والمراد من الدرك هنا ما يضرّ بملكية المشتري كأن يدّعي أحد كان المبيع ملكه وبيع بغير حقّ وكان البائع غاصباً وغير ذلك .

(مبلبل) اسم فاعل من بلبل القوم بلبلة و بلبالاً إذا هيّجهم و أوقعهم في الهمّ و وسواس الصدور ، قال باعث بن صريم « على التصغير » :

سائل أسيد هل ثأرت بوائل أم هل شفيت النفس من بلبالها

أي من همّها و حزنها (الحماسة ١٧٥) .

وقال منصور النمري :

فلمّا رآني كبّر الله وحده وبشّر قلباً كان جمّاً بلابله

أي كانت غمومه مجتمعة عليه (الحماسة ٧٤٩) .

أو من بلبل الألسنة أي خلّطها أي يخلّط ويمزج أجسامهم بتراب القبر .

أو من بلبل الشيء إذا فرّقه ومزّقه وأفسده بحيث أخرجه عن حدّ الانتفاع به ، والمراد هنا المعنى الثاني أو الثالث كما هو ظاهر لاغبار عليه ، فلا حاجة إلى ما تكلّف به الشيخ محمّد عبده حيث فسّر مبلبل الأجسام بقوله : مهيّج داءاتها

المهلكة لها .

و في نسخة الشيخ في الأربعين : فعلى مبلي أجسام الملوك ، و قال قدّس سرّه في بيانه : مبلي كمكرم من البلاء بالكسروهوالدّثور و الاندراس ، و كذا ابن الخاتون العاملي في شرحه قال : مبلي بروزن مكرم مأخوذ از بلاى بكسر با است كه بمعني دثور واندراس است يعني از هم پاشيدن وريزه ريزه شدن ، ولم ينقلا غيرالمبلي نسخة اُخرى فعندهما المبلي هوالمتعيّن ، وفي النهج و الحلية : المبلبل مكان المبلي ، ومآل الكلّ واحد يقال : أبلى الثوب أي أخلقه و بلبله أي مزّقه وأفسده ، فمعنى أحدهما قريب من الآخر .

(سالب نفوس الجبابرة) سلبه يسلبه سَلْباً وسَلَبا من باب نصر أى انتزعه من غيره على القهر ، والنفوس جمع النفس وهي هنا بمعنى الرّوح ، والجبابرة : الملوك كما في اللّسان فسالب نفوس الجبابرة أي قابض أرواح الملوك أو أنّ الملوك أحد بعض مصاديق الجبابرة .

ثمّ الظاهر أنّه عليه السلام كنّى بالمبلبل والسالب والمزيل عن الله جلّت عظمته ويمكن إرادة ملك الموت منها ولكنّ الشيخ صرّح في الأربعين بأنّ المراد منها الموت فليتأمّل .

(كسرى) بكسر الكاف وفتحها أيضاً لقب ملوك الفرس ، وهومعرّب خسرو أي واسع الملك وأحد جموعه : أكاسرة .

(قيصر) لقب ملوك الرّوم وجمعه : قياصرة .

(تبّع) بضمّ التاء المثناة من فوق وتشديد الباء الموحّدة المفتوحة . لقب ملوك اليمن والجمع : تبابعة .

(حمير) بكسر أوّله وفتح ثالثه أبوقبيلة من اليمن و هو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ومنهم كانت الملوك في الدّهر الأوّل و اسم حمير العرنج ، قاله في الصحاح .

(شيّد) الشيد بكسر الشين ما يطلى به الحائط من جصّ أوبلاط و نحوهما

وبالفتح المصدر يقال : شاده يشيده شيداً بالفتح جصّصه ، و هو مشيد أى معمول بالشيد قال تعالى : « و قصر مشيد » ونقل إلى باب التفعيل للمبالغه ، أويكون من شيّد البناء أي رفعه كما في أقرب الموارد و كذا في الصحاح حيث قال : و المشيّد بالتّشديد المطوّل ، أومن شيّد قواعده أي أحكمها .

قال الكسائيُّ : المشيد للواحد من قوله تعالى « و قصر مشيد » و المشيّد بالتّشديد للجمع من قوله تعالى « في بروج مشيّدة » نقله في الصحاح ·

أقول : الظاهر أنّ الكسائي أراد أنّ المشيد و المشيّد بمعنى واحد إلاّ أنّ الأوّل يستعمل في المفرد والثاني في الجمع فلايقال قصرمشيّد بالتشديد أو بروج مشيدة بالتخفيف فتأمّل .

(زخرف) زخرفه أى زيّنه وحسّنه ، و الزُّخرف كلُّ ما حسن به الشيء والمزخرف المزيّن قال الله تعالى : « حتّى إذا أُخذت الأرض زخرفها و ازّيّنت (يونس ـ ٢٦) .

قال عنترة بن الأخرس (الحماسة ٨١٧) :

لعلّك تمنى من أراقم أرضنا بأرقم يسقى السمّ من كل منطف
تراه بأجواز الهشيم كأنّما على متنه أخلاق بُرد مفوّف
كأنّ بضاحي جلده و سراته و مجمع ليتيه تهاويل زخرف

شبّه بارز جلدالحيّة وظهره ومجمع صفحتي عنقه لاختلاف ألوانها بالتهاويل الّتي تزخرف بها الإبل . وفي المفردات : الزُّخرف الزينة المزوّقة و منه قيل للذهب زخرف .

قال في الصحاح : الزُّخرف الذّهب ثمّ يشبّه به كلّ مموّه مزوّر ، فعلى هذا قوله عليه السلام زخرف بمعنى زيّنه بالزُّخرف أي ذهّبه .

(نجّد) بالنون والجيم المشدّدة والدّال المهملة يقال : نجدالبيت أي زيّنه بالبسط والفرش والوسائد ، وفي اللّسان نجّدت البيت بسطته بثياب موشّيةوالنجد محرّكة : متاع البيت من فرش ونمارق وستور ، جمعه أنجاد ، و نجود البيت :

ستوره الّتي تعلّق على حيطانه يزيّن بها .

أو يكون نجّد من النجد بمعنى ما ارتفع من الأرض أي رفع البناء ، وهذا المعنى على نسخة الشيخ في الأربعين حيث قال : « نجّد فزخرف » أنسب إن لم يكن متعيّناً ، وعلى نسخة الرّضي المعنى الأوّل أنسب فإنّ زخرف أعني ذهّب يستعمل غالباً في تزيين سقف البيت، ونجّد في تزيين أرضه .

(ادّخر) أي اكتسب المال و خبأه لوقت الحاجة إليه ، و هو افتعل من الذّخر لكنّه أبدل من التاء دالاً فأدغم الدّال فيه فلك أن تقول : ادّخر ، ولك أن تقول : اذّخر، قال منظور بن سحيم « بالتصغير » الحماسة ٤٢٢:

وعِرضي أبقى ما ادّخرت ذخيرة　　　و بطني أطويه كطيّ ردائيا

(اعتقد) مالاً : جمعه، و اعتقد ضيعة : اقتناها ، تقول : اعتقد عقدة إذا اشترى ضيعة ، والعقدة : الضيعة والعقار الّذي اعتقده صاحبه ملكاً أي اقتناه وغيرهما من الأموال الصامتة فلك أن تقول : اعتقد أي جعل لنفسه عقدةً .

(الولد) بسكون الثاني وحركات الواو وبفتحهما كلّ ما ولده شيء ويطلق على الذكر والأنثى والمثنى والمجموع ، وهو مذكر والجمع أولاد وولدة بالكسر فالسكون و إلدة بإبدال الواو همزة و ولد بالضمّ فالكسر فالأخير جاء جمعاً و مفرداً كالفلك قال تعالى : « و الفلك الّتي تجري في البحر بما ينفع الناس » (البقرة- ١٦١) ، وقال تعالى : « حتّى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيّبة » (يونس- ٢٤) فالأولى مفرد والثانية جمع .

(نظر بزعمه للولد) يقال : نظر له أي رثاه وأعانه والمراد هنا جمع المال للولد إعانة له وتحنّناً عليه .

(إشخاصهم جميعاً إلى موقف العرض والحساب) أي إرجاعهم إليه قال في اللسان : أشخص فلاناً إلى قومه : أرجعه اليهم . و يقال أيضاً : أشخصه أي أزعجه وأحضره .

(العرض) أي عرض أعمالهم عليهم من عرض الشيء عليه وله أي أراه إيّاه

قال تعالى : « ثمّ عرضهم على الملائكة » (البقرة ـ ٣١) « وعرضوا على ربك صفاً » (الكهف ـ ٤٧) « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض » (الأحزاب ـ ٧٣) « وعرضنا جهنّم يومئذ للكافرين عرضا » (الكهف ـ ١٠١) « و يوم يعرض الّذين كفروا على النار) « الأحقاف ـ ٣٥) .

(فصل القضاء) الفصل إبانة أحد الشيئين من الآخر حتّى تكون بينهما فرجة ويوم الفصل أحد أسماء القيامة قال تعالى « هذا يوم الفصل جمعنا كم والأوّلين » (المرسلات ـ ٣٩) أي اليوم يبيّن الحقّ من الباطل، وقال تعالى « إنّ يوم الفصل ميقاتهم أجمعين » (الدخان ـ ٤٢) وقال : « وهو خير الفاصلين » (الأنعام ـ ٥٨) فقوله عليه السلام : فصل القضاء أي فصل القضاء بين الحقّ والباطل .

(خسر هنالك المبطلون) اقتباس من قوله تعالى : « فإذا جاء أمر الله قضي بالحقّ وخسر هنالك المبطلون » (المؤمن ـ ٨٠) .

الاعراب

« قاضي » صفة لشريح بالإضافة . « بثمانين » الباء للتعويض والمقابلة وهي الدّاخلة على الأعواض والأثمان . جملة اشترى على عهده داراً بثمانين ديناراً خبر إنّ . « قد كان ذلك » كان تامّة وذلك فاعل لها . « نظر مغضب » مفعول مطلق لفعل نظر .

ثمّ إنّ كلمة مغضب فيما رأينا من النسخ المطبوعة من النهج مشكولة بكسر الضاد لكنها وهم والصواب بفتحها كما في نسخة عتيقة مصحّحة جداً قد رزقنا الله أثناء الشرح و وفّقنا بابتياعها وقد تفألت بها التوفيق في إتمام هذا الأثر كيف لا وفي الخبر : إذا أراد الله شيئاً هيّأ أسبابه .

وبعد ذلك تفضّل علينا صديقنا الفاضل السيد مهدي الحسيني اللاّجوردي زاده الله توفيقاً بالاطلاع على نسخة من مكتبته بدار العلم قم قوبلت بنسخة السيّد الامام الرّضي رضوان الله عليه، والنسختان موافقتان متناً وصحّة في عدّة مواضع قوبلتا فيها ، والمغضب فيهما مشكولة بالفتح .

أما من حروف التنبيه يصدّر بها الجمل كلّها حتّى لايغفل المخاطب عن شيء ممّا يلقي المتكلّم إليه ، ولذا سمّيت حروف التنبيه ، وهي : أما وألا وها ، والأخيرة خاصّة من المفردات على أسماء الإشارة حتّى لايغفل المخاطب عن الاشارة الّتي لايتعيّن معانيها إلاّ بها نحو : هذا ، وهاتا ، ونحوهما .

« حتى لايخرجك » الفعل منصوب بأن المقدّرة وجوباً ويسلّمك عطف عليه .

« شاخصاً » حال لضمير المفعول في يخرجك . « خالصاً » حال لضمير المفعول في يسلّمك .

« فانظر يا شريح لاتكون » في نسختي الأربعين وحلية الأولياء : فانظر أن لاتكون . فإن كان بمعنى تدبّر وتفكر فلابدّ من صلته بفي ، وإن كان بمعنى أبصر إمّا أن تكون صلته بإلى ، وإمّا يتعدّى بنفسه يقال نظره ونظر إليه أي أبصره بعينه كما قدّمنا في اللّغة .

ثمّ إنّ الأولى والأنسب أن تكون صلة الفعل كلمة في الجارة المقدّرة حتّى تفيد معنى التدبّر والتأمّل والتفكّر أي تأمّل وتدبّر في أن لاتكون اشتريت هذه الدار من غير مالك أو نقدت الثمن من غير حلالك . فعلى هذا يكون المصدر المسبوك بأن الناصبة منصوباً بنزع الخافض ، أي تأمّل في عدم كونك شارياً لها من غير مالك وفي أدائك ثمنها من غير حلالك ، وأمّا نسخة النهج فعلى وزان قوله تعالى : « انظر كيف ضربوا لك الأمثال » (الاسراء ــ ٥٢)

ثمّ اعلم الصواب أن يقرأ ما لك في قوله عليه السلام : ابتعت هذه الدّار من غير مالك بهيئة الفاعل لأنّه لو قرىء باضافة المال إلى الضمير يلزم التكرار لأنّ معنى جملتي « ابتعت هذه الدّار من غير مـالك » و « أو نقدت الثمن من غير حلالك » واحد حينئذ فالمتعين أنه فاعل لامضاف ومضاف اليه ، ونسخة الشيخ في الأربعين « فانظر أن لاتكون اشتريت هذه الدّار من غير مالكها » شاهد صادق بل حجة قاطعة للمختار وقد ترجم العبارة وفسّرها كثير من المترجمين والمفسّرين بالاضافة ولم يتفطنوا لتلك الدّقيقة .

« فاذا أنت قد خسرت » قال الشيخ في الأربعين : إذا هذه فجائيّة كالواقعة في قوله تعالى « فاذا هم خامدون » (يس ـ ٣٠) أي فيكون مفاجئاً للخسران .

« فلم ترغب في شراء هذه الدّار بالدّرهم فما فوقه » و في نسخة الأربعين « إذا لم تشترها بدرهمين » و قال الشيخ في إعرابه : إذا حرف جواب و جزاء والأكثر وقوعها بعد أن ولو ؛ واختلف في رسم كتابتها والجمهور بالألف والمازني بالنون، والفرّاء كالجمهور إن أعملت وكالمازني إن أهملت . انتهى قوله .

أقول : وأمّا على نسخة النهج فقوله عليه السلام : بالدّرهم فما فوقه . الفاء للعطف وما نكرة موصوفة أو بمعنى الّذي مجرور محلاً بالباء و لم تعد لأنّه عطف على الظاهر والعامل في فوق على الوجهين الإستقرار ، والمعطوف عليه الدّرهم وسيأتي توجيه قوله عليه السلام فمافوقه وتحقيقه في المعنى إن شاء الله تعالى .

« من ميّت قد أزعج للرّحيل» قد أزعج للرّحيل صفة للميّت لأنه نكرة كالذّليل للعبد. « اشترى منه داراً » بدل للأوّل كالثالث .

والقياس أن يقال : هذه ما اشترى لأنّ ما ابتاعها كانت داراً كقوله عليه السلام: تجمع هذه الدّار ، ولكنّه عليه السلام قال : هذا ما اشترى باعتبار المنزل و نحوه .

«داراً من دار الغرور» كلمة من بمعنى في إن كان المراد من دار الغرور الدّنيا كما بيّنا أي داراً في دار الغرور نحو قوله تعالى (الجمعة ـ ١٠) «إذا نودي للصلوة من يوم الجمعة» أي في يوم الجمعة، ويمكن أن تكون من على هذا الوجه للتبعيض أيضاً كما هو ظاهر أو يكون الظرف مستقراً صفة للدّار ، و إن كانت من لبيان الجنس لا يكون المراد منها الدّنيا . نحو من الثانية في قوله تعالى « يحلّون فيها من أساور من ذهب » (الكهف ـ ٣١) أي داراً هي دار الغرور .

« تجمع هذه الدّار حدود أربعة » هذه الدّار مفعول قدّم وحدود فاعل تجمع وفي بعض نسخ الأربعين جعلت هذه الدّار فاعل الفعل وحدود مفعوله حيث كتب

تجمع هذه الدّار حدوداً أربعة ، ولكنه من تحريف النّساخ وتصرّفهم .

« فالحدُّ الأوّل » الفاء هذه للترتيب الذكري لأنّ أكثر ما يكون ذلك في عطف مفصّل على مجمل نحو قوله تعالى : « فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرةً » (النساء - ١٥٣) .

« بالخروج من عزّ القناعة » الباء للعوض والمقابلة أي اشترى هذا بهذا كما تقول : اشتريت هذه الدّار بهذه الدّنانير . والدّخول مجرور معطوف على الخروج

« فما أدرك » كلمة ما إمّا موصولة أو موصوفة وعلى التقديرين مبتداء وخبره جملة « فعلى مبلبل أجسام الملوك إشخاصهم جميعاً إلى موقف العرض » لأنّ إشخاصهم مبتداء ثان وخبره على مبلبل أجسام الملوك قدّم لتوسعة الظروف، وهذه الجملة الاسميّة خبر لما .

« من درك » من بيانيّة يبيّن ما « فعلى مبلبل » كلمة الفاء جواب لما لأنه على حدّ : الّذي يأتيني فله درهم، أعني من المواضع الّتي يتضمّن المبتداء فيها معنى الشرط فتدخل الفاء في خبره نحو قوله تعالى: « وما بكم من نعمة فمن الله» (النحل ـ ٥٥) وقوله تعالى: « قل إنّ الموت الّذي تفرّون منه فانه ملاقيكم» (الجمعة ـ ٨) وكأنما أراد الشيخ في الأربعين هذا المعنى حيث قال : ما في ما درك شرطية ؛ سالب عطف على مبلبل ، وكذا المزيل .

« ومن جمع » من موصول اسميٌّ معطوف على الفراعنة أي مزيل ملك الّذى جمع المال ـ الخ ، أو على كسرى كقيصر وأخويه وكأنّ الأخير أظهر وكذا الحكم في من الثاني ، ونسخة الشيخ هكذا : ومن جمع المال إلى المال فأكثر و بنى فشيّد ونجّد فزخرف .

ولولا كلمة ـ إلى ـ مكان ـ على ـ لكانت نسخته أولى من النهج لعدم الاحتياج إلى من الثاني أوّلا ، وعدم تنسيق العبارة على نظام واحد في النهج ثانياً ، وخلوّه عن التعريفات الحسنة الأنيقة ثالثاً .

وأمّا كلمة إلى وإن كانت تفيد معنى صحيحاً في المقام ولكن على أصحّ وأفصح

منها . والفاءات تفيد الترتيب « بزعمه » الباء للسببيّة .

إلى موقف العرض متعلّق بالاشخاص ، والظرف لغو ، وعلى نسختي الشيخ وأبي نعيم « ما أبين الحق » كلمة ما للتعجّب .

« ما الذى اوجب سخط الامير عليه السلام »
« على عمل شريح حتى كتب له ذلك الكتاب ؟ »

قبل الورود في تفسير جمل الكتاب لابدّ من ذكر مقدّمة ليزيد الطالب بصيرة في غرض الكتاب ، وهي :

أنّ سفراء الله تعالى لم يمنعوا النّاس عمّا لامناص عنها في حياتهم كتعلّم المعارف وتحصيل المأكل والمشرب والملبس والمنكح وبناء الدّور واتّخاذ الحرف والصنائع ونحوها ممّا هي ضروريّة لحفظ نظام الاجتماع وبقاء بني نوع الانسان ، بل ندبوهم إليها ورغّبوهم فيها وحرّموا عليهم الرّهبانيّة بأنّ الانسان مدنيّ بالطبع ، وكذا لم يدّع أحد ولم يروا أنّ حجّة من الحجج الالهيّة عاتب أحداً في قبال عمله الصحيح العقلاني ، بل حذّروهم ونهوهم عما يحكم العقل الناصع بقبحه ويذمّ من ارتكبه كالسرقة والكذب والافتراء والخيانة والغصب والاقتداء بالنساء ونحوها ممّا هي تضرّ سعادة الاجتماع ، وتمنع الناس عن التكامل والارتقاء ، وتورث بينهم العداوة والبغضاء .

وهذا هو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يمدح هديّة ويذمّ اُخرى ، لأنّ الاُولى كانت عارية عن الهوى ، والثانية كانت مشوبة بها ، فانها كانت رشوة في صورة هديّة أتى بها آت ليلاً وزعم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام يضلّ بها عن الحقّ ، ويفسق عن أمر ربّه

أمّا مدحه عليه السلام الاُولى فبعض من كان يأنس إليه عليه السلام من أصحابه دعاه إلى حلواء عملها يوم نوروز ، فأكل وقال عليه السلام : لم عملت هذا ؟ فقال : لأنّه يوم نوروز ، فضحك عليه السلام وقال : نوّروزوا لنا في كلّ يوم إن استطعتم .

وأمّا ذمّه الثانية فانّ أشعث بن القيس أهدى له نوعاً من الحلواء تأنّق فيه ظنّ الأشعث أنه يستميله بالمهاداة لغرض دنيويّ كان في نفس الأشعث ، وكان

يبغض أمير المؤمنين عليه السلام فردّ هديته و قال :

وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها و معجونة شنئتها كأنّما عجنت بريق حيّة أو قيئها ، فقلت: أصلة ؟ أم زكاة ؟ أم صدقة ؟ فذلك كلّه محرّم علينا أهل البيت ، فقال : لا ذا ولا ذاك ولكنّها هديّة ، فقلت : هبلتك الهبول أعن دين الله أتيتني لتخدعني أمختبط أم ذوجنّة أم تهجر؟ والله لو اُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله في نملة أسلبها جلب شعيرة مافعلته ، وإنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ما لعليّ و نعيم يفنى ، ولذّة لا تبقى نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزّلل و به نستعين (ذيل الكلام ٢٢٢ من باب الخطب من النهج) .

ثمّ إذا كان المتجر الحلال و تحصيل ما يحتاج إليه الناس ومنه ابتياع الدّار ممدوحاً شرعاً وعقلاً حتّى قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع ، وقال أبوجعفر عليه السلام : من شقاء العيش ضيق المنزل وغيرهما من الأخبار المرويّة في الكافي وغيره (الوافي ص ١٠٧ ج ١١) .

فلازم للعاقل المستبصر أن ينظر في قول أمير المؤمنين عليه السلام لشريح حتى يظهر له سبب سؤاله شريحاً عن داره هذه فانّ شريحاً كان قاضياً من قبله عليه السلام وسيأتي ترجمته في ذيل الشرح ، والظاهر أنّ شريحاً تجاوز عن الحقّ في أوان قضائه واشترى بالارتشاء أو نحوه بيتاً فصار عمله هذا سبب مؤاخذة أمير المؤمنين عليه السلام إيّاه على ابتياع الدّار سيّما أنّ القائمين باُمور الدّين كالقاضي والمفتي والمدرّس والمؤذّن والخطيب والامام وأمثالهم لاتعظم ثروتهم في الغالب .

ولا ريب أنّ أزمّة الاُمور إذا كانت بيد رجل إلهيّ خيّر للاجتماع و رؤف بالناس يجتاح شوك الجور والعدوان من أصله ولا يدع أحداً أن يتجاوز عن قانون الفطرة وينحرف عن الحقّ فلاجرم يدور رحى الاجتماع على محور العدل .

وبالجملة أنّ ماأوجب سخطه عليه السلام على شريح وعمله كما يلوح من ظاهر كتابه عدول شريح عن الحقّ وتجاوزه عن حقوق الناس حتّى اشترى داراً بثمانين ديناراً

من غير حلال ، ولولا ذلك لما سخط عليه وماجعل له أحد الحدود الحدّ الّذي ينتهي إلى الشيطان المغوي وفيه يشرع باب هذه الدّار.

المعنى

قوله : (روي أنّ شريح بن الحارث قاضي أميرالمؤمنين عليه السلام) سنذكر في ذيل شرح الكتاب ترجمة شريح ونسبه وخبره ومدّة قضائه وماقيل فيه إنشاءالله تعالى

قوله : (اشترى على عهده داراً بثمانين ديناراً) أي اشترى في زمان حياة أميرالمؤمنين عليه السلام داراً في الكوفة كان ثمنها ثمانين ديناراً ، وإنّما قلنا اشترى داراً في الكوفة لأنّه كان قاضياً فيها ؛ ويظنّ ظاهراً أنّه اشتراها في الكوفة أيضاً .

قوله : (فبلغه ذلك فاستدعى شريحاً) أي بلغ أميرالمؤمنين علياً عليه السلام ابتياع شريح تلك الدّار فطلب عليه السلام شريحاً .

قوله : (وقال له بلغني أنّك ابتعت داراً بثمانين ديناراً و كتبت لها كتاباً و أشهدت فيه شهوداً) أي قال عليه السلام لشريح : بلغني اشتراءك داراً ثمنها ثمانون ديناراً، و كتبت لها قبالة و أحضرت في ذلك شهوداً، أو جعلت قوماً شهوداً عليه على أن تكون في بمعنى على .

قوله : (فقال له شريح قد كان ذلك يا أميرالمؤمنين) أي قد ثبت و وقع ذلك لأنّ كان تامّة .

قوله: (قال فنظر إليه نظر مغضب) أي قال الرّاوي و هو عاصم بن بهدلة على رواية الشيخ قدّس سرّه في الأربعين ، ولا يجوز إرجاع الضمير إلى شريح وإلاّ لقال فنظر إليّ .

ثمّ إنّ غضب سفراء الله وأوليائه على غيرهم لايكون إلاّ لله عزّوجلّ،وإنما كان ذلك من كمال إيمانهم بالله وغاية رأفتهم بالناس ، لأنّهم لايحبّون أن تشيع الفاحشة أو يرتكب أحد منكراً، وشريح قد آسف أميرالمؤمنين عليه السلام باعترافه باشتراء الدّار فنظر عليه السلام إليه نظر مغضب و ذلك لما قدّمنا أنّ شريحاً لولم يظلم أحداً على اشترائها ولم يتجاوز عن الحقّ لما سخط عليه السلام عليه و لما جعل أحد حدود الدّار الحدّ الّذي ينتهي إلى الشيطان المغوي .

قوله : (ثمّ قال ياشريح أما أنه سيأتيك) وفي نسخة الشيخ في الأربعين وقال

يا شريح اتّق الله فانه سيأتيك » أي خف الله واحذر ما حرّمه عليك ، قال بعضهم : التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك . و قيل : المتقي الّذي اتّقى ما حرّم عليه وفعل ما أوجب عليه . و قيل : هو الّذي يتّقي بصالح أعماله عذاب الله . وسأل عمر بن الخطاب كعب الأحبار عن التقوى ، فقال : هل أخذت طريقاً ذا شوك ؟ فقال : نعم ، قال : فما عملت فيه ؟ قال : حذرت وشمّرت ، فقال كعب : ذلك التقوى ، ونظمه بعض الناس فقال :

خلّ الذّنوب صغيرها و كبيرها فهو التّقى
و اصنع كماش فوق أر -ض الشوك يحذر مايرى
لا تحقرنّ صغيرة إنّ الجبال من الحصى

وروي عن النبي ﷺ أنّه قال : إنّما سمّي المتّقون لتركهم ما لا بأس به حذراً للوقوع فيما به بأس .

وقال عمر بن عبدالعزيز : التقيّ ملجم كالمحرم في الحرم أتى بها الطبرسي في المجمع ضمن قوله تعالى « ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين » (البقرة ـ ٣) .

قوله عليه السلام : (أما إنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسألك عن بيّنتك) أما للتنبيه كأنّ شريحاً كان نائماً استيقظه أمير المؤمنين عليه السلام ، لأنّ الغافل في أعماله كالنائم فنبّهه عليه السلام من نوم الغفلة فقال : انتبه يا شريح سيأتيك ملك الموت أو الموت لا يتأمّل في كتابك ولا يستخبرك عن حجّتك .

أمّا عدم نظره واستخباره ، فان كان المراد من مَن الموت فالأمر واضح وإن كان المراد منه ملك الموت عليه السلام فوجهان :

الأوّل أنه مأمور لقبض الأرواح فقط ، و ليس تكليفه السؤال عن أعمال الناس قال تعالى : « قل يتوفّيكم ملك الموت الّذي و كّل بكم ثمّ إلى ربّكم ترجعون » (السجدة ـ ١٣) وقوله تعالى : « وما منّا إلاّ له مقام معلوم » (الصافات ـ ١٦٥) .

الوجه الثاني أنّه من العقول المجرّدة المحيطة بما دونهم ، وإنما يسأل عن الشيء ويستخبر عنه من لم يكن محيطاً به .

قوله عليه السلام: (حتّى يخرجك منها شاخصاً) أي حتّى يخرجك الموت، أو ملك الموت من تلك الدّار حال كونك مرفوعاً محمولاً على أكتاف الرّجال، هذا إن أخذنا الشاخص من شخص السهم إذا ارتفع عن الهدف.

أو والحال أنت خارج من تلك الدّار وسائر إلى دار اُخرى أي أنت مرتحل من هذه الدّار إلى الدّار الآخرة إن أخذناه من شخص المسافر شخوصاً إذا خرج من منزله إلى غيره.

أو حال كونك ميّتاً إن أخذناه من شخص الميّت بصره وشخصت عينه على التحقيق الّذي قدّمناه في اللّغة.

قوله عليه السلام: (ويسلّمك إلى قبرك خالصاً) أي يسلّمك إلى قبرك حال كونك عارياً من المال والأهل والعيال ومجرّداً من أعراض الدّنيا وحطامها، أي لا ينفعك ما تركت من الأهل والعيال وما ادّخرت من الأموال في وحشة القبر وغربته إلّا صالح الأعمال يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.

قوله عليه السلام: (فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدّار من غير مالك) أي إذا كان مآل كلّ أحد أن يخرج من الدّنيا شاخصاً ويسلّم إلى قبره خالصاً فتأمّل وتدبّر في عدم كونك شارياً لها من غير مالكها بأن تكون الدّار مغصوبة فحينئذ لابدّ في معنى ابتعت من توسع، لأنه لم يكن بيعاً صحيحاً جزماً.

قوله عليه السلام: (أو نقدت الثمن من غير حلالك) عطف على ابتعت، أي إذا كان كذلك فتدبّر وتأمّل في أدائك ثمنها من غير حلالك بأن اكتسبه من حرام بأخذ رشوة أو نحوها، لأنه كان قاضياً و القضاة في معرض الارتشاء وأكل المال بالباطل، إلّا من اتّقى لله حقّ تقاته.

قوله عليه السلام: (فاذا أنت قد خسرت دار الدّنيا و دار الآخرة) إذا فجائيّة أي إن كانت الدّار المبيعة مغصوبة أو ثمنها من الحرام فأنت مفاجأٌ للخسران في الدّارين.

أمّا خسرانه في دار الدّنيا لأنّ مالك الدّار يسلبها من يد غاصبها سيّما

في عصر كان فيه هيكل التوحيد وعنصر العدل علي بن أبي طالب عليه السلام أمير الناس رحب الباع فيردّ الدّار إلى مالكها ، فيبقى الخسران على المشتري ، فقد تقرّر في الفقه أنّ أحداً لو اشترى مالاً من غير مالكه فمالكه يأخذه من المشتري والمشتري يرجع في ثمنه إلى البائع الغاصب ، وإن تعاقبت أيد عديدة فيه تخيّر المالك في إلزام أيّهم شاء .

وأمّا خسرانه في دار الآخرة فإنّ التّمتّع من غير الحلال في الدّنيا تصير وبالاً في الآخرة ، وذلك هو الخسران المبين .

قوله عليه السلام : (أما لو أنك كنت ـ إلى قوله : بدرهم فما فوقه) أي كتبت لك في قبال قبالتك قبالة في مسافة تلك الدّار وحدودها و مبدئها ومنتهاها و سائر أوصافها لم ترد ولم تحبّ ابتياعها بدرهم فما دونه في الصّغر والقيمة .

والعاقل إذا تأمّل في نسخة القبالة كيف يرغب في بيت أحد حدوده دواعي الآفات ، والآخر دواعي المصيبات ، والثالث منته إلى الهوى المردي ، والرابع إلى الشيطان المغوي ولو اعطيها مجّاناً .

فإن قلت : إنه عليه السلام قال : بدرهم فما فوقه ، فكيف فسّرته بدرهم فمادونه ؟

قلت : إنّ الدّار الّتي لايرغب في شرائها بدرهم فبالأولى أن لا يرغب بما فوقه من الدّرهمين فأكثر ، وهذا ظاهر لاغبار عليه، فلايصحّ حمل العبارة على ما فوق الدّرهم في مقدار الثمن ، بل المراد من قوله فما فوقه ، فوق الدّرهم في القلّة والحقارة ، نحو قولك لمن يقول : فلان أسفل الناس وأنذلهم : هو فوق ذاك ، تريد هو أبلغ وأعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة فيؤل فما فوقه إلى فما دونه في الصّغر والقيمة .

وهذا هو أحد الوجهين ذكرهما المفسرون في قوله تعالى : « إنّ الله لايستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها » (البقرة ـ ٢٦) فذهب بعضهم كقتادة و ابن جريح وأتباعهما إلى أنّ المراد فما فوقها في الصغر والقلّة ، وبعض آخر إلى أنّ المراد فما فوقها أي أكبر منها وما زاد عليها في الحجم .

ويجري الاحتمالان في ما روي في صحيح مسلم عن ابراهيم عن الأسود قال : دخل شباب من قريش على عائشة وهي بمنى وهم يضحكون ، فقالت : مايضحككم؟ قالوا : فلان خرّ على طنب فسطاط فكادت عنقه أو عينه أن تذهب ، فقالت : لا تضحكوا إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ما من مسلم يشاك شوكة فمافوقها إلاّ كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة .

فيحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلّة ، ويحتمل ماهو أشدّ من الشوكة وأوجع .

وقال العكبري في شرحه على ديوان المتنبي عند قوله :

ومن جسدي لم يترك السقم شعرة فما فوقها إلاّ و فيها له فعل

وما فوقها يجوز أن يكون ماهو أعظم منها ، ويجوز أن يريد ما دونها في الصغر وقد قال المفسّرون في قوله تعالى « بعوضة فما فوقها » الوجهان اللّذان ذكرنا . انتهى .

ولكن كلا الوجهين في الآية والخبر لايتمشّيان في المقام لماعلمت أنّ ما لا يرغب فيه بدرهم فبالأولى أن لايرغب فيه بما فوقه .

فما أشار إليه بعض في حاشية النهج من أنّ هذه العبارة في المقام تكون مثل قوله تعالى « بعوضة فما فوقها » ليس باطلاقه صحيحاً .

ثمّ إنّ لتفسير نحو هذه العبارة وجهاً آخر أدقّ و ألطف ممّا قدّمنا لم يتعرّضه أحد من الشراح والمفسّرين وهي :

أنّ مفاد عبارة النهج مثلاً يكون هكذا : لم ترغب فيها بدرهم فكيف ترغب فيها بما فوقه ، كأنّه قال : فبأن لايرغب فيها بمافوق الدّرهم أولى ، نظير هذا المضمون يقال في المحاورات الفارسيّة : اين كالا بدرمي نمى ارزد تا چه رسد كه به بيشتر از آن . وهكذا نحوه في كلّ مقام بحسبه مثلاً « إنّ الله لايستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة » فبأن لايستحيي أن يضرب مثلاً فوقها أولى ، أو كيف يستحيي أن يضرب مثلا فوقها ، وعلى هذا القياس في الخبر وشعر المتنبي ونحوها .

ثمّ إنّ الشارح البحراني قرّر السؤال والجواب بقوله :

فان قلت : فكيف قال فما فوقه ومعلوم أنه إذا لم يرغب فيها بدرهم فبالأولى أن لا يرغب فيها بما فوقه ؟ .

قلت : لما كان الدّرهم أقلّ ما يحسن التملّك به في القلّة وكان الغرض أنّك لو أتيتني عند شرائك هذه الدّار لما شريتها بشيء أصلاً لم يحسن أن يذكر وراء الدّرهم إلاّ ما فوقه ، ونحوه قول المتنبي : و من جسدي لم يترك ، البيت ، وكان قياسه أن يقول : فما دونها . انتهى .

أقول : إذا كان الدّرهم أقلّ ما يحسن التملّك به وكان الغرض ذلك فكيف لم يكتف عليه السلام بدرهم فقط ولماذا ذكر فوقه ، ولا يرتبط قوله لم يحسن أن يذكر وراء الدّرهم إلاّ ما فوقه بما قبله معنىً ، وبالجملة أنّ ما أتى به من الجواب بعيد عن الصواب، وتأبى عنه عبارة الكتاب .

قوله عليه السلام : (بسم الله الرّحمن الرّحيم) من هنا إلى آخر الكتاب قبالة الدّار على نهج لو تؤمّل فيها لا يرغب في شرائها بدرهم ، و لو نظر فيها العارف بفنون الكلام وأساليب البيان لأيقن أنّ هذا الكلام متميّز عن كلام من سواه عليه السلام كالفضيل و أضرابه .

افتتح الكتاب بالبسملة اقتداءً بالقرآن العظيم و امتثالاً لمثال الرّسول الكريم .

افتتح القرآن ببسم الله الرّحمن الرّحيم تعليماً للعباد أن يبدؤا اُمورهم كبيرها وصغيرها بتلك الآية المباركة ليبارك فيها ، و الافتتاح بتلك الكلمة الطيّبة سنّة الأنبياء والمرسلين ، وشعار الأولياء و الصّالحين كما جاء في القرآن المبين حكاية كتاب سليمان النبيّ صلوات الله وسلامه عليه : « بسم الله الرّحمن الرّحيم ألاّ تعلوا عليّ وأتوني مسلمين » (النمل ـ ٣٢و٣٣) .

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام أوّل كلّ كتاب نزل من السماء بسم الله الرّحمن الرّحيم، فا ذاقرأتها فلاتبال أن لاتستعيذ ، وإذاقرأتهاسترتك فيما بين السماء والأرض

وفي التهذيب عن الصادق عليه السلام إنها أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها .

و في التوحيد عن الصادق عليه السلام من تركها من شيعتنا امتحنه الله بمكروه لينبّهه على الشكر والثناء ويمحق عنه وصمة تقصيره عند تركه .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حدّثني عن الله عزّوجلّ أنّه قال : كلّ أمر ذي بال لم يذكر فيه بسم الله الرّحمن الرّحيم فهو أبتر .

قوله عليه السلام : (هذا ما اشترى عبد ذليل) لم يقل هذه باعتبار المنزل والبيت ونحوهما وإنّما عبّر شريحاً بالعبد الذّليل لئلاّ يتوهّم حيث كان قاضياً أنّ له شأناً ورفعة بل نبّهه بأنّه في أيّة حال كان ، وبلغ إلى أيّة رتبة رفيعة و درجة شامخة تتصوّر عبد ذليل في يد مولى قاهر لايقدر من الفرار عن سلطانه وحكومته ،ومعلوم أنّ دأب الإنسان الفخر والعجب والإستكبار إن رآه ذا رياسة واقتدار إلاّ الأوحدي من الناس ، لا يلهيه التكاثر ولايعتني بالتفاخر قال عزّ من قائل : « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » الآية (النور ـ ٣٨) .

وهذا التوجيه المختار أمتن وأتقن من توجيه الشارح البحراني حيث قال : خصّ المشتري بصفة العبوديّة و الذلّة كسراً لما عساه يعرض لنفسه من العجب والفخر بشراء هذه الدّار .

قوله عليه السلام : (من ميّت قد اُزعج للرّحيل) وفي بعض النسخ من عبد قد اُزعج للرّحيل، وعلى الاُولى إنما عبّر البائع بالميّت الّذي قد اُزعج للرّحيل مع أنّه حيّ لعدم استقامة الشراء من الميّت ، تنبيهاً على أنّ الموت لبالمرصاد بل أنشب أظفاره فإذا حان حينه لامنجي منه ولامناص، فعدّه ميّتاً لتحقّق وقوعه عن قريب

وهذا تذكار للنّاس بأنّ الموت قريب وقوعه و كلّ نفس ذائقته ، فلا ينبغي لهم أن يحبّوا العاجلة ويذروا ورائهم يوماً ثقيلاً .

وفي الكافي عن عليّ بن الحسين عليهما السلام أنّ الدّنيا قد ارتحلت مدبرة ، و أنّ الآخرة قد ارتحلت مقبلة و لكلّ واحد منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدّنيا ، إلخ .

قوله عليه السلام : (اشترى منه دار أمن دار الغرور) بدل من اشترى الاُولى : أي

اشترى داراً في بيت الغرور أي الدُّنيا ، أوداراً هي دار الغرور ، وقد مضى وجه التفسيرين في الاعراب فراجع .

وإنما كانت الدُّنيا دار الغرور لأنّها تغرُّ أهلها بألوانها وزخارفها وحطامها فتلهيهم عن ذكر الله عزّ وجلّ قال تعالى « وما الحيوة الدُّنيا إلاّ متاع الغرور » (آل عمران ١٨٤) وقال : « فلا تغرّنكم الحيوة الدُّنيا » (لقمن ـ ٣٥) .

وفي كتاب عيون الحكم عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : احذروا هذه الدُّنيا الخدّاعة الغدّارة الّتي قد تزيّنت بحليّها ، وافتتنت بغرورها ، و غرّت بآمالها وتشوّفت لخطّابها، فأصبحت كالعروس المجلوّة ، والعيون إليها ناظرة ؛ والنفوس بها مشغوفة ، والقلوب إليها تائقة ، وهي لأزواجها كلّهم قاتلة ، الخ .

قوله عليه السلام : (من جانب الفانين وخطّة الهالكين) في نسخة الشيخ في الأربعين : من جانب الفانين إلى عسكر الهالكين ، و في نسخة أبي نعيم في حلية الأولياء : حدٌّ منها في زقاق الفناء إلى عسكر الهالكين ، وترجم ابن الخاتون العاملي نسخة الشيخ في شرحه الفارسي عليه بقوله : مسافت آن ازجانب فنا وزوال است تا لشكر هلاك وارتحال ، ونسخ النهج متّفقة في العبارة المذكورة .

أقول : الفناء خلاف البقاء، والهلاك يستعمل غالباً في من مات ميتة سوء من معصية الله ومخالفة أمره قال تعالى : « كمثل ريح فيها صرٌّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته » (آل عمران ـ ١١٥) وقال : « وكم من قرية أهلكناها فجائها بأسنا بياتاً أو هم قائلون » (الأعراف ـ ٥) وقال: « وتلك القرى أهلكناهم لمّا ظلموا » (الكهف ـ ٦٠) وقال عزّ من قائل : « فأمّا ثمود فأُهلكوا بالطاغية وأمّا عاد فأُهلكوا بريح صرصر عاتية » (الحاقّة ـ ٧) وغيرها من الا يات .

وإنّما قلنا غالباً لأنّه قد يطلق على الموت على حتف الأنف كقوله تعالى: « إن امرؤٌ هلك ليس له ولد» (النساء ـ ١٧٦) وعلى غير الموت أيضاً نحو قوله تعالى حكاية عن أصحاب الشمال : « هلك عنّي سلطانيه » (الحاقّة ـ ٣٠) .

وقال في أقرب الموارد : هلك الرّجل مات ، ولا يكون إلاّ في ميتة سوء ولهذا لا يستعمل للأنبياء العظام، انتهى .

أقول : ويردّه قول الله عزّوجلّ : « ولقد جاء كم يوسف من قبل بالبيّنات فما زلتم في شكّ ممّا جاء كم به حتّى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً » الآية (المؤمن ـ ٣٨) .

على أنّا لانفرّق بين الأنبياء في قبح اسناد نحو الميتة السوء ممّا ينفر عنه الطباع إليهم وإن كنّا لاننكر أنّ الله تعالى فضّل بعضهم على بعض قال عزّ قائلاً : « تلك الرّسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله و رفع بعضهم درجات » الآية (البقرة ـ ٢٥٦) .

فعلى ما عرفت من معنى دار الغرور والفناء والهلاك فيكون من جانب الفانين أخصّ من دار الغرور وخطّة الهالكين أخصّ من جانب الفانين ، و هذا كما قيل على ما جرت العادت به في كتب البيع من الابتداء بالأعمّ والانتهاء في تخصيص المبيع إلى اُمور بعينه .

ثمّ على نسختي الأربعين وحلية الأولياء عيّن عليه السلام أوّلاً مسافة الدّار بأنها من جانب الفانين أو زقاق الفناء إلى عسكر الهالكين، وبيّن ثانياً حدودها الأربعة ولا يخفى لطفه.

قوله عليه السلام : (و تجمع هذه الدّار حدود أربعة) أي تحوي هذه الدّار وتحيط بها حدود أربعة آتية، بيّن حدودها الأربعة كما هو المتعارف في تعيين حدود الأراضي والدّور وغيرهما، والحدود في تحديد الأملاك بمنزلة الجنس والفصل في الحدود قوله عليه السلام : (فالحدّ الأوّل ينتهي إلى دواعي الآفات ـ إلى آخر الحدود) أخذ يفصّل حدودها المذكورة على الاجمال أوّلاً و في النسخ الثلاث أعني النهج والأربعين والحلية في تعيين الحدود اختلاف في الجملة وقد ذكرنا النسخ فلا حاجة إلى الاعادة .

ثمّ إنّه لاتوجد دار في الدّنيا تكون دار السلام ، بل تنتهي لا محالة إلى الآفات والأسقام و المصيبات و الآلام ، لأنّ الدّنيا نفسها دار بالبلاء معروفة وبالتزاحم والتصادم معجونة ، فالحدّ ان الأوّلان تعمّ جميع الدّار و أمّا الآخران فيختصّان بما بنيت على أساس الجور ومال الزّور لأنّ المال الصالح في يد الرجل الصالح لاينجرّ إلى الهوى المردي والشيطان المغوي بل هو نعم المال.

ثمّ إنه عليه السلام جعل باب هذه الدّار الّذي يشرع أي يفتح للدّخول فيها في الحدّ المنتهي إلى الشيطان المغوي تنبيهاً على أنّ الدّار المبنيّة على الجور والعدوان ليست إلاّ من إغواء الشيطان ، وإشارة إلى أنّ الشيطان كان سبباً لاشترائها، ولو أعرض شريح عن اتّباعه لما أقدم إلى ابتياعها .

قوله عليه السلام : (اشترى هذا المغترّ بالأمل من هذا المزعج بالأجل هذه الدّار بالخروج من عزّ القناعة و الدّخول في ذلّ الطلب والضراعة) بدل من الأوّل وأفاد عليه السلام في هذه الفقرة :

أوّلاً أنّ اغترار شريح بالأمل صار سبب اشترائه الدّار .

وثانياً أنّه جعل ثمنها الخروج من عزّ القناعة والدّخول في ذلّ الطلب والضراعة لما مرّ في الإعراب من أنّ الباء للعوض و للمقابلة .

وثالثاً أنّ القانع عزيز و للقناعة عزّة .

ورابعاً أنّ الخروج من عزّ القناعة يؤدّي إلى الذّلة والمسكنة من الطلب والضراعة للمخلق .

ثمّ انظر في لطائف كلامه عليه السلام ودقائق بيانه : ذمّ الأمل ، والطلب والضراعة والخروج من القناعة ، مدح القناعة ، و وصفها بالعزّة ، وجمع بين الأمل والأجل والخروج والدّخول ، والعزّ والذلّ ، والقناعة والضراعة، ومحاسن هذا الكتاب فوق أن يحوم حولها العبارة .

« الانبياء وورثتهم عليهم السلام لا يأمرون بالذل والسؤال بل يحضون »
« على العز والجلال »

زعم الجاهلون والمغفلون عن غرض سفراء الله تعالى و بعثتهم أنّهم يدعون الناس إلى الفقر والكدية ، ويأمرونهم بالبطالة والعزلة والرّهبانيّة ، وذلك ظنّ الّذين اتبعوا أهواءهم ولم يصلوا إلى درك مقاصد الأنبياء وفهم مطالبهم ، و لم يدروا أنّهم نهوا الناس عن الدّنيا المذمومة أي اقتراف المال وادّخاره على وجه لم يمضه العقل ولا يرضى به ، كأن يقترفه بالسرقة والقيادة والقمار والرّبا و الجور و شهادة الزور وبيع الخمر ونحوها ممّا تضرّ الاجتماع وتمنعه عن الارتقاء .

قال الله تبارك وتعالى : « ولكنّ الله حبّب اليكم الايمان وزيّنه في قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق و العصيان اُولئك هم الراشدون ✿ فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم » (الحجرات ـ ٨ و ٩) .

ولا منعوهم عن الدّنيا المحمودة قال عزّ من قائل : « قل من حرّم زينة الله الّتي أخرج لعباده والطيّبات من الرّزق قل هي للّذين آمنوا في الحيوة الدّنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفصّل الآيات لقوم يعقلون ✿ قل إنّما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحقّ وأن تشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » (الأعراف ـ ٣٢ و ٣٣) .

ثمّ إنّ إسناد الأمر بالرّهبانيّة إلى الأنبياء و ورثتهم كما اجترأ النصارى بذلك وعزوه إلى عيسى نبيّ الله فرية واختلاق ، لأنّهم حرّموا عليهم الرّهبانيّة وحثّوهم على الكسب وتحصيل العزّة والكمال وما رضوا بالذّلّة والنكبة قال الله تعالى : « ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين » (المنافقون ـ ٩) .

وهذا هو رسول الله صلّى الله عليه وآله كيف شدّد النكير على عثمان بن مظعون لمّا ركن إلى الرّهبانيّة : روى الشيخ الأجلّ ابن بابويه الصدوق رضوان الله عليه في أوّل المجلس السادس عشر من أماليه باسناده عن أنس بن مالك قال : توفّى ابن لعثمان بن مظعون رضي الله عنه فاشتدّ حزنه عليه حتّى اتّخذ من داره مسجداً يتعبّد فيه ، فبلغ ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فقال له : يا عثمان إنّ الله تبارك وتعالى لم يكتب علينا الرّهبانيّة إنما رهبانيّة اُمّتي الجهاد في سبيل الله ، الحديث .

وكيف يدعونهم إليها مع أنّ كلماتهم في ذمّها لا تحصى كثرة ، وينادون الناس جهاراً ، بأنّ كل واحد منهم كعضو من أعضاء جثمان الاجتماع ، لأنّ الانسان مدنيّ بالطبع فلا بدّ لكلّ واحد منهم من مكسب يتمّ به أمرهم ، ولا يختلّ حتّى لا يتطرّق إليهم النكبة و الذلّة قال تعالى : « و أن ليس للإنسان إلاّ ما سعى » (النجم ـ ٤١) .

ولقد روى الفريقان عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنه قال : إنّما المؤمنون في تعاطفهم

وتراحمهم بمنزلة جسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمّى والسهر

فمن هذا الحديث يستفاد مطالب أنيقة أخلاقيّة واجتماعيّة منها أنهم بمنزلة جسد ، فأخذ هذا المضمون الشيخ الأجلّ السعدي وقال بالفارسيّة :

بني آدم أعضاي يكديگرند　　كه در آفرينش زيك گوهرند

چوعضوي بدرد آورد روزگار　　دگر عضوها را نماند قرار

تو كزمحنت ديگران بى‌غمي　　نشايد كه نامت نهند آدمي

وهذا هو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام كيف آخذ شريحاً في كتابه هذا بخروجه من عزّ القناعة ، ودخوله في ذلّ الطلب والضراعة ، باغتراره بالأمل .

وأخبارنا في ذمّ طول الأمل والسؤال من الناس و مدح الكسب و تحصيل الكمال وترغيب الناس إلى ما فيه سعادتهم ورفعتهم وتبرّي الأنبياء من الّذين صاروا بالعطالة والبطالة كلاً على الناس كثيرة جدّاً ولولا خوف الإطناب والخروج عن اُسلوب الكتاب لذكرناها فلعلّنا نأتي بطائفة منها في المباحث الآتية إن شاء الله تعالى .

وبالجملة أنّ ما جاء به الأنبياء فانما هو لاحياء النفوس وإيقاظ العقول وسوق الناس إلى ما فيه حياتهم الأبديّة المعنويّة و سعادتهم السرمديّة و خروجهم من حضيض الذلّ إلى أوج العزّ ، قال الله جلّ وعلا : « يا أيّها الّذين آمنوا استجيبوا لله وللرّسول إذا دعاكم لما يحييكم » (الأنفال ــ ٢٥) .

قوله عليه السلام : (فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى من درك فعلى مبلبل أجسام الملوك)

لمّا بيّن عليه السلام مسافة الدّار وحدودها أخذ في بيان ضمان درك ما يلحق المشترى .

فاعلم أنّ المشتري إن لم يكن عالماً بالغصب فاشترى المال المغصوب ثمّ شهد مالكه ولم يجز بناءً على صحّة البيع الفضولي وأخذه منه يرجع في ثمنه وما لحقه من درك آخر إلى البائع ، وإن كان عالماً به وأقدم إلى شراء المغصوب فلا حرمة لماله لأنّه ألقى بيده إلى التهلكة ، لأنّه استولى على مال الغير وتصرّف فيه عدواناً فهو غاصب

وضامن العين والمنافع ، ولم يكن حينئذ ما أدركه من درك على البائع و ليس له حقّ الرّجوع اليه .

ولذا ذهب طائفة من الفقهاء إلى أنّه لارجوع للمشتري على البائع الغاصب مع علمه حتّى بالثمن مع تلفه ، بل في المسالك أنّ الأشهر عدم الرّجوع به مع وجود عينه ، بل ادّعى عليه في التذكرة الاجماع عقوبة له ، و خالفهم الآخرون فصرّح بعضهم كالشهيد في اللّمعة بالرّجوع به مع بقاء العين سواء كان عالماً أوجاهلا وبعضهم بالرّجوع مطلقاً سواء تلف الثمن أو لا كالمحقق في أحد قوليه .

ومن لطائف كلامه عليه السلام في المقام أنّه عليه السلام لم يبيّن حكم ضمان الدّرك الّذي يلحق المشتري في هذه المعاملة بأنّ الضامن من هو ؟ بل أحاله إلى يوم القيامة حيث قال عليه السلام : فعلى مبلبل أجسام الملوك إشخاصهم جميعاً إلى موقف العرض والحساب ـ إلخ، فلايخفى لطفه .

ثمّ إنّ درك الضمان لايختصّ بمال المغصوب بل يجري في المبيع المعيب أيضاً ، و كذا في الثمن المعيب على التفصيل المذكور في الفقه .

ثمّ لايخفى على ذي مسكة أنه عليه السلام لم يعلّق ضمان الدّرك على أحد . بل صريح كلامه أنّ على مبلبل أجسام الملوك إشخاصهم إلى موقف العرض والحساب يعني هنا لك يحكم بين الحقّ والباطل بفصل القضاء فيعلم أنّ ضامن الدّرك من هو والعجب من شارح البحراني ذهب في شرحه على النهج إلى أنّه عليه السلام علّق الدّرك والتبعة اللاّزمة في هذا البيع بملك الموت .

و كذلك بما حققنا علم أنّ ما ذهب إليه المجلسي قدّس سرّه في شرح الكتاب (ص ٥٤٥ ج ٩ من البحار الطبع الكمباني) حيث قال : ثمّ اعلم أنه يكفي لمناسبته ما يكتب في سجلاّت البيوع لفظ الدّرك ، ولا يلزم مطابقته لما هو المعهود فيها من كون الدّرك لكون المبيع أو الثمن معيباً أومستحقاً للغير ، فالمراد بالدّرك التبعة والاثم أي ما يلحق هذا المشتري من وزر وحطّ مرتبة و نقص عن حظوظ الآخرة ، فيجزى بها في القيامة ، ليس بصحيح ، ويأباه قوله عليه السلام إشخاصهم جميعاً

وغيره من العبارات فهو تفسير لايناسبه الكتاب .

قوله عليه السلام : (وسالب نفوس الجبابرة) عطف على مبلبل و كذا قوله عليه السلام: ومزيل ملك الفراعنة . وإنّما خصّ الملوك والجبابرة والفراعنة بالذكر كسراً لشريح وأضرابه حتّى لايغترّوا بالمنصب والمقام والشهرة والعنوان ، و تنبيهاً لهم أنه لمّا كان هؤلاء الملوك والجبابرة والفراعنة مقهورين في يدالله الواحد القهّار فكيف مثل شريح وأشياعه ، على وزان قوله تعالى : « أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين كانوا من قبلهم كانوا أشدّ منهم قوّة . آثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق » (المؤمن ـ ٢٤) وقوله تعالى : « أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشدّ قوّة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون » (المؤمن ـ ٨٤).

قوله عليه السلام : (مثل كسرى وقيصر وتبّع وحمير) مثل لكلّ واحد من الملوك والجبابرة والفراعنة ولا يختصّ بالأخير.

قوله عليه السلام : (ومن جمع المال على المال فأكثر) قد مضى في الاعراب أنّ الأظهر أن يكون من معطوفاً على كسرى كالثلاثة قبله أي مثل مَن جمع المال الخ

قوله عليه السلام : (ومن بنى وشيّد) عطف على من الأوّل أي مثل من بنى داراً وجصّصها أو رفعها أو أحكم قواعدها على الوجوه الّتي بيّناها في اللّغة .

قوله عليه السلام : (وزخرف) أي زيّن سقف البناء وجدرانه بالذّهب .

قوله عليه السلام (نجّد) أي زيّنه بالبسط والفرش والوسائد والنمارق و الستور ونحوها ، وقد مضى في اللّغة أنّ التذهيب يناسب تزيين سقف البيت، والتنجيد تزيين أرضه وجدرانه .

قوله عليه السلام : (وادّخر) أي اكتسب المال وجعله ذخيرة لوقت الحاجة إليه

قوله عليه السلام : (و اعتقد) أي جعل لنفسه عقدة أي اقتنى الضياع و العقار وغيرهما من الأموال الصامتة .

قوله عليه السلام : (ونظر بزعمه للولد) أي نظر في جمع المال لولده إعانة له

وترحّماعليه وزآه مصلحة له ظنّاً منه أنّ عمله هذا ينفعه و يعزّه . و سيأتي في أواخر باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لابنه الحسن عليه السلام : يا بنيّ لاتخلفنّ وراءك شيئاً من الدّنيا فإنك تخلّفه لأحد رجلين : إمّا رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت ، و إمّا رجل عمل فيه بمعصية الله فكنت عونا له على معصيته ، وليس أحد هذين حقيقاً أن تؤثره على نفسك .

فإن قلت : فعلى هذا ترى أنّ الشارع منع الناس أن ينظروا لأولادهم ويخلّفوا لأخلافهم ما ينفعهم ويمدّهم في معاشهم ؟ .

قلت : كلاّ بل الشارع أغراهم بذلك و كره أن يتكفّف أولادهم بعدهم الناس غاية الأمر نهاهم عن الاكتساب بالحرام نظراً للأولاد و نكتفي في ذلك بذكر رواية روماً للاختصار .

روى ابن بابويه الصدوق رضوان الله عليه في من لا يحضره الفقيه و نقلها الفيض في الوافي في أبواب الوصية (ص ١٢ ج ١٣) : أنّ رجلاً من الأنصار توفّي وله صبية صغار وله ستّة من الرّقيق فأعتقهم عند موته وليس له مال غيرهم ، فاُتي النبيّ صلّى الله عليه وآله فاُخبر فقال: ماصنعتم بصاحبكم ؟ قالوا : دفنّاه ، قال : لو علمت ما دفنّاه مع أهل الإسلام ، ترك ولده يتكفّفون الناس .

قوله عليه السلام : (إشخاصهم جميعاً ـ إلى قوله : و خسر هنالك المبطلون) إشخاصهم أي إزعاجهم وإحضارهم وفي نسخة أبي نعيم : وأشخصهم إلى موقف العرض ولكنّها تصحيف والحقّ ما في النسختين الاُخريين لأنّ إشخاصهم مبتداء مؤخّر عن على مبلبل أجسام الملوك قدّم الخبر لتوسع الظروف وما يجري مجراها ولا يمكن حمل تلك النسخة على وجه صحيح .

ثمّ إنّ الضمير في إشخاصهم لايمكن إرجاعه إلى الملوك وما بعده لا لفظاً ولامعنى أمّا الأوّل فلأنّ الضمير في المبتداء لايرجع إلى جزء لفظ الخبر وهو ظاهر ، وأمّا الثاني فلأنّ المقصود إحالة ضمان الدّرك على من أوجب الشرع الرجوع به إليه ، فلابدّ أن يكون ممن كان دخيلاً في البيع فهو يرجع إلى البائع

والمبيع والمشتري وصاحب الدّرك، فالمراد أنّ ملك الموت متعهّد ومتكفّل باحضارهم جميعاً إلى موقف العرض والحساب للفصل والقضاء.

قوله عليه السلام: (شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى وسلم من علائق الدّنيا) لمّا بيّن حكم الدّرك أردفه بذكر الشهود كما هو السنّة المتعارفة في سائر القبالة وجعل العقل شاهداً على ما قال.

ثمّ إنّ ههنا دقيقة أنيقة وهي أنّ الشاهد لابدّ من أن يكون عادلاً، وإنما قيّد عليه السلام شهد على ذلك العقل بقوله: إذا خرج من أسر الهوى و سلم من علائق الدّنيا، ليفيد هذا المعنى، أعني أن يأتي بالشاهد العادل على ما كتب، وذلك لأنّ تلك القوّة القدسيّة الملكوتيّة أعني العقل لمّا تعلّق بشرك البدن و ألف مجاورة الخراب البلقع وصار حشره مع الماديّات قد يتأثّر عن البدن و قواه الحيوانيّة وغيرهما، فيعرض له من غيره ما يشغله عن فعل نفسه، لأنّ تلك العوائق كاللّصوص القطّاع لطريقه تمنعه عن الوصول إلى صريح الحقّ ومحض الحكم العقلي، فلولم يجرّد عنها سيّما عن النفس الأمّارة بالسوء وحبّ الدّنيا وأسر الهوى وقيد الأوهام كان حكمه مزوقا مشوباً بالباطل، فلم يكن حينئذ شاهداً عادلاً. فلا يخفى لطفه.

فالمراد أنّ العقل لوخلّي وطبعه بحيث لم يكن مأسوراً في قيد الهوى وعلائق الدّنيا يشهد على أنّ لنحو هذا المشتري خسران الدارين، وفي نحو هذا المبيع يلزم تلك الآفات والمصيبات عليه وغيرهما ممّا هي مذكورة في القبالة.

ثمّ الحقّ أنّ الرّضيّ رضي الله عنه لم يذكر الكتاب بتمامه، لأنّ غرضه كان جمع المختار من كلامه عليه السلام كما صرّح في عدّة مواضع النهج بأنّ ما أتى به هو بعض تلك الخطبة أو ذلك الكتاب أو نحوهما، والكتاب بتمامه هو ما في النسختين الأخريين وإن كان بينهما اختلاف ما في بعض العبارات، فنذكر بعض ما في الأربعين وبيان الشيخ فيه:

قوله عليه السلام: (في عرصاتها) أي ساحاتها والضمير إمّا للدار أو للدّنيا والأوّل أقرب وإن كان أبعد.

قوله عليه السلام : (ما أبين الحقّ لذي عينين) كلمة ما تعجبيّة أي ما أظهر الحقّ لصاحب البصيرة .

قوله عليه السلام : (إنّ الرّحيل أحد اليومين) أي كما أنّ لابن آدم يوم ولادة وهو يوم القدوم إلى هذه الدار ، فله يوم رحيل عنها وهو يوم الموت فينبغي أن لا يزول عن خاطره ، بل يجعله أبداً نصب عينيه .

قوله عليه السلام : (وقرّبوا الآمال بالآجال) أي قصروها بتذكّر الموت الّذي هو هادم اللّذات ، وفاضح الآمال .

« اشارة »

فسّر العالم العامل العاملي الشيخ بهاء الدّين قدّس سرّه في الأربعين هذا الكتاب بوجه آخر أيضاً يليق أن يذكر في المقام للطافته وعذوبته .

قال : اشارة . يمكن أن يكون الدّار في قوله عليه السلام اشترى منه داراً ، رمزاً إلى هذه البنية البدنيّة ، والمشتري رمزاً إلى النفس الناطقة الانسانيّة العاكفة على تلك البنية الظلمانيّة المشغولة بها عن العوالم المقدّسة النورانيّة ، والبائع رمزاً إلى الأبوين اللّذين منهما حصلت الأجزاء المنويّة المتكوّن منها البنية الّتي مبدءها من جانب الفانين ومآلها إلى عسكر الهالكين .

ثمّ إنّ هذه البنية أعني البدن وإن كان مركباً للنفس ووسيلة لها إلى تحصيل كمالاتها ، لكن قواه البهيميّة دواع وأسباب لآفات النفس و عاهاتها و مصيباتها واتّباعها الهوى والشيطان ، فنزل تلك الدّواعي منزلة حدود الدار المكتنفة بها من جوانبها .

ولمّا كان الخروج من ولاية الله والدّخول في ولاية الطاغوت يحصل باتّباع الهوى والشيطان ناسب أن يجعل باب تلك الدّار في هذا الحدّ .

ولمّا كان ذلّ النفس وخروجها عن استغنائها الّذي كانت عليه في عالمها النوراني ملازماً لعكوفها على هذا البدن الهيولاني ومسبّباً عن تعلّقها به و شرائها له شبّهه عليه السلام بالثمن الّذي هو من لوازم الشراء .

ولمّا كان الموت هو السائق الّذي يسوق الخلق بأجمعهم طوعاً و كرهاً إلى موقف القيامة ليقضي بينهم الحكم العدل وينتصف من المعتدي للمعتدى عليه شبّهه عليه السّلام بشخص ضمن الدرك فتعهد أن يحضر كلّ من له دخل في هذه المعاملة إلى دار القضاء ليحكم بينهم ويقضي لمن له الحقّ بحقه .

هذا ما خطر بالبال في معنى هذا الكلام ولعلّ أمير المؤمنين عليه السلام أراد معنى آخر غير هذا لم يهتد نظري الكليل إليه ، وثمّ يعثر فكري العليل عليه. والله أعلم بحقيقة الحال . انتهى كلامه رفع مقامه .

وذكر قريباً من هذه الإشارة أو عينها على عبارات اُخر العلاّمة المجلسي في المجلّد التاسع من البحار (ص ٥٤٥ الطبع الكمباني) أيضاً .

أقول : الحقّ أنّ هذا التوجيه وجيه في نفسه ولكنه ليس معنى كلامه عليه السلام بل تأويل يناسبه ويستفاد منه كالتأويلات المذكورة في طائفة من التفاسير و شروح الأخبار المناسبة للآيات والأخبار .

مثلا أنّ النيشابوري ذكر في تفسيره غرائب القرآن التأويل الآتي من قوله تعالى « وإذ قال موسى لقومه إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة - الى قوله تعالى - و إنّ منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عمّا تعملون » (البقرة - ٦٥ - الى ٧١) ونعلم يقيناً أنّ هذا التأويل ليس تفسير كلامه تعالى وإن كان لا يخفى من لطافة من حيث التشبيهات والمناسبات وهو صرّح بذلك أيضاً حيث قال بعد تفسيره الآيات ما هذا لفظه :

التأويل : ذبح البقرة إشارة إلى ذبح النفس البهيميّة فإنّ في ذبحها حياة القلب الرّوحاني وهو الجهاد الأكبر ، موتوا قبل أن تموتوا .

اقتلوني يا ثقاتي إنّ في قتلي حياتي وحياتي في مماتي ومماتي في حياتي

مت بالإرادة تحي بالطبيعة ، وقال بعضهم : مت بالطبيعة تحي بالحقيقة ، ما هي أنّه بقرة نفس تصلح للذبح بسيف الصدق ، لا فارض في سنّ الشيخوخة فيعجز عن رنايف سلوك الطريق لضعف القوى البدنيّة كما قيل : الصوفي بعد الأربعين

بارد، ولايكون في سنّ شرح الشباب يستهويه سكره عوان بين ذلك لقوله تعالى حتّى إذا بلغ أشدّه و بلغ أربعين سنة ، صفراء إشارة إلى صفرة وجوه أصحاب الرّياضات ، فاقع لونها يريد أنّها صفرة زين لاصفرة شين فانّها سيماء الصالحين لاذلول تثيرالأرض ، لايحتمل ذلّة الطمع ولا تثير بآلةالحرص أرض الدّنياالطلب زخارفها ومشتهياتها ، ولا تسقي حرث الدّنيا بماء وجهه عند الخلق وبماء وجاهته عند الخالق فيذهب ماؤه عند الحقّ وعند الخلق ، مسلمة من آفات صفاتها ليس فيها علامة طلب غيرالله ، وما كادوا يفعلون بمقتضى الطبيعة ، لولا فضل الله وحسن توفيقه وإذ قتلتم نفساً يعني القلب ، فادّارأتم ، فاختلفتم أنه كان من الشيطان أممن الدّنيا أو من نفس الأمّارة ، فقلنا اضربوه ببعضها ضرب لسان بقرة النفس المذبوحة بسكّين الصدق على قتيل القلب بمداومة الذكر فحيي باذن الله عزّوجلّ و قال : إنّ النفس لأمّارة بالسّوء وإنّ من الحجارة لما يتفجّر منه الأنهار ، مراتب القلوب في القسوة مختلفة فالّتي يتفجّر منها الأنهار قلوب يظهر عليها الغليان«من ظ»أنوار الرّوح بترك اللّذات والشهوات ، بعض الأشياء المشبهة بخرق العادات كما يكون لبعض الرهبانيّين والهنود ، والّتي تشقّق فيخرج منها الماء هي الّتي يظهر عليها في بعض الأوقـات عند انخراق الحجب البشريّة من أنوار الرّوح فيريه بعض الآيـات والمعاني المعقولة كما يكون لبعض الحكماء ، والّتي يهبط من خشية الله ما يكون لبعض أهل الأديان والملل من قبول عكس أنوار الرّوح من وراء الحجب فيقع فيها الخوف والخشية، انتهى.

«القضاء والقاضى فى الاسلام»

إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين النّاس أن تحكموا بالعدل إنّ الله نعمّا يعظكم به إنّ الله كان سميعاً بصيراً

(القرآن الكريم ـ سورة النساء ـ الآية ٦٢)

يناسب في المقام تقديم نبذة من الكلام على ما قرّرة الشرع في القضاءوالقاضي على سبيل الاجمال والاختصار فنقول :

الغرض من إرسال الرُّسل وإنزال الكتب إحياء مكارم الأخلاق ،ومحاسن الأفعال ، وإماتة الصفات المردية ، والآداب المغوية ، وإيقاظ عقول الناس من نوم الغفلة ، وتزكيتهم من رين الهوى ، و إنارة أرواحهم بالملكات الملكوتيّة ، و إثارة فطرتهم إلى جناب الرّبّ جلّ وعلا ، وقيامهم بالعدل ، و احتياح الظلم من بينهم ليتّصفوا بالأوصاف الرّبوبيّة، ويتخلّقوا بالأخلاق الإلهيّة ، ولئلاّ يتطرّق إليهم الجور والعدوان و الهرج و المرج قال الله تعالى : « لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » (الحديد ـ ٢٦).

ثمّ لو تنازع اثنان في أمر فلابدّ من حكم عدل يعطي كلّ ذي الحقّ حقّه،ويذبّ عنه التصرّف العدوانيّ وأكل المال بالباطل بالأمارات والأصول الّتي جعلها الشارح الحكيم ميزاناً له لحسم مادّة التنازع وقلع شجر التشاجر وفصل القضاء .

قال أمير المؤمنين عليه السلام كما في الكافي والتهذيب : أحكام المسلمين على ثلاثة: شهادة عادلة . أو يمين قاطعة ، أو سنّة ماضية من أئمة الهدى .

فلابدّ لحفظ اجتماع الناس من حاكم عادل لايبيع آخرته بدنياه ولايعقل عقله بهواه .

و كما أنّ الإنسان يحتاج في سلامة جسمه إلى الطبيب الحاذق الأمين المؤمن ، وفي سلامة روحه إلى عالم عامل إلهيّ روحانيّ ، كذلك يحتاج الاجتماع لحفظ نظامه ورفع المخاصمة والنزاع إلى طبيب آخر وهو القاضي العادل وحكومة عادلة ولا مناص للنّاس من هؤلاء الأطبّاء .

قال الامام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام في هذا المعنى :لايستغني أهل كلّ بلد عن ثلاثة تفزع إليه في أمر دنيا[هم] و آخرتهم،فإن عدموا ذلك كانوا همجاً : فقيه عالم ورع ، وأمير خيّر مطاع ، وطبيب بصير ثقة (نقل في مادّة طبب من السفينة) .

واعتبر الشارع في القاضي البلوغ و كمال العقل و الايمان و طهارة المولد والعلم والذكورة والعدالة ، وإنما اعتبر فيه العدالة حتّى يراعي التسوية بين الخصمين

مطلقاً وإن كان أحدهما وضيعاً والآخر شريفاً وفي الكافي والتهذيب عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: من ابتلى بالقضاء فليواس بينهم في الاشارة وفي النظر وفي المجلس فيجب عليه التسوية بينهما في الكلام والسلام والقيام و غيرها من أنواع الاكرام حتّى لايجوز له خطاب أحد الخصمين بالكنية والآخر بالاسم لأنّ الأولى تنبيء بالتعظيم دون الثاني، وكذا الانصات لكلّ واحد منهما على التفصيل الّذي بيّن في الكتب الفقهيّة.

ونحن نكتفي ههنا بما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لشريح أيضاً في آداب الحكم لم يأت به الرّضيّ رضوان الله عليه في النهج، نقله ثقة الاسلام الكليني مسنداً في الكافي، وشيخ الطائفة في التهذيب، والشيخ الأجلّ الصدوق في من لا يحضره الفقيه، والمحقق الفيض في الوافي (ص ١٣٥ ج ٩) باسنادهم عن سلمة بن كهيل قال:

سمعت عليّاً عليه السلام يقول لشريح: انظر إلى أهل المعك والمطل ودفع حقوق الناس من أهل المقدرة و اليسار ممن يدلي بأموال المسلمين إلى الحكّام، فخذ للنّاس بحقوقهم منهم، وبع فيها العقار و الدّيار، فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: مطل المسلم الموسر ظلم للمسلم، ومن لم يكن له عقار ولادار ولا مال فلا سبيل عليه، واعلم أنّه لايحمل الناس على الحقّ إلّا من وزعهم عن الباطل، ثمّ واس بين المسلمين بوجهك ومنطقك ومجلسك حتّى لايطمع قريبك في حيفك، ولا ييأس عدوّك من عدلك. وردّ اليمين على المدّعي مع بيّنته فانّ ذلك أجلى للعمى وأثبت في القضاء، واعلم أنّ المسلمين عدول بعضهم على بعض إلّا مجلوداً في حدّ لم يتب منه، أو معروفاً بشهادة زور، أوظنيناً، وإيّاك والتضجّر والتأذّي في مجلس القضاء الّذي أوجب الله فيه الأجر، وأحسن فيه الذّخر لمن قضى بالحقّ، واعلم أنّ الصلح جائز بين المسلمين إلّا صلحاً حرّم حلالاً أو أحلّ حراماً، و اجعل لمن ادّعى شهوداً غيّباً أمداً بينهما، فان أحضرهم أخذت له بحقّه، و إن لم يحضرهم أوجبت عليه القضيّة. وإيّاك أن تنفذ قضيّة في قصاص أو حدّ من حدود الله أو حق

من حقوق المسلمين حتّى تعرض ذلك عليّ إنشاءالله ، ولا تقعدنّ في مجلس القضاء حتّى تطعم .

وقال عليه السلام لشريح أيضاً كما في الكافي والتهذيب والفقيه : لاتسارّ أحداً في مجلسك ، وإن غضبت فقم ، ولاتقضينّ وأنت غضبان .

والأخبار المرويّة في الكتب الأربعة وغيرها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمّة الهدى في آداب الحكم والقضاء والقاضي كثيرة جدّاً تركناها خوفاً من الإطناب وفيما قدّمناه كفاية لمن كان طالباً للصواب.

ثمّ إنّ ما قدّمنا من وجوب مراعاة المساواة بين الخصمين على القاضي يكون على وجه تساويهما في الإسلام أو الكفر ، بأن كانا مسلمين أو كافرين ، و لو كان أحدهما مسلماً والآخر كافراً ؛ فلا يجب عليه مراعاتها بينهما ، بل له أن يرفع المسلم على الكافر ، و ذلك لما يأتي من قول أمير المؤمنين مع الرّجل اليهودي في مجلس شريح .

«ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكّام لتأكلوا فريقاً من أموال النّاس بالاثم وأنتم تعلمون» (القرآن الكريم الآية ١٨٠ من البقرة).

وحرّم على الناس رفع الدّعاوي إلى قضاة الجور و التحاكم إليهم كما حرّم عليهم أكل المال بالباطل، وفي الصحاح للجوهري : أدلى بما له إلى الحاكم: رفعه إليه ومنه قوله تعالى « وتدلوا بها إلى الحكّام » يعني الرشوة، انتهى .

وقال الفيض في الوافي : قوله تعالى : تدلوا ، أي ولا تدلوا حذف لا اعتماداً على العطف والمعنى لا تعطوا الحكّام أموالكم ليحكموا لكم استعارة من قولهم أدلى دلوه إذا أرسلها ، فانّ الرشوة ترسل إلى الحكّام .

وفي الكافي والتهذيب باسنادهما عن ابن مسكان عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : قول الله تعالى في كتابه « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكّام » فقال : يا بابصير إنّ الله قدعلم أنّ في الأمّة حكّاماً يجورون أما أنّه لم يعن حكّام أهل العدل و لكنّه عنى حكّام أهل الجور ، يا بامحمد إنّه لو كان

لك على رجل حقٌّ فدعوته إلى حكّام أهل العدل فأبى عليك إلاّ أن يرافعك إلى حكّام أهل الجور ليقضوا له ، لكان ممّن حاكم إلى الطاغوت و هو قول الله عزّ وجلّ « ألم تر إلى الّذين يزعمون أنهم آمنوا بما اُنزل اليك و ما اُنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد اُمروا أن يكفروا به و يريد الشيطان أن يضلّهم ضلالاً بعيداً » (النساء ـ ٦٥) .

وفي التهذيب باسناده عن ابن فضال قال : قرأت في كتاب أبي الأسد إلى أبي الحسن الثاني عليه السلام و قرأته بخطه سأله ما تفسير قوله « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكّام ؟ » قال: فكتب إليه بخطّه : الحكّام القضاة قال : ثمّ كتب تحته : هو أن يعلم الرّجل أنه ظالم فيحكم له القاضي فهو غير معذور في أخذ ذلك الّذي حكم له إذا كان قد علم أنه ظالم

وإنما اعتبر فيه العلم أي العلم بجميع الأحكام عن اجتهاده أعني أن يكون مجتهداً في الدّين مستنبطاً أحكامه بالأدلّة الأربعة من العقل والإجماع و الكتاب والسنّة فلا يكفيه فتوى العلماء وقد وردت آيات و روايات كثيرة في تشديد ذلك وتأكيده ،ولو نذكرها لكثر بنا الخطب ونقتصر بذكر شرذمة قليلة منها .

قال أمير المؤمنين عليه السلام كما في الكافي والفقيه و التهذيب لشريح : يا شريح قد جلست مجلساً لا يجلسه إلاّ نبيٌّ أووصيٌّ نبيٍّ أوشقيٌّ .

قال الباقر عليه السلام : إنّ من أفتى النّاس بغير علم ولاهدى من الله لعنته ملائكة الرّحمة وملائكة العذاب ، ولحقه وزر من عمل بفتياه .

وقال عليه السلام : أنهاك عن خصلتين فيهما هلك الرّجال : أنهاك أن تدين الله بالباطل ، وتفتي الناس بما لاتعلم .

وقال الصادق عليه السلام كما في الكافي و التهذيب :القضاة أربعة ثلاثة في النّار و واحد في الجنّة : رجل قضى بجور وهو يعلم فهو في النّار ، ورجل قضى بجور وهو لايعلم أنّه قضى بجور فهو في النّار ، ورجل قضى بالحقّ وهو لا يعلم فهو في النّار جل قضى بالحقّ وهو يعلم فهو في الجنّة .

وفي دعائم الاسلام عن علي عليه السلام أنه قال : القضاة ثلاثة واحد في الجنّة واثنان في النار : رجل جار متعمّداً فذلك في النار ، ورجل أخطأ في القضاء فذلك في النّار ورجل عمل بالحقّ فذلك في الجنّة .

بيان : ولا تنافي بين الأخيرين لأنّ الوسط من الأخير يعمّ الوسطين من الأوّل والوصيّ في قوله عليه السلام أو وصيّ نبيّ يعمّ الوصيّ الخاصّ والعامّ ، جمعاً بين الأدلّة وتفصيل البحث موكول إلى الكتب الفقهيّة .

وأمّا الآيات فقدقدّمنا بعضها وقال الله تبارك وتعالى « إنّا أنزلنا اليك الكتاب بالحقّ لتحكم بين الناس بما أريك الله ولا تكن للخائنين خصيماً » (النساء ـ ١٠٦) وقوله تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون » (المائدة ـ ٥١) وقوله تعالى : « يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحقّ ولا تتّبع الهوى » (ص ـ ٢٧) .

وإنما اعتبر فيه الذكورة فلقوله صلى الله عليه وآله : لايفلح قوم وليتهم امرأة ، ووصيّته صلّى الله عليه وآله لعلي عليه السلام المرويّة في الفقيه باسناده عن حمّاد : يا علي ليس على المرأة جمعه ـ إلى أن قال : ولا تولّي القضاء ، على أنّ ذلك إجماعيّ لاخلاف فيه عندنا الإماميّة ، فلايليق لها مجالسة الرّجال و رفع الصوت بينهم .

وأمّا اعتبار الإيمان فلأنّ المسلم الفاسق، إذا لم يصلح لهذا المنصب الجليل فكيف الكافر، على أنّ الكافر ليس أهلاً للأمانة ولم يجعل الله له سبيلاً على المسلم إذ الإسلام يعلو ولا يعلا عليه قال الله تعالى: « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا» (النساء ـ ١٤٠).وأمّا اعتبار البلوغ والعقل فبيّن،وأمّا طهارة المولد فالعمدة فيها الإجماع وفحوى مادلّ على المنع من إمامته وشهادته،على أنّ النفوس تنفر عن ولد الزنا.

ثمّ إنّ في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله و أهل بيته في دعاوي الناس لعبرة لأولي الألباب يليق لهم أن ينظروا فيها بعين العلم والدّراية حتّى يتبيّن لهم أنّ الغرض من بعثهم لم يكن إلاّ تعليم النّاس ما فيه نجاحهم ونجاتهم :

وهذا هو رسول الله صلى الله عليه وآله كيف يراعي حقوق النّاس ويحترمها ،روى الشيخ

الجليل العلاّمة بهاء الدّين العاملي في الأربعين الحديث التاسع عشر باسناده عن موسى بن اسماعيل، عن أبيه، عن الامام أبي الحسن موسى الكاظم، عن آبائه عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: إنّ يهودياً كان له على رسول الله صلى الله عليه وآله دنانير فتقاضاه، فقال: يا يهودي ما عندي ما أعطيك، قال: فانّي لا اُفارقك يا محمد حتى تقضيني، فقال صلى الله عليه وآله: إذا أجلس معك، فجلس صلى الله عليه وآله معه حتّى صلّى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يتهدّدونه ويتواعدونه، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إليهم فقال: ما الّذي تصنعون به؟ فقالوا: يا رسول الله يهوديٌ يحبسك، فقال صلى الله عليه وآله: لم يبعثني ربي عزّ وجلّ بأن أظلم معاهداً ولا غيره، فلمّا علا النّهار قال اليهوديُ: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، وشطر ما لي في سبيل الله أما والله ما فعلت بك الّذي فعلت إلاّ لأنظر إلى نعتك في التوراة فانّي قرأت نعتك في التوراة: محمد بن عبدالله مولده بمكّة، ومهاجره بطيبة وليس بفظّ، ولاغليظ، ولاسخاب، ولامترنن بالفحش ولا قول الخنا، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنك رسول الله، وهذا مالي فاحكم فيه بما أنزل الله وكان اليهوديُ كثيرالمال.

وهذا هوأميرالمؤمنين عليٌ عليه السلام فانظر إلى فعله وقوله كيف يراعي المواساة والعدل مع يهوديّ ويؤاخذ شريحاً بركونه إلى خلاف العدل حيث قام في مجلس المحاكمة له عليه السلام إكراماً له ولم يقم لليهودي.

قال أبوالفرج في الأغاني: ولشريح أخبار في قضايا كثيرة يطول ذكرها وفيها ما لايستغنى عن ذكره، منها محاكمة أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام في الدّرع قال: حدّثني به عبدالله بن محمد بن إسحاق ابن اُخت داهر بن نوح بالأهواز، قال: حدّثنا أبوالأشعث أحمد بن المقدام العجلي، قال حدّثني حكيم بن حزام عن الأعمش عن إبراهيم التيمي قال: عرف عليٌ صلوات الله عليه درعاً مع يهودي فقال: يا يهودي درعي سقطت مني يوم كذا و كذا. فقال اليهوديُ: ما أدري ما تقول، درعي و في يدي بيني وبينك قاضي المسلمين، فانطلقا إلى شريح فلمّا رآه شريح قام له عن

مجلسه . فقال له عليٌّ : اجلس : فجلس شريح ثمّ قال : إنّ خصمي لو كان مسلماً لجلست معه بين يديك ولكنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : لا تساووهم في المجلس ولا تعودوا مرضاهم . ولا تشيّعوا جنائزهم ، واضطرّوهم إلى أضيق الطرق ، وإن سبّوكم فاضربوهم ، وإن ضربوكم فاقتلوهم ، ثمّ قال عليه السلام : درعي عرفتها مع هذا اليهودي ، فقال شريح لليهودي : ما تقول ؟ قال : درعي وفي يدي ، قال شريح : صدقت والله يا أمير المؤمنين إنها لدرعك كما قلت ولكن لابدّ من شاهد ، فدعا قنبراً فشهد له ، ودعا الحسن بن عليّ فشهد له ، فقال : أمّا شهادة مولاك فقد قبلتها وأمّا شهادة ابنك لك فلا ، فقال عليٌّ عليه السلام : سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة ، قال : اللّهمّ نعم ، قال عليه السلام : أفلا تجيز شهادة أحد سيّدي شباب أهل الجنّة ، والله لتخرجنّ إلى بانقيا فلتقضينّ بين أهلها أربعين يوماً ، ثمّ سلّم الدّرع إلى اليهودي فقال اليهوديُّ : أمير المؤمنين مشى معي إلى قاضيه فقضى عليه فرضي به ، صدقت إنها لدرعك سقطت منك يوم كذا وكذا عن جمل أورق فالتقطتها وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال عليٌّ عليه السلام : هذه الدّرع لك ، وهذه الفرس لك ، وفرض له في تسعمائة فلم يزل معه حتّى قتل يوم صفين . انتهى .

وقال القاضي ابن خلكان في التاريخ : روي أنّ عليّ بن أبيطالب عليه السلام دخل مع خصم ذمّي إلى القاضي شريح فقام له ، فقال : هذا أوّل جورك ثمّ أسند ظهره إلى الجدار وقال : أما إنّ خصمي لو كان مسلماً لجلست بجنبه .

أقول : الظاهر أنهما قضيّة واحدة نقلها أبو الفرج بالتفصيل ، و ابن خلّكان بالاجمال إلاّ أنّ أبا الفرج لم ينقل قوله عليه السلام له « هذا أوّل جورك » .

وكذا يشير إلى هذه القضيّة ما في الرّوضات وغيره حيث قالوا : روي أنه عليه السلام سخط على شريح مرّة فطرده من الكوفة ولم يعزله عن القضاء و أمره بالقيام ببانقيا ، وكانت قرية من الكوفة أكثر سكّانها اليهود ، فأقام بها مدّة حتّى رضي عنه وأعاده إلى الكوفة .

وروي قريب هذه المحاكمة في الكافي والتهذيب والفقيه وجاء بها الفيض في أبواب القضاء والشهادات من الوافي (ص ١٤١ ج ٩) عن ابن أبي عمير، عن البجلي قال : دخل الحكم بن عتيبة وسلمة بن كهيل على أبي جعفر عليه السلام ، فسألاه عن شاهد ويمين فقال : قضى به رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقضى به عليّ عليه السلام عندكم بالكوفة فقالا : هذا خلاف القرآن : قال عليه السلام : وأين وجدتموه خلاف القرآن ؟ فقالا : إنّ الله عزّ وجلّ يقول «وأشهدوا ذوي عدل منكم» (الطلاق ـ ٣) فقال لهما أبو جعفر عليه السلام : وأشهدوا ذوي عدل منكم هو أن لا تقبلوا شهادة واحد ويميناً؟! ثمّ قال عليه السلام :

إنّ علياً عليه السلام كان قاعداً في مسجد الكوفة فمرّ به عبدالله بن قفل التميمي ومعه درع طلحة ، فقال له عليّ عليه السلام : هذه درع طلحة اخذت غلولاً يوم البصرة فقال له عبدالله بن قفل : فاجعل بيني و بينك قاضيك الّذي رضيته للمسلمين، فجعل بينه و بينه شريحاً، فقال عليّ عليه السلام : هذه درع طلحة أخذت غلولا يوم البصرة ، فقال له شريح : هات على ما تقول بيّنة ، فأتاه بالحسن عليه السلام ، فشهد أنها درع طلحة اخذت غلولاً يوم البصرة ، فقال : هذا شاهد ولا أقضي بشهادة شاهد حتّى يكون معه آخر ، قال : فدعا قنبراً فشهد أنّها درع طلحة اخذت غلولاً يوم البصرة فقال شريح : هذا مملوك ولا أقضي بشهادة مملوك ، قال : فغضب عليّ صلوات الله عليه وقال : خذوها فإنّ هذا قضى بجور ثلاث مرّات .

قال : فتحوّل شريح عن مجلسه ثمّ قال : لا أقضي بين اثنين حتّى تخبرني من أين قضيت بجور ثلاث مرّات ؟ .

فقال له : ويلك أو ويحك إنّي لما أخبرتك أنّها درع طلحة اخذت غلولاً يوم البصرة فقلت هات على ما تقول بيّنة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله حيث ما وجد غلول اخذ بغير بيّنة فقلت رجل لم يسمع الحديث فهذه واحدة ، ثمّ أتيتك بالحسن عليه السّلام فشهد، فقلت : هذا واحد ولا أقضي بشهادة واحد حتّى يكون معه آخر وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وآله بشهادة واحد ويمين فهذه ثنتان ، ثمّ أتيتك بقنبر فشهد أنها درع طلحة اخذت غلولاً يوم البصرة فقلت: هذا مملوك ولا أقضي بشهادة مملوك وما بأس بشهادة المملوك إذا كان عدلاً ثمّ قال : ويلك أو ويحك إمام المسلمين

يؤتمن من أمورهم على ما هو أعظم من هذا .

قال الفيض في بيانها : الغلول الخيانة وربما يختصّ بالغنيمة يقال :غلّ شيء من المغنم إذا اُخذ في خفية ، ولعلّ الوجه في جواز أخذ الغلول بغير بيّنةأنه ممّا يعرفه العسكر ولم يقسم بعد بين أهله ليباع و يوهب ، وكفى بهذه القضيّة شاهداً على حماقة شريح ، إلى آخرما قال .

ثمّ وممّا يليق أن يذكر في المقام تنبيهاً للقضاة و غيرهم من ذوي المناصب أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : الفقر فخري ، وهذا الفقر قد فسّر بالفقر إلى الله تعالى قال عزّ من قائل « أنتم الفقراء إلى الله والله هوالغنيّ الحميد » (فاطر- ١٧) كما هوالسائر في ألسنة العرفاء .

ولكن يمكن أن يفسّر بوجه آخر و هو أن يكون الفقر بمعناه المصطلح الدّارج أي الفقر من الدّرهم والدّينار والأرض والدّار وغيرها من حطام الدّنيا وزخارفها ، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يباهي بفقره من حيث إنّه لم يخن النّاس و لم يطمع إلى أموالهم مع أنّ الدّنيا كانت مقبلة إليه ، ولوشاء أن يكون له بيت من زخرف فما فوقه لتيسّر له وقد قدّمنا في شرح الخطبة ٢٢٣ (ص ٩٣ ج١من تكملة المنهاج) كانت عنده صلى الله عليه وآله في مرضه الّذي توفي منه سبعة دنانير أو ستّة فأمر أن يتصدّق بها وقال صلى الله عليه وآله : ما ظنّ محمد بربّه أن لو لقي الله وهذه عنده ؟ .

ولا ريب أنّ ذا منصب ومقام إذا زاد أمواله على قدر اُجرته و نفقته من غير نسبة متناسبة كما نرى في عصرنا هذا أنّ كثيراً من أشباه الرّجال ولا رجال إذا تولّوا أمراً من الأمور لم ينصرم عليهم برهة من الزّمان إلاّ بلغت أموالهم من الدّور والقصور والنقود والكنوز ما إنّ مفاتحه لتنوءُ بالعصبة اُولي القوّة ،اتّبع الشيطان لاجرم فعدل عن سواء الطريق ، فخان الناس .

ولولا السرقة والخيانة والارتشاء وأكل المال بالباطل فأنّى حصلت له، ولم لم تحصل للآخر الشريف النجيب الأصيل المؤمن الموحّد الرّؤوف بالنّاس وخدومهم فحريٌ أن يقال لهؤلاء اللّصوص : اجتنبوا عن ظلم العباد فانّ ربّكم لبالمرصاد

وإن لم يكن لكم دين فكونوا في دنياكم أحراراً ؛ ولا تكونوا كالّذين قال الشاعر فيهم :

لا بارك الله في ليل البراغيث ليل البراغيث ليل لا نفاد له
كأنهنّ بجسمي إذ خلون به قضاة سوء على مال المواريث

ثمّ الروايات في ذمّ أخذ الرشا في الحكم و ذمّ القاضي الجائر في الحكم كثير جدّاً مع أنّهـا تمضي حكم العقل في ذلك ، لأنّ العقل يحكم بذمّ الرشا و الجور .

روي في الكافي والتهذيب عن سماعة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الرشا في الحكم هو الكفر بالله .

وفيهما عن ابن مسكان عن يزيد بن فرقد قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن السحت فقال : الرشا في الحكم .

بيان : مراد السائل من السحت هو قوله تعالى : « سمّاعون للكذب أكّالون للسحت » الآية (المائدة ـ ٤٧) وقوله تعالى : « و ترى كثيراً منهم يسارعون في الاثم والعدوان وأكلهم السحت» وقوله تعالى «لولا ينهيهم الرّبّانيّون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت » (المائدة - ٦٨و٦٩) فسأله عليه السلام عن السحت أي ما معناه في القرآن الكريم أكّالون للسحت وأكلهم السحت . ونعم ما قال العارف الرّومي:

چون طمع كردي ضرير وبنده‌اي تا تو رشوت نستدي بيننده اي

« ذكر شريح و نسبه وخبره »

قد اختلف الرواة في نسبه اختلافاً كثيراً وأصحّ الطرق فيه هو: أبو اُميّة شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتّع ـ بتشديد التاء المثناة من فوقها و كسرها ـ الكندي ، كما في الأغاني (ص ٣٥ ج ١٦ طبع ساسي) واسد الغابة وتاريخ ابن خلكان وغيرها من الكتب المعتبرة .

وفي الروضات للخوانساري : الكندي بكسر الكاف نسبة إلى كندة التي

لقّب بها جدّه الثامن ثور بن مرتع الكوفي ، لأنّه كند أباه نعمته بمعنى كفرها و كذا في تاريخ ابن خلّكان أيضاً .

وقال في الأغاني بعد ذكر نسبه المذكور : وقد اختلف الرُّواة بعدهذا في نسبه فقال بعضهم : شريح بن هانيء ، وهذا غلط ، ذاك شريح بن هانيء الحارثي ، واعتلّ من قال هذا بخبر روي عن مجاهد عن الشعبي أنّه قرأ كتاباً من عمر إلى شريح من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى شريح بن هانيء ، وقد يجوز أن يكون كتب عمر هذا الكتاب إلى شريح بن هانيء الحارثي و قرأه الشعبي و كلا هذين الرّجلين معروف ، والفرق بينهما النسب والقضاء ، فانّ شريح بن هانيء لم يقض و شريح ابن الحارث قد قضى لعمر بن الخطاب وعليّ بن أبيطالب عليه السلام .

وقيل : شريح بن عبدالله ، و شريح بن شراحيل ، و الصحيح ابن الحارث وابنه أعلم به .

أقول : وإنما قال وابنه أعلم به لأنه روى نسبه المذكور عن هشام بن السائب وعن ابن شريح ميسرة بن شريح .

ثمّ روى باسناده عن أبي ليلى أنّ خاتم شريح كان نقشه : شريح الحارث وقيل : إنه من أولاد الفرس الّذين قدموا اليمن مع سيف بن ذي يزن وعداده في كندة وقد روى عنه شيبة بذلك .

وروى باسناده عن الشعبي قال : جاء أعرابيٌّ إلى شريح فقال : من أنت ؟ قال : أنا من الّذين أنعم الله عليهم وعدادي في كندة . وروى عن أبي حصين قال : كان شريح إذا قيل له : ممّن أنت ؟ قال : ممّن أنعم الله عليه بالاسلام عديد كندة قال وكيع : وقيل : إنه لما خرج إلى المدينة ثمّ إلى العراق لأنّ اُمّه تزوّجت بعد أبيه ، فاستحيا .

وفي اسد الغابة : أنّه أدرك النبيّ صلّى الله عليه وآله ولم يلقه ، وقيل لقيه ، و استقضاه عمر بن الخطاب على الكوفة فقضى بها أيّام عمر وعثمان و عليّ ، و لم يزل على القضاء بها إلى أيّام الحجّاج ، فأقام قاضياً بها ستّين سنة ، وكان أعلم الناس بالقضاء

ذا فطنة وذكاء ومعرفة وعقل، وكان شاعراً محسناً ، له أشعار محفوظة وكان كوسجا لاشعر في وجهه .

قال : روى عليّ بن عبدالله بن معاوية بن ميسرة بن شريح القاضي ،عن أبيه عن جدّه معاوية ، عن شريح أنه جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فأسلم ثمّ قال : يارسول الله إنّ لي أهل بيت ذو عدد باليمن فقال له : جيء بهم ، فجاء بهم و النبيّ صلى الله عليه وآله قد قبض .

وقال ابن خلكان : كان من كبار التابعين وأدرك الجاهليّة و استقضاه عمر ابن الخطاب على الكوفة فأقام قاضياً خمساً و ستّين سنة لم يتعطّل فيها إلاّ ثلاث سنين امتنع فيها من القضاء في فتنة ابن الزبير ، واستعفى الحجّاج بن يوسف من القضاء فأعفاه ولم يقض بين اثنين حتّى مات .

وقال ابن عبدالبر : وكان شاعراً محسناً ، و هو أحد السادات الطلس و هم أربعة : عبدالله بن الزبير ، وقيس بن سعد بن عبادة ، والأحنف بن قيس الّذي يضرب به المثل في الحلم ، والقاضي شريح المذكور .

الطلس:جمع الأطلس أي الّذي لا شعر في وجهه و قال الخوانساري في الروضات : وقيل : إنه من الكواسج الأربعة و فيه مسامحة ، لأنّ الكوسج في اللّغة من كانت لحيته على الذقن دون العارضين أوكان خفيفها جدّاً و كذلك في العرف وعليه قول بعض أهل الحكمة : ما طالت لحية أحد إلاّ تكوسج عقله، بمعنى رقّ وخفّ ـ انتهى .

أقول : الكوسج إن كان معرّب كوسه كما في البرهان القاطع قال : كوسه بروزن بوسه معروف است يعنى شخصى كه اورا درچانه وزنخ زياده برچندي موى نباشد ومعرّب آن كوسج است ، فهو كما قاله الخوانساري،وإن كان عربيّاً من كسج الرّجل أي لم ينبت له لحية فالتعبير بالكوسج صحيح بلامسامحة وإن كان الأوّل هو الأصحّ والأصوب، قال الجوهريّ : الكوسج الأثط وهو معرّب، وقال الأزهريّ لا أصل له في العربيّة . والأثط هو الّذي لحيته على ذقنه لا على العارضين .

وكان شريح خفيف الرّوح مزاحاً دخل عليه عديّ بن أرطاة (حاتم خ ل) فقال له: أين أنت أصلحك الله؟ فقال: بينك وبين الحائط قال: استمع منّي، قال: قل أسمع، قال: إنّي رجل من أهل الشّام، قال: من مكان سحيق، قال: تزوّجت عندكم، قال: بالرفاء والبنين، قال: وأردت أن أرحلها، قال: الرّجل أحقّ بأهله، قال: وشرطت لها دارها، قال: الشرط أملك، قال: فاحكم الآن بيننا قال: قد فعلت، قال: فعلى من حكمت؟ قال: على ابن اُمّك، قال: بشهادة من؟ قال: بشهادة ابن اُخت خالتك. نقله الجاحظ في البيان و التبيين (ص ٩٨ ج ٤ طبع مصر ١٣٨٠هـ) وابن خلكان في وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزّمان.

وفي الوفيات أيضاً: حدّث أبوجعفر المدني عن شيخ من قريش قال: عرض شريح ناقة ليبيعها فقال له المشتري: يا أبا اُميّة كيف لبنها؟ قال: احلب في أيّ إناء شئت. قال: كيف الوطأ؟ قال: افرش ونم، قال: كيف نجاؤها؟ قال: إذا رأيتها في الابل عرفت مكانها علّق سوطك و نم، قال: كيف قوّتها؟ قال: احمل على الحائط ما شئت. فاشتراها فلم ير شيئاً ممّا وصفها به. قال: ما كذبتك قال: أقلني قال: نعم.

وفيه أيضاً: قيل: تقدم رجلان إلى شريح فاعترف أحدهما بما ادّعى عليه وهو لايعلم بذلك فقضى عليه. فقال الرّجل: تقضي عليّ من غير بيّنة؟ فقال: قد شهد عندي الثقة، قال: ومن هو؟ قال: ابن أخي عمّك. و قد ألمّ بهذا المعنى أبوعبدالله الحسين الحجاج:

وإن قدّموا خيلهم للركوب　　خرجت فقدّمت لي ركبتي
و في جمل النّاس غلمانهم　　و ليس سوى أنا في جملتي
ولا لي غلام فـأدعى بـه　　سوى من أبوه أخو عمّتي

قال: وقال الأشعث بن قيس لشريح: ما أشدّ ما ارتفعت؟! قال: فهل ضرّك ذلك؟ قال: لا، قال: فأراك تعرف نعمة الله عليك فيحفظها في نفسك.

قال: وحدّث محمّد بن سعد عن عامر الشعبي أنّ ابن الشريح قال لأبيه: إنّ بيني و بين قوم خصومة فانظر فان كان الحقّ لي خاصمت وإن لم يكن لي الحقّ

لم اُخاصمهم ، فقصّ قصّته عليه ، فقال : انطلق فخاصمهم ، فانطلق إليهم فتخاصموا إليه فقضى على ابنه ، فقال لمّا رجع إلى أهله : والله لو لم أتقدّم إليك لم أملك فقال : والله يا بنيّ لأنت أحبّ إليّ من ملء الأرض مثلهم ، و لكنّ الله هو أعزّ عليّ منك خشيت أن اُخبرك أنّ القضاء عليك فتصالحهم ببعض حقّهم .

وعن الشعبي أيضاً قال : شهدت شريحاً وجائته إمرأة تخاصم رجلا فأرسلت عينيها فبكت ، فقلت : يا أبا اُميّة ما أظنّ هذه الباكية إلاّ مظلومة ، فقال : يا شعبي إنّ إخوة يوسف جاؤا أباهم عشاءً يبكون .

قال : ويروى أنّ زياد بن أبيه كتب إلى معاوية : يا أمير المؤمنين قد ضبطت لك العراق بشمالي وفرغت يميني لطاعتك فولّني الحجاز ، فبلغ ذلك عبدالله بن عمر وكان مقيماً بمكّة فقال : اللّهمّ اشغل عنّا يمين زياد ، فأصابه الطّاعون في يمينه فجمع الأطبّاء و استشارهم فأشاروا عليه بقطعها ، فاستدعى القاضي شريحاً وعرض عليه ما أشار به الأطبّاء فقال له : لك رزق معلوم و أجل محتوم و إني أكره إن كانت لك مدّة أن تعيش في الدّنيا بلا يمين ، وإن كان قد دنا أجلك أن تلقى ربك مقطوع اليمين ، فاذا سألك لم قطعتها ؟ قلت : بغضاً في لقائك و فراراً من قضائك فمات زياد من يومه، فلام الناس شريحاً على منعه من القطع لبغضهم له فقال : إنه استشارني والمستشار مؤتمن ، ولولا الأمانة في المشورة لوددت أنه قطع يده يوماً ورجله يوماً. وسائر جسده يوماً يوماً .

وكان شريح رجلاً داهياً ، قال الدميري في حيوة الحيوان : قيل للشعبي : يقال في المثل: إنّ شريحاً أدهى من الثعلب وأحيل . فما هذا ؟ فقال : خرج شريح أيّام الطاعون إلى النجف فكان إذا قام يصلّي يجيء ثعلب فيقف تجاهه و يحاكيه ويخيّل بين يديه ويشغله عن صلاته ، فلمّا طال ذلك عليه نزع قميصه فجعله على قصبة وأخرج كمّيه وجعل قلنسوته عليها ، فأقبل الثعلب فوقف بين يديه على عادته فأتاه شريح من خلفه و أخذه بغتة فلذلك يقال : شريح أدهى من الثعلب وأحيل .

وكان شاعراً محسناً وذكر أبياتاً منه أبو الفرج الإصبهاني في الأغاني والقاضي ابن خلكان في وفيات الأعيان ففي الأغـاني ، بعد ذكر خبر زينب بنت حدير وترويج شريح إيّاها قال : قال شريح : فما غضبت عليها قطّ إلّا مرّة كنت لهـا ظالماً فيها ، وذاك إني كنت إمام قومي فسمعت الإقامة وقد ركعت ركعتي الفجر فأبصرت عقرباً فعجّلت عن قتلها فأكفأت عليها الإناء ، فلمّا كنت عندالباب قلت: يا زينب لاتحرّكي الإناء حتّى أجيء . فعجّلت فحرّكت الإناء فضربتها العقرب فجئت فإذا هي تلوي ، فقلت : ما لك ؟ قالت : لسعتني العقرب فلو رأيتني ياشعبي وأنا أعرك اصبعها بالماء والملح وأقرأ عليها المعوذتين وفاتحة الكتاب ، و كان لي يا شعبي جار يقال له : ميسرة بن عرير من الحيّ ، فكان لا يزال يضرب امرأته فقلت :

رأيت رجالاً يضربون نساءهم   فشلّت يميني يوم أضرب زينبا

يا شعبي فوددت أني قاسمتها عيشي ، قال : وممّا يغني فيه من الأشعار الّتي قالها شريح في امرأته زينب :

رأيت رجالاً يضربون نساء هم   فشلّت يميني يوم أضرب زينباً
أ أضربها في غير جرم أتت به   إليّ فما عذري إذا كنت مذنباً
فزينب شمس و النساء كواكب   إذا طلعت لم تبد منهنّ كوكب
فتاة تزين الحلي إن هي حليت   كأنّ بفيها المسك خالط محلباً

أقول : وقال آخر نحو مضمون البيت الأخير :

و إذا الدرّ زان حسن وجوه   كان للدرّ حسن وجهك زيناً

وكذا قال بهذا المضمون حسين بن مطير « بالتصغير » في باب النسيب من الحماسة (الحماسة ٤٦٠) :

مخصّرة الأوساط زانت عقودها   بأحسن مما زيّنتها عقودهـا

وبهذا المضمون للشيخ الأجلّ السعدي بالفارسيّة :

تو از هردر كه باز آيي بدين خوبي و رعنائي
دري باشد كه از رحمت بروى خلق بگشائي

بزيور ها بيارايند مردم خوبرويان را
تو سيمين تن چنان خوبي كه زيورها بيارائي

وذكر أبوالفرج في الأغاني أنّ شريحاً قال هذه الأبيات الآتية في زوجته زينب بنت حدير التميمية أيضاً ، ثمّ قال : وذكر اسحاق في كتاب الاغاني المنسوب اليه أنه لابن محرز :

إذا زينب زارها أهلها حشدت وأكرمت زوّارها
و إن هي زارتهم زرتهم وإن لم أحد لي هوى دارها
فسلمي لمن سالمت زينب وحربي لمن أشعلت نارها
وما زلت أرعى لها عهدها و لم أتّبع ساعة عارها

وفي تاريخ ابن خلكان : روي أنّ علياً عليه السلام قال : اجمعوا إليّ القرّاء فاجتمعوا في رحبة المسجد فقال : إنّي اوشك أن اُفارقكم، فجعل يسألهم ماتقولون في كذا ؟ . ما تقولون في كذا ؟ ، ما تقولون في كذا ؟ ، و شريح ساكت ، ثمّ سأله فلمّا فرغ منهم قال : اذهب فأنت من أفضل الناس أومن أفضل العرب .

وفي الروضات بعد نقل هذه الرّواية من ابن خلكان قال : وأنت خبير بأنّ من هذه الرّواية العاميّة تلوح آثار الوضع إلى آخر ما قال، فراجع وتأمّل .

وقال في الأغاني باسناده عن الشعبي : إنّ عمر بن الخطاب أخذ من رجل فرساً على سوم فحمل عليه رجلاً فعطب الفرس ، فقال عمر : اجعل بيني و بينك رجلاً ، فقال له الرجل : اجعل بيني وبينك شريحاً العراقي ، فقال : ياأمير المؤمنين أخذته صحيحاً سليماً على سوم فعليك أن تردّه كما أخذته ، قال : فأعجبه ما قال وبعث به قاضياً ثمّ قال : ما وجدته في كتاب الله فلاتسأل عنه أحداً ، ومالم تستبن في كتاب الله فالزم السنّة، فان لم يكن في السنّة فاجتهد رأيك .

أقول : قد قدّمنا في المباحث السالفة أنّ كلّ ما يحتاج اليه الناس من اُمور الدّين قد جاء به الكتاب والسنّة يستنبط منهما الأحكام الجزئيّة .

وفي الأغاني قال عمر لشريح حين استقضاه : لاتشار ، ولا تضار ، ولا تشتر ولاتبع ، فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين :

إنّ القضاة إن أرادوا عدلاً　　و فصّلوا بين الخصوم فصلاً
و زحزحوا بالحكم منهم جهلا　　كانوا كمثل الغيث صاب محلا

ثمّ قال : و له أخبار في قضايا كثيرة يطول ذكرها ، وفيها ما لايستغنى عن ذكره ، منها محاكمة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في الدّرع و قد قدّمناها في البحث السابق آنفاً .

وقد روى ثقة الإسلام الكليني في الكافي والصدوق في الفقيه وشيخ الطائفه في التهذيب والفيض في أبواب القضاء والشهادات من الوافي (ص ١٥٩ ج٩) قضيّة قضى بها شريح أوّلاً ثمّ قضى بها أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام بخلافه رادّاً عليه وهي :

أنّ أمير المؤمنين عليه السلام دخل المسجد فاستقبله شابٌّ يبكي و حوله قوم يسكّتونه ، فقال عليٌّ عليه السلام : ما أبكاك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنّ شريحاً قضى عليّ بقضيّة ما أدري ما هي ، إنّ هؤلاء النفر خرجوا بأبي معهم في السفر فرجعوا ولم يرجع أبي فسألتهم عنه فقالوا : مات ، فسألتهم عن ماله ، فقالوا : ما ترك مالا فقدّمتهم إلى شريح فاستحلفهم ، وقد علمت يا أمير المؤمنين أنّ أبي خرج و معه مال كثير ، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام : ارجعوا ، فرجعوا و الفتى معهم إلى شريح ،فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : يا شريح كيف قضيت بين هؤلاء القوم ؟ فقال: يا أمير المؤمنين ادّعى هذا الفتى على هؤلاء النفر أنهم خرجوا في سفر وأبوه معهم فرجعوا ولم يرجع أبوه ، فسألتهم عنه فقالوا : مات ،فسألتهم عن ماله فقالوا : ما خلّف مالاً ، فقلت للفتى : هل لك بيّنة على ما تدّعي ؟ فقال : لا ، فاستحلفتهم فقال أمير المؤمنين عليه السلام : هيهات يا شريح هكذا تحكم في مثل هذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين فكيف ؟.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : والله لأحكمنّ فيهم بحكم ما حكم به خلق قبلي إلّا داود النّبيّ عليه السلام ، يا قنبر ادع لي شرطة الخميس . فدعاهم فوكّل بكلّ

واحد منهم رجلاً من الشرطة ، ثمّ نظر إلى وجوههم فقال : ما ذا تقولون ؟ أتقولون إنّي لا أعلم ماصنعتم بأب هذا الفتى ؟ إنّي إذاً لجاهل ، ثمّ قال: فرّقوهم غطّوا رؤوسهم ففرّق بينهم واُقيم كلّ رجل منهم إلى اسطوانة من أساطين المسجد ورؤوسهم مغطّاة بثيابهم .

ثمّ دعا عبيدالله بن أبي رافع كاتبه فقال : هات صحيفة و دواة ، و جلس أمير المؤمنين عليه السلام في مجلس القضاء واجتمع الناس إليه فقال لهم : إذا أنا كبّرت فكبّروا ، ثمّ قال للنّاس : افرجوا .

ثمّ دعا بواحد منهم فأجلسه بين يديه و كشف عن وجهه ثمّ قال لعبيد الله : اكتب إقراره وما يقول . ثمّ أقبل عليه بالسؤال فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : في أيّ يوم خرجتم من منازلكم و أبو هذا الفتى معكم ؟ فقال الرّجل : في يوم كذا. و كذا ، قال عليه السلام في أيّ شهر ؟ قال : في شهر كذا و كذا ، قال عليه السلام : في أيّ سنة ؟ قال في سنة كذا و كذا ، قال : وإلى أين بلغتم من سفركم حين مات أبو هذا الفتى ؟ قال : إلى موضع كذا و كذا ، قال عليه السلام : في منزل من مات ؟ قال: في منزل فلان بن فلان : قال : وما كان مرضه ؟ قال : كذا و كذا ، قال عليه السلام : فكم يوماً مرض ؟ قال ، كذا و كذا ، قال عليه السلام ، فمن كان يمرّضه وفي أيّ يوم مات ومن غسّله وأين غسّله ، ومن كفّنه وبم كفّنتموه، ومن صلّى عليه ومن نزل قبره ؟ فلمّا سأله عن جميع ما يريد كبّر أمير المؤمنين عليه السلام و كبّر الناس جميعاً فارتاب اُولئك الباقون ولم يشكّوا أنّ صاحبهم قد أقرّ عليهم وعلى نفسه ، فأمر عليه السلام أن يغطّي رأسه وينطلق به إلى السجن .

ثمّ دعا بآخر فأجلسه بين يديه وكشف عن وجهه ثمّ قال عليه السلام ، كلاّ زعمتم أنّي لا أعلم بماصنعتم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما أنا إلاّ واحد من القوم و لقد كنت كارهاً لقتله فأقرّ .

ثمّ دعا بواحد بعد واحد كلّهم يقرّ بالقتل وأخذ المال ثمّ ردّ الّذي كان أمر به إلى السجن فأقرّ أيضاً فألزمهم المال والدّم .

فقال شريح : يا أمير المؤمنين وكيف كان حكم داود النبي عليه السلام ؟

فقال عليه السلام : إنّ داود النبيّ مرّ بغلمة يلعبون وينادون بعضهم بيامات الدّين فيجيب منهم غلام ، فدعاهم داود عليه السلام فقال : يا غلام ما اسمك ؟ فقال : مات الدّين فقال له داود : من سمّاك بهذا الاسم ؟ فقال : أمّي ، قال عليه السلام : فانطلق داود عليه السلام إلى اُمّه فقال لها : يا أيّتها المرأة ما اسم ابنك هذا ؟ فقالت : مات الدّين ، فقال لها : ومن سمّاه بهذا الاسم ؟ قالت : أبوه ، قال : وكيف كان ذلك ؟ قالت : إنّ أباه خرج في سفر له ومعه قوم وهذا الصبيّ حمل في بطني فانصرف القوم ولم ينصرف زوجي فسألتهم عنه فقالوا : مات ، فقلت لهم : فأين ما ترك ؟ قالوا : لم يخلّف شيئاً فقلت : هل أوصاكم بوصيّة ؟ قالوا : نعم زعم أنك حبلى فما ولدت من ولد جارية أو غلام فسمّيه مات الدّين ، فسمّيته .

قال داود : وتعرفين القوم الّذين كانوا خرجوا مع زوجك ؟ قالت : نعم قال : فأحياءٌ هم أم أموات ؟ قالت : بل أحياء ، قال : فانطلقي بي إليهم .

ثمّ مضى معها فاستخرجهم من منازلهم فحكم بينهم بهذا الحكم بعينه وأثبت عليهم المال والدّم، ثمّ قال للمرأة : سمّي ابنك هذا عاش الدّين .

ثمّ إنّ الفتى والقوم اختلفوا في مال الفتى كم كان ؟ فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام خاتمه وخواتيم من عنده ثمّ قال : اجيلوا بهذه السهام فأيكم أخرج خاتمي فهو صادق في دعواه ، لأنه سهم الله وسهم الله لايخيب .

ثمّ إنّ الكليني روى تلك القضيّة باسناده عن الأصبغ بن نباتة أيضاً وقال : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لما رأى قضاء شريح فيها قال :

أوردها سعد وسعد مشتمل　　ماهكذا تورد يا سعد الابل

وقال عليه السلام : ما يغني قضاك يا شريح، ثمّ قال عليه السلام : والله لأحكمنّ فيهم بحكم ما حكمه قبلي إلّا داود النبي عليه السلام ــ إلى آخرها .

بيان : قال الميداني في باب الألف من مجمع الأمثال في بيان مثل « آبل من مالك بن زيد مناة » هو سبط تميم بن مرّة ، وكان يحمق إلّا أنه كان آبل أهل

زمانه ، ثمّ إنه تزوّج وبنى بامرأته فأورد الإبل أخوه سعد ولم يحسن القيام بها والرفق عليها ،فقال مالك : أوردها سعد ، البيت . فأجابه سعد وقال :

يظلّ يوم وردها مزعفرا وهي خناطيل تجوش الخضرا

وقال في فصل الواو الساكنة منه في بيان مثل « أوردها سعد وسعد مشتمل » يضرب لمن قصّر في طلب الأمر . انتهى .

فمراده عليه السلام أنّ شريحاً قصّر في حكم هذه القضيّة ولم يحسن القيام به .

وفي المجلّد العاشر من البحار ص ٩٠ طبع الكمباني : ادّعى رجل على الحسن ابن علي عليهما السلام ألف دينار كذباً ولم يكن له عليه فذهبا إلى شريح فقال للحسن عليه السلام أتحلف ؟ قال : إن حلف خصمي أعطيه ، فقال شريح للرّجل : قل بالله الّذي لا إله إلاّ هو عالم الغيب والشهادة ، فقال الحسن عليه السلام : لا اُريد مثل هذا لكن قل: بالله إنّ لك عليّ هذا وخذ الألف ، فقال الرّجل ذلك وأخذ الدّنانير ، فلمّا قام خرّ إلى الأرض ومات ، فسئل الحسن عليه السلام عن ذلك فقال : خشيت أنه لو تكلّم بالتوحيد يغفر له يمينه ببركة التوحيد ويحجب عنه عقوبة يمينه .

أقول: ونظير ذلك روى الشيخ المفيد في الإرشاد والكليني في الكافي والفيض في الوافي (ص٢٤٥ ج٥) عن أبي عبدالله عليه السلام وهو أنّ المنصور أمر الرّبيع باحضاره فأحضره فلمّا بصر به المنصور قال له : قتلني الله إن لم أقتلك أتلحد في سلطاني و تبغيني الغوائل ؟ فقال له أبوعبدالله عليه السلام : والله ما فعلت ولا أردت و إن كان بلغك فمن كاذب، ولو كنت فعلت فقد ظلم يوسف فغفر ، وابتلى أيّوب فصبر ، واعطى سليمان فشكر ،فهؤلاء أنبياء الله وإليهم يرجع نسبك .

فقال له المنصور : أجل ارتفع ههنا فارتفع ، فقال له : إنّ فلان بن فلان أخبرني عنك بما ذكرت ، فقال : أحضره يا أمير المؤمنين ليوافقني على ذلك، فاُحضر الرّجل المذكور فقال له المنصور : أنت سمعت ما حكيت عن جعفر عليه السلام ؟ قال : نعم ، فقال له أبوعبدالله عليه السلام : فاستحلفه على ذلك .

فقال له المنصور : أتحلف ؟ قال : نعم ، وابتدأ باليمين . فقال له أبوعبدالله

عليه السلام : دعني يا أمير المؤمنين أُحلّفه أنا ، فقال له : افعل فقال أبو عبدالله عليه السلام للساعي : قل : برئت من حول الله وقوّته والتجأت إلى حولي وقوّتي لقد فعل كذا و كذا جعفر وقال كذا و كذا جعفر ، فامتنع منها هنيئة ثمّ حلف بها فما برح حتى ضرب برجله فقال أبو جعفر : جرّوا برجله فأخرجوه لعنه الله .

قال الربيع : وكنت رأيت جعفر بن محمد عليهما السلام حين دخل على المنصور يحرّك شفتيه . فكلّما حرّكهما سكن غضب المنصور حتّى أدناه منه وقد رضي عنه ، فلمّا خرج أبو عبدالله عليه السلام من عند أبي جعفر اتبعته فقلت له : إنّ هذا الرّجل كان من أشدّ النّاس غضباً عليك فلمّا دخلت عليه دخلت وأنت تحرّك شفتيك وكلّما حرّكتهما سكن غضبه فبأيّ شيء كنت تحرّكهما ؟ .

قال عليه السلام : بدعاء جدّي الحسين بن عليّ عليهما السلام قلت : جعلت فداك وما هذا الدّعاء ؟ قال: «يا عدّتي عند شدّتي ويا غوثي عند كربتي احرسني بعينك الّتي لا تنام واكنفني بركنك الّذي لا يرام».

قال الرّبيع : فحفظت هذا الدّعاء فما نزلت بي شدّة قطُّ إلاّ دعوت به ففرّج عني .

قال : وقلت لجعفر بن محمد عليهما السلام : لم منعت الساعي أن يحلف بالله ؟.

قال عليه السلام : كرهت أن يراه الله يوحّده ويمجّده فيحلم عنه ويؤخّر عقوبته فاستحلفته بما سمعت ، فأخذه الله أخذاً رابيةً .

وفي عاشر البحار ص ١٧٩ طبع الكمباني أنّ ابن زياد لما ضرب بالقضيب هانياً رضوان الله عليه في قضيّة مسلم بن عقيل عليه السلام حتّى كسر أنفه و سال الدّماء على ثيابه و وجهه ولحيته ونثر لحم جبينه وخدّه على لحيته حتى كسر القضيب ثمّ أمر بالقائه في بيت من بيوت الدّار وحبسه فيه بلغ عمرو بن الحجّاج أنّ هانياً قد قتل فأقبل في مذحج حتّى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم ، ثمّ نادى وقال : أنا عمرو بن الحجاج وهذه فرسان مذحج ووجوهها لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة وقد بلغهم أنّ صاحبهم قد قتل فأعظموا ذلك .

فقيل لابن زياد : هذه فرسان مذحج بالباب ،فقال لشريح القاضي :ادخل على صاحبكم فانظر إليه ثمّ اخرج وأعلمهم أنه حيٌّ لم يقتل .

فدخل شريح فنظر إليه فقال هانيء لما رأى شريحاً : يا لله يا للمسلمين أهلكت عشيرتي أين أهل الدّين ؟ أين أهل المصر ؟ و الدّماء تسيل على لحيته إذ سمع الصيحة على باب القصر فقال : إني لأظنها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين إنه إن دخل عليّ عشرة نفر أنقذوني .

فلمّا سمع مقاله شريح خرج إليهم فقال لهم : إنّ الأمير لمّا بلغه كلامكم ومقالتكم في صاحبكم أمرني بالدّخول إليه فأتيته فنظرت إليه فأمرني أن ألقيكم واُعرّفكم أنه حيٌّ وأنّ الّذي بلغكم من قتله باطل ،فقال له عمرو بن الحجاج وأصحابه: أما إذا لم يقتل فالحمدلله ، ثمّ انصرفوا .

وفي روضات الجنّات بعد نبذة من ترجمة شريح قال :

وبالجملة فالأخبار في خباثة رأي هذا الرّجل وسوء عاقبته كثيرة ، وحسب الدلالة على غاية ملعنته وشقاوته كونه من جملة من ترك إغاثة مولانا الحسين عليه السلام بكلمة خير عند بني اُميّة ، كانت تمكنه يقيناً بل كونه من جملة من تسبّب ذلك منه ومن أمثاله الّذين كانوا يطأون بساط الظالم عبيدالله بن زياد الملعون في دار الامارة كوفة ، كما يشهد بذلك واقعة مسلم بن عقيل المظلوم وولديه الشهيدين وماصدر منه في حقّهم وبدر منه على قتلهم ، ويؤيّده أيضاً ما نقل عن أبي مخنف الأزدي صاحب المقتل أنّه ذكره من جملة من قتله المختار في زمن انتقامه من بني اُميّة وأتباعهم الملعونين . فليتأمّل . انتهى قوله .

اختلف في سنّه فقيل :مائة وعشرون سنة، وقيل : مائة وعشر، وقيل : أقلّ من ذلك وأكثر ،وكان وفاته سنة سبع وثمانين للهجرة ، وقيل غير ذلك .

وفي الأغاني عن أبي سعيد الجعفي أنه مات في زمن عبدالملك بن مروان ، وفيه باسناده عن الأصمعي ولد شريح وهو ابن مائة سنة .

وفي الروضات ، أنّه كان خفيف الرّوح مزاحاً و يشهد بصحة هذه النسبة إليه

طول عمره فانّ من أشدّ ما ينقص به العمر وينغص به العيش إنما هو زيادة الغيرة والاغتمام ، والشفقة على أهل الكروب . انتهى .

الترجمة

این کتابیست از أمیرالمؤمنین علي عليه‌السلام که بقاضي خود شریح بن حارث مرقوم فرموده است :

روایت است که شریح در زمان خلافت أمیرالمؤمنین عليه‌السلام که ازجانب آن بزرگوار بسمت قضا منصوب بود ، خانه ای بهشتاد دینار خرید ، این خبر بآن جناب رسید وشریح را طلبید وبدو گفت که شنیدم خانه ای بهشتاد دینار خریده‌ای وسند وقباله بر آن نوشته ای وجمعی را بر آن گواه گرفته ای ؟.

شریح گفت : أي أمیرالمؤمنین آري چنین است .

راوي گفت : چون علی این سخن ازشریح بشنید خشمگین دروي نگریست وگفت ای شریح آگاه باش که بزودي کسی بسویت آید (مرك ، یاجان‌شکر) که در قباله ات ننگرد واز گواهت نپرسد تا از خانه تورا با چشم بی نور و جسم بی روح بدربرد ودست از همه چیز شده و جدا مانده بخانهٔ گورت سپارد ، پس ای شریح با دیده بصیرت درنگر که مبادا آنرا از کسیکه مالك آن نبوده خریده باشی، ویابهای آنرا از مال حرام داده باشی که دراین سرا وآن سرا زیان کار خواهی بود .

بدان که گاه خریدآن اگرنزد من‌آمدی هرآینه این‌قباله‌برایت‌نوشتمی که بدرمی آنرا نمیخریدی تا چه رسد که به بیشتر.

بسم‌الله الرّحمن الرحیم این سرائیست که آنرا بنده‌ای خوار ازمرده ای که از این سرا کوچش داده اند خریده است ، خانه ای خریده که مسافت آن از جانب فانی شدگان تا سرزمین هالکان است . این‌سرا محدود به‌چهارحدّ است حدّ نخستین‌آن باسباب آفتها پایان‌می‌یابد ، ودوّم آن بعلل مصیبتها ، حدّ سوّم به هوای نفس ، وچهارم‌آن به دیو گمراه کننده، ودرِ آن دراین‌حدّ گشوده‌میشود.

این شخص فریب آرزو خورده این خانه را از آنکه مرگش فرارسیدو کوچ داده شد ببهای ازعزت قناعت بدر رفتن ودر ذلّت سؤال بدرآمدن ، خریده است .

پس اگر عوارضی در این معامله از پی پدیدآید برعهدهٔ خراب کنندهٔ خانه کالبدشاهان ـ وربایندهٔ جان ستمکاران ، ونابود کننده سلطنت فرعونان،همچون شاهان پارس وملوك روم وسلاطین و والیان یمن ، وآنانکه مال‌را برمال‌ا نباشتند وبنا کردند وبرأفراشتند ، وزینتش دادند وبیاراستند ، وگنج نهفتند وآب و خاك گرد آوردند ، وبدلسوزی فرزندان وبخیال یاری آنان مال اندوخته اند_میباشد که فروشنده وخریدار وآنکه درك باو تعلّق گرفته همه را درپیشگاه عدل إلهی که خلایق را براي پرسش سان دهند وبپاداش و کیفر رسانند ، حاضر کند تا آنگاه که فرمان خداوند قهّار بفصل میان حقّ وباطل فرودآید مهمّ دعوای ایشان فیصل یابد ، درآنجا تباه پیشه‌گان باطل کیش زیانکارشوند .

خرد آزاد از بردگی هوی ، وسالم از أمراض علائق دنیا براین قباله‌شاهد عادل وحجّت بالغ است .

و من كتاب له عليه السلام الى بعض امراء جيشه و هو الكتاب الرابع من باب المختار من كتبه عليه السلام و رسائله :

فَإِنْ عادُوا إلىٰ ظِلِّ الطّاعَةِ فَذاكَ الّذي نُحِبُّ ، وَإِنْ تَوافَتِ الْاُمورُ بِالْقَوْمِ إِلَى الشِّقاقِ وَ الْعِصْيانِ فَانْهَدْ بِمَنْ أطاعَكَ إلىٰ مَنْ عَصاكَ ، وَ اسْتَغْنِ بِمَنِ انْقادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقاعَسَ عَنْكَ ، فَإِنَّ الْمُتَكارِهَ مَغيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ (شُهُودِهِ ـ خ ل) وَ قُعُودُهُ أغْنىٰ مِنْ نُهُوضِهِ .

اللغة

(توافت الاُمور) أي تتامّت ، (الشقاق) بالكسر : المخالفة و العداوة

(انهد) أي انهض أمر من نهد إلى العدوّ من بابي منع ونصر أي قصدلهم وأسرع في قتالهم ونهض إليهم ، والمناهدة المناهضة في الحرب يقال : نهد لعدوّه وإليه نهوداً ونهداً بالفتح والتحريك اذا صمدلهم . و(استغن) بالغين المعجمة أمر من الاستغناء وفي كثير من النسخ جعل بالمهملة من الاستعانة وكذا مال غيرواحدمن المفسّرين والمترجمين إلى المهملة لكنّه مذهب مهمل وطريقة عمياء كما سيتّضح لك وجهه في تقرير الإعراب وتحرير المعنى إنشاء الله تعالى .

(تقاعس عنك) أي أبطأ وتأخّر عنك وتكاره القتال (المتكاره) : المتسخّط من تكارهه إذا تسخّطه ولم يرض به يقال : فعله على تكارهٍ ومتكارهاً . و(المغيب) و (المشهد) مصدران كالغيبة والشهود .

الاعراب

(الفاء) في قوله عليه السلام : فذاك رابطة للجواب ، لأنّ جواب الشرط أعني ذاك الّذي يجبُ جملة اسميّة فهي من المواضع الستّة الّتي لا تصلح لأن تكون شرطاً فيجب دخول الفاء فيها نحوقوله تعالى : « وإن يمسسك بخير فهو على كلّ شيء قدير » . وكذا الفاء في قوله : فانهد ، لأنّ الفعل هنا إنشائيٌ فهذه الجملة من تلك المواضع أيضاً نحو قوله تعالى : « إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني » .

(بمن أطاعك) الباء صلة لقوله : فانهد إمّا بمعنى المصاحبة و المعيّة .أو الاستعانة .

(إلى من عصاك) صلة لقوله فانهد أيضاً لا أطاعك لما علم في اللّغة أنّه يقال نهد لعدوّه وإليه . (عمّن تقاعس) متعلّق بقوله استغن أيضاً ولايصحّ استعمال عن مع الاستعانة .

(فانّ المتكاره) الفاء في مقام التعليل لقوله عليه السلام: استغن، فهي فصيحة تنبىء عن محذوف يدلّ عليه ما قبله ، وكأنّ الجملة جواب عن سؤال مقدّر ، والتقدير: وما علّة الاستغناء بمن انقاد عمّن تقاعس ؟ فأجاب بقوله : لأنّ المتكاره ـ الخ .

وجملة (مغيبه خير من مشهده) خبر لاسم إنّ أعني المتكاره . وجملة (قعوده أغنى من نهوضه) معطوفة على الأُولى .

المعنى

هذا الكلام هو جزء من كتاب له عليه السلام كما هو من دأب الشريف الرّضيّ رضوان الله عليه من اختيار محاسن كلامه والبليغ منه ورفض ماعداه كما نبّهنا به غير مرّة في شروحنا السّالفة ، وهذا هو الظاهر من قوله : فان عادوا إلى ظلّ الطاعة، الخ و هذا لامرية فيه إلّا أنا لم نظفر به في الكتب الموجودة عندنا بعد ، ولكن قال الشارح البحرانيّ والمولى فتح الله القاسانيّ : روي أنّ الأمير الّذي كتب إليه هو عثمان بن حنيف عامله على البصرة ، وذلك حين انتهت أصحاب الجمل إليها وعزموا على الحرب ، فكتب عثمان إليه عليه السلام يخبره بحالهم ، فكتب عليه السلام إليه كتاباً فيه الفصل المذكور .

قوله عليه السلام (فان عادوا إلى ظلّ الطاعة فذاك الّذي نحبّ) الضمير في عادوا يرجع إلى ناكثي بيعته عليه السلام أعني طلحة والزّبير وأتباعهما ، وقد قدّمنا في مباحثنا السالفة أنه لمّا تمّ أمر البيعة لأمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام و أيس طلحة والزبير ممّا كانا يرجوان به من قتل عثمان بن عفّان من البيعة لأحدهما بالإمامة نقضوا العهد و نكثوا البيعة وخرجوا إلى مكّة واجتمعوا فيه و رأوا في ذلك أمرهم فتحقّق عزمهم على المسير إلى البصرة ، وسارت معهم عائشة بخدعتهم ومكرهم، حيث بعث طلحة والزّبير في مكّة إلى عائشة عبدالله بن الزبير وقالا له : امض إلى خالتك فاهد إليها السلام منّا وقل لها : إنّ طلحة والزبير يقرءانك السلام ويقولان لك : إنّ أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوماً و أنّ عليّ بن أبيطالب ابتزّ الناس أمرهم وغلبهم عليه بالسفهاء الّذين تولّوا قتل عثمان ونحن نخاف انتشار الأمر به فان رأيت أن تسيري معنا لعلّ الله يرتق بك فتق هذه الأمّة ، و يشعب بك صدعهم ، و يلمّ بك شعثهم ، و يصلح بك أُمورهم .

فأتاها عبدالله فبلغها ما أرسلاه به فأظهرت الامتناع أوّلاً ثمّ أجابتهما غداً

إلى الخروج .

فلمّا انتهوا إلى البصرة وعزموا على الحرب كتب عثمان بن حنيف وكان عامل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وقتئذ في البصرة إلى أمير المؤمنين بحالهم .

فكتب عليه السلام إليه : فان عادوا إلى ظلّ الطاعة فذاك الّذي نحبّ و إنّما استعار لفظ الظلّ لأنّ الطاعة كما قيل يستلزم السلامة و الرفاهة و الراحة عن حرارة الحرب كما يستلزم الظلّ الراحة من حرارة الشمس قال تعالى « وظلّلنا عليكم الغمام » امتناناً عليهم حيث سخّر لهم السحاب تسير بسيرهم في التيه وتظلّهم من حرارة الشمس .

وفي الحديث ، السلطان ظلّ الله في الأرض ، استعار الظلّ له لأنه يدفع الأذى عن الناس كما يدفع الظلّ أذى الشمس .

ويمكن بيانه بوجه أدقّ وألطف من هذا وهو أنّ المراد من السلطان هو السلطان العادل الإلهي وإنّما كان ظلّه تعالى بمعنى أنه مظهره الأتمّ ومجلى أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا يحكي عنه بحيث من رآه كأنما رأى الله كما يحكي الظلّ عن ذي الظلّ وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : من رآني فقد رأى الله .

قوله عليه السلام (وإن توافت الأمور ـ إلى قوله ـ من عصاك) أي إن تتامّت الأمور بالقوم وتهيّأت لهم أسباب المخالفة وتوافقت وسلكهم في الشقاق و العصيان فانهض وأسرع مع من انقاد لك إلى من خالفك وخرج عن طاعتك أي الناكثين وأشياعهم .

قوله عليه السلام (واستغن بمن انقاد ـ الخ) من نظر في كلامه عليه السلام حقّ النظر وتدبّر فيه علم أنّ قوله عليه السلام : فان المتكاره مغيبه خير من مشهده اه في مقام التعليل لقوله : واستغن كما قدّمناه في الاعراب ، و هذا لا يناسب إلاّ أن يكون استغن أمراً من الاستغناء لا بالعين المهملة من الاستعانة ، فانه عليه السلام بيّن وجه الاستغناء بالمنقاد عن المتقاعس أي المتكاره بأنّ المتكاره عدم حضوره في الحرب خير من حضوره فيه ، لأنّه لا يقاتل على جدّ واهتمام كما يقال بالفارسيّة : سگ كه

بزورش بشكار برند از او تك نيايد ، و ربما انهزم و ولّى الدّبر في أثناء الحرب فساعتئذ عمله هذا يوجب التخاذل والوهن والضعف في العسكر فيتّبعونه في الفرار ونعم ما قاله السعدي بالفارسيّة :

آنكه جنگ آرد بخون خويش بازى ميكند
روزميدان ، وانكه بگريزد بخون لشگرى

فالمتكاره يوجب مغيبه عن الحرب عدم الانتفاع به فقط ، وحضوره في الحرب موجب للمفسدة العظيمة الّتي هي تخاذل العسكر و وهنهم ، فمغيبه خير من شهوده و كذا قعوده عن الحرب أغنى من نهوضه إليها ، ومثل قوله هذا قوله تعالى : « لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلاّ خبالاً » (التوبة -٤٨) والعجب من شارح البحراني والمولى فتح الله القاساني ذهبا إلى أنّ قوله : استعن ، أمر من الاستعانة ، على أنّ صلة الاستعانة لا تكون كلمة عن الجارة ، وأمّا الشارح المعتزلي فلم يتفوّه بشيء ، والأمر بيّن ، والمخالف مكابر .

الترجمة

يكى از نامه هاى أمير المؤمنين علي عليه السلام اين كتابست كه آنرا ببعضي از سرداران لشكرش نوشته .

(اين مقدار كه در نهج البلاغه مذكور است برخى از آن نامه است كه آنرا مرحوم سيد رضي از تمام نامه اختيار كرده است زيرا آنچه كه بيشتر مورد اهتمام سيد رضى بود انتخاب كلمات فصيح وجملههاى بليغ آنحضرت است ، وروايت شده كه آن سردار سپه عثمان بن حنيف بود كه در شهر بصره عامل آنحضرت بود وارسال اين نامه بعثمان وقتى بود كه طلحه وزبير وأتباع آندو پيمانى را كه بآن حضرت بستند شكستند ، ونقض بيعت كردند ، وبا لشكر بسيار ازمكّه بجانب بصره روان شدند كه فتنه جنگ جمل را برانگيختند وعثمان بن حنيف صورت واقعه را براى امام عليه السلام مرقوم داشت ، وامام درجوابش فرمود) :

پس اگر آن گروه بيعت شكن برگشتند بساية فرمانبردارى ، اين خود

همان است که ما میخواهیم ودوست میداریم ، واگر کارها تمام شود بایشان یعنی أسباب وعلل مخالفت برای آنها مهیا گردد که ایشانرا بمخالفت ونافرمانی کشاند پس بمعاونت کسانیکه تورا فرمان برده اند قیام کن بجنگ کسانیکه نا فرمانی کرده اند وعاصی گشته اند . وبی نیازی جو بکسانیکه گردن نهادند از کسانی که ازیاری تو وحضور درمعرکه کراهت دارند وباز پس میایستند ، زیرا آنکه‌از حضور درعرصهٔ جنگ کاره است نبودش در جنگ بهتر از حضورش است و باز نشستنش ازجنگ بی‌نیاز کننده تر وسود مندتراست از نهضتش .

ومن كتاب له عليه السلام الى الاشعث بن قيس و هو عامل آذربيجان ، و هو الكتاب الخامس من باب المختار من كتبه و رسائله عليه السلام

وَ إِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ ، وَلٰكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ ، وَأَنْتَ مُسْتَرْعىً لِمَنْ فَوْقَكَ ، لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ ، وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ ، وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ أَنْتَ مِنْ خُزَّانِي حَتّٰى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ ، وَ لَعَلِّي أَنْ لَا أَكُونَ شَرَّ وُلَاتِكَ لَكَ ، وَ السَّلَامُ .

اللغة

(الطعمة) بضم الطاء المهملة المثالة : المأكلة ووجه الكسب والجمع طعم كصرد على وزان الغرفة والغرف . (مسترعى) على هيئة المفعول أي من استرعاه آخر فوقه بمعنى أن طلب منه حفظ أمر من الأمور وجعله راعياً لذلك الأمر فذلك الآخر مسترع ، ومنهما في زيارة الأئمة عليهم السلام : و استرعاكم أمر خلقه ، أي جعلكم رعاة وولاة و حفظة على خلقه وجعلهم رعية لكم تحكمون بهم بما أجزتم وأمرتم . قاله الطريحي

في مجمع البحرين .

(تفتات) مضارع افتأت بالفاء والهمزة من باب الافتعال و أصله فأت وفي القاموس : افتأت برأيه استبدّ، ويصحّ أن يقرأ تفتات كتحتاج من الافتيات، وأصله الفوت ، والافتيات الاستبداد أي السبق إلى الشيء من دون ايتمار من يؤتمر إليه و يقال بالفارسيّة : خود سرى كار كردن ' وفلان افتات برأيه أي استبدّ به كافتأت بالهمزة ،وفلان لا يفتات عليه أي لايعمل شيء دون أمره .

(رعيّة) الرّعية : المرعيّة فعيلة بمعنى مفعولة و الجمع رعايا كشظيّة وشظايا (تخاطر) المخاطرة : الإقدام في الأمور العظام والاشراف فيهاعلى الهلاك يقال : خاطر بنفسه مخاطرة ، إذا عرّضها للخطر.

(وثيقة) الوثيقة ما يوثق به في الدّين فهي فعيلة بمعنى المفعول أي موثوق به لأجل الدّين ' والتاء فيها لنقل اللّفظ من الوصفيّة إلى الإسميّة كالحقيقة،ويقال فلان أخذ في أمره بالوثيقة أي احتاط فيه .

(خزّاني) الخزّان جمع الخازن كطلاّب وطالب وهوالّذي يتولّي حفظ المال المخزون والمدّخر. (ولا تك) الولاة جمع الوالي كالقضاة والقاضي و الوالي الوليّ كما يقال القادر والقدير وهوالمتولّي للشيء والفاعل له، قال جوّاس الكلبي (الحماسة ٦٣٣) :

كنّا ولاة طعانها و ضِرابها   حتى تجلّت عنكم غمّاها

الاعراب

لك متعلّق بالطعمة وكذلك في عنقك بالأمانة قدّما توسّعاً للظروف ، والباء في طعمة زائدة في خبر ليس للتأكيد . جملة أن تفتات في رعيّة مأوّلة بالمصدر المرفوع حتّى يكون اسم ليس . وجملة ولاتخاطر إلاّ بوثيقة معطوفة عليها . و الظّاهر أنّ كلمة حتّى بمعنى إلى أن كما أنّها بهذا المعنى في البيت المقدّم آنفاً . و جملة أن لا أكون ـ إلى قوله ـ والسلام، مأوّلة بالمصدر المرفوع خبر لعلّ . و السلام مبتداء وخبره محذوف ، والتقدير والسلام على من اتّبع الهدى ، أو و السلام لأهله

بقرينة كتبه الآتية .

المعنى

هذا الكتاب جزء من كتاب كتبه إلى الأشعث بن قيس بعد انقضاء الجمل والكتاب بتمامه مذكور مسنداً في كتاب صفّين لنصر بن مزاحم المنقريّ الكوفيّ (ص ١٣ من الطبع الناصري ١٣٠١ هـ) كما سنتلوه عليك .

قال نصر في أوّل كتاب صفين : قال عمر بن سعد بن أبي الصيد الأسدي، عن الحارث بن حصيرة ، عن عبدالرّحمن بن عبيد بن أبي الكنود وغيره قالوا : لمّا قدم عليٌّ عليه السلام من البصرة إلى الكوفة يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة مضت من رجب سنة ثلاث وستّين (١) وقد أعزّ الله نصره وأظهره على عدوّه ومعه أشراف الناس من أهل البصرة وغيرهم استقبله أهل الكوفة وفيهم قرّاؤهم وأشرافهم ،فدعوا له بالبركة وقالوا : يا أمير المؤمنين أين تنزل ؟ أتنزل القصر؟ فقال : لا، ولكنّي أنزل الرّحبة ، فنزلها وأقبل حتّى دخل المسجد الأعظم فصلّى فيه ركعتين ثمّ صعد المنبر .

« أول خطبة خطبها امير المؤمنين في الكوفة لما قدم من »
« البصرة اليها و قد أظهره الله على أعدائه الناكثين »

فحمدالله وأثنى عليه وصلّى على رسوله وقال : أمّا بعد يا أهل الكوفة فإنّ لكم في الاسلام فضلاً ما لم تبدّلوا وتغيّروا، دعوتكم إلى الحقّ فأجبتم ، و بدأتم بالمنكر فغيّرتم ، ألا إنّ فضلكم فيما بينكم وبين الله في الأحكام و القسم ، فأنتم اُسوة من أجابكم ، ودخل فيما دخلتم فيه ، ألا إنّ أخوف ما أخاف عليكم اتّباع الهوى وطول الأمل ، فأمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ ، وأمّا طول الأمل فينسي الآخرة ، ألا إنّ الدّنيا قد ترحّلت مدبرة ، والآخرة قد ترحّلت مقبلة، ولكلّ واحدة منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل ، الحمد لله الّذي نصر وليّه وخذل عدوّه ، وأعزّ الصادق المحقّ ، و أذلّ

(١) كذا في الاصل لكن الظاهر « سنة ست وثلاثين » المصحح .

الناكث المبطل .

عليكم بتقوى الله وطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيّكم الّذين هم أولى بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه من المتحلين المدّعين المقابلين إلينا ، يتفضّلون بفضلنا ويجاحدونا أمرنا ، وينازعونا حقّنا ، ويدافعونا عنه ، فقدذاقوا وبال ما اجترحوا فسوف يلقون غيّاً ، ألا إنّه قد قعد عن نصرتي منكم رجال فأنا عليهم عاتب زارٍ فاهجروهم ، وأسمعوهم ما يكرهون حتّى يعتبوا ليعرف بذلك حزب الله عندالفرقة.

أقول : قد أتى الرّضيُّ ببعض هذه الخطبة في النهج وهي الخطبة الثانية والأربعين من باب الخطب أوّلها : أيّها الناس إنّ أخوف ما أخاف عليكم اتّباع الهوى وطول الأمل ـ الخ، وبين النسختين اختلاف في الجملة .

فقام إليه مالك بن حبيب اليربوعي وكان صاحب شرطته ، فقال : والله إنّي لأرى الهجر وسماع المكروه لهم قليلاً ، والله لئن أمرتنا لنقتلنّهم ، فقال عليٌّ : سبحان الله يامالِ ، جزت المدى ، وعدوت الحدّ ، وأغرقت في النزع ، فقال : يا أميرالمؤمنين :

لبعض الغشم أبلغ في اُمورٍ تنوبك من مهادنة الأعادي

فقال عليٌّ عليه السلام : ليس هكذا قضى الله ، يا مالِ قتل النفس بالنفس فما بال الغشم ، وقال : « ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً فلايسرف في القتل إنّه كان منصوراً » والإسراف في القتل أن تقتل غيرقاتلك فقدنهى الله عنه وذلك هوالغشم .

فقام إليه أبوبردة بن عوف الأزديُّ وكان ممّن تخلّف عنه فقال : ياأميرالمؤمنين أرأيت القتلى حول عائشة والزبير وطلحة بم قتلوا ؟ .

قال عليٌّ عليه السلام : قتلوا شيعتي وعمّالي وقتلوا أخا ربيعة العبدي رحمة الله عليه في عصابة من المسلمين قالوا : لا ننكث كما نكثتم ، ولا نغدر كما غدرتم فوثبوا عليهم فقتلوهم فسألتهم أن يدفعوا إليّ قتلة إخواني أقتلهم بهم ثمّ كتاب الله حكم بيني وبينهم فأبوا عليّ فقاتلوني وفي أعناقهم بيعتي ودماء قريب من ألف رجل من شيعتي فقتلتهم بهم أفي شكّ أنت من ذلك ؟

قال : قد كنت في شك فأما الآن فقد عرفت واستبان لي خطؤ القوم و أنك أنت المهدي المصيب ، وكان أشياخ الحي يذكرون أنه كان عثمانياً ، وقد شهد مع علي على ذلك صفين لكنه بعد ما رجع كان يكاتب معاوية ، فلما ظهر معاوية أقطعه قطيعة بالفلوجة وكان عليه كريماً .

ثم إن علياً عليه السلام تهيأ لينزل وقام رجال ليتكلموا ، فلما رأوه نزل جلسوا و سكتوا .

نصر : أبوعبدالله سيف بن عمر ، عن سعد بن طريف ، عن الأصبغ بن نباتة أن علياً لما دخل الكوفة قيل له : أي القصرين ننزلك؟ قال : قصر الخبال لا تنزلونيه فنزل على جعدة بن هبيرة المخزومي .

أقول : الخبال على وزن السحاب : الفساد والنقصان وأراد منه قصر دار الامارة وكأنه عليه السلام سماه به لما وقع فيه قبله من امراء الجور وعمال أهل النفاق والشقاق من الهلكة والفساد والنقصان . وجعدة بن هبيرة كان ابن اخته عليه السلام امه ام هاني بنت أبي طالب كانت تحت هبيرة بن أبي وهب المخزومي وقد قدمنا الكلام فيه في شرح الخطبة ٢٣١ (ص ٣٤ ج ١٥) فراجع .

نصر : عن الفيض بن محمد ، عن عون بن عبدالله بن عتبة قال : لما قدم علي عليه السلام الكوفة نزل على باب المسجد فدخل وصلى ثم تحول فجلس إليه الناس فسأل عن رجل من أصحابه كان ينزل الكوفة ؟ فقال قائل : استأثر الله به . فقال عليه السلام : إن الله لا يستأثر بأحد من خلقه إنما أراد الله بالموت إعزاز نفسه و إذلال خلقه وقرأ « و كنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم » . قال : فلما لحق الثقل قالوا : أي القصرين تنزل ؟ فقال عليه السلام : قصر الخبال لاتنزلونيه .

نصر : عن سيف قال : حدثني اسماعيل بن أبي عميرة ، عن عبدالرحمن بن عبيد ابن أبي الكنود أن سليمان بن صرد الخزاعي دخل على علي بن أبيطالب عليه السلام بعد رجعته من البصرة فعاتبه وعذله وقال له : ارتبت وتربصت وراوغت ، وقد كنت من أوثق الناس في نفسي ، وأسرعهم فيما أظن إلي نصرتي ، فما قعد بك عن أهل بيت

نبيّك وما زهّدك في نصرهم ؟ .

فقال : يا أمير المؤمنين لاتردّن الأمور على أعقابها ، ولا تؤنّبني بما مضى منها ، واستبق مودّتي يخلص لك نصيحتي و قد بقيت أمور تعرف فيها وليّك من عدوّك ، فسكت عنه ، و جلس سليمان قليلاً ثمّ نهض فخرج إلى الحسن بن عليّ عليه السلام وهو قاعد في المسجد فقال : ألا أعجبك من أمير المؤمنين و ما لقيت منه من التبكيت والتوبيخ ؟ فقال الحسن عليه السلام : إنّما يعاتب من ترجى مودّته ونصيحته ، فقال : إنه بقيت أمور سيستوسق فيها القنا ، و ينتضى فيها السيوف ويحتاج فيها إلى أشباهي ، فلا تستبشعوا غيبتي ، ولا تتّهموا نصيحتي . فقال له الحسن عليه السلام : رحمك الله ما أنت عندنا بالظنين .

نصر: عن عمر يعني ابن سعد عن نمير بن وعلة ، عن الشعبي ، أنّ سعيد بن قيس دخل على عليّ بن أبيطالب عليه السلام فسلّم عليه فقال له عليّ عليه السلام : وعليك ، وإن كنت من المتربّصين ، فقال : حاش لله يا أمير المؤمنين لست من أولئك قال : فعل الله ذلك .

نصر: عن عمر بن سعد عن يحيى بن سعيد ، عن محمّد بن مخنف قال : دخلت مع أبي على عليّ عليه السلام حين قدم من البصرة وهو عام بلغت الحلم ، فاذا بين يديه رجال يؤنّبهم ويقول لهم : ما بطأ بكم عنّي وأنتم أشراف قومكم ؟ والله لئن كان من ضعف النيّة وتقصير البصيرة إنكم لبور ، والله لئن كان من شكّ في فضلي ومظاهرة عليّ إنكم لعدوّ .

قالوا : حاش لله يا أمير المؤمنين نحن سلمك وحرب عدوّك . ثمّ اعتذر القوم فمنهم من ذكر عذره ، و منهم اعتلّ بمرض ، و منهم من ذكر غيبته فنظرت إليهم فعرفتهم فاذا عبدالله بن المعتم العبسي ، وإذا حنظلة بن الرّبيع التميمي ، و كلاهما كانت له صحبة ، وإذا أبو بردة بن عوف الأزدي ، وإذا غريب بن شرحبيل الهمداني

قال : ونظر عليّ عليه السلام إلى أبي فقال : لكن مخنف بن سليم وقومه لم يتخلّفوا و لم يكن مثلهم مثل القوم الّذين قال الله تعالى « و إن منكم لمن ليبطّئنّ فإن

أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيداً ولئن أصابكم فضل من الله ليقولنّ كأن لم تكن بينكم وبينه مودّة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً » (النساء ــ ٧٤) ثمّ إنّ علياً عليه السلام مكث بالكوفة .

أقول : كلّ ما ذكرنا ونقلنا من كلماته عليه السلام عن كتاب صفين بعد الخطبة المذكورة آنفاً ما ذكرت في النهج مع أنها من محاسن كلامه عليه السلام سيّما قوله عليه السلام لسليمان بن صرد الخزاعي : ارتبت وتربّصت ــ الى قوله ــ وما زهّدك في نصرهم ولعلّ الرّضيّ رضوان الله عليه لم يظفر بها . والله العالم .

« خطبته عليه السلام في الجمعة بالكوفة والاشارة »
« الى مسألة فقهية في المقام »

نصر: عن أبي عبدالله سيف بن عمر ، عن الوليد بن عبدالله، عن أبي طيبة، عن أبيه قال : أتمّ عليّ عليه السلام الصّلاة يوم دخل الكوفة فلمّا كانت الجمعة وحضرت الصّلاة صلّى بهم وخطب خطبة .

نصر: قال أبو عبدالله عن سليمان بن المغيرة، عن عليّ بن الحسين خطبة عليّ ابن أبي طالب في الجمعة بالكوفة والمدينة أن : الحمد لله أحمده وأستعينه و أستهديه وأعوذ بالله من الضلالة ، من يهدي الله فلامضلّ له ، ومن يضلل فلاهادي له ،وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له ، وأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله انتجبه لأمره واختصّه بالنبوّة ، أكرم خلقه عليه ، وأحبّهم إليه ، فبلّغ رسالة ربّه ، ونصح لأمّته وأدّى الّذي عليه .

واُوصيكم بتقوى الله فانّ تقوى الله خير ما تواصى به عباد الله و أقربه لرضوان الله وخيره في عواقب الاُمور عندالله ، وبتقوى الله اُمرتم ، و للإحسان والطاعة خلقتم ، فاحذروا من الله ما حذّركم من نفسه ، فانّه حذّر بأساً شديداً ، واخشوا الله خشية ليست بتعذير ، واعملوا في غير رياء ولاسمعة ، فانه من عمل لغير الله وكلّه الله إلى ما عمل له ، ومن عمل لله مخلصاً تولّى الله أجره ، وأشفقوا من عذاب الله فانه لم يخلقكم عبثاً ، و لم يترك شيئاً من أمركم سدى ، قد سمّى آثاركم

وعلم أعمالكم ، وكتب آجالكم ، فلاتغترّوا بالدّنيا فانها غرّارة بأهلها ، مغرور من اغترّ بها ، وإلى فناء ما هي ، إنّ الآخرة هي دار الحيوان لو كانوا يعلمون أسأل الله منازل الشهداء ، ومرافقة الأنبياء ، ومعيشة السعداء، فانّما نحن له وبه.

أقول : ذكر بعض هذه الخطبة وهوقوله عليه السلام : واخشوه خشية ليست بتعذير واعملوا في غير رياء ولاسمعة فانّه من عمل لغيرالله وكّله الله إلى ما عمل له نسأل الله منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة الأنبياء ، في النهج في ضمن الخطبة ٢٣ أوّلها : أمّا بعد فانّ الأمر ينزل من السماء إلى الأرض ـ الخ، إلاّ أنّ في النهج ذكر مكان وكله إلى ما عمل له : يكله الله إلى من عمل له .

وكذا ذكر بعضها وهو قوله عليه السلام : فانّه لم يخلقكم عبثاً ، ولم يترك شيئاً من أمركم سدى ، قدسمّى آثاركم،وعلم أعمالكم،وكتب آجالكم ، في ضمن الخطبة ٨٤ أوّلها : قد علم السرائر وخبر الضمائر ـ الخ.

ولكنّ الخطبة المذكورة بتمامها على تلك الهيئة ليست بمذكورة في النهج وشرذمة من صدرها مذكورة في خطبة يوم الجمعة المرويّة في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام .

ثمّ اعلم أنّه يجب في صلاة الجمعة الخطبتان قبل الصلاة، لأنّ الخطبة شرط في صحّة الجمعة، وروى محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال : ليس تكون جمعة إلاّ بخطبة .

وصورة الخطبتين جاءت في الجوامع على أنحاء، ففي الكافي روى عن أبي جعفر عليه السلام على صورة ثمّ عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على صورة اُخرى، وفي الفقيه روى عنه عليه السلام أيضاً على صورة اُخرى غير ما في الكافي ، وذكر كلّ واحد منها في الوسائل للعاملي وكذا في الوافي من ص ١٧٠ الى ١٧٤ من المجلّد الخامس فلا حاجة إلى نقلها ههنا .

ثمّ إنها تغاير الخطبة المنقولة من نصر في صفين ولم يعلم من نصر أنّها الخطبة الاُولي أو الثانية ، ولكن ما يناسب أحكام الجمعة وساير الروايات أن تكون

هي للأُولى والثانية كليهما ، وذلك لأنّ جمع الروايات يدلُّ على أنهما شاملتين على حمدالله تعالى والثناء عليه والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله و قراءة شيء من القرآن سواء كانت سورة خفيفة أو آية تامّةالفائدة، و وعظ النّاس، والخطبة المذكورة جائزة لها . وإن كان الأوفق بالاحتياط في الأولى أن يحمدالله ويثني عليه ويوصي بتقوى الله ويقرأ سورة من القرآن قصيرة ، وفي الثانية بعد الحمد و الثناء أن يصلّي على محمّد وأئمّة المسلمين ويستغفر للمؤمنين ،والبحث عنها على التفصيل موكول إلى الفقه أعرضنا عنه خوفاً من الإطناب والخروج عن موضوع الكتاب .

« صورة كتابه بتمامه الى الاشعث بن قيس »

« نقلا مسنداً عن نصر فى صفين »

قال نصر : ثمّ إنّ علياً عليه السلام أقام بالكوفة و استعمل العمّال و بعث إلى الأشعث بن قيس الكندي .

نصر: محمّد بن عبيدالله عن الجرجاني قال : لمّا بويع عليٌّ عليه السلام وكتب إلى العمال كتب إلى الأشعث بن قيس مع زياد بن مرحب الهمداني و الأشعث على آذربيجان عامل لعثمان وقد كان عمرو بن عثمان تزوّج ابنة الأشعث بن قيس قبل ذلك فكتب إليه عليٌّ عليه السلام :

بسم الله الرّحمن الرّحيم من عبدالله عليّ أمير المؤمنين إلى الأشعث بن قيس أمّا بعد فلولا هنات كنّ فيك كنت المقدّم في هذا الأمر قبل الناس، و لعلّ أمرك يحمل بعضه بعضاً إن اتّقيت الله، ثمّ إنّه كان من بيعة الناس إيّاي ما قد بلغك ، وكان طلحة والزبير ممّن بايعاني ثمّ نقضا بيعتي على غير حدث، و أخرجا اُمّ المؤمنين وسارا إلى البصرة فسرت إليهما فالتقينا فدعوتهم إلى أن يرجعوا فيما خرجوا منه فأبوا ، فأبلغت في الدّعاء وأحسنت في البقيّة، وإنّ عملك ليس لك بطعمة ، ولكنّه أمانة وفي يديك مال من مال الله وأنت من خزّان الله عليه حتّى تسلّمه إليّ ولعلّي أن لا أكون شرّ ولاتك لك إن استقمت ، ولا قوّة إلاّ بالله .

أقول : وقد روى الكتاب الشارح البحراني عن الشعبي وبينهما وبين ما في النهج اختلاف في بعض الكلمات والجمل في الجملة .

فما نقل عن الشعبي : أمّا بعد فلولا هنات كنّ منك كنت المقدّم في هذا الأمر قبل الناس ، ولعلّ آخر أمرك يحمد أوّله وبعضه بعضاً إن اتّقيت الله ، إنه قد كان من بيعة النّاس إيّاي ما قد بلغك ، وكان طلحة والزبير أوّل من بايعني ثمّ نقضا بيعتي عن غير حدث ، وأخرجا عايشة فساروا بها إلى البصرة فصرت إليهم في المهاجرين والأنصار ، فالتقينا فدعوتهم إلى أن يرجعوا إلى ماخرجوا منه فأبوا فأبلغت في الدّعاء وأحسنت في البقيّة ، واعلم أنّ عملك -إلى آخر الفصل على ما في النهج ، وكتب عبدالله بن أبي رافع في شعبان سنة ستّ وثلاثين .

قال نصر : فلمّا قرأ الأشعث الكتاب قام زياد بن مرحب فحمد الله و أثنى عليه ثمّ قال : أيّها النّاس إنه من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير ، إنّ أمر عثمان لا ينفع فيه العيان ولا يشفي منه الخبر ، غير أنّ من سمع به ليس كمن عاينه ، إنّ الناس بايعوا عليّاً عليه السلام راضين به ، وإنّ طلحة والزبير نقضا بيعته على غير حدث ثمّ أذّنا بحرب ، فأخرجا أمّ المؤمنين فسار إليهما فلم يقاتلهم وفي نفسه منهم حاجة فأورثه الله الأرض وجعل له عاقبة المتقين .

قال : ثمّ قام الأشعث بن قيس فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أيّها النّاس إنّ أمير المؤمنين عثمان ولاّني آذربيجان فهلك وهي في يدي ، وقد بايع النّاس عليّاً وطاعتنا له كطاعة من كان قبله ، وقد كان من أمره وأمر طلحة و الزبير ما قد بلغكم ، وعليٌّ المأمون على ما غاب عنّا وعنكم من ذلك الأمر .

فلمّا أتى منزله دعا أصحابه فقال : إنّ كتاب عليّ قد أوحشني و هو آخذ بمال آذربيجان وأنا لاحق بمعاوية ، فقال القوم : الموت خير لك من ذلك أتدع مصرك وجماعة قومك وتكون ذنباً لأهل الشام ؟ فاستحيى فسار حتّى قدم على عليّ عليه السلام

وروي أنّ قوله هذا وتوبيخ الناس إيّاه على ذلك بلغ أهل الكوفة فكتب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إليه كتاباً يوبّخه ويأمره بالقدوم عليه ، وبعث به حجر بن عديّ الكندي ، فلامه حجر على ذلك وناشده الله وقال له : أتدع قومك و أهل مصرك وأمير المؤمنين عليه السلام وتلحق بأهل الشام ؟ ولم يزل به حتّى أقدمه إلى الكوفة

فعرض علي عليه السلام ثقله فوجد فيها مائة ألف درهم وروي أربعمائة ألف فأخذها وكان ذلك بالنخيلة ، فاستشفع الأشعث بالحسن والحسين عليهما السلام وبعبدالله بن جعفر فأطلق له منها ثلاثين ألفاً ، فقال : لاتكفيني ، فقال : لست بزائدك درهماً واحداً وأيم الله لو تركتها لكان خيراً ممّا لك وما أظنّها تحلّ لك ولو تيقّنت ذلك لما بلغتها عندي فقال الأشعث : خذ من خدعك ما أعطاك . فقال السكوني و قد خاف أن يلحق بمعاوية :

إني أعيذك بالّذي هو مالك　　بمعاذة الآباء و الأجداد
ممّا يظنّ بك الرّجال وإنما　　ساموك خطّة معشر أو غاد
إن آذربيجان الّتي مزّقتها　　ليست لجدّك فاشنها ببلاد
كانت بلاد خليفة ولاّكها　　و قضاء ربك رائح أو غاد
فدع البلاد فليس فيها مطمع　　ضربت عليك الأرض بالأسداد
فادفع بما لك دون نفسك إننا　　فادوك بالأموال و الأولاد
أنت الّذي تثنى الخناصر دونه　　وبكبش كندة يستهلّ الوادي
و معصّب بالتاج مفرق رأسه　　ملك لعمرك راسخ الأوتاد
وأطع زياداً إنّه لك ناصح　　لا شكّ في قول النصيح زياد
وانظر علياً إنّه لك جنّة　　يرشد و يهديك للسعادة هاد

قال نصر : وممّا قيل على لسان الأشعث :

أتانا الرّسول رسول عليّ　　فسرّ بمقدمه المسلمونا
رسول الوصيّ وصيّ النبيّ　　له الفضل والسبق في المؤمنينا
بما نصح الله و المصطفى　　رسول الإله النبيّ الأمينا
يجاهد في الله لا ينثني　　جميع الطغاة مع الجاحدينا
وزير النبيّ و ذو صهره　　وسيف المنيّة في الظالمينا
و كم بطل ماجد قد أذا　　ق منيّة حتف من الكافرينا
و كم فارس كان سال النزال　　فآب إلى النّار في الآئبينا

فذاك عليٌّ إمام الهدى وغيث البريّة و المُفخمينا
و كان إذا ما دعيَ للنزال كليث عرين بن ليث العرينا
أجاب السؤال بنصح ونصر و خالص ودٍّ على العالمينا
فما زال ذلك من شأنه ففاز و ربّي مع الفائزينا

قال : وممّا قيل على لسان الأشعث أيضاً :

أتانا الرّسول رسول الوصيّ عليٌّ المهذّب من هاشم
رسول الوصيّ وصيّ النبيّ و خير البريّة من قائم
وزير النبيّ و دو صهره و خير البريّة في العالم
له الفضل والسبق بالصالحات لهَدي النبيّ به يأتم
محمّداً أعني رسول الإله و غيث البريّة و الخاتم
أجبنا عليّاً بفضل له و طاعة نصح له دائم
فقيه حليم له صولة كليث عرين بها سائم
حليم عفيف و ذو نجدة بعيد من الغدر و المأثم

تذكرة : قد تقدّم منّا الكلام في الّذين وصفوا عليّاً عليه السلام وعرّفوه بأنّه وصيّ رسول الله من كبار الصحابة وغيرهم في صدر الإسلام فراجع إلى ص ١٩ من المجلّد الأوّل من تكملة المنهاج . وقد مضى في باب الخطب قوله عليه السلام للأشعث: ما يدريك ما عليّ ممّا لي عليك لعنة الله ـ الخ (الكلام ١٩ من باب الخطب) .

وكان الأشعث في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام من المنافقين المعاندين وهو كما قال الشارح المعتزليّ: كان في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كما كان عبدالله بن أبي سلول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : كلّ فساد كان في خلافة أمير المؤمنين وكلّ اضطراب حدث فأصله الأشعث وكان الأشعث خائفاً من أمير المؤمنين عليه السلام وجازماً بأنه عليه السلام لايبقيه في عمله ، وذاك لهنات كنّ منه كما عرّضها عليه السلام عليه فهو في الحقيقة كان خائفاً من أعماله السيّئة وكان قد استوحش من كلامه عليه السلام له : فلولا هنات كنّ منك، حيث علم أنّ الأمير كان عارفاً بها حتّى دعا من الدّهشة

أصحابه فقال : أنا لاحق بمعاوية .

ثمّ الظّاهر المستفاد من كلامه عليه السلام له : فلولا هنات كنّ فيك « أو منك » كنت المقدّم في هذا الأمر أنّ أمير المؤمنين عزله عن آذربيجان بذلك الكتاب، وممّا يظاهره قول المؤرّخ الخبير المسعودي في كتابه مروج الذهب حيث قال (ص ١٥ ج ٢ طبع مصر ١٣٤٦ هـ) : وسار [علي عليه السلام بعد انقضاء الجمل] إلى الكوفة فكان دخوله إليها لاثنتي عشرة ليلة مضت من رجب ، وبعث إلى الأشعث بن قيس يعزله عن آذربيجان وارمينيّة وكان عاملاً لعثمان ، فكان في نفس الأشعث على ماذكرنا من العزل وما خاطبه به حين قدم عليه فيما اقتطع هنالك ، الأموال، انتهى :

وممّا يؤيّده أيضاً ما روينا عن نصر وغيره من إرادته اللّحوق بمعاوية و ما جرى بينه و بين علي عليه السلام فتأمّل .

في الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الأشعث بن قيس شرك في دم أمير المؤمنين عليه السلام ، وابنته جعدة سمّت الحسن عليه السلام ، ومحمّد ابنه شرك في دم الحسين عليه السلام .

وروى أبو الفرج أنّ الأشعث دخل على علي عليه السلام فكلّمه فأغلظ علي عليه السلام له فعرض له الأشعث أنه سيفتك به، فقال علي عليه السلام : أبالموت تخوّفني أو تهدّدني فوالله ما اُبالي وقعت على الموت أو وقع الموت عليّ .

قوله عليه السلام (وإنّ عملك ليس لك بطعمة و لكنّه في عنقك أمانة) ظاهر كلامه عليه السلام تنبيه أنّ الأشعث اتّخذ مال الله مأكلته ولم يكن أميناً عليه فنبّهه على أنه ليس له بطعمة أي ماجعلتك عاملاً أن تدّخر أموال المسلمين لنفسك وتأكل ما جنى يداك منها ،بل هي أمانة بيده بل ألزمها في عنقه تشديداً عليه وتنبيهاً له على أنها تعلّقت بذمّته وتكون أوزاراً عليه، وذلك لأنّه كان عاملاً من قبل غيره ومسترعى لمن فوقه ، وكان مال المسلمين أمانة بيده فما سوّغ له الشرع التصرّف في بيت مال المسلمين .

قوله عليه السلام (وأنت مسترعى ـ إلى قوله : بوثيقة) يعني أنت رعيّة من هو

فوقك وأميرك جعلك راعياً للنّاس وعاملاً لهم وأميناً وحافظاً على أموالهم وأملاكهم وغيرها ممّا جعل ولايتها بيدك فلا يجوز لك أن تسبق إلى أُمور الرّعيّة من غير أن تستأذن من استرعاك وتستأمر من ائتمنك ، وكذا لايسوغ لك أن تقدم في الأُمور الخطيرة ممّا يتعلّق بالمال وغيره من غير احتياط تامّ ووثيقة، أي من غير أن يكون للمسلمين وثوق واعتماد في صحّة ذلك العمل وعدم الاضرار بالرّعيّة ، وبالجملة لاينبغي لك أن تقدم فيما لايثق المسلمون بها ولا يعتمدون عليها ممّا هي خلاف العقل والشرع والعرف .

قوله عليه السلام (وفي يديك ـ إلى قوله : تسلّمه) لعلّ تثنية اليد إشارة إلى تسلّطه التامّ على الأموال حيث كان عاملاً و والياً ، وإنما قال: مال من أموال الله تشديداً عليه بالحفظ والحراسة وترعيباً له بالمخالفة حتّى لايخون الله تعالى في ماله بأنّ الزكاة والخمس من مال الله الّذي أفاه على عباده قال تعالى « فاعلموا أنّما غنمتم من شيء فأنّ لله خمسه وللرّسول » الآيه ، ثمّ قال له : وأنت من خزّاني أي لايجوز لك التصرّف فيما في الخزينة إلاّ باذني ويجب عليك حفظه ورعايته إلى أن تسلّمها إليّ .

قوله عليه السلام (ولعلّي أن لا أكون ـ الخ) لمّا كان كلامه المصدّر أوّلاً تشديداً ومؤاخذةً عليه وموجباً للوحشة والاضطراب فانه كان يدلّ على أنّه عليه السلام لم يره أميناً على ما ولّى عليه أتى بلفظة لعلّ المفيد للتّرجّي حتّى يسكن جاشه ويطمعه إلى عدم المؤاخذة والتشديد لئلاّ يفرّ إلى العدوّ ويجعله خائفاً راجياً فلا يخفى لطفه على أنّ الرجاء بعد الخوف ألذّ في النفوس وأوقع في القلوب .

ومع ذلك كلّه أعلمه بأنّه لوتجاوز عن الحقّ وخالف الدّين يكون هو عليه السلام شرّ ولاته له، أي يجازيه بما فعل ويؤاخذ عليه بذنبه . وكلامه هذا تعريض لسائر الولاة والعمّال أيضاً إنّهم لوعدلوا عن الحقّ و جعلوا أموال الناس طعمة لهم كان هو عليه السلام شرّ ولاة لهم أي يكافأهم على ما كان منهم ، ويجازيهم به

الترجمة

اين كتابيست كه أميرالمؤمنين عليه السلام بأشعث بن قيس نگاشت .

(أشعث از جانب عثمان عامل آذربايجان بود وأموال بسيار در دست او بود چون أميرالمؤمنين عليه السلام بمسند خلافت نشست وبعد ازفتح بصره بكوفه آمد اين نامه را بوي نوشت و او را تنبيه فرمود بحفظ آن ، چون نامه باو رسيد سخت مستوحش ومضطرب‌شدوياران خود را طلبيد ، وبا آنان دراين‌موضوع سخن‌بميان آورد كه نامه على عليه السلام مرا بوحشت انداخت و او از من تمامى أموالي كه از آذربايجان بدست آورده ام خواهد ستاند ، از اينروى بمعاويه پناه ميبرم كه علي عليه السلام نتواند اين أموال را ازمن أخذ كند ، آنان گفتند بهتر آنست كه در نزد مرتضى روي واز انديشهٔ خود سر باز زني ، ودر روايتي آمده كه حجر بن عدي الكندي كه فرستادهٔ حضرت‌بسوىأشعث بود ويرا باندرز ونرمى بكوفه آورد على عليه السلام أموال او را تفتيش كرد ، چهارصد هزار درهم يافته همهٔ آنرا اخذ كرد أشعث حسنين عليهما السلام وعبدالله بن جعفر را شفيع خود گرفت كه امام‌پولهارا‌باو رد كند ، امام سی‌هزار درهم را باو رد كرده وهرچه الحاح وابرام ددرد بقيه نمود امام فرمود كه بيش از اين يكدرم رد نخواهم كرد كه برخلاف است . و أشعث مردي منافق بود وأكثر مصائب وشدائدی كه به امام على عليه السلام روي آورد أشعث اصل آن فتنه ها وأم الفساد بود) .

أي أشعث عملت طعمهٔ تو نيست (يعني تورا عامل آنديار نگردانيدم كه هرچه از مال مسلمين بدست تو آيد بخوري وبراي خود اندوخته كنى) و لكن آن در گردن تو أمانت است كه بايد طريق ديانت را درآن رعايت كنى . كسيكه أمير وبزرك تو است تورا حافظ و والى اُمور مردم كرده ، لذا نشايدت كه‌دركار رعيّت‌بى اذن أميرت خود سري پا پيش نهى ودر كارهاى بزرگ اقدام كنى‌مگر اينكه مورد اعتماد و وثوق مسلمانان باشد ، ودردستهاى تو مالي ازمالهاى‌خداوند ارجمند وبزرگوار است وتو يكى از خزينه داران منى كه بايد در حفاظت آن بكوشي تا آنرا تسليم من كنى وشايد كه من بدترين واليان تونباشم . والسلام .

ومن كتاب له عليه السلام الى معاوية و هو الكتاب السادس من باب المختار من كتبه عليه السلام و رسائله

إِنَّهُ بايَعَني الْقَوْمُ الَّذينَ بايَعُوا أَبابَكْرٍ وَ عُمَرَ وَ عُثْمانَ عَلىٰ ما بايَعُوهُمْ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشّاهِدِ أَنْ يَخْتارَ ، وَلاٰ لِلْغائِبِ أَنْ يَرُدَّ ، وَ إِنَّما الشُّورىٰ لِلْمُهاجِرينَ وَ الْأَنْصارِ ، فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلىٰ رَجُلٍ و سَمُّوهُ إِماماً كانَ ذٰلِكَ لِلّٰهِ رِضًى ، فَإِنْ خَرَجَ مِنْ أَمْرِهِمْ خارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلىٰ ما خَرَجَ مِنْهُ ، فَإِنْ أَبىٰ قاتَلُوهُ عَلَى اتِّباعِهِ غَيْرَ سَبيلِ الْمُؤْمِنينَ ، وَ وَلّاهُ اللّٰهُ ما تَوَلّىٰ . وَ لَعَمْري يامُعاوِيَةُ لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَواكَ لَتَجِدَنّي أَبْرَأَ النّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمانَ ، وَ لَتَعْلَمَنَّ أَنّي كُنْتُ في عُزْلَةٍ عَنْهُ ، إِلّا أَنْ تَتَجَنّىٰ ، فَتَجَنَّ ما بَدالَكَ - و السَّلام .

اللغة

(الشورى) فعلى من المشاورة وهي المفاوضة في الكلام ليظهر الحقّ ، قوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » (حمعسق ـ ٣٨) أي لايتفرّدون بأمر حتّى يشاوروا غيرهم فيه ، قال الفيومي في المصباح : شاورته في كذا و استشرته : راجعته لأرى رأيه فيه ، فأشار عليّ بكذا أراني ما عنده فيه من المصلحة فكانت إشارته حسنة والاسم: المشورة، وتشاور القوم واشتوروا والشورى اسم منه، وأمرهم شورى بينهم أي لايستأثر أحد بشيء دون غيره . انتهى .

(العزلة) بالضمّ اسم بمعنى الاعتزال .

« تتجنّى » من الجناية . التجنّي : طلب الجناية وهو أن يدّعي عليك أحد ذنباً لم تفعله . تجنّى عليه أي رماه بإثم لم يفعله .

« فتجنَّ » أمر من تتجنّى بلا كلام فالكلمة بالفتحات . و قد ذهب غير واحد من الشرّاح والمترجمين إلى أنّها بضمّ الجيم والنون فعل مضارع من جنّه إذاستره كتمدّ من مدّ أي تستر وتخفي ماظهر لك ،ولكنها وهم بلا ارتياب ، وكانت العبارة في نسختنا المصحّحة العتيقة وفي نسخة صديقنا اللاجوردي قدقوبلت بنسخة الرضي ـ رحمه الله ـ هي الأوّل على أنّ تتجنّى قرينة قويّة على أنها أمر منها ، و اسلوب العبارة ينادي بأعلى صوتها على أنّها أمر و أوّل ما تبادر ذهننا إليه قبل الفحص والاستقراء أنّها أمر من تتجنّى .

الاعراب

الضمير في أنّه للشأن، على ما بايعوهم عليه، متعلّقة بقوله. بايعني، اللام من لعمري لام الابتداء وعمري مبتداء وخبر المبتداء محذوف لايجوز إظهاره كأنه قال: لعمري قسمي أو لعمري ما أقسم به، والعمر والعمر بالفتح والضمّ لغتان ، ومعناهما البقاء ولا يجيء عمر في اليمين إلا مفتوح العين. والباء في بطعن للسببيّة متعلّقة بقوله خرج، واللام في لئن موطئة للقسم وجواب لعمري لتجدنّي ، وجواب الشرط مادلّ عليه هذا الجواب ، والمعنى : وبقائي لئن نظرت بعقلك فقد تجدني أبرأ الناس من دم عثمان ، على وزان قول شبيب بن عوانة (الحماسة ٣٣٧) :

لعمري لئن سرّ الأعادي وأظهروا شماتاً لقد مرّوا بربعك خالياً

أي : وبقائي لئن كان الأعادي مسرورين بموتك شامتين بذويك و عشيرتك لفقدهم لك ، فقد وقعت الشماتة في وقتها و حينها و وافاهم السّرور لحادث أمر عظم موقعه ، لأنهم مرّوا بربعك خالياً كما أفاده المرزوقي في شرح الحماسة . و لتعلمنّ عطف على لتجدنّي .

« دون هواك » كلمة دون تكون هنا بمعنى سوى كما جاء في وصفه تعالى : ليس دونه منتهى ، أي ليس سواه سبحانه من ينتهي إليه أمل الآملين ، فهو تعالى منتهى رغبة الراغبين . و تكون بمعنى القدّام كقول قيس الخُطيم الأوسي (الحماسة ٣٦) :

ملكت بها كفّي فأنهرت فتقها … يرى قائماً من دونها ما ورائها

وتكون بمعنى الظرف نحو هذا دون ذلك أي أقرب منه . أو شيء من دون بالتنوين أي حقير ساقط، وعلى الأوّل قوله (الحماسة ١٢٧) :

ألم تريا أنّي حميت حقيقتي … وباشرت حدّ الموت والموت دونها

وبهذا المعنى تصغّر ويقال: دُوين على نحو قولهم : قُبيل وُ بعيد وفُويق قال خلف بن خليفة (الحماسة ٢٩٦) :

وبالدّير أشجاني وكم من شجٍ له … دوين المصلّى بالبقيع شجون

وتكون بمعنى عند وغير و خذ نحو دونكها أي خذها و بمعنى نقيض فوق وبمعنى الشريف والخسيس والوعيد .

« إلاّ أن تتجنّى » استثناء منقطع . « فتجنّ ما بدالك » ما منصوب محلاً بالمفعوليّة .

المعنى

هذا الكتاب بعض ما كتب عليه السلام إلى معاوية مع جرير بن عبدالله البجلي و روى الكتاب بتمامه نصر بن مزاحم المنقري الكوفي مسنداً في صفين (ص ١٨ الطبع الناصري ١٣٠١هـ) وهذا الكتاب مرويّ أيضاً في كتاب الفتن و المحن من البحار ص ٤٣٤ وستتلوه عليك بحذافيره .

قال نصر في صفين : إنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام لمّا قدم من البصرة ودخل الكوفة وأقام بها بعث إلى العمّال في الآفاق « يعني بهم العمّال لعثمان على البلاد» وكان أهمّ الوجوه إليه الشام .

وروى عن محمّد بن عبيدالله القرشي، عن الجرجانيّ قال : لمّا بويع عليّ عليه السلام و كتب إلى العمّال في الآفاق كتب إلى جرير بن عبدالله البجليّ وكان جرير عاملاً لعثمان على ثغر همدان فكتب إليه مع زحر بن قيس الجعفيّ :

« كتاب على عليه السلام الى جرير بن عبدالله البجلى »

أمّا بعد فإنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم و إذا أراد الله

بقوم سوءً فلامردّ له وما لهم من دونه من والٍ ،وإنّي اُخبرك عن نبإ من سرنا إليه من جموح طلحة والزبير عند نكثهم بيعتهم وما صنعوا بعاملي عثمان بن حنيف،إنّي هبطت من المدينة بالمهاجرين والأنصار حتّى إذا كنت بالعذيب بعثت إلى أهل الكوفة بالحسن بن عليّ ، وعبدالله بن عبّاس ، وعمّار بن ياسر ، و قيس بن سعد ابن عبادة ، فاستنفروهم فأجابوافسرت بهم حتّى نزلت بظهر البصرة ، فأعذرت في الدّعاء ، وأقلت العثرة ، وناشدتهم عقد بيعتهم ، فأبوا إلاّ قتالي ، فاستعنت بالله عليهم فقتل من قتل ، و ولّوا مدبرين إلى مصرهم ، فسألوني ما كنت دعوتهم إليه قبل اللّقاء فقبلت العافية ، ورفعت السيف، واستعملت عليهم عبدالله بن عباس ، و سرت إلى الكوفة وقد بعثت إليكم زحر بن قيس فاسأل عما بدالك .

أقول : كتابه هذا إلى جرير ليس بمذكور في النهج وهذا الكتاب مذكور أيضا في كتاب الإمامة و السياسة لابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ـ٢١٣هـ وبين النسختين اختلاف يسير لايعبأ به .

ثمّ إنّ زحر بن قيس هذا هو الّذي كان في خيل عمر بن سعد يوم الطفّ وكان ممّن حمل الأسارى ورؤوس الشهداء من أهل بيت الطهارة و النبوّة إلى الشام وما جرى بينه وبين الإمام السجاد عليه السلام وسائر أقواله و أفعاله مذكور في كتب المقاتل ، نعوذ بالله تعالى من سوء الخاتمة .

قال نصر : فلمّا قرأ جرير الكتاب قام فقـال : أيّها الناس هذا كتـاب أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام وهو المأمون على الدّين والدّنيا ، وقد كان من أمره وأمر عدوّه ما نحمدالله عليه ، وقد بايعه السابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، ولو جعل هذا الأمر شورى بين المسلمين كان أحقّهم بها ، ألا وإنّ البقاء في الجماعة ، والفناء في الفرقة وعليّ حاملكم على الحقّ ما استقمتم ، فإن ملتم أقام ميلكم ، فقال الناس : سمعاً وطاعة رضينا رضينا ، فأجاب جرير و كتب جواب كتابه بالطاعة .

قال : وكان مع عليّ رجل من طيء ابن اخت لجرير ، فحمل زحر بن قيس

شعراً له إلى خاله جرير وهو :

جرير بن عبدالله لا تردد الهدى ... و بايع علياً إنّني لك ناصح
فانّ علياً خير من وطأ الحصى ... سوى أحمد والموت غاد ورائح
ودع عنك قول الناكثين فانّما ... اُولاك أباعمرو كلاب نوابح
و بـايعه إن بايعته بنصيحة ... ولا يك معها في ضميرك فادح
فانك إن تطلب به الدّين تعطه ... وإن تطلب الدّنيا فبيعك رابح
وإن قلت عثمان بن عفان حقّه ... عليّ عظيم و الشكور مناصح
فحقّ عليّ إذ وليك كحقّه ... وشكرك ما أوليت في الناس صالح
وإن قلت لانرضى علياً إمامنا ... فدع عنك بحراً ضلّ فيه السوابح
أبى الله إلاّ أنّه خير دهره ... وأفضل من ضمّت عليه الأباطح

قال : ثمّ قام زحر بن قيس خطيباً فكان ممّا حفظ من كلامه أن قال :

الحمد لله الّذي اختار الحمد لنفسه ، و تولاّه دون خلقه ، لا شريك له في الحمد، ولا نظير له في المجد ، ولا إله إلاّ الله وحده لاشريك له ، القائم الدّائم، إله السماء والأرض ، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله ، أرسله بالحقّ الوضح ، و الحقّ الناطق ، داعيا إلى الخير، وقائداً إلى الهدى .

ثمّ قال : أيّها الناس إنّ علياً قد كتب إليكم كتاباً لايقال بعده إلاّ رجيع من القول ، ولكن لابدّ من ردّ الكلام ، إنّ الناس بايعوا علياً بالمدينة من غير محاباة له ببيعتهم ، لعلمه بكتاب الله وسنن الحقّ ، وإنّ طلحة والزبير نقضا بيعته على غير حدث ، وألّبا عليه الناس ثمّ لم يرضيا حتّى نصبا له الحرب ، و أخرجا اُمّ المؤمنين، فلقيهما فأعذر في الدّعاء ، وأحسن في البقيّة ، و حمل الناس على ما يعرفون ، هذا عيان ما غاب عنكم ، ولا ن سألتم الزيادة زدناكم ولاقوة إلاّ بالله

و نقل كلامه الدينوريّ في الامامة و السياسة و بين النسختين اختلاف في الجملة .

قال نصر: وقال جرير في ذلك :

أتانا كتاب عليّ فلم ... نردّ الكتاب بأرض العجم
ولم نعص ما فيه لمّا أتا ... ولمّا نضام ولمّا نُلم
ونحن وُلاة على ثغرها ... نضيم العزيز ونحمي الذمم
نساقيهم الموت عند اللّقاء ... بكأس المنايا ونشفي القرم
طحنّاهم طحنةً بالقنا ... وضرب سيوف تطير اللّمم
مضينا يقيناً على ديننا ... ودين النبيّ مجلّي الظلم
أمين الإله وبرهانه ... وعدل البريّة والمعتصم
رسول المليك ومن بعده ... خليفتنا القائم المدّعم
عليّاً عنيت وصيّ النبيّ ... نجالد عنه غواة الأُمم
له الفضل والسبق والمكرمات ... وبيت النبوّة لا يهتضم

أقول : قد قدّمنا في مواضع أنّ كثيراً من سنام المسلمين في صدر الإسلام وصفوا أمير المؤمنين عليه السلام بأنه وصيّ النبيّ، وقلنا إنّ هذه الكلمة الصادرة من هؤلاء الّذين أدرك كثير منهم النبيّ صلى الله عليه وآله ممّا ينبغي أن يعتنى بها ويبجّلها من يطلب طريق الحقّ ويبحث عنه. ولعمري أنّ هذه الدّقيقة حجّة على من كان له قلب إلّا أن ختم الله على قلبه ونعم ما قال العارف الروميّ:

چشم باز و گوش باز واين عمى ... حيرتم از چشم بندي خدا

نصر: عمر بن سعد عن نمير بن وعلة، عن عامر الشعبي أنّ عليّاً عليه السلام حين قدم من البصرة نزع جريراً عن همدان، فجاء حتّى نزل الكوفة فأراد عليٌّ عليه السلام أن يبعث إلى معاوية رسولاً، فقال له جرير: ابعثني إلى معاوية فإنه لم يزل لي مستنصحاً وودّاً آتيه فأدعوه على أن يسلّم لك هذا الأمر ويجامعك على الحقّ على أن يكون أميراً من أُمرائك وعاملاً من عمّالك ما عمل بطاعة الله واتّبع ما في كتاب الله، وأدعو أهل الشام إلى طاعتك وولايتك وجلّهم قومي وأهل بلادي وقد رجوت أن لا يعصوني:

فقال له عليه السلام الأشتر: لا تبعثه ودعه ولا تصدّقه فوالله إنّي لأظنّ هواه

هواهم ونيّته نيّتهم .

فقال له عليٌّ عليه السلام : دعه حتّى ننظر ما يرجع به إلينا ، فبعثه عليٌّ عليه السلام وقال له حين أراد أن يبعثه : إنّ حولي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من أهل الدّين والرأي من قد رأيت ، و قد اخترتك عليهم لقول رسول الله صلى الله عليه وآله فيك : إنك من خيرذي يمن ، ايت معاوية بكتابي فان دخل فيما دخل فيه المسلمون ، وإلاّ فانبذ إليه وأعلمه أنّي لا أرضى به أميراً وأنّ العامة لاترضى به خليفة .

فانطلق جرير حتّى أتى الشام ونزل بمعاوية فدخل عليه ، فحمدالله و أثنى عليه وقال : أمّابعد يا معاوية فانّه قداجتمع لابن عمّك أهل الحرمين وأهل المصرين وأهل الحجاز وأهل اليمن وأهل مصر و أهل العروض و عمّان و أهل البحرين واليمامة ، فلم يبق إلاّ أهل هذه الحصون الّتي أنت فيها لوسال عليها سيل من أوديته غرقها ، وقد أتيتك أدعوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى مبايعة هذا الرّجل ، ودفع إليه الكتاب كتاب عليّ بن أبيطالب عليه السلام وفيه :

صورة كتابه عليه السلام الكاملة الى معاوية على مافي كتاب نصر في صفين (ص ١٨ من الطبع الناصرى) وكتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة الدينورى (ص ٩٣ ج ١ طبع مصر ١٣٧٧ ه)

بسم الله الرّحمن الرّحيم أمّا بعد فانّ بيعتي لزمتك بالمدينة وأنت بالشام لأنّه بايعني القوم الّذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان على ما بايعوا عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يردّ ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فاذا اجتمعوا على رجل فسمّوه إماماً كان ذلك لله رضىً ، فان خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردّوه إلى ماخرج منه ، فان أبى قاتلوه على اتّباعه غيرسبيل المؤمنين و ولاّه الله ما تولّى ويصليه جهنم وسائت مصيراً ، و إنّ طلحة و الزبير بايعاني ثمّ نقضا بيعتي وكان نقضهما كردّهما ، فجاهدتهما على ذلك حتّى جاء الحقّ و ظهر أمرالله وهم كارهون ، فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، فانّ أحبّ الأمور إليّ فيك العافية إلاّ أن تتعرّض للبلاء ، فان تعرّضت له قاتلتك ، واستعنت الله عليك وقد أكثرت في قتلة عثمان ، فادخل فيما دخل فيه الناس ، ثمّ حاكم القوم إليّ

أحملك وإيّاهم على كتاب الله ، فأمّا تلك الّتي تريدها فخدعة الصبيّ عن اللّبن ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك ، لتجدنّي أبرأ قريش من دم عثمان ، واعلم أنّك من الطلقاء الّذين لاتحلّ لهم الخلافة ، ولا تعرض فيهم الشورى و قد أرسلت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبدالله ، وهو من أهل الإيمان و الهجرة فبايع ولاقوّة إلاّ بالله .

أقول : ولايخفى عليك أنّ بين نسخة النهج وبين نسخة صفين لنصر تفاوتاً في الجملة كما أنّ بين نسختي نصر والدينوري اختلافاً يسيراً لايعبأ به .

ثمّ إنّ قوله عليه السلام : وقد أكثرت في قتلة عثمان ـ الى قوله : فخدعة الصبيّ عن اللّبن ، مذكور في ذيل كتابه الآخر إلى معاوية أيضاً ، وهو الكتاب الرّابع والستّون أوّله : أمّا بعد فانّا كنّا نحن وأنتم على ماذكرت من الاُلفة ـ الخ .

قال نصر : فلمّا قرأ معاوية الكتاب قام جرير فقال :

الحمد لله المحمود بالعوائد ، المأمول منه الزوايد ، المرتجى منه الثواب المستعان على النوائب ، أحمده و أستعينه في الاُمور الّتي تحيّر دونه الألباب وتضمحلّ عندها الأرباب ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له ، كلّ شيء هالك إلاّ وجهه له الحكم وإليه ترجعون ، وأشهد أنّ محمّداً عبده و رسوله ، أرسله بعد الفترة وبعد الرّسل الماضية ، والقرون الخالية ، والأبدان البالية ، و الجبلة الطّاغية ، فبلّغ الرسالة ، ونصح الاُمّة ، وأدّى الحقّ الّذي استودعه الله وأمره بأدائه إلى اُمّته ، صلّى الله عليه وآله وسلّم من مبتعث و منتجب .

ثمّ قال : أيّها النّاس إنّ أمر عثمان قد أعيى من شهده فما ظنّكم بما غاب عنه ، وإنّ الناس بايعوا عليّاً غير واتر ولاموتور . وكان طلحة والزبير ممّن بايعه ثمّ نكثا بيعته على غير حدث ، ألا و إنّ هذا الدّين لا يحتمل الفتن ، ألا و إنّ العرب لاتحتمل السيف ، وقد كانت بالبصرة أمس ملحمة إن يشفع البلاء بمثلها فلا بقاء للنّاس ، وقد بايعت العامّة عليّاً ولوملكنا والله اُمورنا لم نختر لها غيره ، ومن خالف هذا استعتب ، فادخل يا معاوية فيما دخل فيه الناس ، فان قلت : استعملني

عثمان ثمّ لم يعزلني فانّ هذا أمر لوجاز لم يقم لله دين ، وكان لكلّ امرىء مافي يديه ، ولكنّ الله لم يجعل للآخر من الولاة حقّ الأوّل ، و جعل تلك اُموراً موطّأة ، وحقوقاً ينسخ بعضها بعضاً .

فقال معاوية : انظر وننظر و أستطلع رأي أهل الشام .

أقول : الظاهر أنّ هذا الكتاب هوأوّل كتاب أرسله عليه السلام إلى معاوية يدعوه إلى بيعته إلاّ أنّ الرّضيّ رضي الله عنه قال في آخر هذا الباب (الكتاب ٧٥) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية في أوّل ما بويع له ، ذكره الواقدي في كتاب الجمل ، من عبدالله أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان فقد علمت إعذاري فيكم وإعراضي عنكم -إلخ

وقال ابن قتيبة الدّينوري في كتاب الإمامة و السياسة المعروف بتاريخ الخلفاء (ص ٨٢ ج ١ طبع مصر ١٣٧٧هـ) : وذكروا أنّه لمّا فرغ من وقعة الجمل بايع له القوم جميعاً وبايع له أهل العراق واستقام له الأمر بها ، فكتب إلى معاوية أمّا بعد فانّ القضاء السابق و القدر النافذ ينزل من السماء كقطر المطر فتمضى أحكامه عزّ وجلّ وتنفذ مشيئته بغير تحابّ المخلوقين ولارضى الآدميّين ، وقد بلغك ما كان من قتل عثمان وبيعة الناس عامّة إيّاي ومصارع الناكثين لي ، فادخل فيما دخل الناس فيه ، وإلاّ فأنا الّذي عرفت وحولي من تعلمه ، والسلام .

ويمكن أن يكون هذه الكتب الثلاث كتاباً واحداً فتفرّق كما قدّمنا كثيراً من نظائره ، وممّا يؤيّده أنّ الدينوري بعد نقل الكتاب قال : ثمّ إنّ معاوية انتخب رجلاً من عبس و كان له لسان ، فكتب إلى عليّ عليه السلام كتاباً عنوانه : من معاوية إلى عليّ ، وداخله : بسم الله الرّحمن الرحيم لاغير ، فلمّا قدم الرسول دفع الكتاب إلى عليّ فعرف عليّ عليه السلام ما فيه و أنّ معاوية محارب له وأنّه لايجيبه إلى شيء ممّا يريد .

وقد نقل قريباً من هذا الكلام الشارح المعتزلي في شرح نسخة النهج وهو: فلمّا جاء معاوية هذا الكتاب « يعني به الكتاب المذكور في النهج » وصل بين

طومارين أبيضين ثمّ طواهما و كتب عنوانهما من معاوية بن أبي‌سفيان إلى عليّ بن أبيطالب ـ قال جرير : ودفعهما معاوية إليّ لا أعلم ما فيهما ولا أظنّهما إلا جواباً وبعث معي رجلاً من بني‌عبس لاأدري ما معه فخرجنا حتّى قدمنا الكوفة واجتمع الناس في المسجد لايشكّون أنها بيعة أهل الشام ، فلمّا فتح عليّ عليه‌السلام الكتاب لم يجد شيئاً ـ الخ ، والله تعالى أعلم .

وقد روي أنّه عليه‌السلام كتب إلى معاوية مع جرير : أنّي قد عزلتك ففوّض الأمر إلى جرير، والسلام .

وقال : لجرير : صُن نفسك عن خداعه فان سلّم إليك الأمر و توجّه إليّ فأقم أنت بالشام ، وان تعلّل بشيء فارجع ، فلمّا جاءه تعلّل بمشاورة أهل الشام وغير ذلك . فرجع جرير فكتب معاوية في أثره على ظهر كتابه عليه‌السلام : من ولاّك حتّى تعزلني، والسلام.

قوله عليه‌السلام (إنه بايعني ـ إلى قوله : على ما بايعوهم عليه) واعلم أنّ بيعة الناس أمير المؤمنين علياً عليه‌السلام وإطباقهم على إمامته كان أشدّ وأوكد بمراحل من إطباقهم على إمامة الثلاثة قبله عليه‌السلام ، كما أشرنا إلى نبذة من شواهده في المباحث الماضية ، وكفى في ذلك قوله عليه‌السلام :فتدا كّوا عليّ تداكّ الابل الهيم يوم وردها قد أرسلها راعيها وخلعت مثانيها، حتّى ظننت أنّهم قاتليّ أو بعضهم قاتل بعض لديّ (الخطبة٥٤من النهج) .

وقوله عليه‌السلام : وبسطتم يدي فكففتها ومددتموها فقبضتها ، ثمّ تدا ككتم عليّ تداكّ الابل الهيم على حياضها يوم ورودها ، حتّى انقطعت النعل و سقطت الرداء و وطيء الضعيف وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إيّاي أن ابتهج بها الصغير ، وهدج إليها الكبير وتحامل نحوها العليل ، و حسرت إليها الكعاب (الخطبة ٢٢٧ من النهج) .

ثمّ إنّ ذلك الكلام لايدلّ على أنّه عليه‌السلام أثبت خلافته ببيعة الناس وإجماعهم بل احتجّ على القوم باتّفاق الناس وإجماعهم على خلافته على وجه التسليم والمماشاة

وحسب مقتضى عقيدتهم بأنّهم لمّا اعتقدوا أنّ مبنى الخلافة و نصب الإمام على البيعة دون النصّ لزمهم قبول خلافته وامامته والتسليم والانقياد لأمره .

ولو احتجّ عليهم بالنصّ لم يقبلوا منه ولم يسلّموا له وإلاّ فخلافته بلافصل ثبتت بنصّ الله تعالى و رسوله ، و قد أشرنا إلى ذلك في شرح الخطبة السابعة والثلاثين والمأتين من أنّ الإمام يجب أن يكون منصوباً من الله تعالى ،لأنّ الامامة عهده تعالى ولا يناله إلاّ من اجتبيه .

ثمّ إنّه عليه السلام لو تمسّك لإمامته بالنصّ لكان هذا طعناً على الّذين سبقوه بالخلافة الظاهريّة ، فاذاً تفسد حاله مع الّذين بايعوه من المهاجرين والأنصار في المدينة و كان المقام لا يناسب سوق الاحتجاج على سبيل النصّ ، و لولا مراعاة المقام لكان يصرّح بما هو الحقّ الصريح ، والشقشقيّة حجّة بالغة على ذلك .

قوله عليه السلام : (فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يردّ) هذه نتيجة لما قدّم أي إذا بايعني القوم على الوجه الّذي بايعوا أبابكر و عمر وعثمان و ما اختار أحد من الشاهدين في المدينة غير ما بايعوه وكذا لم يردّ أحد من الغائبين عن المدينة من بايعوه بل الكلّ انقادوا وتسلّموا فكذا لم يكن للشاهد أن يختار غيري ولا للغائب أن يردّني، بل يجب على الشاهد والغائب جميعاً الاطاعة والانقياد .

ثمّ إنّ فيه تعريضاً وطعناً على الناكثين طلحة و الزبير و أتباعهما ، و على معاوية و أهل الشام من أتباعه لأنّ الشاهدَ أي الناكثين اختاروا غيره عليه السلام والغائب أي معاوية وأهل الشام لم يقبلوا بيعته .

ثمّ يمكن أن يستفاد من قوله عليه السلام (أن يردّ) أن لا يكون هذا الكتاب أوّل كتاب كتبه إلى معاوية بأن يكون الأوّل هو الكتاب ٧٥ من هذا الباب أو الّذي نقله الدينوري في الامامة والسياسة ، ولما ردّ معاوية كتابه و لم يقبل البيعة قال عليه السلام : ولا للغائب أن يردّ، فتأمّل .

قوله عليه السلام (وإنّما الشورى ـ الى قوله : وولاّه ما تولّى) الشورى المشورة وإنّما تفيد حصر الشورى في المهاجرين والأنصار، وإنّما حصر الشورى فيهما لأنهما

أهل الحلّ والعقد من أُمّة محمد صلى الله عليه وآله فمتى اتّفقت كلمتهم على أمر وأجمعوا عليه كان ذلك حقاً مرضياً لله تعالى فيجب على النّاس اتّباعه .

ومن ذلك إطباقهم على إمامة عليّ عليه السلام كما أشار إليه بقوله : فان اجتمعوا على رجل فسمّوه إماماً فان خرج من أمرهم أحد بطعن عليهم أو على من بايعوه بالامامة كمن طعن عليه عليه السلام بدم عثمان ، أو ببدعة كنكث الناكثين و من بايع معاوية بالخلافة بعد ما أجمع المهاجرون والأنصار على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ردّوه عمّا خرج إليه إلى ما خرج منه .

فان امتنع ذلك الخارج عن الرّجوع إلى ما خرج منه قاتلوه ، لأنّه اتّبع غير سبيل المؤمنين وحيث أبى واتّبع غير سبيل المؤمنين ولاّه الله ما تولّى أي يخلّي بينه وبين ما اختاره لنفسه ويكله إلى من انتصر به و اتّكل عليه .

وهذا إشارة الى قوله تعالى : « ومن يشاقق الرّسول من بعد ما تبيّن له الهدى و يتّبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى و نصله جهنّم و سائت مصيراً » (النساء : ١١٦) .

وانما تهدّده بكلامه هذا و توعّده بالعقوبة لئلاّ يتّبع غير سبيل المؤمنين ونبّهه على أنّه إن خالف سبيلهم بطعن أو بدعة ردّوه إلى ماخرج منه وقاتلوه على أنّ الله يولّيه ما تولّى ويصليه جهنّم.

ثمّ إنّ كلامه هذا أيضاً على مقتضى عقيدة القوم مداراة ومماشاة معهم بما اعتقدوا من أنّ أمر الخلافة إنما هو بالبيعة من أهل العقد والحلّ لا بالنصّ ، وإلاّ فامامته بالافصل كانت ثابتة بالبراهين القطعيّة فالقياس جدليّ على اصطلاح أهل الميزان ، لأنّه اعتبر في مقدّماته التسليم من الخصم أي تبكيت الخصم و إلزامه بما سلّم به .

قوله عليه السلام : (و لعمري ــ الى قوله : في عزلة عنه) قد قدّمنا في أبحاثنا السالفة نقل كلام عمّار بن ياسر رضوان الله عليه وشبث و غيرهما من أنّ معاوية لم يجد شيئاً يستغوي به الناس ويستميل به أهواءهم ويستخلص به طاعتهم إلاّ قوله:

قتل إمامكم عثمان مظلوماً فنحن نطلب بدمه .

وقد روى أبوجعفر الطبري في التاريخ باسناده عن زيدبن وهب الجهني أن عمّاربن ياسر قال في صفين : أيّها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء الّذين ـ يعني بهم معاوية وأتباعهم ـ يبغون دم ابن عفّان ويزعمون أنه قتل مظلوماً ، والله ما طلبتم ولكنّ القوم ذاقوا الدّنيا فاستحبّوها و استمرأوها و علموا أنّ الحقّ إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرّغون فيه من دنياهم، ولم يكن للقوم سابقة في الاسلام يستحقّون بها طاعة الناس والولاية عليهم فخدعوا أتباعهم أن قالوا : إمامنا قتل مظلوماً، ليكونوا بذلك جبابرة ملوكاً وتلك مكيدة بلغوا بها ما ترون ، ولولا هي ما تبعهم من الناس رجلان . الخ .

وقال عمّار أيضاً : أيّها النّاس والله ما أسلموا ـ يعني معاوية وأتباعه كما مضى من قبل مسنداً ـ ولكنّهم استسلموا و أسرّوا الكفر فلمّا وجدوا له أعواناً أظهروه . و الظاهر أنه أخذ هذا القول منه عليه السلام كما سيأتي في الكلام ١٦ من هذا الباب .

ثمّ قد مضى في الخطبة ٢٣٨ قوله عليه السلام : والله لقد دفعت عنه ـ يعني عن عثمان ـ حتّى خشيت أن أكون آثماً . وقوله المنقول عن الطبري (ص ٤١٠ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧هـ) في عثمان : والله ما زلت أذبّ عنه حتّى أني لأستحي ، وكذا برهنّا في مواضع كثيرة من مباحثنا الماضية على أنه عليه السلام كان أبرأ الناس من دم عثمان .

ثمّ لما كانت هوى النفس قائدة إلى خلاف الحقّ، لأنّها قرين سوء يزيّن كلّ قبيح ويقبّح كلّ حسن وكاسفة بيضاء العقل كما قيل : « إنارة العقل مكسوف بطوع الهوى » أقسم عليه السلام بعمره لئن نظر معاوية فيما جرى على عثمان بعقله الناصح من الهوى ليجدنّه أبرأ الناس من دمه ، و ليعلمنّ أنّه عليه السلام كان في عزلة عن دم عثمان .

قوله عليه السلام : (إلاّ أن تتجنّى فتجنّ ما بدالك والسلام) يعني به أنك لو خالفت هواك لتجدنّي أبرأ الناس من دم عثمان إلاّ أن تعزّيني إلى الجناية افتراء

وتدّعي عليّ ذنباً لم أفعله فافتر على ما ظهرلك من الذّنوب والجنايات .

ثمّ إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا كان أبرأ الناس من دم عثمان وكان منزّهاً عن جناية و ذنب رأى أنّ معاوية أراد استغواء الناس بذلك الافتراء ، و أنّ الانسان المبرّى عن الشين لايبالي بأقاويل كاذبة تقال فيه ، لأنّ الباطل يذهب جفاء قال : فتجنّ ما بدالك .

وبوجه آخر أنّه عليه السلام قال لمعاوية : إذا كنت تعلم أنّني أبرأ الناس من دم عثمان ومع ذلك تفوّه بما خلافه معلوم لك ولاتستحي بالافتراء فان شئت أن تدّعي عليّ أيّة جناية كانت ، وأردت أن تنسب إليّ أيّ ذنب كان : فافعل، ولايخفى أنّ كلامه عليه السلام ينبيء عن استخفاف أمر معاوية واستحقار تجنّيه عليه .

وأمّا على مختار القوم ، أي كون تجنّ مضارع جنّ فالمعنى أنك لو خالفت هواك لتجدنّي أبرأ الناس من دم عثمان إلاّ أن تعزيني إلى الجناية افتراء وتدّعي عليّ ذنباً لم أفعله ، ثمّ تأخذ ذلك الاختلاق وسيلة لأن تستر و تخفي ما ظهرلك من براءتي من دم عثمان ، يعني أنّ براءتي من دم عثمان ظاهرة لك غير خفيّة إلاّ أنك تريد إخفاءه والافتراء عليّ بدمه حتّى تجعله ذريعة لك فتستغوي بها النّاس ولكنّ الصواب هوالوجه الأوّل لما دريت في بيان اللّغة .

قوله عليه السلام : (والسلام) أي والسلام على من اتّبع الهدى ، أو والسلام على أهله أو غيرهما ممّا يناسبهما .

قال الفاضل الشارح المعتزلي : واعلم أنّ هذا الفصل دالّ بصريحه على كون الاختيار طريقاً إلى الإمامه كما يذكره أصحابنا المتكلّمون ، لأنّه احتجّ على معاوية ببيعته أهل الحلّ والعقد له ، ولم يراع في ذلك إجماع المسلمين كلّهم وقياسه على بيعة أهل الحلّ والعقد لأبي بكر، فانه ما روعي فيها إجماع المسلمين ، لأنّ سعد بن عبادة لم يبايع ولا واحد من أهل بيته و ولده ، ولأنّ عليّاً وبني هاشم ومن انضوى إليهم لم يبايعوا في مبدء الأمر وامتنعوا ، و لم يتوقّف المسلمون في تصحيح إمامة أبي بكر وتنفيذ أحكامه على بيعتهم ، وهذا دليل على صحّة الاختيار و كونه

طريقاً إلى الإمامة وأنّه لايقدح في إمامته امتناع معاوية من البيعة و أهل الشام .

فأمّا الإماميّة فتحمل هذا الكتاب منه على التقيّة وتقول إنه ما كان يمكنه أن يصرّح لمعاوية في مكتوبه بباطن الحال ويقول له : أنا منصوص عليّ من رسول الله صلى الله عليه وآله ومعهود إلى المسلمين أن أكون خليفة فيهم بلا فصل ، فيكون في ذلك طعن على الأئمّة المتقدّمين وتفسد حاله مع الّذين بايعوه من أهل المدينة .

وهذا القول من الإماميّة دعوى لوعضدها دليل لوجب أن يقال بها و يصار إليها ، ولكن لادليل لهم على ما يذهبون إليه من الأصول الّتي تسوقهم إلى حمل هذا الكلام على التقيّة .

ثمّ قال : فأمّا قوله : و قد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه المسلمون ثمّ حاكم القوم إليّ أحملك وإيّاهم على كتاب الله ، فيجب أن يذكر في شرحه ما يقول المتكلّمون في هذه الواقعة .

قال أصحابنا المعتزلة : هذا الكلام حقٌ وصواب لأنّ أولياء الدّم يجب أن يبايعوا الإمام ويدخلوا تحت طاعته ثمّ يرفعوا خصومهم إليه ، فان حكم بالحقّ استديمت إمامته ، وإن حاد عن الحقّ انتقضت خلافته ، وأولياء عثمان الّذين هم بنوه لم يبايعوا علياً ولا دخلوا تحت طاعته ، و كذلك معاوية ابن عمّ عثمان لم يبايع ولا أطاع ، فمطالبتهم له بأن يقتصّ لهم من قاتلي عثمان قبل بيعتهم إيّاه وطاعتهم له ظلم منهم وعدوان .

ثمّ قال : فإن قلت: هب أنّ القصاص من قتلة عثمان موقوف على ما ذكره أما كان يجب عليه لا من طريق القصاص أن ينهى عن المنكر وأنتم تذهبون إلى أنّ النهي عن المنكر واجب على من هو سوقه فكيف على الامام الأعظم ؟.

قلت : هذا غير وارد ههنا لأنّ النهي عن المنكر إنّما يجب قبل وقوع المنكر لكيلا يقع ، فاذا وقع المنكر فأيّ نهي يكون عنه ، وقد نهى عليٌ عليه السلام أهل مصر وغيرهم عن قتل عثمان قبل قتله مراراً ، و نابذهم بيده ولسانه و بأولاده فلم يغن شيئاً ، وتفاقم الأمر حتّى قتل ، ولايجب بعدالقتل إلاّ القصاص ، فاذا امتنع أولياء

الدّم من طاعة الامام لم يجب عليه أن يقتصّ من القاتلين ، لأنّ القصاص حقهم وقد سقط ببغيهم على الإمام وخروجهم عن طاعته ، و قد قلنا نحن فيما تقدّم أنّ القصاص إنّما يجب على من باشر القتل ، و الّذين باشروا قتل عثمان قتلوا يوم قتل عثمان في دار عثمان و الّذين كان معاوية يطالبه بدم عثمان لم يباشروا القتل وإنما كثّروا السواد وحصروا عثمان في الدار و أجلبوا عليه وشتموه و توعّدوه ومنهم من تسوّر عليه داره ولم ينزل إليه ، ومنهم من نزل فحضر قتله ولم يشرك فيه و كلّ هؤلاء لايجب عليهم القصاص في الشرع .

أقول : أمّا قوله إنّ الاختيار طريق إلى الامامة فيردّه ما برهنّا في عدّة مواضع من مباحثنا السالفة من أنّ الإمامة أجلّ قدراً ، وأعظم شأناً ، و أعلامكاناً وأمنع جانباً ، و أبعد غوراً ، من أن يبلغها الناس بعقولهم ، أو ينالوها برأيهم ، أو يقيموا إماماً باختيارهم ، بل انها رئاسة إلهيّة يجب على الله تعالى نصب من اجتبيه لها .

وأمّا قوله : وقياسه على بيعة أهل الحلّ والعقد لأبي بكر ـ الخ ، فيردّه أنّ خلافة أبي بكر لم يكن بحقّ حتّى يقاس بها ، وإعراض سعدبن عبادة وأتباعه وعليّ عليه‌السلام وأشياعه عن بيعته كان على بصيرة في أمر الخلافة .

وأمّا قوله عليه‌السلام : وهذا القول من الاماميّة دعوى لوعضدها دليل لوجب أن يقال بها ـ الخ فقد قلنا آنفاً في شرح هذا الكتاب إنّ كلامه عليه‌السلام هذا إنّما هو على مقتضى عقيدة القوم حيث ذهبوا إلى أنّ أمر الامامة والخلافة إنّما هو بالبيعة لا بالنصّ ، وأنه سيق على القياس الجدلي أعني إلزام الخصم بما اعتقد وسلّم به فلا حاجة إلى حمل كلامه عليه‌السلام على التقيّة .

وإسناد هذا القول إلى الاماميّة لايخلو من دغدغة، ولو مال إليه واحد منهم فقد أخطأ ولايصحّ إسناده إلى الجميع وقد سبقنا بهذه الدقيقة المجلسيّ رحمه الله في البحار ص ٥٢٨ ج ٨ من الطبع الكمباني .

وأمّا الأدلّة على كونه عليه‌السلام خليفة رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله بلافصل فتجلّ عن الاحصاء

من العقليّة والنقليّة، وقد ألّف بغاة الحقيقة والهداية في ذلك رسائل شتّى وصنّف أهل الفحص والتتبّع من الفريقين جوامع عديدة حاوية للأخبار المأثورة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله في خلافته بلافصل ، وكذا في خلافة سائر الأئمّة واحداً بعد واحد ولو ثنينا البيان على تفصيل ذلك لطال بنا الخطب وعظم علينا الأمر.

ولعمري أنّ الرّجل يحبّ أن يتشابه بالجهّال ، و إلاّ فالأمر أبلج من الشمس في رابعة النهار ، وقد قدّمنا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان أشفق على الناس من الوالد على ولده حتّى أنّه أرشدهم إلى اُمور كانت دون مرتبة ولاية الأمر بمراحل كتعليمهم تقليم الأظفار ، وآداب طلي النورة ، وتسريح اللّحى ، و أخذ الشوارب ولبس الثياب حتّى أرشدهم في قضاء الحاجة إلى اُمور كثيرة مندوبة وغير مندوبة فكيف يسكت عن أجلّ الأشياء قدراً وأشدّها حاجة أعني النصّ على الامام الّذي يتولّي اُمورهم بعده .

و أمّا قوله عليه السلام : و قد أكثرت في قتلة عثمان ـ الخ ، فمذكور في ذلك الكتاب كما نقلنا صورته الكاملة عن كتاب صفين لنصر بن مزاحم .

ثمّ إنّ ما نقل الفاضل الشارح من أصحابه من أنّ أولياء الدّم يجب أن يبايعوا الإمام ويدخلوا تحت طاعته ثمّ يرافعوا خصومهم إليه فان حكم بالحقّ استديمت إمامته، وإن حاد عن الحقّ انتقضت خلافته ـ الخ . اعتراف منهم بانتقاض خلافة عثمان من أوّل ما بويع له بالخلافة ، لأنّه عطّل الحدّ الواجب في عبيدالله ابن عمر قاتل جفينة والهرمزان وابنة أبي لؤلؤة ، وقد قدّمنا الكلام في ذلك في شرح الخطبة ٢٣٦ والمختار الأوّل من باب الكتب والرسائل ، فراجع .

الترجمة

اين يكى از نامه هاى أمير المؤمنين على عليه السلام است كه بسوى معاويه ارسال داشت :

همانا گروهى كه بروجهى با أبوبكر و عمر و عثمان بيعت كردند بر آن وجه نيز بامن بيعت كردند ، پس حاضر ـ در مدينه ـ را نشايد كه ديگرى را

بامامت برگزیند وغائب را نسزد که از برگزیدهٔ قوم بامامت سر باززند .

(این گفتار تعریض است به‌عمل طلحه وزبیر وپیروانشان که درمدینه‌بودند وبیعت کردند ونکث ونقض عهد کردند ، و بکار معاویه وأتباع او که در مدینه نبودند واز اختیار قوم واجماع ایشان اعراض کردند) .

وجزاین نیست که مشورت‌درأمرخلافت برای مهاجرین وأنصاراست که‌آنان أهل حلّ وعقد از اُمت محمد وپیشوا وزعمای‌آنانند پس اگرآنان اجتماع کردند برمردی و او را امام خود نامیدندآن‌کار مرضيّ خداوند است ، پس اگرکسی بسبب طعنی بر آنان یا برکسی که با او بامامت بیعت کردند ، یا بسبب بدعتي درآن‌کار ازامرشان بدر میرفت اورا بسوی‌آنچه که از اوبدر رفت برمیگردانیدند و اگر إبا میکرد با او کارزار میکردند چه او جز راه مؤمنین را پیروی کرده است و خداوند او را بخودش وا میگذارد .

(مراد این است که برخي بآنحضرت برقتل عثمان طعن میزدند ، وبرخی بدعت نهادند که معاویه را برای منصب خلافت نصب کردند ، وامام عليه‌السلام دراین نامه تعریضاً بمعاویه ارائه میدهد که اگرسبیل مؤمنین را اتباع نکند واز اجماع مهاجر وأنصار برامامت آن بزرگوار روي برگرداند نخست آن قوم او رابقبول آن أمر و رجوع از خودکامی و خود سری دعوت کنند ، واگر گردن کشد وياغي شود با وی بقتال قیام کنند) .

هرآینه قسم بزندگانی من ای معاویه ! اگر بدیدهٔ خرد بنگری نه بهوای نفس أمّاره ات مرا بری ترین مردم ازخون عثمان میيابی ، و خواهی دانست که من از ریختن خونش برکنار بودم جزاینکه خواهی جنایتی بافترا و بهتان بمن نسبت دهی تا آنرا دست آویز خود گردانی و آنچه را که بر تو هویدا است بپوشانی .

(این معنی بنا برآن وجه است که تجنّ مضارع جنّ باشد که بسیاری برآن رفته اند اگرچه صحیح این است تجنّ امر ازتتجنّي است، خلاصه بنا برمضارع

بودنش مراد اینکه برمعاویه معلوم بود که امام علیه السلام از قتل عثمان دفاع میکرد ومردم را از آن تحذیر میفرمود و از ریختن خونش بر کناره بود ، جز اینکه میخواست بهانه ای در دست گیرد تا بدشمنی و کینه توزی این امر روشن و أمثال آنرا بپوشاند وانکار کند وحضرتش را بخون عثمان بیالاید).

درود بر آنکه راه حق را پیروی کند .

(وبنا بر نسخهٔ صحیح که تجنّ را امر از تتجنّی بگیریم معنی چنین است) پس هرچه ازافتراء وبهتان که بخاطرت میرسد وخواهی بمن نسبت دهی بده « که گفته اند : دروازه شهررا توان بست ودهن مردم را نتوان بست » . ودرلغت وشرح این وجه أخیر متعین وصحیح دانسته شد .

بدانکه إمام علیه السلام این نامه را بنا بر عقیدهٔ قوم و حسب مقتضي مقام که مماشات با آنان است تقریر فرمود که چنانچه خلافت آن سه تن بعقیدهٔ قوم به بیعت أهل حلّ وعقد بود وديگران آنرا قبول کردند ونقض بیعت نکردندو بدعت در دین ننهادند ، میبایستی دربارهٔ آنحضرت نیز که أهل حلّ وعقدازمهاجر وأنصار برامامت او گردن نهادند واتفاق کردند مخالفت ننمایند ، وگرنه خلافت بلافصل آن بزرگوار وامامت حضرتش بنصّ خدا ورسول ثابت ومبرهن است .

ومن كتاب له عليه السلام اليه أيضاً . وهو الكتاب السابع من باب المختار من كتبه عليه السلام ورسائله :

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَتْنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ ، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ ، نَمَّقْتَهَا بِضَلَالِكَ ، وَأَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ ، وَكِتَابُ امْرِءٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ ، وَلَا قَائِدٌ [وَلَا صَالِحٌ - خ ل] يُرْشِدُهُ ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ ، فَهَجَرَ لَاغِطاً ، وَضَلَّ خَابِطاً .

وَمِنْ هٰذَا الكِتَابِ : لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لا يُثَنَّى فِيهَا النَّظَرُ ، وَلا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الخِيَارُ ، الخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ ، وَالمُرَوِّي فِيهَا مُدَاهِنٌ .

اللغة

(موصّلة) بصيغة المفعول من وصل الشيء بالشيء وصلاً و وصّله لأمه أي ربطه به .

(محبّرة) بصيغة المفعول من تحبير الخطّ والشعر و غيرهما بمعنى تحسينها قال الجوهري في الصحاح : قال الأصمعي وكان يقال لطفيل الغنوي في الجاهليّة مُحبّر لأنّه كان يحسّن الشعر.

قال الشهاب الفيومي في المصباح : حبرت الشيء حبراً من باب قتل زيّنته والحبر بالكسر اسم منه فهو محبور وحبّرته بالتثقيل مبالغة .

نمّق الكتاب تنميقاً حسّنه وزيّنه ، فقوله عليه السلام : نمّقتها بضلالك أي زيّنتها به . أمضيت الأمر إمضاءً أي أنفذته أو بمعنى إمضاء الصكوك والرسائل لتوقيعها

البَصَر : العين ونفاذ القلب وحكي أنّ معاوية قال لابن عباس و قد كفّ بصره : ما لكم يا بني هاشم تُصابون بأبصاركم إذا أسننتم ؟ فقال : كما تصابون ببصائركم عنده .

قاد الرجل الفرس قوداً وقيادة وقياداً بالكسر : مشى أمامها آخذاً بقيادها نقيض ساقه ، قال الخليل ـ كما في مصباح الفيومي : القود أن يكون الرّجل أمام الدّابة آخذاً بقيادها ، والسوق أن يكون خلفها فان قادها لنفسه قيل : اقتادها لنفسه . وقاد الأمير الجيش قيادة فهوقائد وجمعه قادَة وقُوّاد و قُوّد .

(الهوى) مقصورة : إرادة النفس وميلانها إلى ما تستلذّ . و ممدودة : الهواء المكتنف للأرض . وفي الصحاح : كلّ خال هواء . قال الشاعر:

فكيف أرحل عنها اليوم إذ جمعت طيب الهوائين مقصور و ممدود

قال المبرّد في الكامل : الهوى من هويت مقصور وتقديره فَعل فانقلبت الياء

ألفاً فلذلك كان مقصوراً ، وإنما كان كذلك لأنك تقول هـوِيَ يهوى كما تقول فرِق يفرَق وهوهوٍ كما تقول هوفرقٌ كما ترى وكان المصدرعلى فعل بمنزلة الفرق والحذَر والبطَر لأنّ الوزن واحد في الفعل واسم الفاعل . فأمّا الهواء من الجوّ فممدود يدلّك على ذلك جمعه إذا قلت أهوِيَةٌ ، لأنّ أفعلةَ إنّما تكون جمع فَعال وفِعال و فَعيل كما تقول قذال وأقذلة وحمارٌ وأحمرةٌ فهواء كذلك والمقصور جمعه أهواء فاعلم لأنّه على فعَل وجمع فعَل أفعال كما تقول جمَل و أجمال وقتَب و أقتاب ، قال الله عزّوجلّ : « و اتّبعوا أهواءهم » (محمّد صلّى الله عليه وآله – ١٩) . وقوله: هذاهواء يافتى في صفة الرّجل إنما هوذمٌّ يقول لاقلب له قال الله عزّوجل : « وأفئدتهم هواء » أي خالية و قال زهير :

كأنّ الرحل منها فوق صعل من الظّلمـان جؤجؤه هواء

وهذا من هواء الجوّ قال الهذلي :

هواء مثل بعلك مستميت على ما في وعائك كالخيال

(الهجر) : الهذيان وقدهجر المريض يهجُرُ هجْراً من باب قتل خلط وهذى فهو هاجر والكلام مهجور . قال الجوهريّ في الصحاح : قال أبو عبيد يروي عن إبراهيم ما يثبت هذا القول في قوله تعالى « إنّ قومي اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً » (الفرقان –٣٣) قال : قالوا فيه غير الحقّ ألم تر إلى المريض إذا هجر قال غير الحقّ ، قال : وعن مجاهد نحوه .

والهُجر : الاسم من الإهجار و هو الافحاش في المنطق أي الكلام القبيح المهجور لقبحه . وفي الحديث : ولاتقولوا هجراً ، قال عوف بن الخرع :

زعمتم من الهجر المضلّل أنكم ستنصركم عمرو وعلينا و منقر

وأهجر فلان إذا أتى بهجر من الكلام عن قصد ، قال الشمّاخ بن ضرار :

كماجدة الأعراق قال ابن ضرّة عليها كلاماً جار فيه و أهجرا

(اللأغط) : ذواللّغط ، قال في المصباح : لغط لغطاً من باب نفع و اللّغط بفتحتين اسم منه و هو كلام فيه جلَبة واختلاط ولا يتبيّن . قال عمرو بن أحمر

الباهليُّ (الحماسة ٧٦٢) :

لهـا لغط جنح الظلام كأنها		عجارف غيثٍ رائح متهزّمِ

قال المرزوقي في الشرح : اللّغط : الصوت يعني هزّتها « أي هزة القدور السود المذكورة في صدر الأشعار » في الغليان ، وانتصب جنح الظلام على الظرف يريد أنها تغلي إذا جنح الظلام بالعشيّ وذاك وقت الضيافة وكأنّ لغطه صوت رعد من غيث ذي تعجرف، والعجارف شدّة وقوع المطر و تتابعه يريد أنه هبّت الريح فيه وصار له هزمة أي صوت شبّه صوت القدر في غليانها بصوت الرّعد من سحاب هكذا .

(الخبط) : الحركة على غير نظام يقال : خبط اللّيل اذا سار فيه على غير هدى . وفلان خبط خبط عشواء أي تصرّف في الأمور على غير بصيرة. وقال الفيوميُّ حقيقة الخبط الضرب وخبط البعير الأرض ضربها بيده .

وقد يكنى بالخابط عن السائل كقول زهير بن أبي سلمى في قصيدة يمدح فيها هرم بن سنان :

و ليس بمانع ذي قربى ولا رحم		يوماً ولا معدماً من خابطٍ ورقاً

استعار الورق فكنّى به عن المال كما استعار الخبط فكنّى به عن طلبه والخابط عن طالبه ، وأصله أنّ العرب تقول إذا ضرب الرجل الشجر ليحتّ وينفض ورقه فيعلّقه ، قد خرج يختبط الشجر، والورق المنفوض يسمّى الخبط بالفتحتين ويقال للرّجل: إنّ خابطه ليجد ورقاً أي إن سائله ليجد عطاءً ، لكنه ليس بمراد هنا والمقصود هو المعنى الأوّل .

(لا يثنّى) ثنّى الشيء تثنية جعله اثنين ، فالمعنى لا يجعل النظر في تلك البيعة اثنين بل هو نظر واحد تحقق من أهل الحلّ والعقد من أُمّة محمد ﷺ فيها بالمدينة ، فهي لازمة على غيرهم من الحاضر والغائب .

وجاء في بعض نسخ النهج وغيره « لا يستثنى فيها النظر » مكان لا يثنّى فيها النظر، يقال : استثنى الشيء استثناءً إذا أخرجه من حكم عام ، فالمعنى على هذا

الوجه لايستثنى النظر في هذه البيعة مما قبلها أي كما أنّ بيعة أهل العقد والحلّ قبل هذه البيعة في أبي بكر وعمر وعثمان كانت واحدة لازمة على الشاهد والغائب وكان نظرهم في المرّة الاُولى لازماً وثابتاً كما يعترف به الخصم فكذلك ههنا فلايجوز أن يستثنى النظر فيها عمّا قبلها .

ولكن المعنى على الوجه الثاني لايخلو من تكلّف ، وقوله عليه السلام : يستأنف فيها الخيار قرينة على أنّ الوجه الأوّل هو الصواب ، على أنّ العبارة في نسختنا المصحّحة الخطيّة العتيقة وفي نسخة صديقنا اللاجوردي قد قوبلت بنسخة الشريف الرضي رحمه الله هي الوجه الأوّل .

(المروّي) : من روّيت في الأمر تروية أو من روأت بالهمز إذا نظرت فيه وتفكّرت وأصلها من الرّويّة وهي الفكر والتدبّر . (المداهن) : المصانع يقال داهنه مداهنة وأدهنه إذا خدعه وختله وأظهر له خلاف ما يضمر قال تعالى : « ودّوا لو تدهن فيدهنون » .

الاعراب

الباء من بضلالك سببيّة كأن تقول : زيّنت الدّار بالزخرف ، و كذا الباء الثانية ، كتاب امرىء عطف على موعظة ؛ جملة ليس له بصر يهديه صفة لقوله امرء و كذلك الجمل التالية ، يهديه صفة للبصر ، ويرشده للقائد . الفاء في فهجر فصيحة واللتان قبلها للترتيب . لاغطاً و خابطاً حالان لضمير الفعلين . وضمير لأنّها للقصّة . كقوله تعالى : « فاذا هي شاخصة أبصار الّذين كفروا » أو أنّها راجعة إلى البيعة المذكورة في كتابه عليه السلام كما سيجيء نقل كتابه بتمامه .

« اسناد هذا الكتاب و مداركه و نقل صورته الكاملة »
« واختلاف الاراء فيه وتحقيق أنيق فى فيصل الامر فى المقام »

قد بيّنا في عدّة مواضع أنّ الشريف الرّضي رضوان الله عليه إنّما عنى في النهج اجتباء محاسن كلام أمير المؤمنين عليه السلام و اجتناء ما تضمّن عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربيّة من كلامه عليه السلام كما نصّ عليه في خطبته على النهج

بقوله : فأجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب ، ثمّ محاسن الكتب ، ثمّ محاسن الحكم والأدب ـ الخ .

ولذلك ترى كثيراً في النهج أنّه قدّس سرّه ينقل من كتاب له عليه السلام شطراً ويدع آخر فدونك الكتاب بتمامه مع ذكر مآخذه القيّمة واختلاف نسخه المرويّة وبيان الحقّ وفصل الأمر في ذلك :

فلمّا فرغ جرير من خطبته « قد مضى نقلها في شرح الكتاب السادس » أمر معاوية منادياً فنادى : الصلاة جامعة ، فلمّا اجتمع النّاس صعد المنبر وخطب خطبة واستدعى أهل الشام إلى الطلب إلى دم عثمان فأجابوه وبايعوه على ذلك ، واستحثّه جرير بالبيعة بخلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال : يا جرير إنّها ليست بخلسة وأنّه أمر له ما بعده فابلعني ريقي حتّى أنظر ، ودعا ثقاته واستشارهم في ذلك فأشاروا عليه أن يكتب إلى عمرو بن العاص وكان وقتئذ بالبيع من فلسطين ، وكتب كتاباً آخر إلى شرحبيل ، ودعا أتباعهم وأجمعوا آخر الأمر إلى حرب أهل العراق .

روى نصر بن مزاحم المنقري التميمي الكوفي في كتاب صفين (ص ٣٠ إلى ص ٣٤ من الطبع الناصري) عن محمّد بن عبيدالله ، عن الجرجاني قال : كان معاوية أتى جريراً في منزله فقال : يا جرير إنّي قد رأيت رأياً ، قال : هاته . قال : اكتب إلى صاحبك يجعل لي الشام ومصر جباية ، فاذا حضرته الوفاة لم يجعل لا حد بعده بيعة في عنقي واُسلّم له هذا الأمر وأكتب إليه بالخلافة .

فقال جرير : اكتب بما أردت وأكتب معك ، فكتب معاوية بذلك إلى عليّ فكتب عليّ عليه السلام إلى جرير :

أمّا بعد فانّما أراد معاوية أن لا يكون لي في عنقه بيعة ، وأن يختار من أمره ما أحبّ ، وأراد أن يرثيك حتّى يذوق أهل الشّام ، وأنّ المغيرة بن شعبة قد كان أشار عليّ أن أستعمل معاوية على الشام وأنا بالمدينة فأبيت ذلك عليه ، ولم يكن الله ليراني أتّخذ المضلّين عضداً ، فان بايعك الرّجل وإلّا فاقبل .

أقول : كتابه هذا ليس بمذكور في النهج ، ويقال: راث على خبرك من باب باع إذا أبطأ .

قال نصر : وفي حديث صالح بن صدقة قال : أبطأ جرير عند معاوية حتّى اتّهمه الناس وقال عليٌّ : وقّت لرسولي وقتاً لا يقيم بعده إلاّ مخدوعاً أو عاصياً، وأبطأ على عليّ حتّى أيس منه .

قال : وفي حديث محمّد وصالح بن صدقة قالا: و كتب عليٌّ عليه السلام إلى جرير بعد ذلك :

أمّا بعد فاذا أتاك كتابي هذا فاحمل معاوية على الفصل، وخذه بالأمر الجزم ثمّ خيّره بين حرب مجلية أو سلم محظية ، فان اختار الحرب فانبذ له ، وإن اختار السلم فخذ بيعته .

أقول : نقل الرّضيّ هذا الكتاب في النهج وهو الكتاب التالي لهذا الكتاب أعني الكتاب الثامن من باب المختار من كتبه ورسائله، وسيأتي شرحه إن شاء الله تعالى .

فلمّا انتهى الكتاب إلى جرير أتى معاوية فأقرأه الكتاب فقال : يا معاوية إنه لا يطبع على قلب إلاّ بذنب ، ولا ينشرح إلاّ بتوبة ، ولا أظنّ قلبك إلاّ مطبوعاً أراك قد وقفت بين الحقّ والباطل كأنّك تنتظر شيئاً في يدي غيرك .

فقال معاوية : ألقاك بالفيصل أوّل مجلس إنشاء الله .

قال نصر : فلمّا بايع معاوية أهل الشام وذاقهم قال : يا جرير الحق بصاحبك وكتب إليه بالحرب و كتب في أسفل كتابه: بقول كعب بن جعيل :

أرى الشام تكره ملك العراق | وأهل العراق لهم كارهينا
و كلاّ لصاحبه مبغضاً | يرى كلّ ما كان من ذاك دينا
إذا ما رمونا رميناهم | ودنّاهم مثل ما يقرضونا
فقالوا عليٌّ إمام لنا | فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرى أن تدينوا لنا | فقلنا ألا لا نرى أن ندينا
ومن دون ذلك خرط القتاد | وضرب وطعن يقرّ العيونا

وكلٌّ يسرّ بما عنده يرى غثّ ما في يديه سمينا
وما في عليّ لمستعتب مقال سوا ضمّه المحدثينا
وإيثاره اليوم أهل الذّنوب ورفع القصاص عن القاتلينا
إذا سيل عنه حدا شبهة وعمّى الجواب عن السائلينا
فليس براض ولا ساخط ولا في النهاة ولا الآمرينا
ولا هو ساء ولا سرّه ولا بدّ من بعض ذا أن يكونا

أقول : ما ذكر نصر في صفين صورة كتاب معاوية إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بل قال بالإجمال إنه كتب إليه عليه السلام بالحرب و كتب في أسفل كتابه أشعار كعب بن جعيل كما قدّمنا ، لكن أبا العبّاس محمد بن يزيد المبرّد نقلها في الكامل وابن قتيبة الدّينوري في الامامة والسياسة .

قال المبرّد : كتب معاوية إلي عليّ عليه السلام جواباً عن كتابه إليه :

بسم الله الرّحمن الرحيم من معاوية بن صخر إلى عليّ بن أبيطالب أمّا بعد فلعمري لو بايعك القوم الّذين بايعوك و أنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر و عمر وعثمان ، ولكنّك أغريت بعثمان المهاجرين وخذلت عنه الأنصار ، فأطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف ، وقد أبى أهل الشام إلاّ قتالك حتّى تدفع إليهم قتلة عثمان فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين، ولعمري ليس حجّتك عليّ كحججك على طلحة والزّبير ، لأنّهما بايعاك ولم أبايعك ، وماحجّتك على أهل الشام كحجّتك على أهل البصرة، لأنّ أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام ، وأمّا شرفك في الاسلام وقرابتك من النبيّ صلّى الله عليه وآله وموضعك من قريش فلست أدفعه ، قال : ثمّ كتب في آخر كتابه بشعر كعب بن جعيل وهو: أرى الشام تكره ملك العراق ـ الخ .

أقول : وقد نقل الدّينوري ذيل كتاب معاوية هكذا : فإذا دفعتهم كانت شورى بين المسلمين وقد كان أهل الحجاز الحكّام على الناس و في أيديهم الحقّ فلمّا تركوه صار الحقّ في أيدي أهل الشام ، و لعمري ما حجّتك على أهل الشام كحجّتك على أهل البصرة ، ولاحجّتك عليّ كحجّتك على طلحة و الزّبير ، لأنّ

أهل البصرة بايعوك ولم يبايعك أحد من أهل الشام، وأنّ طلحة والزّبير بايعاك ولم أُبايعك، وأمّا فضلك في الاسلام وقرابتك من النبيّ عليه الصلاة والسلام فلعمري ما أدفعه ولا أُنكره، وما نقله كان أوفق بكتاب أمير المؤمنين عليه السلام جواباً عنه كما لا يخفى.

ثمّ النسخ في إعراب تلك الأبيات مختلفة ونحن اخترنا نسخة الكامل للمبرّد ونسخة صفين لنصر: «وأهل العراق له كارهونا» «وكلّ لصاحبه مبغض»، «وقلنا نرى أن تدينوا لنا» «فقالوا لنا لانرى أن ندينا».

ثمّ روى المصراع الثاني من البيت الخامس على وجه آخر وهو: «وضرب وطعن يفضّ الشئونا». وقال أبو العباس المبرّد في كتابه الكامل: وأحسن الروايتين: يفضّ الشئونا، ثمّ أخذ في شرح كتاب معاوية (وسند كرصورة كتابه) والأبيات فقال:

قوله: ولكنّك أغريت بعثمان المهاجرين، فهو من الاغراء، وهو التحضيض عليه، يقال: أغريته به وآسدت الكلب على الصيد أُوسده ايساداً، ومن قال: أشليت الكلب في معنى أغريت فقد أخطأ إنّما أشليته دعوته إليّ، وآسدته أغريته.

وقول ابن جعيل: وأهل العراق لهم كارهينا، محمول على أرى، ومن قال وأهل العراق لهم كارهونا، فالرّفع من وجهين أحدهما قطع و ابتداء ثمّ عطف جملة على جملة بالواو ولم يحمله على أرى، ولكن كقولك كان زيد منطلقا وعمرو منطلق، الساعة خبرت بخبر بعد خبر. والوجه الآخر أن تكون الواو و ما بعدها حالا فيكون معناها إذ كما تقول رأيت زيداً قائماً وعمرو منطلق، وهذه الآية تحمل على هذا المعنى وهو قول الله عزّ وجلّ: «يغشى طائفة منكم و طائفة قد أهمّتهم أنفسهم» (آل عمران: ١٤٨) والمعنى والله أعلم إذ طائفة في هذه الحال، وكذلك قراءة من قرأ «ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر» (لقمان: ٢٦) أي والبحر ـ بالرفع ـ هذه حاله، ومن قرأ البحر ـ بالنصب ـ فعلى أنّ

وقوله: ودنّاهم مثل ما يقرضونا، يقول: جزيناهم، وقال المفسرون في قوله عزّ وجلّ: «مالك يوم الدّين» قالوا: يوم الجزاء و الحساب، و من أمثال العرب: كما تدين تدان، وأنشد أبوعبيدة (الشعر ليزيد بن الصعق الكلابي):

و اعلم وأيقن أنّ ملكك زائل　　واعلم بأنّ كما تدين تدان

وللدّين مواضع منها ما ذكرنا ، ومنها الطاعة ودين الإسلام من ذلك يقال فلان في دين فلان أي في طاعته، ويقال: كانت مكّة بلداً القاحاً أي لم يكونوا في دين ملك، وقال زهير :

لئن حللت بجوّ في بني أسد　　في دين عمرو وحالت بيننا فدك

فهذا يريد في طاعة عمرو بن هند ، والدّين العادة ، يقال : ما زال هذا ديني ودأبي وعادتي وديدني وإجريّاي ، قال المثقب العبديّ :

تقول إذا درأت لها وضيني　　أهذا دينه أبداً و ديني

أكلّ الدّهر حلّ وارتحال　　أما تبقى عليّ و ما يقيني

وقال الكميت بن زيد :

على ذاك إجريّايَ وهي ضريبتي　　وإن أجلبوا طرّاً عليّ و أحلبوا

وقوله : فقلنا رضينا ابن هند رضينا ، يعني معاوية بن أبي سفيان و أمّه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف .

وقوله : أن تدينوا له أي أن تطيعوه، وتدخلوا في دينه أي في طاعته .

وقوله : ومن دون ذلك خرط القتاد ، فهذا مثل من أمثال العرب ، و القتاد شجيرة شاكة غليظة أصول الشوك فلذلك يضرب خرطه مثلاً في الأمر الشديد لأنّه غاية الجهد .

ومن قال : يفضّ الشئونا ، فيفضّ يفرّق ، تقول: فضضت عليه المال. والشئون واحدها شأن وهي مواصل قبائل الرأس و ذلك أنّ للرأس أربع قبائل أي قطع مشعوب بعضها إلى بعض فموضع شعبها يقول له الشئون واحدها شأن. وزعم الأصمعي قال : يقال إنّ مجاري الدّموع منها ، فلذلك يقال : استهلّت شئونه و أنشد قول أوس بن حجر :

لا تحزنيني بالفراق فإنني　　لا تستهلّ من الفراق شئوني

ومن قال : يقرّ العيونا ، ففيه قولان : أحدهما للأصمعي وكان يقول : لا يجوز

غيره يقال : قرّت عينه وأقرّها الله ، وقال إنّما هو بردت من القرّ وهو خلاف قولهم سخِنَتْ عينه وأسخنها الله ، وغيره يقول قرّت هدأت وأقرّها الله أهدأها الله، وهذا قول حسن جميل، والأوّل أغرب وأطرف . انتهى قوله .

« كتاب أمير المؤمنين علي عليه السلام الى معاوية »

كتبه عليه السلام جواب الكتاب الّذي كتب إليه معاوية ونقل هذا الكتاب نصر ابن مزاحم في صفين (ص ٣٣ من الطبع الناصري) و ابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ في كتاب الإمامة والسياسة (ص١٠١ ج ١ طبع مصر ١٣٧٧هـ) وأبو العباس المبرّد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ في الكامل (ص ١٩٣ ج ١ طبع مصر) وهو :

بسم الله الرّحمن الرّحيم من عليّ إلى معاوية بن صخر أمّا بعد فقد أتاني كتاب امرىءٍ ليس له نظر يهديه ، ولا قائد يرشده ، دعاه الهوى فأجابه ، وقاده فاتّبعه ، زعمت أنّه أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان ولعمري ما كنت إلاّ رجلا من المهاجرين ، أوردت كما أوردوا ، وأصدرت كما أصدروا ، وماكان الله ليجمعهم على ضلالة ، ولا ليضربهم بالعمى ، وما أمرت فيلزمني خطيئة الأمر، ولا قتلت فيجب عليّ القصاص .

وأمّا قولك: إنّ أهل الشام هم الحكّام على أهل الحجاز، فهات رجلاً من قريش الشام يقبل في الشورى أو تحلّ له الخلافة ، فان زعمت ذلك كذّبك المهاجرون والأنصار ، وإلاّ أتيتك به من قريش الحجاز .

وأمّا قولك: ادفع إلينا قتلة عثمان ، فما أنت وعثمان ، إنّما أنت رجل من بني أُميّة ، وبنو عثمان أولى بذلك منك ، فان زعمت أنك أقوى على دم أبيهم منهم فادخل في طاعتي ثمّ حاكم القوم إليّ أحملك وإيّاهم على المحجّة .

وأمّا تمييزك بين الشام والبصرة وبينك وبين طلحة والزّبير فلعمري ما الأمر فيما هناك إلاّ واحد ، لأنها بيعة عامّة لا يثنّى فيها النظر، ولا يستأنف فيها الخيار.

وأمّا ولوعك بي في أمر عثمان فما قلت ذلك عن حقّ العيان ولا بعين الخبر.

وأمّا فضلي في الإسلام وقرابتي من النبيّ صلّى الله عليه وآله وشرفي في قريش ، فلعمري

لو استطعت دفع ذلك لدفعته .

قال نصر : وأمر - يعني أمر أمير المؤمنين عليه السلام - النجاشي فأجابه في الشعر ، وقال المبرّد : ثمّ دعا النجاشي أحد بني الحرث بن كعب فقال له : إنّ ابن جعيل شاعر أهل الشام وأنت شاعر أهل العراق فأجب الرّجل ، فقال : يا أمير المؤمنين أسمعني قوله قال : إذن اسمعك شعر شاعر ثمّ أسمعه فقال النجاشي يجيبه :

دعن يا معاوي ما لم يكونا ... فقد حقّق الله ما تحذرونا
أتاكم عليٌّ بأهل الحجاز ... وأهل العراق فما تصنعونا
على كلّ جرداء خيفانة ... وأشعث نهد يسرّ العيونا
عليها فوارس تحسبهم ... كأسد العرين حمين العرينا
يرون الطعان خلال العجاج ... وضرب الفوارس في النقع دينا
هم هزموا الجمع جمع الزبير ... وطلحة والمعشر الناكثينا
و قالوا يميناً على حلفة ... لنهدي إلى الشام حرباً زبونا
تشيب النواصي قبل المشيب ... وتلقي الحوامل منها الجنينا
فان تكرهوا الملك ملك العراق ... فقد رضي القوم ما تكرهونا
فقل للمضلّل من وائل ... ومن جعل الغثّ يوماً سمينا
جعلتم عليّاً و أشياعه ... نظير ابن هند ألا تستحونا
إلى أوّل الناس بعد الرّسول ... وصنو الرّسول من العالمينا
وصهر الرّسول و من مثله ... إذا كان يوم يشيب القرونا

واعلم أنّ بين نسختي صفين والكامل في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام اختلافاً في الجملة فما في الكامل : فكتب إليه أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام جواب هذه الرّسالة « يعني رسالة معاوية » : بسم الله الرّحمن الرّحيم من عليّ بن أبيطالب .. ليس له بصر يهديه .. زعمت أنك أنما أفسد ... وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا ليضربهم بالعمى ، وبعد فما أنت وعثمان إنّما أنت رجل من بني اُميّة ، وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه ، فان زعمت أنك أقوى على ذلك فادخل فيما دخل فيه

المسلمون ثمّ حاكم القوم إليّ، وأمّا تمييزك بينك وبين طلحة والزبير وأهل الشام وأهل البصرة فلعمري ما الأمر فيما هناك إلاّ سواء، لأنّها بيعة شاملة لا يستثنى فيها الخيار ولا يستأنف فيها النظر، وأمّا شرفي في الإسلام وقرابتي من رسول الله صلّى الله عليه وآله وموضعي من قريش فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته.

أقول: ولله درّ النجاشي كأنّما روح القدس نفث في روعه و نطق بلسانه قائلاً:

جعلتم عليّاً و أشياعه　　نظير ابن هند ألا تستحونا

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام كما يأتي في الكتاب التاسع الّذي كتبه إلى معاوية: فيا عجباً للدّهر إذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي و لم تكن له كسابقتي الّتي لا يدلى أحد بمثلها إلاّ أن يدّعي مدّع لا أعرفه، ولا أظنّ الله يعرفه والحمد لله على كلّ حال.

وأقول: يا عجباً للدّهر ثمّ ياعجباً للدّهر قد أصبح رأى يراعة تفوه بأنّ لها براعة على يوح، وخنفساء شمخت بأنفها وشمزت من الرّوح. سبحان الله، ما للتراب وربّ الأرباب، ما للّذي عبدالله على حرف و الّذي لو كشف الغطاء لما ازداد يقيناً، ما لابن آكلة الأكباد والّذي تاهت في بيداء عظمته عقول العباد.

لحى الله هذا الدّهر من شرّ سائس　　عصافيره تُروى و تُظمى قشاعمه

تبّاً لأشباه رجال اتّبعوا أهواءهم، فضيّعوا دينهم بدنياهم، فنصروا من اتّخذ المضلّين عضداً حتّى ردّوا الناس عن الإسلام القهقرى.

زعم الشارح البحراني أنّ ذلك الكتاب المعنون للشرح أعني الكتاب السابع ملفّق من بعض عبارات كتابين أحدهما ذلك الكتاب المنقول من الثلاثة، وثانيهما كتاب آخر.

والحقّ أنّه ليس جزءً منهما وإن كانا مشتركين في بعض الجمل والعبارات وأنّه جزء من كتاب آخر له عليه السلام جواباً عن كتاب آخر من معاوية كما سيجيء نقلهما، وذلك الكتاب المنقول من هؤلاء الثلاثة مذكور في النهج، و احتمال

أنّهما كتاب واحد وجاء الاختلاف من النسخ بعيد عن الصواب ، لأنّ بينهما بوناً بعيداً ، ومجرّد الاشتراك في بعض الجمل والعبارات لا يجعلهما كتاباً واحداً ولا يؤيّد الاحتمال ، فدونك ما قاله الشارح البحراني في شرح هذا الكتاب :

هذا جواب كتاب كتبه إليه معاوية صورته : من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبيطالب .

أمّا بعد فلو كنت على ما كان عليه أبوبكر وعمر إذن ماقاتلتك ، ولا استحللت ذلك ، ولكنّه إنّما أفسد عليك بيعتي خطيئتك في عثمان بن عفان ، وإنّما كان أهل الحجاز الحكّام على الناس حين كان الحقّ فيهم ، فلمّا تركوه صار أهل الشام الحكّام على أهل الحجاز وغيرهم من الناس ، ولعمري ما حجّتك على أهل الشام كحجّتك على أهل البصرة ، ولا حجّتك عليّ كحجّتك على طلحة و الزّبير ، لأنّ أهل البصرة قد كان بايعوك ولم يبايعك أهل الشّام ، و أنّ طلحة والزبير بايعاك ولم اُبايعك ، وأمّا فضلك في الاسلام وقرابتك من رسول الله و موضعك من هاشم فلست أدفعه، والسلام .

قال : فكتب عليه السلام جوابه : من عبدالله عليّ أميرالمؤمنين إلى معاوية بن صخر أمّا بعد فإنّه أتاني كتابك كتاب امرىء ـ إلى قوله : خابطاً ، ثمّ يتصل به أن قال: زعمت أنّه إنّما أفسد عليّ بيعتك كما أصدروا ، «كذا» وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا يضربهم بعمى ، وأمّا مازعمت أنّ أهل الشام الحكّام على أهل الحجاز فهات رجلين من قريش الشام يقبلان في الشورى ارتحل لهما الخلافة ، فان زعمت ذلك كذّبك المهاجرون والأنصار ، وإلاّ فأنا آتيك بهما من قريش الحجاز . وأمّا ما ميّزت بين أهل الشام وأهل البصرة وبينك وبين طلحة والزبير فلعمري ماالأمر في ذلك إلاّ واحد .

قال : ثمّ يتصل به قوله لأنّها بيعة عامّة إلى آخره ، ثمّ يتّصل به : و أمّا فضلي في الاسلام وقرابتي من الرسول وشرفي في بنيهاشم فلو استطعت دفعه لفعلت والسلام .

قال : وأمّا قوله : أمّا بعد فقد أتتني ـ إلى قوله : بسوء رأيك ، فهو صدر

كتاب آخر أجاب به معاوية عن كتاب كتبه إليه بعد الكتاب الّذي ذكرناه،وذلك أنه لمّا وصل إليه هذا الكتاب من عليّ عليه السلام كتب إليه كتاباً يعظه فيه وصورته :

أمّا بعد فاتّق الله يا عليّ ودع الحسد فانه طالما ينتفع به أهله ، ولا تفسد سابقة قديمك بشرّ من حديثك فانّ الأعمال بخواتيمها ، ولا تلحدنّ بباطل في حقّ من لاحقّ لك في حقّه ، فانك إن تفعل ذلك لاتضلل إلاّ نفسك ، و لا تمحق إلاّ عملك ، ولعمري أنّ ما مضى لك من السوابق الحسنة لحقيقة أن تردّك و تردعك عمّا قد اجترأت عليه من سفك الدّماء و إجلاء أهل الحقّ عن الحلّ و الحرام فاقرأ سورة الفلق وتعوّذ بالله من شرّ ماخلق و من شرّ نفسك الحاسد إذا حسد قفل الله بقلبك ، وأخذ بناصيتك ، وعجّل توفيقك ، فانّي أسعدالناس بذلك،والسلام

قال : فكتب عليه السلام جوابه :

أمّا بعد فقد أتتني منك موعظة ـ إلى قوله : سوء رأيك ، ثمّ يتصل به و كتاب ليس ببعيد الشبه منك ، حملك عليّ الوثوب على ما ليس لك فيه حقّ ، ولولاعلمي بك وما قدسبق من رسول الله صلى الله عليه وآله فيك ممّا لامردّ له دون انفاذه إذن لوعظتك لكن عظتي لاتنفع من حقّت عليه كلمة العذاب ، ولم يخف الله العقاب ، ولا يرجوالله وقاراً ، ولم يخف له حذاراً ، فشأنك وما أنت عليه من الضلالة و الحيرة و الجهالة تجدالله ذلك بالمرصاد من دنيا المنقطعة وتمنّيك الأباطيل ، وقد علمت ماقال النبيّ صلّى الله عليه وآله فيك وفي أمّك وأبيك ، والسلام .

قال : وممّا ينبّه على أنّ هذا الفصل المذكور ليس من الكتاب الأوّل أنّ الأوّل لم يكن فيه ذكر موعظة حتّى يذكرها عليه السلام في جوابه ، غيرأنّ السيد رحمه الله ـ أضافه إلى هذا الكتاب كما هوعادته في عدم مراعاة ذلك و أمثاله . انتهى كلامه .

أقول : وكذلك نقل هذا الكتاب من معاوية أعني قوله : أمّا بعد فاتّق الله يا علي ودع الحسد ـ الخ . وجواب أمير المؤمنين عليه السلام عنه أعني قوله : أمّا بعد فقد أتتني منك موعظة موصّلة ـ الخ ، في بعض الجوامع أيضاً على الصورة الّتي

نقله الشارح البحراني .

وكذا ما نقلنا قبلهما من كتاب معاوية أعني قوله : من معاوية بن صخر إلى علي بن أبيطالب : أمّا بعد فلعمري لو بايعك القوم - الخ ، و جواب أمير المؤمنين عليه السلام عنه أعني قوله : من علي إلى معاوية بن صخر : أمّا بعد فقد أتاني كتاب امرىء ليس له نظر - الخ ، كانا في سائر نسخ الجوامع على تلك الصورة الّتي نقلناها والاختلاف يسير لايعبأ به .

ولكن نصر بن مزاحم المنقري قال في كتاب صفين (ص٥٩ من الطبع الناصري) إنّ معاوية كتب كتابه : أمّا بعد فاتّق الله ياعلي ودع الحسد فانه طالما ينتفع به الخ - جواباً عن كتاب آخر من أمير المؤمنين علي عليه السلام كتبه إلى معاوية وهو الكتاب الّذي جعله السيد رحمه الله الكتاب العاشر من بـاب المختار من كتبه ورسائله عليه السلام أوّله :وكيف أنت صانع إذاتكشّفت عنك جلابيب ما أنت فيه من دنيا قدتبهّجت بزينتها - الخ ، وسيجيء اختلاف النسخ وأقوال أُخر فيه أيضاً في شرحه إن شاء الله تعالى .

فهذا القول من نصر بن مزاحم يناقض ماذهب إليه الشارح البحراني ، ونصر كان من الأقدمين قد أدرك الامام سيّد الساجدين علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام وكان قريب العهد من واقعة صفين ، و كلّما أتى به في كتابه فهو الأصل في ذلك و كلّ من أتى بعده و كتب كتاباً في صفين أخذ عنه واقتبس منه جلّ المطالب المهمّة .

على أنّه نقل في جوامع الفريقين أنّه عليه السلام كتب كتاباً إلى معاوية جواباً عن كتاب آخر من معاوية إليه وفي ذلك الكتاب من أمير المؤمنين عليه السلام مذكور جميع ما أتى به السيّد في المقام أعني في هذا الكتاب السابع المعنون للشرح بلا زيادة ونقصان أجاب عليه السلام به عن الأباطيل الّتي أتى بها معاوية في كتابه إليه فاندفع ما أوردها الشارح البحراني بحذافيرها .

والحقّ أنّ كتابه عليه السلام : من علي إلى معاوية بن صخر: أمّا بعد فقد أتاني

كتاب امرىء ـ الخ ، المنقول آنفاً من نصر في صفين والمبرّد في الكامل والدينوري في الإمامة والسياسة ليس بمذكور في النهج وإن كان في بعض الجمل و العبارات مشاركاً لهذا الكتاب السابع ، وإن أبيت إلاّ جعلهما كتاباً واحداً فما اعترض الشارح البحراني على السيّد في المقام و ما زعم من أنّ هذا الكتاب ملفّق من صدر كتاب وذيل آخر فليس بصواب، فعليك بما كتب عليه السلام جواب كتاب معاوية :

« نسخة كتاب أمير المؤمنين على عليه السلام الى معاوية »
« جواباً عن كتاب كتبه معاوية اليه »

نقلهما غير واحد من رجال الأخبار والسير في جوامعهم . و نقلهما الفاضل الشارح المعتزلي في شرحه على النهج ، وقد كتبه عليه السلام إلى معاوية جواباً عن كتاب كتبه معاوية إليه عليه السلام في أواخر حرب صفين لمّا اشتدّ الأمر على معاوية وأتباعه وكادوا أن ينهزموا و يولّوا الدّبر .

وكان كتاب معاوية : من عبدالله معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبيطالب أمّا بعد فانّ الله تعالى يقول في محكم كتابه « ولقد أوحي إليك وإلى الّذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكونن من الخاسرين » .

وإنّي اُحذّرك الله أن تحبط عملك وسابقتك بشقّ عصا هذه الأمّة و تفريق جماعتها .

فاتّق الله واذكر موقف القيامة واقلع عمّا أسرفت فيه من الخوض في دماء المسلمين . وإنّي سمعت رسول الله يقول : لو تمالأ أهل صنعاء وعدن على قتل رجل واحد من المسلمين لأكبّهم الله على مناخرهم في النّار ، فكيف يكون حال من قتل أعلام المسلمين ، وسادات المهاجرين ، بله ما طحنت رحاء حربه من أهل القرآن وذي العبادة والإيمان من شيخ كبير ، وشابّ غرير ، كلّهم بالله تعالى مؤمن ، و له مخلص ، وبرسوله مقرّ عارف .

فان كنت أباحسن إنّما تحارب على الإمرة و الخلافة فلعمري لو صحّت خلافتك لكنت قريباً من أن تعذر في حرب المسلمين ، ولكنّها ما صحّت لك وأنّى

بصحتها وأهل الشام لم يدخلوا فيها ولم يرتضوا بها ، وخف الله وسطواته ، واتق بأسه ونكاله ، واغمد سيفك عن النّاس ، فقد والله أكلتهم الحرب فلم يبق منهم إلاّ كالثمد في قرارة الغدير ، والله المستعان .

فكتب أمير المؤمنين علي عليه السلام جواباً عن كتابه : من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان .

أمّا بعد فقد أتتني منك موعظة موصّلة ، ورسالة محبّرة ، نمّقتها بضلالك وأمضيتها بسوء رأيك ، وكتاب امرىء ليس له بصر يهديه ، ولا قائد يرشده ، دعاه الهوى فأجابه ، وقاده الضلال فاتّبعه ، فهجر لاغطاً ، وضلّ خابطاً .

فأمّا أمرك بالتقوى فأرجو أن أكون من أهلها ، وأستعيذ بالله من أن أكون من الّذين إذا امروا بها أخذتهم العزّة بالإثم .

وأمّا تحذيرك إيّاي أن يحبط عملي وسابقتي في الاسلام ، فلعمري لو كنت الباغي عليك لكان لك أن تحذّرني ذلك ، ولكنّي وجدت الله تعالى يقول « فقاتلوا الّتي تبغي حتّى تفيء إلى أمر الله » فنظرنا إلى الفئتين ما الفئة الباغية فوجدناها الفئة الّتي أنت فيها ، لأنّ بيعتي بالمدينة لزمتك و أنت بالشام كما لزمتك بيعة عثمان بالمدينة وأنت أمير لعمر على الشام ، وكما لزمت يزيد أخاك بيعة أبي بكر وهو أمير لأبي بكر على الشام ، وأمّا شقّ عصا هذه الاُمّة فأنا أحقّ أن أنهاك عنه ، فأمّا تخويفك لي من قتل أهل البغي فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني بقتالهم و قتلهم وقال لأصحابه : إنّ فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ، وأشار إليّ وأنا أولى من اتّبع أمره .

وأمّا قولك إنّ بيعتي لم تصحّ لأنّ أهل الشام لم يدخلوا فيها ، كيف وإنّما هي بيعة واحدة تلزم الحاضر و الغائب ، لايستثنى فيها النظر ، ولا يستأنف فيها الخيار ، الخارج منها طاعن ، والمروّي فيها مداهن ، فاربع على ظلعك ، وانزع سربال غيّك ، واترك ما لاجدوى له عليك ، فليس لك عندي إلاّ السيف حتّى تفيء إلى أمر الله صاغراً ، وتدخل في البيعة راغما ، والسلام .

المعنى

قوله عليه السلام : (فقد أتتني منك موعظة موصّلة) كأنما شبّه عليه السلام كتابه بثوب موصّل أي مرقّع والمراد أنّها ملفّقة من كلمات مختلفة و جمل غير مناسبة وصل بعضها ببعض .

أوالمراد أنها موعظة مجموعة ملتقطة من ألفاظ الناس ، لا أنّها من منشآته وممّا تكلّم بها مرتجلاً ، وكأنّما المعنى الأوّل أظهر .

قوله عليه السلام : (ورسالةمحبّرة) أي أتتني منك رسالة أتعبت نفسك في تقريرها وزيّنت ألفاظها بالتكلّف والتصنّع ، لما دريت في بيان اللّغة أنّ المحبّر من يحسّن الشعر والخطّ وغيرهما ، وبالجملة فيه إشارة لطيفة إلى أنّ الرّجل كان في ميدان الكلام راجلاً لامرتجلاً .

قوله عليه السلام : (نمّقتها بضلالك)قد بيّنا في الاعراب أنّ الباء هذه سببيّة ، والمعنى أتتني رسالة زيّنتها وزوّقتها بسبب ضلالك ، وسرّ ذلك أنّ كلّ فعل إذا لم يكن على اعتقاد وحقيقة لايقع في محلّه على ما ينبغي ، ولايصدر من الفاعل على ترتيب حسن و نظم متين ، لأنّه عمل قسريّ خارج عن سجيّة الطبع واقع بالتكلّف فلا يرجى منه حسن الوقوع والنضد ، نظير ما قاله أبوالحسن عليّ بن محمّد التهاميّ :

ومكلّف الأيّام ضدّ طباعها متطلّب في الماء جذوة نار

فاذا لابدّ لهذا العامل من أن غير طويّة الطبع أن ينمّق عمله ثانياً و يزيّنه ليقرب من موقع ما وقع بغير تكلّف .

فنقول : لمّا كان معاوية عالماً بأنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان على بيّنة من ربّه ، وأنّ الحقّ كان معه عليه السلام حيث دار كان كتابه الّذي كتبه إليه عليه السلام على التكلّف والتصنّع لامحالة ، فلولاضلاله عن الحقّ لما يحتاج كتابه إلى التنميق لأنّه كان كتاباً صادراً بالطبع ولم يكن مضطرباً مشوشاً حتّى يلوح منه أثر الكلفة المحتاج إلى التزيين .

قوله عليه السلام : (وأمضيتها بسوء رأيك) أي أنفذت تلك الرسالة وبعثتها إليّ بسبب سوء رأيك بي ،ومن سوء رأيه به اختلق عليه عليه السلام بأنه قتل عثمان وأعرض عن

إجماع المهاجرين والأنصار في المدينة على بيعته عليه السلام للخلافة وفعل ما فعل .

قوله عليه السلام : (وكتاب امرىءٍ ليس له بصر يهديه ـ إلى قوله : خابطاً) عطف على موعظة أي أتاني كتاب امرىءٍ ليس له عقل يهديه إلى الحقّ أي يقوده إليه والهادي هو الّذي يتقدّم فيدلّ ، والحادي هو الّذي يتأخّر فيسوق .

وإنما حملنا البصر على العقل لا العين لأنّ العقل هو لطيفة مجرّدة إلهيّة وجوهرة ثمينة نورانيّة ربّانيّة يقود الانسان إلى الرّشاد ، و يهديه إلى السداد ويدعوه إلى الاتصاف بالصفات الإلهيّة ، والتخلّق بالأخلاق الرّبوبيّة، لأنّ العقل ما عبد به الرّحمن واكتسب به الجنان ، فمن لم يكن له نور العقل ينجيه من المهالك ، فلاجرم يتّبع الجهل والهوى ، لأنّ بعد الحقّ ليس إلاّ الضلال ، وبعد نور العقل ليس إلاّ ظلمة الجهل قال عزّ من قائل : « وماذا بعد الحقّ إلاّ الضلال » (يونس ـ ٣٣) .

وكما أنّ العاقل يتفوّه وينطق بما يعنيه وهو في أقواله وأعماله على الصراط السويّ ، والنهج القويم كذلك تابع الهوى لفقدان بصيرته وعميان سريرته لابدّ أن يهجر ويهذي في نطقه ويضلّ عن سبيل الله في فعله وقوله لاقتضاء الهوى ذلك

ففاقد البصر يجيب داعي الهوى ويتّبع قائد الضلال فيلزمه أن يهجر لاغطاً ويضلّ خابطاً، وبذلك ظهر سرّ قول أمير المؤمنين علي عليه السلام كما رواه الصدوق رضوان الله عليه في الخصال : المؤمن يتقلب في خمسة من النور : مدخله نور ، ومخرجه نور ، وعلمه نور ، وكلامه نور ، ومنظره يوم القيامة إلى النور .

« بحث روائى مناسب للمقام »

رواه ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني قدّس سرّه في اُصول الكافي :أحمد ابن إدريس ، عن محمد بن عبدالجبّار ، عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : ما العقل ؟ قال : ما عبد به الرّحمن ، واكتسب به الجنان ،قال: قلت : فالّذي كان في معاوية ؟ فقال : تلك النكراء تلك الشيطنة وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل .

بيان: سأل أباعبدالله عليه السلام سائل عن معرفة العقل، ولمّا كان درك حقيقته وعرفان ذاته للسائل في غاية الصعوبة والتعسّر جدّاً، بل قد أعجز الحكماء الراسخين وتحيّر عقول المتألّهين النيل إلى عرفان ذاته ولذا تحيّروا في تحديده و اختلفوا فيه، عرّفه ببعض آثاره و خواصّه، وهذا تعريف بالرّسم في اصطلاح أهل الميزان.

قال المحقّق الطوسيّ في أوائل شرحه على منطق الإشارات للشيخ الرئيس: قد يختلف رسوم الشيء باختلاف الاعتبارات، فمنها ما يكون بحسب ذاته فقط ومنها ما يكون بحسب ذاته مقيساً إلى غيره كفعله أو فاعله أو غايته أو شيء آخر مثلاً يرسم الكوز بأنه وعاء صفريّ أوخزفيّ كذا و كذا وهو رسم بحسب ذاته، وبأنه آلة يشرب بها الماء، وهو رسم بالقياس إلى غايته و كذا في سائر الاعتبارات. انتهى كلامه.

فنقول: تعريفه عليه السلام العقل في الحديث بأنّه ما عبد به الرّحمن و اكتسب به الجنان رسم له بغايته فإنّ ما ينبغي للسائل أن يعرفه أو يتأتّى له عرفانه هذا الرّسم له نحو قوله تعالى: «يسئلونك عن الأهلّة قل هي مواقيت للنّاس والحجّ» (البقره آية ١٨٧).

وإنّما رسمه بذلك لأنّ اقتضاء العقل الناصع أعني المجرّد عن شوائب الأُمور المادّيّة الدّنيويّة الموجبة لبعده عن ساحة جناب الرّبّ جلّ جلاله هو ميله وارتقاءه إلى الله تعالى، لأنه من عالم الأمر يرتقي بالطبع إليه كما أنّ الحجر مثلاً بالطبع يهبط إلى مكانه الطبيعي له قضاء لحكم الجنسيّة، ونعم ما أشار إليه العارف الرّوميّ:

ذرّه ذرّه كاندرين أرض وسما است جنس خود را همچو كاه و كهربا است
جان گشايد سوي بالا بالها تن زده اندر زمين چنگالها

ولذا يستلذّ العقل من استفاضته من عالم القدس، ويقوي ويتّسع وجوداً من إفاضة الاشراقات النّوريّة الإلهيّة عليه، فمقتضى طويّته وسجيّته التقرّب إلى

الله تعالى واتّصافه بصفاته العلياء ، فهو الهادي إليه تعالى ، ولذا قال عليه السلام : ماعبد به الرّحمن لأنّ العبادة فرع المعرفة ولذا فسّروا قوله تعالى : «وما خلقت الجنّ والانس إلاّ ليعبدون» (الذاريات ـ ٥٧) بقولهم: ليعرفون، فبالعقل يعرف الله ويعبد فهو مبدء جميع الخيرات الموجبة للسعادة الأبديّة ، فبه يكتسب الجنان لما دريت من أنّ العقل يهدي إلى سواء السبيل ، فالعاقل على الجادة الوسطى والطريقة المثلى لايسلك مسلكي الإفراط والتفريط ، بل يعمل ما هو رضى الله تعالى .

ولذا قال الامام أبوعبدالله جعفر بن محمّد الصادق كما رواه ثقة الإسلام الكليني في اُصول الكافي : من كان عاقلاً كان له دين ومن كان له دين دخل الجنّة .

فينتج على هيئة قياس منطقي شرطي اقتراني من أعلى ضروب الشكل الاوّل فمن كان عاقلاً دخل الجنّة .

ثمّ إنّ قوله عليه السلام: ما عبد به الرّحمن ، إشارة إلى كمال القوّة النظريّة وقوله عليه السلام: وا كتسب به الجنان إلى العقل العملي ، لأنّ الأوّل مقدّم بالرّتبة على الثاني كما عرفت ، وبالقوّة النظريّة يعلم المعارف الكليّة الإلهيّة، والأحكام الشرعيّة . والأخلاق الحسنة ، وبالثانية يعمل بها، وهاتان القوّتان بمنزلة جناحين للعقل يطير بهما من حضيض الناسوت إلى أوج القدس .

وقد تظافرت الأخبار في العقل وآثاره وخواصّه بعبارات عذبة لطيفة علميّة من خزنة العلم أئمّتنا عليهم السلام أتى بجلّها المحدّث العالم الخبير الثقة الكلينيّ رضوان الله عليه في الكافي وجعل كتابه الأوّل في العقل والجهل ، ومن تأمّل علم أنّ تلك الأخبار علوم لدنيّة فاضت من سحاب وجود الّذين هم وسائط الفيض بين الله تعالى وعباده .

ثمّ السائل سأله عليه السلام عن الّذي كان في معاوية بقوله: قلت :فالّذي كان في معاوية أي فالّذي كان في معاوية مـا هو على أن يكون الموصول مبتداء حذف خبره. وفي بعض النسخ كما في مرآة العقول للمجلسي ـره فما الّذي كان في معاوية فعلى هذه النسخة فلايحتاج إلى تقدير الخبر.

وبالجملة : أنّ السائل لما رأى جربزة معاوية ودهاه و مكره و احتياله في الأمور وطلب الفضول في الدّنيا التبس عليه الأمر فزعم أنّ تلك الرّويّة الرّديّة الدنيّة الدنيويّة كانت في معاوية عقلاً فعدّه من العقلاء كما يزعم الجهّال لبعدهم عن الأنوار العلميّة من كان له شيطنة في اقتراف الأغراض الشهوانيّة والزّخارف الدّنياويّة عاقلاً ، فأجابه عليه السلام دفعاً لالتباسه و توضيحاً لمسألته أنّ تلك القوّة الحاكمة على معاوية هي النكراء .

والنّكراء بفتح الأوّل وسكون الثاني الدهاء والفطنة والمنكر ، قال الجوهريّ في الصحاح : النّكر « بضم الأوّل وسكون » المنكر . قال الله تعالى : « لقد جئت شيئاً نُكراً » (الكهف ــ ٧٥) وقد يحرّك مثل عُسر وعُسُر . قال الشاعر : وكانوا أتوني بشيء نُكر ، والنّكراء مثله . انتهى قوله .

أقول : والمنكر كلّ فعل وقول تقبّحهما العقول الصحيحة الناصعة أوما تعجز عن درك استحسانه واستقباحه فتتوقف فيه فيحكم بقبحه الشرع ، فالنكراء كلّ ماقبّحه العقل أو الشرع .

ثمّ أعاد عليه السلام اسم الإشارة تأكيداً وتنصيصاً بأنّ تلك القوّة النكراء شيطنة أي الأفعال البارزة من معاوية ليست ممّا يأمره العقل لأنّ العقل يسلك إلى ما فيه عبادة الرّحمن واكتساب الجنان ، و كلّ ما ليس كذلك فلا يأمر به بل ينكره وينهى عن ارتكابه ، ومنهيّات العقل و منكراته ما يوسوس بفعلها الشيطان السائق إلى التمرّد والعصيان .

ولمّا كان الجهّال رأوا أنّ علل المعلولات المختلفة تجب أن تكون مختلفة وزعموا بالقياس أنّ الآثار المتقاربة والمعلولات المتشابهة تجب أن تكون مستندة إلى العلل المتشابهة أيضاً ، وما زادهم ذلك القياس إلاّ بعداً عن الحقّ . ولذا يعدّون معاوية و أشباهه السفهاء من العقلاء ، بيّن الإمام عليه السلام بأنّ المعلولات المتشابهة قد تكون مستندة إلى العلل المختلفة أيضاً . فمجرّد اشتراك القوّتين في بعض الآثار كجلب نفع ودفع ضرّ و سرعة التفطّن وجودة الحدس و أمثالها لايوجب

اتّحادهما حقيقة، لأنّ المنافع مثلاً قد تتعلّق بالدُّنيا كما قد تتعلّق بالآخرة فالنفع الّذي يجلبه معاوية إلى نفسه مشوب بالهوى، قاده إليه الشيطنة و الضلال وهو عند اُولي الألباب منكر محض وضررصرف، فأين هذا من ذاك ؟! ولذاقال عليه السلام : هي شبيهة بالعقل، وآكده توضيحاً وصرّح به ثانياً بقوله : و ليست بالعقل، فبينهما بون بعيد ومسافة كثيرة. و حرف التعريف في العقل للعهد أي ليست تلك القوّة الشيطنة النكراء هي تلك اللّطيفة النّوريّة الإلهيّة ، أي العقل الّذي عرّفناه بالرّسم بأنّه ماعبد به الرّحمن واكتسب به الجنان.

قال الجاحظ في البيان والتبيين (ص ٢٥٨ ج ٣ طبع مصر ١٣٨٠ﻫ) : قيل لشريك بن عبدالله : كان معاوية حليماً ، قال : لوكان حليماً ماسفه الحقّ ولاقاتل عليّاً ، و لو كان حليماً ما حمل أبناء العبيد على حُرَمه و لَما أنكح إلّا الأكفاء.

قوله عليه السلام : (لأنها بيعة واحدة ـ الخ) هذا ردٌّ على كلام معاوية حيث قال في كتابه المقدّم ذكره : فلعمري لوصحّت خلافتك لكنت قريباً من أن تعذر في حرب المسلمين ولكنّها ما صحّت لك وأنّى بصحّتها وأهل الشام لم يدخلوافيها ولم يرتضوا به.

وبيان الرّدّ إنّما هو على حذو ما قدّمنا في شرح الكتاب السادس من أنه عليه السلام احتجّ على الخصم بما كان يعتقد من أنّ أمر الإمامة و مبنى الخلافة إنّما هو بالبيعة دون النصّ فألزم معاوية بما أثبت به هو والناس خلافة أبي بكر وعمر وعثمان من أنّ أهل الشورى من المهاجرين والأنصار وهما أهل الحلّ والعقد من اُمّة محمد صلى الله عليه وآله ، كما اتّفقت كلمتهم على خلافة الثلاث واتّبعهم الناس ولم ينكروا عليهم ولم يكن للشاهد أن يختار غير من اختاروا ، ولا للغائب أن يردّ من بايعوه للإمامة بل إن خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردُّوه إلى ما خرج منه، فان أبى قاتلوه على اتّباعه غيرسبيل المؤمنين ، كذلك اتّفاقهم على إمامته عليه السلام بعد عثمان حجّة على الشاهد والغائب ، فلايجوز لمعاوية و أتباعه من

أهل الشام أن يردّوا من نصبه أهل الحلّ والعقد من المهاجرين والأنصار لأنّها بيعة واحدة لايثنّى فيها النظر ولا يستأنف فيها الخيار كما كان الأمر في بيعة الناس مع الثلاث كذلك، فقد أهجر معاوية في قوله : وأنّى بصحّتها وأهل الشام لم يدخلوا فيها و لم يرتضوا بها .

قوله عليه السلام : (الخارج منها طاعن) أي الخارج من البيعة طاعن فيما اتّفق عليه كلمة أهل العقد والحلّ وإجماعهم، فعليهم أن يردّوه إلى ما خرج منه فان أبى فعليهم أن يقاتلوه . كأنّما إشارة إلى قوله تعالى : « و إن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمّة الكفر إنّهم لا أيمان لهم لعلّهم ينتهون » (التوبة -١٢) .

قوله عليه السلام : (والمروّي فيها مداهن) أي الّذي يتفكّر و يرتأي في صحّة البيعة بعد تحقّقها واستقرارها خادع خائن منافق .

الترجمة

اين يكي از نامه هاى أمير المؤمنين علي عليه السلام است كه در جواب نامهٔ معاويه نوشت وبسويش ارسال داشت . اين نامهٔ معاويه وجواب آن در أواخر جنگ صفين وقوع يافت وصورت آن چنين است :

چون معاويه ديد كه على وسربازانش درصفين عرصه را براو وپيروانش چنان تنگ كردند كه راه گزيرى جز گريز برايشان نمانده بود بدر عجز در آمده نامه اى باين مضمون به أمير المؤمنين نوشت :

اين نامه ايست كه بندهٔ خدا معاوية بن أبي سفيان به عليّ بن أبيطالب نوشت أمّا بعد خداوند در كتاب استوارش فرمود « لقد اُوحي اليك وإلى الّذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكونن من الخاسرين » (الزّمر: ٦٥) أي پيغمبر بتو وبه پيغمبران پيش ازتو وحي شد كه اگر شرك آوري عملت تباه خواهد شد ومن تورا أى على از خدا تحذير مينمايم وبيم ميدهم كه مبادا عمل وسابقه ات در اسلام بايجاد شكاف در وحدت اُمّت وپرا كنده كردن جماعتشان كه همسنگ شرك

است تباه شود . پس از خدا بترس وموقف قیامت را بیاد آر وازریختن خون اینهمه مسلمانان دست بدار که من ازپیغمبر شنیدم اگر أهل صنعاء وعدن بر کشتن مسلمانی همدست شوند خداوند همهٔ آنانرا برو در آتش جهنم دراندازد ، پس چگونه خواهد بود حال کسیکه اینهمه أعلام مسلمین و بزرگان مهاجرین را کشته است .

أي علی دست بدار ازجنگی که چون آسیا اینهمه از أهل قرآن و عبادت کنندگان وأفراد با ایمان از پیر وجوان که مؤمن مخلص و مقرّ و عارف بخدا وپیغمبرش بودند آرد کرده است .

أي أبوالحسن اگر ازآنروي خویشتن را أمیر و خلیفه میپنداري جنگي این چنین روا میداری ، بجانم سوگند که اگر خلافت توصحیح بوقوع می‌پیوست گویا جای آن بود که توان گفت در ریختن خون مسلمانان معذور باشی ، ولکن چگونه بصحّت رسیده باشد با اینکه أهل شام دربیعت تو درنیامدند و بدان راضي نشدند . بترس از خدا و قهرش ، و بپرهیز از سخت گیری و گوشمال دادنش وشمشیر را از روی مردم درغلاف نه که آتش جنگ مردمان را در ربود ، واز آن دریا لشکر باندازهٔ مشت آبي در تك گودالی بیش نمانده ،خدا مستعان است .

أمیرالمؤمنین عليه السلام درجواب اونوشت :

این نامه‌ایست از بندهٔ خدا علي أمیرمؤمنان بمعاویة پوربوسفیان . أمّابعد نامه ای بأندرز از تو بما آمده که عبارات آن ازگفتار این وآن چون جامهٔ پینه دار بهم بردوخته ، ونوشته ای بتکلّف انشاء شده بألفاظ نا مربوط آراسته بود آنرا بگمراهی خود زینت داده ای و بـاندیشهٔ بد خود فرستاده ای (در شرح گفته ایم که هرعمل در لباس حقیقت نباشد ناچار باید آنرا بیارایند تـا بظاهر رنگ حقیقتش دهند ودر معرض ترویجش درآورند) .

نامهٔ مردي که نه بصیرتی دارد تا هدایتش کند ونه رهبري تاارشادش نماید هوای نفس دعوتش کرد ، واوهم إجابتش ، گمراهي افسار او را دردست گرفت واو نیز درپیش روان شد ، از این‌روی ژاژ خایید ویاوه گفت و بـانگ بیهوده

بر آورد .

أمّا آنكه مرا بتقوى خوانده اى اميد وارم كه اهل آن بوده ، و پناه ميبرم كه از كسانى باشم چون بتقوى دعوت شوند حميّت آنانرا بگناه بدارد (اشاره است بآية كريمهٔ ٢٠٧ سورهٔ بقره : « و اذا قيل له اتّق الله أخذته العزّة بالإثم فحسبه جهنّم ولبئس المهاد) .

وأمّا پاسخ بيم دادنت مرا ازخدا كه مبادا عمل وسابقهٔ من در اسلام تباه شود اينكه بجانم سوگند اگر برتو ستمكار بودم حق داشتى كه مرا تحذير كنى و بيم دهى، ولكن مى‌بينم كه خدا ميفرمايد «فقاتلوا الّتي تبغي حتّى تفيىء إلى أمر الله» (الحجرات ــ ٩) يعني پس كارزار كنيد باآن فرقه اي كه ستم ميكنند تا بأمر خدا برگردند ، وفرقهٔ ستم كننده كسانى اند كه تو در آنهائي چه بيعت مردم با من درمدينه برتو نيز كه درشام بودى لازم شد چنانكه بيعت با عثمان در مدينه برتو كه ازطرف عمر أمير شام بودى لازم شده بود ، وچنانكه برادرت يزيد را كه ازطرف أبوبكر أميرشام بود بيعت أبوبكر لازم شده بود (كذا) .

أمّا پاسخ ايجاد شكاف در وحدت اُمّت اينكه من سزاوارترم كه تورا ازآن نهى كنم (زيرا كه معاويه آتش فتنه بپا كرد ومردم را باختلاف وقتال كشانيد).

أمّا پاسخ ترساندنت‌مرا از كشتن ستمكاران اينكه پيغمبر صلى الله عليه وآله مرا بكار زار باآنان و كشتنشان امر كرد وفرمود « إنّ فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله وأشار إليّ » يعنى در ميان شما كسى است كه بر تأويل قرآن قتال ميكند چنانكه من برتنزيل آن قتال كردم وإشاره بسوى من فرمود كه آن كس علي است .

وأمّا پاسخ گفتارت كه بيعت صحيح بوقوع نپيوست از آنروي كه شاميان بيعت نكردند اينكه آن يك بيعت‌است وبرحاضروغائب لازم ، نظردرآن‌دونميشود واستيناف درآن راه‌ندارد، هركه ازآن سرپيچيد وُبدر رفت طعن در بيعت وآئين مسلمانان زد، وهر كه‌درآن انديشه ناك ودو دل است خائن ومنافق است .

(احتجاج امام عليه السلام برسبيل مماشاة بآنچه خصم بدان معتقد است ميباشد وگرنه درامام عصمت شرط است كه بايد از جانب خدا ورسول منصوص ومنصوب باشد چنانكه درشرح كتاب ششم گفته ايم) .

أي معاويه آرام گير ، وجامهٔ گمرهي از تن بدر كن ، وآنچه كه درآن تورا سودى نيست ترك گوي ، وبراي تو در نزدم جز شمشير چيزى نيست تا اينكه بأمرخدابر گردي ، وبذلّت در بيعت در آئي ، درودبر آنكه سزاوارش است.

ومن كتاب له عليه السلام الى جرير بن عبدالله البجلى لما أرسله الى معاوية، وهو الكتاب الثامن من باب المختار من كتبه عليه السلام و رسائله

أَمّا بَعْدُ فَإِذا أَتاكَ كِتابي فَاحْمِلْ مُعاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ ، وَ خُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ ، ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ ، أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ [أَوْ سِلْمٍ مُحْظِيَةٍ ـ خ ل] فَإِنِ اخْتارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ ، وَ إِنِ اخْتارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ ، وَ السَّلامُ .

اللغة

(فاحمل معاوية على الفصل) يقال : حمله على الأمر إذا أغراه به . والفصل القطع أي إبانة أحد الشيئين من الآخر حتّى تكون بينهما فرجة يقال : فصلت الشيء فانفصل أي قطعته وانقطع . والقضاء بين الحقّ والباطل من حيث إنه يفصّل بين الحقّ والباطل، ومنه قوله تعالى « إنّه لقول فصل » (الطارق ـ ١٤) أي فاصل قاطع، وحديث وفد عبدالقيس : فمرنا بأمر فصل، أي لا رجعة فيه ولا مردّ كما في النّهاية الأثيريّة .

وقوله تعالى « هذا يوم الفصل » (المرسلات ـ ٣٨) أي اليوم يبيّن الحقُ من الباطل ويفصّل بين الناس بالحكم، فالمراد: فاحمل معاوية على الحكم القطعيّ من الطاعة أو العصيان ويقرب منه معنى قوله : (وخذه بالأمر الجزم) يقال : جزم الأمر أي قطع به قطعاً لاعودة فيه . تقول : أمرته أمراً جزماً وهذا حكم جزم و حلف يميناً جزماً ، فالمراد : خذه بالأمر المقطوع به إمّا الحرب أو السّلم .

(مجلية) من الإجلاء وهو الإخراج من الوطن قهراً . يقال: أجلى فلان القومَ عن بلدهم وديارهم إذا أخرجهم عنها قهراً .

(مخزية) أي مهينة مذلّة فاضحة من الخزي بالكسر فالسكون بمعنى الهوان والذُّل يقال : أخزاه إخزاءً إذا أوقعه في الخزي ، وأخزى الله فلاناً أي فضحه .

وفي نسخة نصر في كتاب صفين الآتي ذكرها : محظية . من الحظوة بضمّ الحاء و كسرها ، والحظة كالعدة : المكانة والحظ من الرّزق يقال : أحظاه أي جعله ذا حظوة، وأحظاه به أي تفضّل عليه به ، وروي أيضاً : مجزية ، بالجيم أي كافية .

(فانبذ إليه) نبذت الشيء من يدي من باب ضرب إذا طرحته ورميت به . قال أبو كبير الهذلي (الحماسة ١٢) :

و إذا نبذت له الحصاة رأيته فزعاً لوقعتها طمُور الأخيَل

والنبذ أيضاً إلقاء الخبر إلى من لايعلمه . وقال الفيوميُّ في المصباح : نبذت العهد لهم نقضته : وقوله تعالى : « فانبذ إليهم على سواء » (الأنفال ـ ٦١) معناه إذا هادنت قوماً فعلمت منهم النقض للعهد فلاتوقع بهم سابقاً إلى النقض حتّى تعلمهم أنّك نقضت العهد ، فيكون في علم النقض مستويين ثمّ أوقع بهم .

الاعراب

الفاء الأولى جواب أما ، والثانية جواب إذا ، والثالثة للتفصيل ، والأخيرتان جوابا الشرط كالأولين . مجلية صفة للحرب والحرب تؤنّث وقدتذكّر ، قال الله تعالى : « حتّى تضع الحرب أوزارها » (سورة محمد ـ ٦) . قال الجوهريُّ في الصحاح قال المبرّد : الحرب قدتذكّر وأنشد :

وهو إذا الحرب هفا عقابه　　مرجم حرب تلتقي حرابه

قال الخليل : تصغيرها حريب بلاهاء رواية عن العرب، قال المازني : لأنّه في الأصل مصدر وقال الفيومي في المصباح : إنّما سقطت الهاء كيلا يلتبس بمصغّر الحربة الّتي هي كالرمح .

مخزية صفة للسّلم قال الجوهري في المصباح: السّلم : الصلح ، يفتح ويكسر ويذكّر ويؤنّث قال الله تعالى : « وإن جنحوا للسّلم فاجنح لها » (الأنفال-٦٤) وفي أقرب الموارد : ويؤنّث حملاً على نقيضه الحرب و قال بعض أهل الأدب : تأنيث الحرب باعتبار المحاربة والسّلم للمسالمة .

ضمير إليه يرجع إلى معاوية . والسلام مبتداء وخبره محذوف ، أي والسلام لأهله ككتابه الآتي بعد هذا . أو والسلام على من اتّبع الهدى و نحوهما .

« سند الكتاب »

رواه نصر بن مزاحم المنقري في كتاب صفين (ص ٣٢ من الطبع الناصري) عن محمّد بن عبيدالله وصالح بن صدقة مسنداً ، وعلى نسخة نصر كان مكان قوله عليه السلام (أوسلم مخزية) أوسلم محظية ، ومكان قوله (فانبذ إليه) فانبذ له .

ونقل الكتاب ابن قتيبة الدّينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ في الإمامة والسياسة على صورة اُخرى ، قال : وذكروا أنّ عليّاً كتب إلى جرير :أمّا بعد فانّ معاوية إنّما أراد بما طلب ألاّ يكون لي في عنقه بيعة وأن يختار من أمره ما أحبّ ، وقد كان المغيرة بن شعبة أشار عليّ و أنا بالمدينة أن أستعمله على الشام فأبيت ذلك عليه ولم يكن الله ليراني أتّخذ المضلّين عضداً ، فان بايعك الرّجل وإلاّ فأقبل (ص٩٥ ج ١ طبع مصر ١٣٧٧هـ) .

أقول : قد ذكرنا هذا الكتاب في شرح الكتاب السابع منقولاً عن كتاب صفين لنصر بن مزاحم . وبين النسختين اختلاف في الجملة . ثمّ يمكن أن يكون أنه عليه السلام أرسل إلى جرير في تلك الواقعة كتابين أو أنهما كانا كتاباً واحداً فتشتّت كما ذكرنا نبذاً من نظائره فلا حاجة إلى جعلهما كتاباً واحداً . و نقل هذا الكتاب

المجلسيُّ رحمه‌الله في البحار عن كتاب صفين لنصر أيضاً (ص ٤٧٠ ج ٨ من الطبع الكمباني) .

المعنى

قال أبوالعباس المبرّد في الكامل (ص ١٩٠ ج ١ من طبع مصر، أوّل الباب ٢٧) : وجّه عليُّ بن أبي‌طالب عليه السلام إلى معاوية يأخذه بالبيعة له فقال له : إنّ حولي من ترى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من المهاجرين و الأنصار ، و لكنّي اخترتك لقول رسول الله صلى الله عليه وآله فيك : خير ذي يمن : ائت معاوية فخذه بالبيعة . فقال جرير : والله يا أميرالمؤمنين ما أدّخرك من نصرتي شيئاً و ما أطمع لك في معاوية . فقال‌عليٌّ عليه السلام : إنّما قصدي حجّة اُقيمها عليه .

وقال اليعقوبيُّ في التاريخ (ص ١٦٠ ج ٢ طبع النجف ١٣٥٨ ه) : خرج عليٌّ عليه السلام من البصرة متوجّهاً إلى الكوفة وقدم الكوفة في رجب سنة ستّ وثلاثين وكان جرير بن عبدالله على همذان فعزله ، فقال لعليّ عليه السلام : وجّهني إلى معاوية فانّ جلّ من معه قومي فلعلّي أجمعهم على طاعتك . فقال له الأشتر : ياأميرالمؤمنين لاتبعثه فانّ هواه هواهم . فقال : دعه يتوجّه فان نصح كان ممّن أدّى أمانته ، وإن داهن كان عليه وزر من اؤتمن ولم يؤدّ الأمانة و وثق به فخالف الثقة وياويحهم مع من يميلون ويدعونني فوالله ما أردتهم إلاّ على إقامة حقّ ، ولايريدهم غيري إلاّ على باطل .

قال المبرّد : فلمّا أتى جرير معاوية دافعه معاوية فقال له جرير : إنّ المنافق لايصلّي حتّى لايجد من الصّلاة بُدّاً ، ولاأحسبك تبايع حتّى لاتجد من البيعة بُدّاً ، فقال له معاوية : إنّها ليست بخدعة الصبيّ عن اللّبن ، إنه أمر له ما بعده فابلعني ريقي .

فناظر عمراً ـ يعني عمرو بن العاص ـ فطالت المناظرة بينهما ، و ألحّ عليه جرير فقال له معاوية : ألقاك بالفصل في أوّل مجلس إن‌شاء الله تعالى . ثمّ نقل كتاب معاوية إلى أميرالمؤمنين عليه السلام و جوابه عليه السلام عن كتابه كما ذكرناهما في

شرح الكتاب السابع .

وقد نقلنا عن نصر في شرح الكتاب السابق أنّ جريراً أبطأ عند معاوية حتّى اتّهمه النّاس ، وقال عليّ عليه السلام: وقتّ لرسولي وقتاً لايقيم بعده إلاّ مخدوعاً أوعاصياً وأبطأ على عليّ عليه السلام حتّى أيس منه .

قال نصر : وفي حديث محمّد بن عبيدالله و صالح بن صدقة قالا : و كتب عليّ عليه السلام إلى جرير بعد ذلك : أمّا بعد فإذا أتاك كتابي ـ الخ .

وبالجملة لما أتى جرير معاوية يأخذه بالبيعة لأمير المؤمنين عليه السلام سوّف معاوية وما طل في البيعة ولمّا رأى أمير المؤمنين عليه السلام ذلك كتب إليه ذلك الكتاب

قوله عليه السلام : (فإذا أتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل و خذه بالأمر الجزم) يعني لاتترك معاوية يسوّف في البيعة ويماطلك بها وتدعك حيران لاتدري كيف يعامل بك ، بل احمله على الحكم القطعي والأمر المقطوع به إمّا أن يدخل في الطاعة فيبايع ، وإمّا أن يأذن بالحرب .

قوله عليه السلام : (ثمّ خيّره بين حرب مجلية أو سلم مخطية) لا يخفى حسن صنيعته عليه السلام حيث أمر جريراً أن يوقع معاوية بين الخوف و الرجاء و التخويف والاستعطاف أي إن عصى و تمرّد عن البيعة فلابدّ له من أن يحاربنا و الحرب تجليه عن الّتي اتّخذها وطناً وهي الشام .

وهذا تهديد وتفزيع له بأنّه إن اختار الحرب يجليه جنود الحقّ أي أنصار أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وأعوانه عن بلده قهراً ، فإسناد الإجلاء إلى الحرب مجاز وإن أسلم فاختار السلم والصلح فاعزاز وإفضال باطاعته ،فنسبة الإحظاء إلى السلم مجاز أيضاً فتفسير كلامه عليه السلام على هذا الوجه بيّن لاغبار عليه ولا يخلو من لطف .

وأمّا على نسخة المخزية ، بالزاء فقيل : السلم المخزية الصلح الدّالّ على العجز والخطل في الرأي الموجب للخزي .

والظّاهر أنّ مراده من هذا التفسير هو ما ذكره الفاضل الشارح المعتزلي حيث قال : وإنّما جعل السلم مخزية لأنّ معاوية امتنع أوّلاً من البيعة ، فاذا

دخل في السلم فإنّما يدخل فيها بالبيعة ، وإذا بايع بعد الامتناع فقد دخل تحت الهضيم ورضى بالضيم ، وذلك هو الخزي .

أقول : وعلى هذه النسخة عرّض أمير المؤمنين عليه السلام له في قوله هذا بأنه سواء كان بايع أم لم يبايع مهان ذليل مقهور ، لأنّه إن بايع فالسلم تخزيه، وإن أبى واستكبر وأذن بالحرب فالحرب تجليه ، و أمّا على رواية الجيم فواضح .

قوله عليه السلام : (فان اختار الحرب ـ الخ) هذا تفصيل لقوله : ثمّ خيّره . أي إذا خيّرته بين الحرب والسلم فإن اختار الحرب فارمها إليه . وإن اختار السلم فخذ بيعته . والسلام لأهله .

أو أنّ قوله عليه السلام : فانبذ إليه ، إشارة إلى قوله تعالى : « وإمّا تخافنّ من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إنّ الله لا يحبّ الخائنين » (الأنفال ـ ٦١) وذلك أنّ المراد من الخيانة في الآية نقض العهد بدليل سياق الآيات المتقدّمة عليها ونظمها في ذلك ، وإجماع المفسرين عليه .

والآيات المتقدّمة قوله تعالى : « إنّ شرّ الدّوابّ عند الله الّذين كفروا فهم لا يؤمنون ۞ الّذين عاهدت منهم ثمّ ينقضون عهدهم في كلّ مرّة وهم لا يتّقون ۞ فامّا تثقفنّهم في الحرب فشرّد بهم من خلفهم لعلّهم يذّكّرون ۞ وإمّا تخافنّ » الآية والنّبذ إلقاء الخبر إلى من لا يعلمه . و بمعنى نقض العهد أيضاً كما مرّ .

فمعنى الآية : وإن خفت من قوم معاهدين أي قوم بينك وبينهم عهد لأنّ نقض العهد يدلّ على تقدّم العهد ، نقض العهد لم يظهر منهم بعد ، وذلك لأنّ قوله تعالى : وإن خفت ، يدلّ على عدم ظهوره بل يخاف ذلك منهم بامارات تلوح فيه فانبذ إليهم على سواء، أي ألق إليهم العهد الّذي بينك وبينهم ، يعني أعلمهم جهاراً وأخبرهم إخباراً مكشوفاً بأنّك قد نقضت ما شرطت لهم على سواء ، أي على سواء في العلم بمعنى أن يكون الفريقان متساويين في العلم بنقض العهد ، أو معناه على طريق قصد مستو في العداوة وهذا يرجع إلى الأوّل أيضاً .

و بالجملة أمره الله تعالى أن لا يبدأ القوم بالقتال و هم على توهّم بقاء العهد

بل يعلمهم إعلاماً مكشوفاً بنقض العهد أو لا ثم يوقع بهم، فان المناجزة قبل الاعلام به خيانة ، إن الله لايحب الخائنين .

فالمراد من قوله عليه السلام : فان اختار الحرب فانبذ إليه ، أن معاوية إن اختار الحرب فاطرح إليه عهد الأمان وأعلنه أنت بالحرب أيضاً مجاهراً وأخبره إخباراً مكشوفاً من غير مداهنة حتى يتم الحجة عليه باعلام نقض العهد ولا يتوهم متوهم أن مناجزتنا إياه كانت خيانة وخدعة .

إن قلت : لم يكن بينه عليه السلام وبين معاوية عقد عهد حتى يستفاد هذا المعنى من قوله عليه السلام ، فكيف التوفيق ؟.

قلت : قد احتج أمير المؤمنين عليه السلام في الكتاب السادس عليه بأن أهل الشورى من المهاجرين والأنصار لما اجتمعوا على خلافته و إمامته كان ذلك الاجماع لله تعالى رضى وحجة على الغائب والشاهد كما في الخلفاء الذين سبقوه عليه السلام بالزمان حتى لو خرج من إجماعهم خارج بطعن أو بدعة كانوا يردونه على ما خرج منه فان أبى قاتلوه .

وقد بينا في شرح ذلك الكتاب أن هذا الاحتجاج إنما كان على سبيل المماشاة و الالزام ، وفي اصطلاح أهل الميزان على طريق القياس الجدلي ، فلزم معاوية وأتباعه على قبول خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وإمامته والتسليم والانقياد لأمره على ما عاهده عليه أهل الحل والعقد من أمة محمد صلى الله عليه وآله كما لزمهم قبول خلافة من سبق منه والتسليم لهم، فوقع بين أمير المؤمنين عليه السلام و بين معاوية عهد .

« جرير بن عبدالله البجلى من هو ؟ »

قال ابن الأثير في اسد الغابة : جرير بن عبدالله بن جابر البجلي أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله بأربعين يوماً ، وكان حسن الصورة . وقال النبي صلى الله عليه وآله لما دخل عليه جرير فأكرمه : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه . وكان له في الحروب بالعراق القادسية وغيرها أثر عظيم . ومات في قرقيسيا ، وقيل : مات بالسراة ، و روى عنه بنوه: عبيدالله ، والمنذر ، وابراهيم، وروى عنه قيس بن أبي حازم ، والشعبي ، وهمام

ابن الحارث، وأبو وائل ، وأبو زرعة بن عمرو بن جرير وغيرهم . وأرسله رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى ذي الخلصة وهي بيت فيه صنم لخثعم ليهدمه ، فخرج في مائة وخمسين راكباً من قومه فأحرقها .

ثمّ روى ابن الأثير باسناده عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله صلّى الله عليه وآله ليلة البدر فقال : إنّكم ترون ربّكم يوم القيامة كما ترون هذا لاتضامون في رؤيته .

قال : وتوفي جرير سنة إحدى وخمسين ، وقيل : سنة أربع وخمسين. انتهى ما أردنا من نقل كلام ابن الأثير في ترجمة جرير ملخّصاً .

قال نصر في صفّين (ص ١٧ من الطبع الناصري) : عن عمر بن سعد ، عن نمير بن وعلة ، عن عامر الشعبي أنّ عليّاً عليه السلام حين قدم من البصرة نزع جريراً عن همدان ، فجاء حتّى نزل الكوفة فأراد عليّ عليه السلام أن يبعث إلى معاوية رسولا فقال له جرير : ابعثني إلى معاوية فانه لم يزل لي مستنصحاً وودّاً نأتيه فأدعوه على أن يسلّم لك هذا الأمر ويجامعك على الحقّ على أن يكون أميراً من اُمرائك وعاملاً من عمّالك ما عمل بطاعة الله واتّبع ما في كتاب الله ، وأدعو أهل الشام إلى طاعتك وولايتك ، وجلّهم قومي وأهل بلادي وقد رجوت أن لايعصوني .

قال: فقال له الأشتر : لاتبعثه ودعه ولا تصدّقه فوالله إنّي لأظنّ هواه هواهم ونيّته نيّتهم .

فقال له عليّ عليه السلام : حتّى ننظر مايرجع به إلينا .

نصر : صالح بن صدقة باسناده قال (ص ٣٤) : لمّا رجع جرير إلى عليّ عليه السلام كثر قول الناس في التهمة لجرير في أمر معاوية ، فاجتمع جرير والأشتر عند عليّ عليه السلام فقال الأشتر : أما والله يا أمير المؤمنين لو كنت أرسلتني إلى معاوية لكنت خيراً لك من هذا الّذي أرخا من خناقه وأقام حتّى لم يدع باباً يرجو روحه إلاّ فتحه ، أو يخاف غمّه إلاّ سدّه .

فقال جرير : والله لو أتيتهم لقتلوك، وخوّفه بعمرو وذي الكلاع وحوشب

ذي ظليم وقد زعموا أنك من قتلة عثمان .

فقال الأشتر : لوأتيته والله ياجرير لم يعيني جوابها ولم تثقل علي محملها ولحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن الفكر. قال : فأتهم إذاً . قال : الآن وقد أفسدتهم و وقع بينهم الشر .

نصر عمر بن سعد ، عن نمير بن وعلة ، بن عامر الشعبي قال : اجتمع جرير والأشتر عند علي عليه السلام فقال الأشتر : أليس قد نهيتك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريراً و أخبرتك بعداوته و غشه ، و أقبل الأشتر يشتمه و يقول : يا أخا بجيلة إن عثمان اشترى منك دينك بهمدان ، و الله ما أنت بأهل أن تمشي فوق الأرض حياً ، إنما أتيتهم لتتخذ عندهم يدك بمسيرك إليهم ثم رجعت إلينا من عندهم تهددنا بهم، وأنت والله منهم ،ولاأرى سعيك إلا لهم، ولئن أطاعني فيك أمير المؤمنين ليحبسنك و أشباهك في محبس لاتخرجوا منه حتى تستبين هذه الأمور، ويهلك الله الظالمين.

قال جرير : وددت والله أنك كنت مكاني بعثت إذاً والله لم ترجع . قال : ولما سمع جرير ذلك لحق بقرقيسا ولحق به أناس من قيس فسر من قومه ولم يشهد صفين من قيس غير تسعة عشر ، ولكن أحمس شهدها منهم سبع مأة رجل ، و خرج علي إلى دار جرير فشعث منها ، وحرق مجالسه وخرج أبوزرعة بن عمرو ابن جرير فقال : أصلحك الله إن فيها أرضاً لغير جرير ، فخرج علي منها إلى دار ثوير بن عامر فحرقها وهدم منها وكان ثوير رجلاً شريفاً وكان قد لحق بجرير.

قال : وقال الأشتر فيما كان من تخويف جرير إياه بعمرو وحوشب ذي ظليم و ذي الكلاع :

لعمرك يا جرير لقول عمرو و صاحبه معاوية الشامي
و ذي كلع وحوشب ذي ظليم أخف علي من زف النعام
إذا اجتمعوا علي فخل عنهم و عن باز مخالبه دوام
فلست بخائف ماخوفوني و كيف أخاف أحلام النيام
و همهم الذي حاموا عليه من الدنيا و همي ما أمامي

فان أسلم أعمّهم بحرب يشيب لهو لها رأس الغلام
وإن اهلك فقد قدّمت أمراً أفوز بفلجه يوم الخصام
وقد زادوا إليّ و أوعدوني ومن ذامات من خوف الكلام

والمنقول عن ابن قتيبة في المعارف أنّ جريراً قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله سنة عشر من الهجرة في شهر رمضان فبايعه و أسلم ، و كان طوالاً ينقل في ذروة البعير من طوله ، وكانت نعله ذراعاً ، وكان يخضب لحيته بالزّعفران من اللّيل ويغسلها إذا أصبح، فتخرج مثل لون التبر، واعتزل علياً عليه السلام ومعاوية وأقام بالجزيرة و نواحيها حتى توفّي بالشراة سنة أربع و خمسين في ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة .

و في شرح المعتزلي عند شرح قوله عليه السلام : أما أنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم مند حق البطن ـ الخ: أنّ أشعث بن قيس الكندي وجرير بن عبدالله البجلي يبغضانه وهدم عليٌ عليه السلام دار جرير بن عبدالله ،قال إسماعيل بن جرير: هدم عليٌ عليه السلام دارنا مرّتين .

وروى الحارث بن حضيرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دفع إلى جرير بن عبدالله نعلين من نعاله وقال : احتفظ بهما فإنّ ذهابهما ذهاب دينك ، فلما كان يوم الجمل ذهبت إحداهما، فلمّا أرسله عليٌ عليه السلام إلى معاوية ذهبت الاُخرى . ثمّ فارق علياً عليه السلام واعتزل الحرب.

((بحث حكمى عقلى فى ابطال رؤيته تعالى))

« بالابصار فى الدنيا والاخرة ويتبعه بحث روائى فى ذلك »

ما روى ابن الأثير عن جرير من حديث الرؤية أوجب علينا البحث عن معنى الرؤية وتحقيقها في المقام ، فانّ ظاهر الرواية يزلّ الأقدام عن صوب الصواب.

قال ابن الأثير فى مادّة « ضمم » من النهاية : في حديث الرؤية :لاتضامون في رؤيته ' يروى بالتشديد و التخفيف ، فالتشديد معناه لاينضمّ بعضكم إلى بعض تزدحمون وقت النظر إليه ، و يجوز ضمّ التاء و فتحها على تفاعلون و تتفاعلون

و معنى التخفيف لاينالكم ضيم في رؤيته فيراه بعضكم دون بعض ، والضيم : الظلم.

قال الشهرستاني في الملل والنحل عند ترجمة الطائفة الحائطية (ص ٢٨ طبع ايران ١٢٨٨ هـ) : و من ذلك أصحاب أحمد بن حائط ، وكذلك الحدثيّة أصحاب فضل الحدثي كانا من أصحاب النظام ، وطالعا كتب الفلاسفة أيضاً ، وضمّا إلى مذهب النظام ثلاث بدع - إلى أن قال : البدعة الثالثة حملهما كلّما ورد في الخبر من رؤية الباري تعالى مثل قوله صلى الله عليه وآله « إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته » على رؤية العقل الأوّل الّذي هو أوّل مبدع ، وهو العقل الفعّال الّذي منه تفيض الصور على الموجودات ، وإيّاه عنى النبيّ صلى الله عليه وآله : أوّل ما خلق الله العقل فقال له : أقبل فأقبل ، ثمّ قال له : أدبر فأدبر ، فقال وعزّتي وجلالي ماخلقت خلقاً أحسن منك ، بك أُعزّ وبك أُذلّ ، وبك أعطي ، وبك أمنع ، فهو الّذي يظهر يوم القيامة و ترتفع الحجب بينه و بين الصور التي فاضت منه ، فيرونه كمثل القمر ليلة البدر ، فأمّا واهب العقل فلا يرى ألبتّة ولا يشبّه إلّا مبدع . انتهى ماأردنا من نقل كلامه .

واعلم أنّما تشعّبت الآراء في رؤيته تعالى على أقوال و كادت أن تنتهي إلى أكثر من عشرة أقوال ، فذهبت الحكما و الإماميّة و المعتزلة إلى استحالة رؤيته تعالى بالأبصار في الدّنيا و الآخرة ، لتجرّده تعالى ، وهذا هو المذهب المختار الحقّ ذهب إليه جلّ الحكماء المتألّهين، والعلماء الشامخين ، و بذلك شهد العقل وحكم به جميع الأنبياء و المرسلين ، ونطق القرآن الكريم ، و تواترت الأخبار عن أئمّتنا الهدى صلوات الله عليهم أجمعين، وسنذكر طائفة من تلك الأخبار وشرحها بعون الله تعالى .

وإنما قيّدنا الرؤية بالأبصار لأنّ الرؤية إذا كانت بمعنى الشهود العقلي والحضور العلمي والانكشاف التام بالبصيرة القلبيّة لا بالبصر الحسيّ والخيالي فلا كلام في صحّتها ووقوعها للكمّلين من الموحّدين كما سيتّضح لك في البحث الآتي عن الأخبار إنشاء الله تعالى .

و ذهبت المجسّمة و الكرامية إلى جواز رؤيته بالبصر مع المواجهة فقالت الكرامية والحنابلة : يرى في جهة فوق .

قال الشهرستاني في الملل والنحل عندترجمة الفرقة المشبهة (ص ٤٨ طبع ايران ١٢٨٨ ﻫ) : و أمّا مشبّه الحشويّة فحكى الأشعري عن مّحمد بن عيسى أنه حكى عن مضر و كهمش وأحمد الهجيمي أنهم أجازوا على ربّهم الملامسة والمصافحة و أنّ المخلصين من المسلمين يعانقونه في الدّنيا و الآخرة إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حدّ الإخلاص والاتّحاد المحض .

و حكى الكعبي عن بعضهم أنه كان يجوّز الرؤية في الدّنيا و أن يزوروه و يزورهم .

و حكى عن داود الجواري أنه قال : اعفوني عن الفرج و اللّحية واسألوني عمّا وراء ذلك و قال : إنّ معبوده جسم و لحم و دم وله جوارح و أعضاء من يد ورجل و رأس و لسان و عينين و اُذنين ، و مع ذلك جسم لا كالأجسام ، و لحم لا كاللّحوم ، ودم لا كالدّماء، و كذلك سائر الصفات ، و هو لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شيء .

و يحكى عنه أنه قال : هو أجوف من أعلاه إلى صدره ، مصمت ماسوى ذلك وأنّ له وفرة سوداء ، وله شعر قطط .

و أمّا ماورد في التنزيل من الاستواء واليدين و الوجه و الجنب و المجيء والاتيان والفوقيّة و غير ذلك فأجروها على ظاهرها أعني مايفهم عند الإطلاق على الأجسام . و كذلك ماورد في الأخبار من الصورة في قوله عليه السلام : خلق الله آدم على صورة الرّحمن . و قوله : حتى يضع الجبّار قدمه في النار . و قوله : وضع يده أو كفّه على كتفي فوجدت (حتّى وجدت ـ خ ل) بردأنامله بين ثديي (على كتفي ـ خ ل) إلى غير ذلك أجروها على ما يتعارف في صفات الأجسام .

ثمّ قال : وزادوا في الأخبار أكاذيب و ضعوها و نسبوها إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله وأكثرها مقتبسة من اليهود ، فإنّ التشبيه فيهم طباع حتّى قالوا : اشتكت عيناه

فعادته الملائكة و بكى على طوفان نوح عليه السلام حتّى رمدت عيناه . و أنّ العرش ليأط من تحته كأطيط الرّحل الحديد ، و أنه ليفضل من كل جانب أربع أصابع .

وروت المشبّهة عنه صلى الله عليه وآله أنه قال : لقيني ربّي فصافحني و كافحني و وضع يده بين كتفي حتّى وجدت بردأنامله في صدري . انتهى ما أردنا من نقل كلامه.

والأشاعرة مع أنهم اعتقدوا تجرّده تعالى قالوا بصحّة رؤيته ، وخالفوا بذلك جميع العقلاء ، و لذا قالوا : إنه تعالى يرى لا كما قال هؤلاء القائلون بجسميّته بل يرى وليس فوقاً، ولاتحتاً، ولايميناً ، ولاشمالاً ، و لاأماماً ، ولاوراء، ولايرى كلّه ولابعضه ، ولاهو في مقابلة الرائي ، ولامنحرفاً عنه ،ولايصحّ الإشارة إليه إذا رإي ومع ذلك يرى ويبصر.

قال بعض الأشاعرة : فقال :ليس مرادنا بالرّؤية الانطباع أوخروج الشعاع بل الحالة الّتي تحصل من رؤية الشيء بعد حصول العلم به ،وتحذلق بعضهم فقال : معنى الرّؤية هو أن ينكشف لعباده المؤمنين في الآخرة انكشاف البدر المرئي . نقلهما الفاضل المقداد في شرحه الموسوم بالنافع يوم الحشرفي شرح الباب الحادي عشر للعلامة الحلّي قدّس روحهما .

و ذهب ضرار بن عمرو إلى أنّ الله تعالى يرى يوم القيامة بحاسّة سادسة لابهذا البصر .

وقال قوم : يجوز أن يحوّل الله تعالى قوّة القلب إلى العين فيعلم الله تعالى بها ، فيكون ذلك الإدراك علماً باعتبار أنّه بقوّة القلب ، و رؤية باعتبار أنّه قد وقع بالمعنى الحالّ في الغير .

ثمّ القائلون برؤيته يوم القيامة اختلفوا في أنه هل يجوز أن يراه الكافر ؟ فقال أكثرهم : إنّ الكفّار لا يرونه ، لأنّ رؤيته كرامة والكافر لا كرامة له . وقالت السالميّة وبعض الحشويّة : إنّ الكفار أيضاً يرونه يوم القيامة .

و ذهب قوم إلى أنّهم لايزالون يرون الله تعالى و أنّ الناس كلّهم كافرهم

ومؤمنهم يرونه ولكن لايعرفونه. وتحذلق بعضهم فقال :لايجوز أن يرى بعين خلقت للفناء ، وإنّما يرى في الآخرة بعين خلقت للبقاء .

هذه نبذة من الأقوال والآراء في رؤيته تعالى وقد تمسّك كلّ فرقة بظاهر بعض الآيات و الأخبار ، ولم يقدروا على الخروج من حكم الوهم إلى قضاء العقل والتمييز بينهما كما أشار إليه المحقّق خواجه نصير الدّين الطوسيّ في كتابه قواعد العقائد حيث قال : و عند أهل السنة إنّ الله تعالى يصحّ أن يرى مع امتناع كونه في جهة من الجهات ، و احتجّوا لها بالقياس على الموجودات المرئيّة و بنصوص القرآن و الحديث ، انتهى ما أردنا من نقل كلامه .

ثمّ إنا لو تعرّضنا لهدم بنيان ما تمسّك بها كلّ فرقة على البسط والتفصيل لطال بنا الخطب و لخرجنا عن موضوع الكتاب ، ولكن نذكر طائفة من الأصول الكليّة العقليّة الهادمة لما أسّسوا وبنوا عليها تلك الآراء الردّية ثمّ نعقّبها بذكر ماروي عن أئمّتنا المعصومين عليهم السلام لأنّ مقالاتهم موازين القسط في كلّ باب، وفيصل الخطاب في كلّ حكم لأولي الألباب .

و اعلم أنّ المعتمد في اُصول الايمان هو العقل فقط و النقل إن وافقه وإلاّ فان كان له محمل صحيح من وجوه الاستعارات و الكنايات و غيرهما المتداولة في لسان العرب أو غيرهم المؤيّدة بالشواهد و القرائن الّتي لها وجه وجيه وأدركناها فنحمله عليه ، و إلاّ إمّا نتوقّف في تفسيره و تقريره كما لو كانت آية من آي القرآن المخالفة بظاهرها لحكم العقل الصريح ولم نصل إلى فهم مراده ، ولكنّا نعلم أنّ ظاهرها ليس بمراد كما نعلم أنّ لها معنى صحيحاً لو رزقنا إدراكه وجدناه معاضداً لحكم العقل ، وإمّا نعرض عنه كالخبر الواحد المخالف للعقل و القرآن .

وهدانا إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمّتنا عليهم السلام فقد روى الشيخ أبو الفتوح الرازي في تفسيره حديثاً عن النبى صلى الله عليه وآله : إذا أتاكم عنّي حديث فاعرضوه على كتاب الله وحجّة عقولكم ، فان وافقهما فاقبلوه ، وإلاّ فاضربوا به عرض الجدار.

و في باب الأخذ بالسنّة و شواهد الكتاب من الكافي رويت عدّة روايات في

ذلك عن أهل بيت العصمة و الطهارة حذّروا الناس عن أخذ ماخالف كتاب‌الله،منها: عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني،عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ على كلّ حقّ حقيقة وعلى كلّ صواب نوراً ،فماوافق كتاب‌الله فخذوه ، وماخالف كتاب‌الله فدعوه .

محمّد بن يحيى ،عن عبدالله بن محمّد ، عن عليّ بن الحكم ، عن أبان بن‌عثمان عن عبدالله بن أبي يعفورقال :وحدّثني حسين بن أبي‌العلاء أنه حضرابن أبي‌يعفور في هذا المجلس قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن اختلاف الحديث يرويه من تثق به ، ومنهم من لاتثق به ، قال : إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أومن قول رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإلاّ فالذي جاءكم به أولى به .

عدّة من‌أصحابنا عن‌أحمد بن‌محمّدبن خالد ، عن‌أبيه ، عن‌النضربن سويد ، عن يحيى الحلبي ، عن أيوب بن الحرّ قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : كلّ شيء مردود إلى الكتاب والسنّة ، و كلّ حديث لايوافق كتاب الله فهو زخرف.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ،عن ابن فضّال ، عن عليّ بن‌عقبة عن أيّوب بن راشد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : مالم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف .

محمّد بن اسماعيل ،عن الفضل بن شاذان ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن الحكم و غيره عن أبي عبدالله عليه السلام قال:خطب النبيّ صلى الله عليه وآله بمنى فقال : أيّهاالناس ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا قلته ، وماجاءكم يخالف كتاب‌الله فلم أقله .

وفي باب اختلاف الحديث والحكم من‌الكافي باسناده عن أبان بن أبي‌عياش عن سليم بن‌قيس الهلالي، قال : قلت لأميرالمؤمنين عليه السلام : إنّي سمعت من‌سلمان والمقداد و أبي‌ذرّ شيئاً من تفسير القرآن و أحاديث عن نبيّ الله غير ما في أيدي الناس ، ثمّ سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ، و رأيت‌في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن و من الأحاديث عن نبيّ الله‌أنتم تخالفونهم فيها و تزعمون‌أنّ ذلك كلّه باطل ، أفترى الناس يكذبون على رسول‌الله صلى الله عليه وآله متعمّدين و يفسّرون

القرآن بآرائهم ؟

قال : فأقبل عليه السلام عليّ فقال : قد سألت فافهم الجواب إنّ في أيدي الناس حقّاً وباطلاً ، و صدقا و كذباً ، و ناسخاً و منسوخاً ، و عامّاً وخاصّاً ، ومحكماً ومتشابهاً ، و حفظاً و وهماً ، و قد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتّى قام خطيباً فقال : أيّها الناس قد كثرت عليّ الكذّابة فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار ، ثمّ كذب عليه من بعده و إنّما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس :

رجل منافق يظهر الايمان متصنّع بالاسلام لا يتأثّم و لايتحرّج أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمّداً فلو علم الناس أنّه منافق كذّاب لم يقبلوا منه ولم يصدّقوه ، ولكنّهم قالوا :هذا قد صحب رسول الله صلى الله عليه وآله ورآه وسمع منه فيأخذون عنه وهم لايعرفون حاله ، وقد أخبر الله عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم فقال تعالى : « و إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم » ثمّ بقوا بعده فتقرّبوا إلى أئمّة الضلال والدّعاة إلى النار بالزّور والكذب والبهتان فولّوهم الأعمال ، وحملوهم على رقاب الناس ،وأكلوا بهم الدّنيا ، وإنّما الناس مع الملوك والدّنيا إلاّ من عصم الله ، فهذا أحد الأربعة .

و رجل سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً لم يحمله على وجهه ووهم فيه ولم يتعمّد كذباً فهو في يده يقول به ويعمل به ويرويه فيقول: أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلوعلم المسلمون أنّه وهم لم يقبلوه ، ولوعلم هو أنّه و هم لرفضه . الى آخر ما أفاد عليه السلام .

وأتى بهذه الرواية الرّضي - ره - في باب الخطب من نهج البلاغة والصدوق في الباب الخامس والأربعين من رسالته في الاعتقادات وإنما أردنا نقل هذا المقدار من كلامه عليه السلام ليعلم أنّ الكذّابة قد كثرت على رسول الله صلى الله عليه وآله و أنّ هولاء المتكذبين اختلقوا الأخبار ، و افتروا على الله و رسوله فلا يكون كلّ خبر مرويّ على حياله حجّة إلاّ ما يوافقه شاهد صادق كالعقل والقرآن والأحاديث الصحيحة.

و أوضح منه في مقصودنا هذا ماروي عن الحسن بن الجهم، عن الرضا عليه السلام أتى به الفيض قدّس سرّه في باب اختلاف الحديث والحكم من الوافي (ص ٦٦ ج ١) قال: قلت له عليه السلام: يجيئنا الأحاديث عنكم مختلفة، قال: ماجاءك عنّا فاعرضه على كتاب الله عزّوجلّ و أحاديثنا فان كان يشبههما فهو منّا و إن لم يشبههما فليس منّا. الحديث.

وقال ثقة الإسلام أبوجعفر الكليني قدّس سرّه في أوائل الكافي:

يا أخي أرشدك الله أنه لايسع أحداً تمييز شيء مما اختلف الرواية فيه عن العلماء عليهم السلام برأيه إلاّ على ما أطلقه العالم عليه السلام بقوله: اعرضوها على كتاب الله فما وافق كتاب الله عزّوجلّ فخذوه، و ما خالف كتاب الله فردّوه.

و قال العالم الرّبانيّ أبوجعفر محمّد بن بابويه الملقب بالصّدوق قدّس سرّه الشريف في الباب الأوّل من رسالته في الاعتقادات:

اعلم أنّ اعتقادنا في التوحيد أنّ الله تعالى واحد ليس كمثله شيء، قديم لم يزل ولايزال سميعاً، بصيراً، عليماً، حكيماً، حيّاً، قيّوماً، عزيزاً، قدّوساً عالماً، قادراً، غنيّاً، لايوصف بجوهر، ولاجسم، ولاصورة، ولاعرض، ولاخط ولاسطح، ولاثقل، و لاخفّة، ولاسكون، ولاحركة، ولامكان، ولازمان فانّه تعالى متعال من جميع صفات خلقه خارج عن الحدّين حدّ الابطال و حدّ التشبيه وأنه تعالى شيء لاكالأشياء، أحد صمد لم يلد فيورث، ولم يولد فيشارك، ولم يكن له كفواً أحد، ولاندّ له، ولاضدّ، ولاشبه، ولاصاحبة، ولامثل، ولانظير، ولاشريك له، لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، ولاالأوهام و هويدركها، لاتأخذه سنة ولانوم، و هواللّطيف الخبير، خالق كلّ شيء لاإله إلاّهو له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين، و من قال بالتشبيه فهو مشرك، و من نسب إلى الاماميّة غيرما وصف في التوحيد فهو كاذب، و كلّ خبر يخالف ماذكرت في التوحيد فهو موضوع مخترع، و كلّ حديث لايوافق كتاب الله فهو باطل، و إن وجد في كتب علمائنا فهومدلّس والأخبار الّتي يتوهّمها الجهّال تشبيهاً لله تعالى بخلقه فمعانيها محمولة

على ما في القرآن من نظائرها ؛ إلى آخر ما قال .

أقول : لله درّه فانه ـ ره ـ أجاد و أفاد بما قضى به العقل الصريح والنقل الصحيح ، إلاّ أنه رحمه‌الله ذهب إلى أنّ من قال بالتشبيه فهو مشرك .

فان عنى بذلك الشرك المصطلح عند المتشرّعة بأن يكون قائله كافراً بحيث يترتّب عليه أحكامه من النجاسة و عدم حلّ ذبيحته و سائر أحكامه التي دوّنت في الكتب الفقهيّة كما هو ظاهر كلامه ـ ره ـ فلا نسلّم ، لأنّ القائل برؤيته تعالى بالأبصار مثلاً و إن كان شبّهه تعالى بالجسم و أثبت له صفات المخلوق المركّب المرئيّ إلاّ أنّه ذهب إليه من غير شعور بتلك التوالي الفاسدة و اللّوازم الباطلة غير اللائقة بذاته تعالى ، ولو تنبّه بها أعرض عنها ، و ذلك القائل أطاع الوهم من حيث لا يشعر فأضلّه السبيل حيث رأى أنّ الأرض و الماء والكواكب و غيرها مرئيّة محسوسة أو قابلة للرؤية ، قاده الوهم إلى أنّ كلّ ما هو موجود فهو مرئيّ محسوس فالله تعالى موجود فتصحّ رؤيته و ما درى أنّ ذلك القول ينتهي إلى التركيب و الافتقار و سائر صفات الجسم في الله تعالى ولم يعلم من الشرع أنّ القائل بما تترتّب عليه لوازم غير بيّنة من حيث لا يشعر مأخوذ ومحكوم بأحكام تلك اللوازم الشرعيّة ، بل المعلوم خلافه ، نعم لو كانت اللّوازم بيّنة و مع ذلك مال إليها وشبّهه تعالى بما يعلم تواليه الفاسدة المترتّبة على رأيه يمكن أن يقال إنه مشبّه مشرك كافر.

وإن عنى معناه اللّغوي العاري عن الأحكام الشرعيّة توسّعاً، أو أنّ هذا قول المشرك و هو لا يعلم به أو نظائر هذين الوجهين فلا كلام فيه إلاّ أنّ نحو هذا القائل ليس بمشرك كافر .

و قال ـ ره ـ في باب ما جاء في الرؤية من كتابه القيّم المفيد في التوحيد (ص ١٠٨ طبع ايران ١٣٢١ هـ) : والأخبار الّتي رويت في هذه المعنى ـ يعني في الرؤية ـ صحيحة و إنما تركت إيرادها في هذا الباب خشية أن يقرؤها جاهل بمعانيها فيكذب بها فيكفر بالله عزّوجلّ وهو لا يعلم .

و الأخبار التي ذكرهـا أحمد بن محمّد بن عيسى في نوادره و الّتي أوردها محمّد بن أحمد بن يحيى في جامعه في معنى الرّؤية صحيحة لا يردّها إلّا مكذّب بالحقّ أو جاهل به ،وألفاظها ألفاظ القرآن، ولكلّ خبر منها معنى ينفي التشبيه والتعطيل و يثبت التوحيد و قد أمرنا الأئمّة صلوات الله عليهم أن لا نكلّم الناس إلّا على قدر عقولهم .

ومعنى الرّؤية الواردة في الأخبار العلم ، وذلك أنّ الدّنيا دار شكوك وارتياب و خطرات فإذا كان يوم القيامة كشف للعباد من آيات الله و اُموره في ثوابه وعقابه مايزول به الشكوك ويعلم حقيقة قدرة الله عزّوجلّ ، و تصديق ذلك في كتاب الله عزّوجلّ : « لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد» (ق ـ ٢٢) .

فمعنى ما روي في الحديث أنه عزّوجلّ يرى أي يعلم علماً يقينيّاً كقوله عزّوجلّ « ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظلّ » (الفرقان ـ ٤٥) وقوله تعالى : « ألم تر إلى الّذي حاجّ إبراهيم في ربّه » (البقرة ـ ٢٥٨) وقوله تعالى: « ألم تر إلى الّذين خرجوا من ديارهم وهم اُلوف حذر الموت »(البقرة ـ ٢٤٣) و قوله تعالى: « ألم تر كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل » (الفيل ـ٢) وأشباه ذلك من رؤية القلب وليست من رؤية العين . إلى آخر ما أفاد قدّس سرّه و إنّما نقلنا موضع الحاجة من كلامه .

أقول : قوله ـره ـ فيكفر بالله عزّوجلّ وهو لايعلم ، كأنّما أراد به المعنى الثاني من المعنيين المتقدّمين فلا بأس أن يجعل كلامه في التوحيد قرينة على حمل كلامه في الاعتقادات على ذلك أيضاً ، أي و من قـال بالتشبيه فهو مشرك وهو لايعلم .

فنقول : إنّ مايدرك بالقوّة الباصرة لابدّ من أن يكون جسماً كثيفاً ، لأنّ للرّؤية شروطاً.

فمنها أن يكون المرئي مقابلاً للرائي أو في حكم المقابل ، والثاني كرؤية

الانسان وجهه في المرآة ورؤية الأعراض ، لأنّ المقابل حقيقة هو الجسم واعراضه مقابلة للرائي بالتبع فهي في حكم المقابل .

و منها عدم البعد المفرط .

و منها عدم القرب المفرط .

و منها عدم الصغر المفرط .

و منها عدم الحاجب بين الرائي والمرئي .

و منها أن يكون المرئيّ مضيئاً إمّا من ذاته أومن غيره .

و منها أن يكون المرئيّ كثيفاً أي مانعاً للشعاع من النفوذ فيه فلو لم يكن كثيفاً لايمكن رؤيته .

سواء قيل : إنّ الابصار بخروج الشعاع من العين على هيئة مخروط رأسه عند مركز البصر و قاعدته عند سطح المبصر.

إمّا يكون ذلك المخروط مصمتاً أومركباً من خطوط شعاعيّة مستقيمة أطرافه الّتي يلي البصر مجتمعة عند مركزه ثمّ تمتدّ متفرّقة إلى البصر ، فماينطبق عليه من المبصر أطراف تلك الخطوط أدركه البصر و ما وقع بين أطراف تلك الخطوط لم يدركه .

و إمّا لم يكن الشعاع مخروطاً أصلاً بل هوخطّ مستقيم خارج من العين فاذا انتهى إلى المرئيّ تحرّك على سطحه في جهتي طوله وعرضه حركةً في غاية السرعة ويتخيّل بحركته هيئة مخروطة كما يتخيّل القطر النازل خطاً مستقيماً و النقطة الدائرة بسرعة خطاً مستديراً ، وهذا قول الرياضيّين ذهب إلى كلّ واحدة من الشعب المذكورة طائفة منهم .

و سواء قيل : إنّ الابصار بالانطباع و هومذهب الطبيعيّين وهوالمختار عند أرسطو وأتباعه كالشيخ الرئيس حيث اختاره في الشفاء .

أوقيل : إنّ المشف الذي بين البصر و المرئي يتكيّف بكيفيّة الشعاع الّذي هو في البصر و يصير بذلك آلة للإبصار كماذهب اليه طائفة من الحكماء.

أوقيل: لاانطباع ولاشعاع وإنّما الابصار بمقابلة المستنير للباصرة فيقع حينئذ

للنفس علم اشراقيٌّ حضوريٌّ على المبصر كما مـال إليه الشيخ الاشراقي شهاب الدّين السهروردي .

أو أنّ الابصار بانشاء صورة مماثلة له بقدرة الله من عالم الملكوت النفساني مجرّدة عن المادّة الخارجيّة حاضرة عند النفس المدركة قائمة بها قيام الفعل بفاعله لاقيام المقبول بقابله .

و بالجملة أنّ المحسوس لكلّ حاسّة هو الصورة الادراكيّة المفارقة عن المادّة، لاالّتي هي في مادّة جسمانيّة ومع ذلك لابدّ في الابصارمن مقابلة البصر لمايقع صورته عند القوّة المدركة والبصر، ومن تحقّق سائر شروط الرؤية كماذهب إليه المولى صدرالمتألّهين في السفر الرابع من الأسفار. وحجّة كلّ طائفة مذكورة في محالّها ولسنا الآن في ذلك المقام .

وقد أشارإلى تلك الآراء في كيفية الابصار الحكيم السبزواريّ قدّس سرّه في غرر الفرائد بقوله منظوماً :

قد قيل الابصار بالانطبـاع　　و قيل بالخارج من شعاع
مضطرب الآخر أو مخروطي　　مصمت أو ألّف من خطوط
لدى الجليديّة رأسه ثبت　　قاعدة منه على المرئي حوت
تكيّف المشفّ بـاستحالة　　بكيف ضوء العين بعض قاله
و بانتساب النفس والاشراق　　منها لخارج لدى الاشراقي
وصدر الآراء هورأى الصدر　　فهو بجعل النّفس رأياً يدري
للعضو أعداد إفاضة الصور　　قامت قياماً عنه كالذي استتر

و كيف كان و لوجازت رؤيته تعالى بالأبصار لزم أن يكون جسما ذاجهة لأنّ المرئيّ بالعين يجب أن يكون كثيفاً مقـابلاً للرائي. وليس ذلك إلّا الأشياء الّتي قبلنا ، فاذن يلزم تركيبه تعالى وتحديده و افتقاره وغيرها من التوالي الباطلة والمفـاسد اللازمة على هذا الرأي السخيف ، تعالى الله عما يقول الجاهلون علوّاً كبيراً .

فلمّا كانت البراهين العقليّة تمنعنا عن القول برؤيته تعالى بل برؤية المفارقات مطلقاً سواء كانوا عقولاً أو نفوساً بالأبصار فلايصحّ لنا الأخذ بظواهر الأحاديث المرويّة في الرّؤية بل بظاهر الآيات القرآنيّة النّاطقة فيها ، وقد نعلم قطعاً أنّ الله تعالى وحججه ما أرادوا معانيها الظاهرة ، ولذلك تصدّى العقلاء إلى درك معانيها الحقيقيّة وحمل ظاهرها على ما يوافقه صريح العقل و صحيح النقل .

مثلاً أنهم بيّنوا في قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة ۞ إلى ربّها ناظرة » (القيامة ـ ٢٣) الّذي تمسّك به الأشعريّ وأتباعه في القول بالرؤية وجوهاً من المعاني الصحيحة التي تناسب حكم العقل ولايأبى عنها طباع الآية .

روى الصدوق قدّس سرّه في الباب الحاديعشر من عيون أخبار الرضا عليه السلام باسناده عن ابراهيم بن أبي محمود قال : قال عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام في قول الله تعالى «وجوه يومئذ ناضرة ۞ إلى ربّها ناظرة» يعني مشرقة ينتظر ثواب ربّها .

وقال علم الهدى السيد المرتضى ـ ره ـ في كتابه غرر الفوائد و درر القلائد (ص ١٦ طبع طهران ١٢٧٢هـ) :

إنّ أصحابنا قد اعتمدوا في إبطال ماظنّ أصحاب الرّؤية في قوله تعالى «وجوه يومئذ ناضرة ۞ إلى ربّها ناظرة» على وجوه معروفة ، لأنهم بيّنوا أنّ النظر ليس يفيد الرّؤية ولا الرّؤية من أجلّ محتملاته . ودلّوا على أنّ النظر ينقسم إلى أقسام كثيرة منها تقليب الحدقة الصحيحة حيال المرئي طلباً لرؤيته ، ومنها النظر الّذي هو الانتظار ، ومنها النظر الّذي هو التعطف والرّحمة ، و منها النظر الّذي هو الفكر والتأمّل ، وقالوا : إذا لم يكن في أقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم بظاهرها تعلّق واحتجنا جميعاً إلى طلب تأويل الآية من غير جهة الرؤية ، وتأوّلها بعضهم على الانتظار للثواب وإن كان المنتظر في الحقيقة محذوفاً والمنتظر منه مذكوراً على عادة للعرب معروفة وسلّم بعضهم أنّ النظر يكون الرؤية بالبصر وحمل الآية على رؤية أهل الجنّة لنعم الله تعالى عليهم على سبيل حذف المرئي في الحقيقة ، و هذا الكلام مشروح في مواضعه وقد بيّنا ما يورد عليه وما يجاب عن الشبهة المعترضة فيه في مواضع كثيرة .

قال : وههنا وجه غريب في الآية حكي عن بعض المتأخّرين‌ـ قيل : إنّ ذلك البعض هو الصاحب بن عباد ـ لايفتقر معتمده إلى العدول عن الظاهر أو إلى تقدير محذوف ، ولايحتاج إلى منازعتهم في أنّ النظر يحتمل الرؤية أولا يحتملها، بل يصحّ الاعتماد عليه ، سواء كان النظر المذكور في الآية هو الانتظار بالقلب أوالرؤية بالعين ، وهوأن يحمل قوله تعالى «إلى ربّها » على أنه أراد به نعمة ربّها لأنّ الآلاء النعم وفي واحدها أربع لغات يقال : ألى مثل قفا ، وإلى مثل معى وألي مثل ظبي ، وإليّ مثل حسِيّ : قال الأعشى بكر بن وائل :

أبيض لايرهب الهزال ولا يقطع رحماً ولايخون إلىّ

أراد أنه لايخون نعمة وأراد تعالى بإلى ربّها نعم ربّها ، واسقط التنوين للإضافة .

قال : فإن قيل : أيّ فرق بين هذا الوجه وبين تأويل من حمل الآية على أنه اُريد بها إلى ثواب ربّها ناظرة يعني رائية لنعمه وثوابه ؟

قلنا : ذلك الوجه يفتقر إلى محذوف لأنه إذا جعل إلى حرفاً ولم يعلّقها بالربّ تعالى فلابدّ من تقدير محذوف وفي الجواب الّذي ذكرناه لايفتقر إلى تقدير محذوف ، لأنّ إلى فيه اسم تتعلّق به الرؤية فلايحتاج إلى تقدير محذوف غيره ، والله أعلم بالصواب ، انتهى كلامه رفع مقامه ، وذكر البيت الطبرسي ـره ـ أيضاً فى التفسير واستشهد به بأنّ إلى في الآية اسم مفرد الآلاء .

وجميع الآيات الّتي تمسّك بها الأشاعرة كان من هذا القبيل ، وكذا الأخبار الظاهرة في الرؤية ، ولو كان خبر ناصّاً في مقصودهم بالفرض لرفضناه ونضربه على الجدار لعلمنا بأنّه موضوع وإلاّ لماخالف العقل والقرآن .

على أنّ للروايات التي تعلّقوا بها أيضاً معاني صحيحة كماسنشير إلى نبذة منها عند شرح الأحاديث الآتية المرويّة عن الأئمة عليهم السلام في إبطال رؤيته تعالى بالأبصار .

ثمّ إنّ الأشاعرة سلكوا في قولهم هذا مسلك قولهم في الكلام النفسي حيث

زعموا في ماهيّة كلامه تعالى أنه معنى قديم قائم بذاته ليس بحرف ولاصوت ولا أمر ولانهي ولاخبر ولااستخبار و غير ذلك من أساليب الكلام ، لأنهم مع ذهابهم إلى تجرّده تعالى قالوا برؤيته بالأبصار ولكنه يرى لا كما يرى الاجسام بل يرى وليس فوقاً ولاتحتاً ولايميناً - الى آخر ما نقلنا من مذهبهم في الرؤية .

ثمّ إنّ بعض الأشاعرة لمّا التفتوا إلى سخافة رأي شيخهم في الرؤية تصدّى لحمل كلامه على وجه لعلّه يوافق حكم العقل فقال : ليس مرادنا بالرؤية الانطباع أوخروج الشعاع ، بل الحالة الّتي تحصل من رؤية الشيء بعد حصول العلم به .

و مراده من كلامه هذا أنه ليس المراد بالرؤية هو الانكشاف التامّ المسلّم جوزاه عند الكلّ ، و لا ارتسام صورة المرئيّ في العين المسلّم امتناعه عند الكلّ بل أمر آخر وراء ذلك يسمّونه بالحالة الّتي تحصل من رؤية الشيء بعد حصول العلم كما صرّح به شارح الفصوص المنسوب إلى الفارابي، والفخر الرازي في المحصّل و الرجلان من كبار الأشاعرة .

فقال الأوّل (ص ١٢٦ طبع طهران ١٣١٨ ه) :مذهب أهل الحقّ وهم الأشاعرة أنّ الله تعالى يجوز أن يرى منزّهاً عن المقابلة و الجهة و المكان ،وخالفهم في ذلك سائر الفرق ، ولا نزاع المنافين في جواز الانكشاف التامّ العلمي، ولا للمثبتين في امتناع ارتسام صورة المرئيّ في العين ، و اتصال الشعاع الخارج من العين بالمرئيّ إنما محلّ النزاع إذا عرّفنا الشمس مثلاً بحدّ أورسم كان نوعاً من الادراك ،ثمّ إذا بصرناها و غمضنا العين كان نوعاً آخر فوق الأوّل ،ثمّ إذا فتحنا العين يحصل لنا من الادراك نوع آخر فوق الأوّلين نسمّيها الرّؤية ولايتعلّق في الدّنيا إلاّ بما هو في جهة أومكان، فمثل هذه الحالة الادراكيّة هل يصحّ أن يقع بدون المقابلة والجهة وأن يتعلّق بذات الله تعالى منزّهة عن الجهة والمكان أم لا فالأشاعرة يثبتونها والمعتزلة و سائر الفرق ينكرونها . انتهى كلامه .

و لا يخفى عليك أنه لم يأت بما يغنيهم و ينجيهم من مهالك رأيهم الكاسد ، وأورد عليه الفخر في المحصّل اعتراضات كثيرة مع أنه حرّر البحث أيضاً مثل ذلك

الرّجل و قال : محل النزاع ذلك الأمر الآخر لا الأوّلان ، و اختار آخر الأمر أنّ المعتمد في مسألة الرؤية الدّلائل السمعيّة .

و نقل كلامه و إن كان مفضياً إلى إطناب ، ولكن لمّا كان الرّجل من أعاظم الأشعريّة ، وقوله يعتنى به في تقرير ما ذهبوا إليه يعجبني نقله حتّى يعلم منه أنهم لمّا رأوا ركاكة رأي رئيسهم تصدّوا إلى تحصيل مخلص ، فتراهم أنّهم في كلّ وادٍ يهيمون ، فذهب بعضهم الى أنّ المراد من الرؤية تلك الحالة ، و الآخر إلى أنّه الكشف التامّ ، وثالث إلى أنّ المعتمد الدّلائل السمعيّة مع أنّ شيخهم أبا الحسن عليّ ابن إسماعيل الأشعري اعتقد خلاف ما بيّنوه .

قال الشهرستانيُّ في الملل و النحل (ص ٤٥ طبع ايران ١٢٨٨ ه‍) : و من مذهب الأشعري أنّ كلّ موجود فيصحّ أن يرى ، فإنّ المصحّح للرؤيه إنّما هو الوجود ، والباري تعالى موجود فيصحّ أن يرى ، وقد ورد السمع بأنّ المؤمنين يرونه في الآخرة قال الله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة ۞ إلى ربّها ناظرة » إلى غير ذلك من الآيات و الأخبار . قال : ولا يجوز أن تتعلّق به الرؤية على جهة و مكان و صورة و مقابلة واتّصال شعاع أو على سبيل انطباع فإنّ ذلك مستحيل . انتهى قوله .

و أقول : إنّ قول الأشعري يضاهي ما ذهب إليه الملحدون قديماً و حديثاً حيث قالوا : كلّ ما يرى فهو موجود ، فلو كان الله موجوداً كان مرئيّاً ، فحيث لم نره فليس بموجود .

على أنّه يرد على الأشعري أنّ المعاني والمشمومات و المسموعات و كثيراً من الأجسام كالهواء والفلك وجميع المشفّ الذي ينفذ فيه نور البصر لا تصحّ أن ترى ، اللّهمّ إلّا أن يقال : إنّ الرّجل لمّا كان يعتقد بالإرادة الجزافيّة ويجوّز تخلّف المسبّبات عن الأسباب إلّا أنّ عادة الله جرت باحراق النّار و تبريد الماء مثلاً لا لأنّ النار سبب للإحراق ، يقول في عدم رؤية تلك الأشياء أيضاً بتخلّفها عن أسبابها و بأنّ إرادة الله لم تجر برؤيتها .

أمّا كلام الفخر الرازي في المحصّل فقال (ص ١٣٧ طبع مصر ١٣٢٣ ه)

« مسألة » الله تعالى يصحّ أن يكون مرئيّاً، خلافاً لجميع الفرق، أمّا الفلاسفة والمعتزلة فلا إشكال في مخالفتهم ، و أمّا المشبّهة والكراميّة فلأنّهم إنّما جوّزوا رؤيته لاعتقادهم كونه تعالى في المكان والجهة وأمّا بتقدير أن يكون هو تعالى منزّهاً عن الجهة فهم يحيلون رؤيته ، فثبت أنّ هذه الرؤية المنزّهة عن الكيفيّة ممالايقول به أحد إلاّ أصحابنا .

و قبل الشروع في الدّلالة لابدّ في تلخيص محلّ النزاع .

فإنّ لقائل أن يقول : إن أردت بالرؤية الكشف التامّ فذلك مسلّم ، لأنّ المعارف تصير يوم القيامة ضروريّة، و إن أردت بها الحالة الّتي نجدها من أنفسنا عند اتّصال الشعاع الخارج من العين إلى المرئي أوعن حالة مستلزمة لارتسام الصورة أولخروج الشعاع و كلّ ذلك في حق الله تعالى محال ، و إن أردت به أمراً ثالثاً فلابدّ من إفادة تصوّره ، فإنّ التصديق مسبوق بالتصوّر .

و الجواب أنّا إذا علمنا الشيء حال مالا نراه ثمّ رأيناه فانّا ندرك تفرقة بين الحالين . و قد عرفت أنّ تلك التفرقة لايجوز عودها إلى ارتسام الشبح في العين ، ولا إلى خروج الشعاع منها ، فهي عائدة إلى حالة اُخرى مسمّاة بالرؤية فندّعي أنّ تعلّق هذه الصفة بذات الله جائز ، هذا هوالبحث عن محلّ النزاع ، والمعتمد أنّ الوجود في الشاهد علّة لصحّة الرؤية فيجب أن يكون في الغائب كذلك.

قال: و هذه الدلالة ضعيفة من وجوه :

أحدها أنّ وجود الله تعالى عين ذاته، وذاته مخالف لغيره فيكون وجوده مخالفاً لوجود غيره فلم يلزم من كون وجودنا علّة لصحّة الرؤية كون وجوده كذلك .

سلّمنا أنّ وجودنا يساوي وجود الله تعالى ومجرّد كونه وجوداً لكن لانسلّم أنّ صحة الرؤية في الشاهد مفتقرة إلى العلّة ، فانّا بيّنّا أنّ الصحّة ليست أمراً ثبوتيّاً فتكون عدميّة ، وقد عرفت أنّ العدم لايعلّل .

سلّمنا أنّ صحّة رؤيتنا معلّلة فلم قلت إنّ العلّة هي الوجود ؟ قالوا : لأنّا

نرى الجوهر واللّون قداشتركا في صحّة الرؤية ، و الحكم المشترك لابدّ له من علّة مشتركة ولامشترك إلاّ الحدوث والوجود، والحدوث لايصلح للعلّية، لأنّه عبارة عن وجود مسبوق بالعدم ، والعدم نفي محض ، والعدم السابق لادخل له في التأثير فيبقى المستقلّ بالتأثير محض الوجود، فنقول: لانسلّم أنّ الجوهر مرئيٌّ على ماتقدّم .

سلّمناه لكن لانسلّم أنّ صحّة كون الجوهر مرئياً يمنع حصولها في اللّون مرئياً، فلم لايجوز أن يقال: الصحّتان نوعان تحت جنس الصحّة؛ تحقيقه أنّ صحّة كون الجوهر مرئياً يمتنع حصولها في اللّون، لأنّ اللّون يستحيل أن يرى جوهراً والجوهر يستحيل أن يرى لوناً ، وهذا يدلّ على اختلاف هاتين الصحّتين في الماهية

سلّمنا الاشتراك في الحكم فلم قلت : إنّه يلزم من الاشتراك في الحكم الاشتراك في العلّة ؟ بيانه ما تقدّم من جواز تعليل الحكمين المتماثلين بعلّتين مختلفتين .

سلّمنا وجوب الاشتراك فلم قلت : إنه لامشترك سوى الحدوث و الوجود وعليكم الدلالة . ثمّ نحن نذكره وهو الإمكان ولاشكّ أنّ الإمكان مغاير للحدوث فان قلت : الامكان عدميٌّ قلت : فامكان الرؤية أيضاً عدميٌّ ؛ولا استبعاد في تعليل عدميّ بعدميّ .

سلّمنا أنه لامشترك سوى الحدوث والوجود فلم قلت : إنّ الحدوث لايصلح قوله لأنه عبارة عن مجموع عدم ووجود؟ قلنا : لانسلّم بل هو عبارة عن كون الوجود مسبوقاً بالعدم و مسبوقيّة الوجود بالعدم غير نفس العدم. والدّليل عليه أنّ الحدوث لايحصل إلاّ في أوّل زمان الوجود ، و في ذلك الزمان مستحيل حصول العدم فعلمنا أنّ الحدوث كيفية زائدة على العدم .

سلّمنا أنّ المصحّح هو الوجود فلم قلت : إنه يلزم من حصوله في حقّ الله تعالى حصول الصحّة فانّ الحكم كما يعتبر في تحقّقه حصول المقتضي يعتبر فيه أيضاً انتفاء المانع ، فلعلّ ماهيّة الله تعالى أوماهيّة صفة من صفاته ينافي هذا الحكم وممّا يحقّقه إنّ الحياة مصحّحة للجهل والشهوة، ثمّ إنّ حياة الله تعالى لاتصحّحها

إمّا لأنّ الاشتراك ليس إلاّ في اللفظ ، أواشتراكاً في المعنى لكن ماهيّة ذات الله تعالى و ماهيّة صفة من صفاته ينافيهما ، وعلى التقديرين فإنه يجوز في هذه المسألة ذلك أيضاً .

سلّمنا أنه لم يوجد المنافي لكن لم لايجوز أن يكون حصول هذه الرؤيةفي أعيننا موقوفاً على شرط يمتنع تحقّقه بالنسبة إلى ذات الله تعالى. فإنّا لانرى المرئيّ إلاّ إذا انطبعت صورة صغيرة متساوية للمرئي في الشكل فيأعيننا ، و في المحتمل أن يكون حصول الحالة المسمّاة بالرؤية مشروطاً بحصول هذه الصورة أو كان مشروطاً بحصول المقابلة ، ولمّا امتنع حصول هذه الاُمور بالنسبة إلى ذات الله لاجرم امتنع علينا أن نرى ذات الله تعالى

والمعتمد في المسألة الدّلائل السمعيّة :

أحدها أنّ رؤية الله تعالى معلّقة باستقرار الجبل و هو ممكن و المعلّق على الممكن ممكن فالرؤية ممكنة .

و ثانيها أنّ موسى عليه الصلاة والسلام سأل الرؤية ولو لم تكن الرؤية جائزة لكان سؤال موسى عبثاً أوجهلاً .

و ثالثها قوله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة ۞ إلى ربّها ناظرة » انتهى ماأردنا من نقل كلامه في المسألة

فعلمت أنه صرّح بأنّ المراد بالرؤية عند الأشعري وأتباعه ليس الانكشاف التام ، ولا ارتسام صورة المرئي في العين ، لعدم الخلاف في صحّة الأوّل وبطلان الثاني بل المراد تلك الحالة الإدراكية الّتي فسّرت .

ولمّا كان هذا المعنى أيضاً غير مستقيم بوجوه اُشير إلى بعضها عدل عنه الفخر و تمسّك بظاهر الآيات الثلاث ، مع أنها لاتدلّ على مرادهم .

والعجب من الفخر كيف اعتمد على الآيات في إفادة ذلك المعنى الذي يأبى عنه العقل والنقل أيضاً كقوله تعالى «لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » . (الأنعام - ١٠٤) وكيف تدركه الأبصار وهو اللطيف الخبير. وفي كلمة

اللّطيف في المقام لطائف يفهمها من كان له قلب .

نعم الوجه الأوّل الّذي بيّنه بعض آخر منهم من أنّ معنى الرؤية عندهم الكشف التامّ أي ينكشف لعباده المؤمنين في الآخرة انكشاف البدر المرئي متين غاية المتانة ، لما علمت آنفا من أنّ الدّنيا دار شكوك وارتياب ، فاذا كان يوم القيامة كشف للعباد مايزول به الشكوك .

قال بعض المحقّقين كما نقل المولى صدرا عنه في الفصل الرابع من الموقف السابع من السفر الرابع من الأسفار :

إنّ الانسان مادام في مضيق البدن وسجن الدّنيا مقيّداً بقيود البعد والمكان وسلاسل الحركة والزمان ، لايمكنه مشاهدة الآيات الآفاقيّة والأنفسيّة على وجه التمام ولايتلوها دفعة واحدة إلاّ كلمة بعد كلمة ، و حرفاً بعد حرف ، ويوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة .

فيتلو آية ويغيب عنه اُخرى ، فيتوارد عليه الأوضاع ، و يتعاقب له الشؤون والأحوال ، وهو على مثال من يقرأ طوماراً و ينظر إلى سطر عقيب آخر ، وذلك لقصور نظره وقوّة إدراكه عن الاحاطة بالتمام دفعة واحدة قال تعالى : «وذكّرهم بأيّام الله إنّ في ذلك لآيات» (ابراهيم ـ ٥) .

فاذا قويت بصيرته وتكحّلت عينه بنور الهداية والتوفيق كما يكون عند قيام الساعة فيتجاوز نظره عن مضيق عالم الخلق والظلمات إلى عالم الأمر و النور فيطالع دفعة جميع ما في هذا الكتاب الجامع للآيات من صور الأكوان والأعيان كمن يطوى عنده السجلّ الجامع للسطور والكلمات ، وإليه الاشارة بقوله تعالى «يوم نطوي السماء كطيّ السّجلّ للكتب» (الأنبياء ـ ١٠٤) وقوله : «والسموات مطويّات بيمينه» .

وإنّما قال بيمينه لأنّ أصحاب الشمال و أهل دار النكال ليس لهم نصيب في طيّ السماء بالقياس إليهم و في حقّهم غير مطويّة أبداً ، لتقيّد نفوسهم بالأمكنة و الغواشي كما قال تعالى «لهم من جهنّم مهاد ومن فوقهم غواش» (الأعراف ـ ٤٢)

فلو كانت الأشاعرة عنوا من قولهم هذا المعنى أعني ذلك الكشف التامّ الذي بيّنه ذلك البعض، فنعم الوفاق، وإلاّ فلا يتصوّر منه إلاّ الرؤية بالبصر و هو باطل عقلاً وسمعاً، ولكن قد عرفت أنّ هذا المعنى اللّطيف الصحيح ليس بمراد الأشعري وأتباعه كما صرّح به الرّجلان والشهرستاني في الملل وغيرهم.

ثمّ إنّ حمل الحائطيّة والحدثيّة خبر رؤية الباري تعالى مثل قوله صلّى الله عليه وآله «إنّكم سترون ربّكم كما ترون القمر ليلة البدر لاتضامون في رؤيته» و أشباهه على رؤية العقل الأوّل كما نقل عنهما الشهرستانيّ في الملل على ما قدّمنا آنفاً فليس بصحيح أيضاً.

و ذلك لأنهما حملا كلمة الربّ في الحديث على العقل الأوّل من حيث إنه مربّ لما دونه من الموجودات وهذا لابأس به كما برهن في محلّه أنّ لكلّ نوع من الأمور الّتي تلينا فرداً مجرّداً عقلانيّاً على صورته يسمّى ربّ ذلك النوع وهو تعالى ربّ أرباب النوعيّات، ولكنّهما أخطئا في هذا الرأي أيضاً من حيث إنهما اختاراه حذراً من الاشكال الوارد على ظاهر الحديث أعني مايتبارد إليه الذّهن من أنّ كلمة الرّبّ هو الله تعالى ربّ العالمين و قد كرّا إلى مافرّا منه، لأنّ العقل الأوّل لايمكن رؤيته بالأبصار، لأنه من الموجودات النوريّة المحضة والمجرّدات الصرفة، والمفارقات مطلقا سواء كانوا عقولاً أو نفوساً لايمكن رؤيتهم بالأبصار، لأنّهم ليسوا بجسم ولاجسمانيّ، وليس لهم جهة و كثافة و ثقل وغيرها من أوصاف الجسم.

على أنّ الأجسام المشفّة و كثيراً من الأعراض مع كونها في جهة لاترى و حكم بما أشرنا إليه العقل وعاضده الشرع، فقد قام البرهان على أنّ الصادر الأوّل لايكون إلاّ عقلاً، والعقل لايكون إلامجرّداً. وقد قال الله تعالى: «ثمّ أنزل الله سكينته على رسوله و على المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها» (التوبة-٢٦) وقال تعالى: «فأنزل الله سكينته عليه وأيّده بجنود لم تروها» (التوبة- ٤٠) وقال تعالى: «يا أيها الّذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذجاءتكم جنود فأرسلنا عليهم

ريحاً وجنوداً لم تروها » (الأحزاب ـ ١٠)

و الجنود في الآيات الملائكة ، و ذلك أنّ الله تعالى قال : « لقد نصركم الله في مواطن كثيرة و يوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثمّ ولّيتم مدبرين ۞ ثمّ أنزل الله سكينته على رسوله و على المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها و عذّب الّذين كفروا وذلك جزاء الكافرين» (التوبة ـ ٢٥ و٢٦) .

و من تلك المواطن بدر و قد قال الله تعالى : « و لقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلّة فاتّقوا الله لعلّكم تشكرون ۞ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدّكم ربّكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ۞ بلى إن تصبروا و تتّقوا و يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربّكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين » (آل عمران ١٢١ ـ ١٢٣) .

و قال تعالى . إذ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم أنّي ممدّكم بألف من الملائكة مردفين » (الأنفال ـ ١٠) .

و قد قال أمير المؤمنين عليه السلام حين سئل عن العالم العلوي : صور عارية عن الموادّ ، خالية عن القوّة والاستعداد ، تجلّى لها فأشرقت ، وطالعها فتلألأت، ألقى في هويّتها مثاله ، وأظهر عنها أفعاله .الحديث .

و هذه الصور قد يعبّر عنهم بالعقول ، و قد يعبّر عنهم بالملائكة ، و إذا كانوا عارين عن الموادّ لا يمكن رؤيتهم بالأبصار ، لما أشرنا إليه آنفاً من أنّ المرئيّ بالبصر يجب أن يكون مادياً كثيفاً ،وقد قدّمنا في المباحث السابقة نبذة من الكلام في ذلك (راجع ص ٧٩ ج ٢ من التكملة) .

و أمّا جواب الأقوال الّتي نقلها الشهرستانيّ من أنّ داود الجواري ذهب إلى أنّ معبوده جسم ولحم ودم ـ الخ ، و أنّ مضر وكهمش والهجيمي أجازوا على ربّهم الملامسة والمصافحة ، وأنّ المخلصين يعانقونه في الدّارين وغيرهما من أقوال المشبّهة فهو أنّهم شبّهوه تعالى بأنفسهم .

على حذو ما أفاده مولانا الامام الخامس محمد بن عليّ الباقر عليه السلام : هل سمّي عالماً قادراً إلّا لما وهب العلم للعلماء، والقدرة للقادرين ؟ و كلّما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم .

وفي رواية اُخرى عن الصادق عليه السلام : كلّما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم، ولعلّ النمل الصغار تتوهّم أنّ لله سبحانه زبانتين ، فانّ ذلك كمالها ، و تتوهّم أنّ عدمهما نقصان لمن لا يتّصف بهما ، و كذا حال العقلاء فيما يصفون الله سبحانه و تعالى به .

و أمّا الروايات الموعودة فقد رويت عن أئمّتنا المعصومين عليهم السلام في إبطال رؤيته تعالى بالأبصار مطلقاً روايات لطيفة دقيقة لو تأمّل فيها من كان له قلب سليم وسرّ نقيّ علم أنّ تلك الدّقائق الحكميّة والمعارف الحقّة الالهيّة ، و الاشارات التوحيديّة و الاُصول الكليّة العقليّة الّتي لم تبلغ إليها أفكار أوحدي الناس في تلك الأعصار فضلاً عن غيرهم ، ولا يدركها الراسخون في العلوم الالهيّة والمعارف العقليّة إلّا بعد تلطيف سرّ ، وتصفية فكر ، و تجريد ذهن ، و مدد سماويّ إنما فاضت من سماء صدور الّذين هم المستضيئون بأنوار الرّحمن ، و العارفون ببطون القرآن ، والعالمون بالعلوم اللّدنيّة المستفاضة من لدن مبدء العالم عليهم و هم الذين فتحوا أبواب الاستدال العقلي على العلوم الربوبيّة .

و المتضلّع في أقوال علماء الشرع ومباحثهم الكلاميّة المنقولة من الخاصّة والعامّة علم أنّ قصارى استدلالهم على اصول العقائد وغيرها كانت مقصورة بمفاهيم الآيات والأحاديث الظاهرة ولم يعهد منهم إقامة نحو تلك البراهين العقلية المأثورة عن آل محمد صلى الله عليه وآله .

فعليك بما رواه عنهم ثقة الاسلام أبوجعفر الكليني في الكافي، و الشيخ الأجلّ الصدوق في التوحيد والأمالي ، و الشيخ الجليل الطبرسيّ في الاحتجاج ، و بما استنبط منها المتألّهون من مطالب عرشيّة رقيقه ، و نكات عقليّة أنيقة مما يضيء العقل ويقويه ويحييه .

إذا شئت أن ترضى لنفسك مذهباً وتعرف صدق القول من كذب أخبار
فوال أُناساً قولهم و حديثهم روى جدٌّ ناعن جبرئيل عن الباري

و دونك شرح الحكيم المتـألّه المولى صدر الشيرازي ، و شرح الحكيم المولى محمّد صالح المازندراني ، وشرح الحكيم الفيض في الوافي على أُصول الكافي وشرح الحكيم القاضي السعيد القمي على كتاب التوحيد للصّدوق ، وشروح غيرهم من فحول العلماء على الكافي و التوحيد وغيرهما ممّارويت عن أئمّتنا الطاهرين حتى يتبين لك أنّ المعارف الحقّة في الأُصول الإعتقاديّة هي الّتي أفادوها وبيّنوها لأهلها ، و أنّ من حادعنها فقدسلك طريقة عمياء قاده الهوى إليها ، وأطاع الوهم فأضلّه الجادّة الوسطى و أنّ من عزى إلى الإماميّة غير ماهداهم إليها أئمّتهم فقد افترى .

فقد يخلق بنا الآن أن نذكر عدّة روايات في ذلك الموضوع المعنون ونفسّرها بقدر الوسع على الإيجازوالإختصار ، دون التطويل والإكثار عسى أن ينفع طالب الرّشاد و باغي السداد فنقول وبالله التوفيق وعليه التكلان :

إنّ الكليني قدّس سرّه قد نقل في الباب التاسع من كتاب التوحيد من جامعه أُصول الكافي المترجم بباب إبطال الرؤية أحاديث عنهم عليهم السلام و أتى بطائفة منها الصّدوق قدّس سرّه في التوحيدوالأمالي، والشيخ الجليل الطبرسي ـ ره ـ في الاحتجاج ، والعلاّمة المجلسي في البحار ، و نحن اخترنا منها ما نوردها ههنا و نبحث عن معانيها و نكشف القناع عن دقائقها و لطائفها بعون الله تعالى .

« الحديث الاول »

و هو الحديث الرابع من ذلك الباب من الكافي رواه باسناده عن أحمد بن إسحاق قال : كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن الرؤية وما اختلف فيه الناس ، فكتب عليه السلام :لايجوز الرؤية مالم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر فاذا انقطع الهواء عن الرائي والمرئي لم تصحّ الرؤية ، وكان في ذلك الاشتباه . لأن الرائي متى ساوى المرئيّ في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه

وكان ذلك التشبيه لأنّ الأسباب لابدّ من اتّصالها بالمسبّبات .

و روى الحديث الصدوق في باب ما جاء في الرؤية من كتابه التوحيد عن الحسين بن أحمد بن إدريس ، عن أبيه ،عن أحمدبن إسحاق أيضاً ، وبينهما اختلاف في الجملة و على ما في التوحيد : قال : كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام عن الرؤية و ما فيه الناس ـ فاذا انقطع الهواء و عدم الضياء بين الرائي ـ و كان في في ذلك التشبيه ـ الخ . و قال المجلسيُّ ـ ره ـ في مرآة العقول : و في بعض النسخ لم ينفذه البصر .

ورواه أيضاً الشيخ الجليل الطبرسي في الاحتجاج عن أحمد بن اسحاق عنه عليه السلام : قال : كتبت إلى أبي الحسن عليّ بن محمّد عليهما السلام أسأله عن الرؤية و مافيه الخلق ، فكتب عليه السلام : لايجوز الرؤية ، و في وجوب اتّصال الضياء بين الرائي والمرئي وجوب الاشتباه ، والله منزّه عن الاشتباه ، فثبت أنه لايجوز على الله تعالى الرؤية بالأبصار ، لأنّ الأسباب لابدّ من اتّصالها بالمسبّبات .

أقول : يعلم من عقد ذلك الباب في الكافي و التوحيد و في الغرر والدُّرر للشريف المرتضى علم الهدى ، وفي أوائل المقالات للشيخ الأجلّ المفيد ، وفي غيرها من الكتب الكلاميّة والرّوائيّة ، و من سؤال الناس الأئمّة عليهم السلام عن الرؤية سيما من سؤال محمّد بن عبيد أباالحسن الرضا عليه السلام عن الرؤية و ماترويه العامّة والخاصّة و من سؤال عبدالسلام بن صالح الهروي عنه عليه السلام رواه الطبرسي في الاحتجاج والصدوق في أوّل الباب الحاديعشر من عيون أخبار الرضا عليه السلام قال : قلت لعليّ بن موسى الرضا عليه السلام : يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث أنّ المؤمنين يزورون ربّهم الخ · ومن سؤال أحمد بن إسحاق أباالحسن الثالث عليه السلام عن الرؤية و ما اختلف فيه النّاس و غيرها ممّا سيأتي طائفة منها و بيانها أنّ البحث عن الرؤية كان دارجاً ورائجاً في تلك الأعصار جدّاً .

قال القاضي نورالله نوّرالله مرقده في المجالس عند ترجمة اسماعيل بن عليّ ابن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت البغدادي نقلاً عن النجاشي أنه صنّف كتاباً في استحالة

رؤية القديم .

اغترّ كثير من الناس بظاهر الآيات والأخبار ، و تفنّنت الآراء فيها وكان محضر الأئمّة مختلف الناس يسألونهم عن الرؤية وكان الأئمة عليهم السلام يقودهم إلى الصراط السويّ ، و يهديهم إلى مناهج الصدق ببراهين متقنة متفنّنة على حسب اختلاف عقول الناس ووسعهم .

ثمّ لمّا كان ذلك البحث دائراً و مال غير فرقة إلى التشبيه والرؤية بالأبصار وكانت فطرة النـاس السليمة تأبى عن قبول الرؤية والتشبيه وأشباههما التجأوا إلى الأئمّة الهداة المهديّين لعلمهم بأنهم عليهم السلام خزنة علمه تعالى و عيبة وحيه ، وبأنّ عندهم مفاتيح الحكمة و علم الكتاب و فصل الخطاب ، فتبصّر ثمّ استقم .

أبو الحسن الثالث هو الإمام العاشر عليّ بن محمّد الهادي العسكري عليه السلام كما في رواية الطبرسي في الاحتجاج .

و أحمد بن إسحاق بن سهل القمي كان ثقة قال الكشيّ في الرجال : إنـه عاش بعد وفاة أبي محمّد (الحسن بن عليّ العسكريّ عليهما السلام) .

سأله عليه السلام عن الرؤية هل يجوزها أم لا وعمّا اختلف فيه الناس من جوازها عند بعض و استحالتها عند آخر ، و المراد أنه سأله عليه السلام عن المذهب الحقّ في ذلك فكتب عليه السلام إليه بأنّ رؤيته تعالى بالأبصار مستحيلة . لأنّ الرؤية تلازم تجسّم الباري و تحيّزه ، و ذلك لأنّ الرؤية إنما تتحقّق إذا كان بين الرائي والمرئي هواء نيفذه البصر ، فإذا انقطع الهواء عن الرائي و المرئي بأن وقع بينهما حائل مثلاً لم تصحّ الرؤية ، فاذاً لابد أن يكون المرئي شبيهاً بالرائي من حيث انهما وقعا في طرفي امتداد فاصل هو الهواء وتحقّق بينهما الوضع بمعنى تمام المقولة على هيئة مخصوصة لازمة للإبصار .

والمراد بالإشتباه هو هذا المعنى في المقام أي كون المرئي شبيهاً بالرائي في تلك الصفات الخاصّة بالأجسام من الوضع والمحاذاة والتقابل والطرف والجهة وغيرها يقال: اشتبه الشيئان إذا أشبه كلٌّ منهما الآخر ، وكان ذلك الإشتباه تشبيهه

تعالى بالأجسام و هو منزّه عن ذلك فلا تدركه الأبصار .

وإنّما يجب في الرؤية واسطة الهواء بين الرائي و المرئي و كونهما طرفي الواسطة بحيث يساوي أي يسامت الرائي المرئي، وذلك كلّه يكون موجباً لكون المرئي شبيهاً بالأجسام ، لأنّ الهواء المتوسط سبب للرؤية ، وهي سبب لمسامتة الرائي والمرئي في طرفي الواسطة ، والمسامتة سبب لكون كل منهما في حيّز وجهة فهي أسباب لوجوب المشابهة بينه تعالى والأجسام ، والأسباب لابدّ أن تكون متصلة بمسبّباتها غير منفكّة عنها .

وبالجملة إنه عليه السلام احتجّ على بطلان رؤيته تعالى بالأبصار بقياسين: أحدهما قياس اقترانيّ مؤلّف من متّصلتين ، والآخر قياس استثنائيّ مؤلّف من شرطيّة هي نتيجة الأوّل وحمليّة ، وصورتهما :

كلّما كان الشيء مرئياً بالأبصار وجب أن يكون طرف الهواء المتوسط ومقابلاً للرائي ، و كلّما كان كذلك فهو جسم ، ينتج كلّما كان الشيء مرئياً بالأبصار فهو جسم ، ثمّ نقول : لو كان الله تعالى مرئياً بالأبصار فهو جسم ، لكنّه ليس بجسم فليس بمرئيّ .

إن قلت: قد يرى الأشياء وهي أو الرائي تحت الماء الصافية فليس بينهما إلّا ماء ينفذها نور البصر ، وليس من شروط الإبصار أن يكون الواسطة هواء ليس إلّا فكيف قال عليه السلام : مالم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر ؟

أقول : المذهب المنصور في الإبصار سواء كان بخروج الشعاع أو الانطباع أو غيرهما أنه لابدّ من توسّط جسم شفاف كما سيأتي برهانه ، وأمّا كونه هواءً فقط فليس بواجب ولكن لمّا كان أكثر ما يبصر بالقوّة الباصرة إنّما كان الهواء بينهما متوسّطاً وكان اُنس الناس به آكد لهج به عليه السلام على سبيل ذكر مصداق لا على سبيل الانحصار.

و ذهب بعض أعاظم العصر إلي أنّ الهواء في الحديث ليس الهواء الّذي هو أحد العناصر حيث قال : الهواء في لغة العرب هو الخلاء العرفي قال الله تعالى:

« و أفئدتهم هواء » أي خالية من العقل والتدبّر ، و قال جرير : و مجاشع قصب هوت أجوافه أي خلت أجوافه ، وفي الصحاح كلّ خالٍ هواء ، و هذا هو المراد هنا لاالهواء المصطلح للطبيعيّين و هو جسم رقيق شفّاف كما حمله عليه صدر المتألّهين قدّس سرّه و هذا الهواء الّذي هو جسم رقيق عند العرف بمنزلة العدم .

و الحاصل أنه لابد للرؤية من فاصلة بين الرائي والمرئي ، ويتحقّق الفاصلة بعدم وجود جسم كثيف ، والأجسام الفلكيّة غير مانعة للرؤية لأنّها أشفّ وأرقّ من هذا الهواء المكتنف للأرض ، فهي بمنزلة الهواء فيكون الهواء في لغة العرب أقرب من البعد المفطور الّذى يقول به بعض الفلاسفة ، انتهى موضع الحاجة من نقل كلامه .

أقول : لا كلام في أنّ الهواء أحد معانيه ما ذكره كما قدّمنا البحث عن ذلك في شرح الكتاب السابع، ولكن ليس هذا المعنى بمراد في الحديث ، لبطلان الخلاء أوّلاً ، و عدم تحقّق الرؤية بلاواسطة جسم شفاف بين الرائي والمرئي ثانياً وإن ذهب بعض إلى أنّ الواسطة كلّما كانت أرقّ كانت الرؤية أولى و أسرع كالمرئي في الهواء و الماء ثمّ قال بالقياس فلو كانت الواسطة خلاء محضاً لكانت الرؤية أكمل لكن حجّته داحضة والحقّ أنّ في الرؤية لابدّ من توسّط جسم شفّاف كما اختاره الحكيم المولى صدرا قدّس سرّه في آخر الباب الرابع من السفر الرابع من الأسفار ، وأقام فيه برهاناً بما لامزيد عليه حيث قال:

« فصل» في أنه لابدّ في الابصار من توسط الجسم الشفّاف . واعلم أنّ الحجة على ذلك أنّ تأثير القوى المتعلقة بالأجسام في شيء و تأثّرها عنه لايكون إلاّ بمشاركة الوضع و منشأ ذلك أنّ التأثير والتأثّر لايكون إلاّ بين شيئين بينهما علاقة عليّة و معلوليّة ، و هذه العلاقة متحقّقة بالذات بين القوة و ما يتعلّق بـه من مادّة أو موضوع أو بدن ، لأنّها إمّا علّة ذاته أو علّة تشخّصه أو كماله ، ومتحقّقة بالعرض بينها و بين ماله نسبة وضعيّة إلى ذلك المتعلّق به ، فا نّ العلاقة الوضعيّة في الأجسام بمنزلة العلاقة العليّة في العقليّات إذ الوضع هو بعينه نحو وجود الجسم وتشخّصه

فاذا كان الجسمان بحيث يتجاوران بأن يتّصل طرفاهما فكأنّهما كاناجسماً واحداً فاذا وقع تأثير خارجيٌ على أحدهما فيسري ذلك التأثير إلى الآخر كماتسخّن بعض جسم بالنار فانه يتسخّن بعضه الآخر أيضاً بذلك التسخين، و كما استضاء سطح أحدها بضوء النيّر يستضيء سطح آخر وضعه إلى الأوّل كوضعه إلى ذلك النيّر.

وإنّماقيّدنا التأثير بالخارجي لأنّ التأثير الباطني الّذي لايكون بحسب الوضع لايسري فيما يجاورالشيء.

فاذا تقرّر هذافنقول : إنّ الاحساس كالابصار و غيره هو عبارة عن تأثّر القوى الحاسّة من المؤثّرالجسماني، وهوالأمر المحسوس الخارجي فلابدههنا من علاقة وضعيّة بين مادّةالقوّة الحاسّة وذلك الأمر المحسوس، و تلك العلاقة لايتحقّق بمجرّد المحاذاة من غيرتوسّط جسم ماديّ بينهما إذلاعلاقة بين أمرين لااتّصال بينهما وضعاً ولانسبة بينهما طبعاً ، بل العلاقة إمّا ربط عقليٌ، أواتّصال حسّيٌ فلابدّ من وجود جسم واصل بينهما.

و ذلك الجسم إن كان جسماً كثيفاً مظلماً تسخّن فليس هو في نفسه قابلاً للأثر النوري فكيف يوجب ارتباط المبصر بالبصر أوارتباط المنير بالمستنيرفانّ الرابط بين الشيئين لابدّ وأن يكون من قبلهما ، لاأن يكون منافياً لفعلهما ، فاذاً لابدّ أن يكون بينهما جسم مشفّ غير حاجزو لامانع لوقوع أحدالأثرين أعني النور من النيّر إلى المستنير أومن البصر إلى المبصرأوتأدية الشبح من المبصر إلى البصر .

فعلى هذا يظهر فساد قول من قال :المتوسّط كلّما كان أرقّ كان أولى،فلو كان خلاء صرفا لكان الابصار أكمل حتى كان يمكن ابصارنا النملة على الصّماء.

لابماذكروه في جوابه بأنّ هذا باطل فليس إذا أوجب رقّةالمتوسّط زيادة قوّة فيالابصار لزم أن يكون عدمه يزيد أيضا في ذلك ، فانّ الرقّة ليست طريقة إلى عدم الجسم لأنّ اشتراطالرقّة في الجسم المتوسّطلوكان لأجل أن لايمنع

نفوذ الشعاع فصحّ أنه إذا كان رقّة الجسم منشأ سهولة النفوش كان عدم الجسم فيما بين أولى في ذلك و كانت الرقّة على هذا التقدير طريقاً إلى العدم .

بل فساده لأنه لو لم يكن بين الرائي والمرئي أمر وجوديٌّ متوسّط موصل رابط لم يكن هناك فعل وانفعال.

فان قلت : إنّ الشيخ اعترف بأنّ هذا النوع من الفعل والانفعال لايحتاج إلى ملاقات الفاعل و المنفعل ، فلو قدّرنا الخلاء بين الحاسّ و المحسوس فأيّ محال يلزم من انطباع صورة المحسوس في الحاسّ ، بل الخلاء محال في نفسه والملاء واجب . ؟

قلنا : إنّ ملاقاتهما ، وإن لم يكن واجباً لكن يجب مع ذلك إمّا الملاقاة وإمّا وجود متوسّط جسمانيّ بينهما يكون مجموع المتوسّط و المنفعل في حكم جسم واحد بعضه يقبل التأثير لوجود الاستعداد فيه، وبعضه لايقبل لعدم الاستعداد فلو فرض أن ليس بين النار والجسم المتسخّن جسم متوسّط لم يتحقّق هناك تسخين و تسخّن، لعدم الرابطة ، و كذا لو لم يكن بين الشمس والأرض جسم متوسّط لم يقبل الأرض ضوء ولا سخونة' انتهى كلامه رفع مقامه .

وقد أشار إلى هذا البرهان اجمالاً العلامة الخواجه نصير الدين الطوسي في شرحه على أواخر النمط الثاني من الاشارات للشيخ الرئيس بقوله : الأجسام العنصريّة قد تخلو عن الكيفيّات المبصرة و المسموعة و المشمومة و المذوقة و السبب في ذلك أنّ إحساس الحواسّ الأربعة بهذه المحسوسات إنما يكون بتوسّط جسم مّا كالهواء والماء ـ الخ .

ولعمري أنّ هذا كلام صدر من معدن تحقيق وفاض من عين صافية، و عليه جلّ علماء هذه الأعصار من افرنج وغيره أيضاً ، حيث ذهبوا بأنّ الاتر هو حامل النور من الشمس و القمر و الكواكب ، و هو منفوش بين السماء والأرض ،فاذا أصاب النور الأجسام الكثيفة كالأرض مثلا ينكسر قهراً، والانكسار مولّد للحرارة كما اختاره الرياضيّون من سالف الدّهر

وبالجملة لولم يكن بين الرائي و المرئي متوسّط مشفّ لايمكن الرؤية، والمتوسّط إمّا هواء أو إثر أوغيرها، والمخالف مكابر.

ثمّ إنّ قوله عليه السلام: الأسباب لابدّ من اتّصالها بالمسبّبات. حكم كلّيّ أصيل عقليّ ردّ على من زعم أنّ القول بتأثير الأسباب والوسائط ينافي كونه تعالى مستغنياً عن غيره، و يفضي إلى إنكار معجزات الأنبياء عليهم السلام والشرك بالله تعالى وغيرها من الأوهام الباطلة.

كما ذهب إليه الأشاعرة و قالوا: إنّ استناد الآثار الصادرة عن الانسان و عن الطبائع و غيرها من الممكنات جميعاً إلى واجب الوجود ابتداء من غير واسطة حتّى تسخين النار و تبريد الماء، فلا النار سبب للإحراق ولا الماء للتبريد و لا الفكر لتحصيل النتيجة و هكذا الكلام في سائر الأسباب فيقول بجواز تخلّف الاحراق عن النار و التبريد عن الماء و النتيجة عن المقدّمات الفكريّة إلّا أنّ عادة الله جرت بترتّب تلك الآثار عنها من غير تأثير لشيء منها فيها.

والعقل بفطرته الأصليّة يكذّب هذا القول وينفر عنه و الكلمات الالهيّة تنادي بأعلى صوتها بشناعته، والموحّد مع أنه يرى الكلّ من الله تعالى و يقول بحقائق الايمان: ليس المؤثّر في الوجود إلّا الله، يقول: أبى الله أن يجري الأمور إلّا بأسبابها، و يرى ما سواه معدّات مسخّرات بأمره تعالى، والمؤثّر في الحقيقه هو تعالى ومع ذلك يقول: لايجوز تخلّف المسبّبات عن الأسباب، ونعم ماقاله الحكيم السبزواري في اللآلي المنتظمة عند الأقوال في نتيجة القياس:

والحقّ ان فاض من القدسي الصور و إنـمـا إعداده من الفكر

قال تعالى في القرآن الكريم: «الله الّذي يرسل الرّياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء و يجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله» (الروم - ٤٨) فهو تعالى أرسل الرّياح ثمّ أسند اليها أنها تثير سحابا.

و قال تعالى: «و هو الذى يرسل الرّياح بشراً بين يدي رحمته حتّى إذا أقلّت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميّت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كلّ الثمرات

كذلك نخرج الموتى لعلّكم تذكّرون » (الاعراف ـ ٥٧) .

و الآيات الالهيّة من هذا القبيل كثيرة ، و المخالف يخالف فطرته و يكذّبها و نعم ما قيل :

إذا لم تكن للمرء عين صحيحة فلا غرو أن يرتاب و الصبح مسفر

« الحديث الثاني »

و هو الثاني من ذلك الباب من الكافي أيضاً روى الكليني قدّس سرّه عن أحمد بن إدريس ، عن محمّد بن عبدالجبار ، عن صفوان بن يحيى قال : سألني أبو قرة المحدّث أن اُدخله إلى أبي الحسن الرّضا عليه السلام ، فاستأذنته في ذلك فأذن لي فدخل عليه ، فسأله عن الحلال و الحرام و الأحكام حتّى بلغ سؤاله إلى التوحيد فقال أبو قرة : إنّا روّينا أنّ الله قسّم الرؤية و الكلام بين نبيّين ، فقسّم الكلام لموسى ولمحمد الرؤية ، فقال أبو الحسن عليه السلام : فمن المبلّغ عن الله إلى الثقلين من الجنّ والانس لاتدركه الأبصار ولايحيطون به علماً وليس كمثله شيء ، أليس محمّد ؟ قال : بلى ، قال : كيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنّه جاء من عندالله و أنّه يدعوهم إلى الله بأمر الله فيقول : لاتدركه الأبصار ولايحيطون به علماً وليس كمثله شيء ثمّ يقول : أنا رأيته بعيني و أحطت به علماً و هو على صورة البشر ، أما تستحيون ما قدرت الزنادقة أن ترميه عليه السلام بهذا أن يكون يأتي من عندالله بشيء ثمّ يأتي بخلافه من وجه آخر .

ثمّ قال أبو قرة : فانه تعالى يقول « ولقد رآه نزلة اُخرى » فقال أبو الحسن عليه السلام : إنّ بعد هذه الآية ما يدلّ على ما رأى حيث قال « ما كذب الفؤاد ما رأى » يقول ما كذب فؤاد محمّد صلى الله عليه وآله ما رأت عيناه . ثمّ أخبر بما رأى فقال « لقد رأى من آيات ربّه الكبرى » فآيات الله غير الله ، و قد قال الله : ولايحيطون به علماً ، فاذا رأته الأبصار فقد أحاط به العلم ووقعت المعرفة

فقال أبو قرة : فتكذّب بالروايات؟ فقال أبو الحسن عليه السلام : إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذّبتها وما أجمع المسلمون عليه أنّه لايحاط به علماً ولاتدركه

الأبصار وليس كمثله شيء ، انتهى الحديث على ما في الكافي .

أقول : روى الحديث أبو جعفر محمد بن بابويه الصدوق في باب ما جاء في الرؤية من كتابه في التوحيد قال : حدّثنا عليّ بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق قال : حدّثنا محمد بن يعقوب الكليني ، عن أحمد بن إدريس - الخ ' وفيه : بين اثنين مكان بين نبيّين . إلى الثقلين الجنّ والانس ، ليس فيه كلمة من الجارّة . قال : فكيف يجيء رجل ' مع كلمة الفاء ، ويقول لاتدركه ، مكان فيقول لاتدركه . يأتي عن الله بشيء ، مكان يأتي من عندالله بشيء ، كذبت بها مكان كذبتها وما اجتمع المسلمون مكان و ما أجمع المسلمون .

و كذا رواه الطبرسي في الاحتجاج وبين النسخ اختلاف في الألفاظ في الجملة و الحديث على ما في الكافي و التوحيد يكون على مقدار خمس ما في الأخير .

وقد صرّح الشيخ الطبرسي في الاحتجاج بأنّ أبا قرة المحدّث صاحب شبرمة وقد مضى في شرح المختار ٢٣٧ في البحث الروائي عن الأخبار الناهية عن العمل بالقياس في الدين أنّ عبدالله بن شبرمة القاضي كان يعمل بالقياس ، وقال أبوعبدالله عليه السلام: ضلّ علم ابن شبرمة عند الجامعة الخ .

ولكن ابن شبرمة هذا لم يدرك أبا الحسن الرضا عليه السلام قال المحدّث القمي - ره - في مادّة شبرم من السفينة : ابن شبرمة هو عبدالله البجلي الكوفي الضبّي كان قاضياً لأبي جعفر المنصور على سواد الكوفة وكان شاعراً توفي سنة ١٤٤ هـ .

وقال الاستاذ الشعراني في تعليقته على شرح المولى صالح المازندراني على اُصول الكافي : أبوقرة و شبرمة كلاهما مجهولان وليس عبدالله بن شبرمة المتوفي سنة ١٤٤ على عهد الصادق عليه السلام لأنه لم يدرك الرضا عليه السلام ، وقد ذكر ابن حجر في التقريب موسى بن طارق القاضي المكنى بأبي قرة من الطبقة التاسعة وهو معاصر للرضا عليه السلام فلعله هو . انتهى كلامه مدّ ظله .

و نقل في شرح المذكور عن بعض الأصحاب أنّ أبا قرة هذا هو عليّ بن أبي قرة أبوالحسن المحدّث رزقه الله تعالى الاستبصار و معرفة هذا الأمر أخيراً ، ثمّ

قال الشارح : وانّما وصفه بالمحدّث لئلاّ يتوهّم أنه أبوقرة النصراني اسمه يوحنّا صاحب جاثليق .

قوله : فدخل عليه فسأله عن الحلال و الحرام والأحكام حتّى بلغ سؤاله إلى التوحيد ، أقول : قد ذكرنا أنّ هذا الحديث يكون في الاحتجاج على مقدار خمسة أمثال ما في الكافي، على أنّ الطبرسيّ لم ينقل الحديث بتمامه ولا بأس بذكره على ما في الاحتجاج لاشتماله على فوائد عظمى في مسائل شتّى .

قال الطبرسي ـ ره ـ : و عن صفوان بن يحيى قال: سألني أبوقرة المحدّث صاحب شبرمة أن اُدخله إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته فأذن له ، فدخل فسأله عن أشياء من الحلال والحرام والأحكام والفرائض حتّى بلغ كلامه «سؤاله ـ خ ل » إلى التوحيد .

فقال له : أخبرني جعلني الله فداك عن كلام الله تعالى لموسى .

فقال : الله أعلم و رسوله بأيّ لسان كلّمه بالسريانيّة أم بالعبرانيّة .

فأخذ أبو قرة بلسانه فقال : إنّما أسألك عن هذا اللّسان .

فقال أبوالحسن عليه السلام : سبحان الله ممّا تقول ، و معاذ الله أن يشبه خلقه أو يتكلّم بمثل ماهم به يتكلّمون ، و لكنّه عزّوجلّ ليس كمثله شيء و لا كمثله قائل فاعل .

قال : كيف ذلك ؟

قال : كلام الخالق لمخلوق ليس ككلام المخلوق لمخلوق ، ولا يلفظ بشقّ فم ولالسان ، ولكن يقول له كن فكان بمشيّته ماخاطب به موسى من الأمر والنهي من غير تردّد في نفس .

فقال له أبوقرة : فما تقول في الكتب ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : التوراة و الانجيل والزّبور و القرآن و كلّ كتاب اُنزل كان كلام الله أنزله للعالمين نوراً و هدىً وهي كلّها محدثة و هي غير الله حيث يقول « أويحدث لهم ذكراً » وقال« ما يأتيهم من ذكر من ربّهم محدث إلاّ استمعوه

وهم يلعبون » والله أحدث الكتب كلّها الّذي أنزلها .

فقال أبوقرة : فهل تفنى ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام: أجمع المسلمون على أنّ ماسوى الله فان و ماسوى الله فعل الله، والتوراة والانجيل والزبور و القرآن فعل الله ،ألم تسمع الناس يقولون ربّ القرآن و أنّ القرآن يوم القيامة يقول يارب ّ هذا فلان و هو أعرف به منه قد اظمأت نهاره و أسهرت ليله فشفّعني فيه و كذلك (فكذلك ـ خ ل » التوراة والانجيل و الزبور وهي كلّها محدثة مربوبة أحدثها من ليس كمثله شيء هدى لقوم يعقلون ، فمن زعم أنهنّ لم يزلن فقد أظهر أنّ الله ليس بأوّل قديم ولاواحد وأنّ الكلام لم يزل معه ، وليس له بدؤ وليس با له .

قال أبوقرة: فانّا روّينا أنّ الكتب كلّها تجيء يوم القيامة و الناس في صعيد واحد صفوف قيام لربّ العالمين ينظرون حتّى ترجع فيه لأنّها منه و هي جزء منه فاليه تصير .

قال أبوالحسن عليه السلام : فهكذا قالت النصارى في المسيح إنّ روحه جزء منه و يرجع فيه ، و كذلك قالت المجوس في النار و الشمس إنّهما جزء منه ويرجع فيه تعالى ربّنا أن يكون متجزّياً أومختلفا ، وانّما يختلف ويأتلف المتجزّي لأنّ كلّ متجزّ متوهّم والقلّة و الكثرة مخلوقة دالّة على خالق خلقها .

فقال أبوقرة: فانّاروّينا أنّ الله قسّم الرؤية و الكلام بين نبيّين ، فقسّم لموسى الكلام ولمحمد الرؤية ـ الى آخر ما نقلناه عن الكافي و بعده : وسأله عن قوله تعالى « سبحان الّذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » .

فقال أبوالحسن عليه السلام: قد أخبر الله أنه أسرى به ثمّ أخبر لم اسرى به فقال « لنريه من آياتنا » فآيات الله غير الله فقد أعاد « أعذر ـ خ ل» و بيّن لم فعل ذلك به و ماراه ، وقال « فبأيّ حديث بعدالله و آياته يؤمنون » فأخبرأنه غير الله .

فقال أبوقرة : فأين الله ؟

فقال عليه السلام : الأين مكان و هذه مسألة شاهد عن غائب ، فالله ليس بغائب ولايقدمه قادم ، و هو بكلّ مكان موجود مدبّر صانع حافظ يمسك السماوات و الأرض .

فقال أبوقرة : أليس هو فوق السماء دون ماسواها ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : هو الله في السماوات و في الأرض وهوالّذي في السماء إلهوفي الأرض إله، وهو الّذى يصوّركم في الأرحام كيف يشاء، وهو معكم أينما كنتم ، و هو الّذي استوى إلى السماء وهي دخان ، و هو الّذي استوى إلى السماء فسوّيهن سبع سموات ، وهو الذى استوى إلى العرش قدكان و لاخلق وهو كما كان إذلاخلق لم ينتقل مع المنتقلين .

فقالأبوقرة: فما بالكم إذا دعوتم رفعتم أيديكم إلى السماء ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : إنّ الله استعبد خلقه بضروب من العبادة و لله مفازع يفزعون إليه و مستعبد فاستعبد عباده بالقول و العلم و العملو التوجّه ونحوذلك استعبدهم بتوجّه الصلاة إلى الكعبة ووجّه إليها الحجّ و العمرة ، و استعبد خلقه عند الدّعاء والطلب والتضرّع ببسط الأيدي ورفعها إلى السماء لحال الاستكانة وعلامة العبوديّة و التذلّل .

قال أبو قرة : فمن أقرب إلى الله الملائكةأوأهل الأرض ؟

قال أبوالحسن عليه السلام : إن كنت تقول بالشبر و الذّراع فانّ الأشياءكلّها باب واحد هي فعله لايشتغل ببعضها عن بعض يدبّر أعلى الخلق من حيث يدبّر أسفله و يدبّر أوّله من حيث يدبّر آخره ، من غير عناء وكلفة ، و لامؤنة و لا مشاورة ولانصب، وإن كنت تقول : من أقرب إليه في الوسيلة فأطوعهم له ، و أنتم تروون أنّ أقرب ما يكون العبد إلى الله وهوساجد ، ورويتم أنّ أربعة أملاك التقوا : أحدهم من أعلى الخلق ، و أحدهم من أسفل الخلق ، و أحدهم من شرق الخلق وأحدهم من غرب الخلق ، فسأل بعضهم بعضاً فكلّهم قال : من عندالله أرسلني بكذا و كذا ، ففي هذا دليل على أنّ ذلك في المنزلة دون التشبيه والتمثيل .

فقال أبوقرة : أتقرّ أنّ الله محمول؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : كلّ محمول مفعول و مضاف إلى غيره محتاج فالمحمول اسم نقص في اللّفظ ، و الحامل فاعل و هو في اللّفظ ممدوح ،و كذلك قول القائل : فوق و تحت وأعلى وأسفل ، وقد قال الله تعالى «وله الأسماء الحسنى فادعوه بها» (الأعراف ـ ١٨٠) ولم يقل في شيء من كتبه انّه محمول ، بل هو الحامل في البرّ والبحر والممسك للسماوات والأرض ، والمحمول ماسوى الله ولم نسمع أحداً آمن بالله و عظّمه قطّ قال في دعائه : يا محمول .

قال أبو قرة : أفتكذّب بالرواية إنّ الله إذا غضب إنّما يعرف غضبه أنّ الملائكة الذين يحملون العرش يجدون ثقله على كواهلهم ، فيخرّون سجّداً ،فإذا ذهب الغضب خفّ فرجعوا إلى مواقفهم ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : أخبرني عن الله تعالى منذلعن إبليس إلى يومك هذا وإلى يوم القيامة غضبان هو على إبليس و أوليائه أوعنهم راض ؟

فقال : نعم هو غضبان عليه .

قال : فمتى رضي فخفّ و هو في صفتك لم يزل غضباناً عليه وعلى أتباعه. ثمّ قال: ويحك كيف تجترىء أن تصف ربّك بالتغيّر من حال إلى حال وأنه يجري عليه ما يجري على المخلوقين سبحانه لم يزل مع الزائلين و لم يتغيّر مع المتغيّرين.

قال صفوان : فتحيّر أبوقرة ولم يحر جواباً حتّى قام وخرج .

قوله « إنا روّينا » بضم الراء و تشديد الواو المكسورة مبنيّة للمفعول من التروية قال الشهاب الفيومي في المصباح المنير : روى البعير الماء يرويه من باب رمى حمله فهو راوية ، والهاء فيه للمبالغة ثمّ اطلقت الراوية على كلّ دابّة يستقى الماء عليها ، و منه قيل ، رويت الحديث إذا حملته ونقلته و يعدّى بالتضعيف فيقال: روّيتزيداً الحديث، ويبنى للمفعول فيقال : روّيت الحديث. انتهى كلامه .

قوله : «إنّ الله قسّم الرؤية والكلام بين نبيّين فقسّم الكلام لموسى ولمحمد الرؤية» فهم أبو قرة أنّ المراد بالرؤية رؤيته تعالى بالأبصار ولذا تصدّى الإمام عليه السلام

على عدم صحتها مستدلاً عليه بما سيأتي شرحه. فجوابه عليه السلام إنما كان على حذو زعم أبي قرة و إلاّ فالرؤية القلبيّة الّتي هي الانكشاف التام للمخلصين والكمّلين فلا كلام في صحتها كما سيجيء بيانه من الأئمة الهداة المهديّين عليهم السلام

ثمّ لمّا كان على مشرب العرفان الحقّ سبحانه و تعالى في كلّ خلق ظهور خاصّ به وهو تعالى متجلّ للعباد على حسب استعداداتهم المتنوعة بالعطايا الأسمائيّة الفائضة عليهم بالفيض المقدّس، بل له تعالى بحسب كلّ يوم هو في شأن شئونات و تجلّيات في مراتبه الإلهيّة و قد قال الامام جعفر الصادق عليه السلام: إنّ الله تعالى قد يتجلّى لعباده في كلامه ولكنّهم لايعلمون كما نقله عنه عليه السلام القيصريّ في شرحه على فصوص الحكم لمحي الدّين في أوّل فصّ حكمة سبّوحيّة في كلمة نوحيّة.

ولمّا كان وجود العالم مستنداً إلى الأسماء لأنّ كلّ فرد من أفراد الموجودات تحت تربية اسم خاصّ من أسماء الله تعالى و قد تقرّر في محلّه أنّ للأسماء دولا بحسب ظهوراتها وظهور أحكامها اتّصف كلّ موجود بمقتضى الاسم الخاصّ الغالب عليه، فبتلك الاشارات يعلم إجمالاً سرّ اتصاف بعض الأنبياء والأولياء ببعض الأوصاف دون بعض كما وصف آدم عليه السلام بصفيّ الله، و نوح عليه السلام بنجيّ الله، و إبراهيم عليه السلام بخليل الله، ، و موسى عليه السلام بكليم الله، ومثل ما وصف الامام عليّ بن الحسين عليه السلام بالسجّاد، وابنه الامام أبوجعفر محمد عليه السلام بباقر العلوم.

و لمّا كان خاتم النبيين صلى الله عليه وآله منفرداً بمقام الجمعيّة الإلهيّة الّذي مافوقه إلاّ مرتبة الذّات الأحديّة لأنّه صلى الله عليه وآله مظهر اسم الله، وهو الاسم الجامع للأسماء والنّعوت كلّها، فتخصيص الكلام و سائر النعوت الكماليّة بموسى عليه السلام وغيره من الأنبياء غير ثابتة بل هي ثابتة له صلى الله عليه وآله أيضاً.

قوله: «فقال أبو الحسن عليه السلام فمن المبلّغ عن الله الثقلين من الجنّ والانس لاتدركه الأبصار ـ الى قوله ـ وهو على صورة البشر» لمّا زعم أبو قرة الرؤية بالأبصار احتجّ عليه الامام، أبو الحسن الرضا عليه السلام: بتلك الآيات المنزّلة من عندالله تعالى بلسان نبيّه الخاتم و سأله على صورة الاستفهام للتقرير بأنّ مبلّغها ليس محمد

صلى الله عليه وآله ؟ قال : بلى، أي هو صلى الله عليه وآله مبلّغها .

ثمّ سـأله على صورة الاستفهام للإنكار كيف يخبر الخلائق عن الله تعالى رسوله المبعوث إليهم بأنّ الأبصار لاتدركه ثمّ يقول هو : و رأيته بعيني كما تكلّم المتكلّمون في رؤيته صلى الله عليه وآله ربّه تعالى ليلة الاسراء ، فذهب بعضهم كأبي الحسن الأشعري أنه صلى الله عليه وآله رآه بعيني رأسه .

ثمّ إنّ ضمير هو في قوله : و هوعلى صورة البشر، يرجع إلى الله تعالى أعني أنّ الجملة الأخيرة مقولة الرجل أي النبي صلى الله عليه وآله كالاُولبين لأنّها مقولة الامام عليه السلام حتى تكون حاليّة، وإنه عليه السلام رتّب ثلاثة اُمور على الآيات الثلاث على اللّف و النشر المرتّب فرتّب أنا رأيته بعيني على لاتدركه الأبصار ، وأحطت به علماً على لايحيطون به علماً ، وهوعلى صورة البشر على ليس كمثله شيء .

أمّا وجه دلالة الآية الاُولى على نفي الرؤية بالعين فلأنّ إدراك كلّ قوّة من قوى ظاهريّة كانت أوباطنيّة على حسبها، فاذا سمعت الأذن كلاماً فقد أدركته وإذارأت العين شيئاً فقد أدركته و ان كان المدرك في الحقيقة هو النفس و القوى آلاتها ، لأنّ الادراك إذا تعلّق بما يكون ماديّاً تدركه النفس بآلة تخصّه ،وإلاّ تدركه النفس بذاتها ، وعلى الأوّل يكون حقيقة ذلك الشيء متمثّلة عند المدرك أي النفس بواسطة الحسّ بانتزاعهـا صورته من نفس حقيقته على تجريد بيّن في محلّه .

و لذا قال الشيخ في الاشارة الثالثة من النمط الثالث من الاشارات : إدراك الشيء هوأن يكون حقيقته متمثّلة عند المدرك يشاهدهاما به يدرك ، والفعل في سياق النفي كالنكرة في سياقه يفيد العموم، فالحجّة أنّ النبي صلى الله عليه وآله أخبر عن الله بأنه لاتدركه عين فكيف يقول هو: رأيته تعالى بعيني و هل هذا إلاّ التناقض في قوله .

و أمّا الآية الثانية فوجه الاحتجاج بها أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخبرهم بأنّهم لايحيطون به علماً ، فكيف يقول هو بالتناقض: إنّي أحطت به علماً .

سواء كانت تلك الاحاطة بالإبصار لأنّ إبصار الشيء إحاطة مّا علميّة به كما

صرّح به الامام عليه السلام في قوله الآتي : فاذا رأته الأبصار فقد أحاط به العلم ووقعت المعرفة .

أو كانت بادراك آخر من غير إبصار كالوهم و العقل فانّ إحاطته تعالى بأيّة قوّة مدركة كانت مستحيلة ، فالآية الثانية تدلّ على نفي الرؤية أيضاً .

و أمّا الآية الثالثة فوجه الاحتجاج بها أنّه تعالى أخبرهم بأمره تعالى بأنّه ليس كمثله شيء فكيف يقول: إنّه تعالى على صورة البشر .

و هذا إشارة إلى ردّ ما رووا عن رسول الله صلّى الله عليه وآله من أنّ الله تعالى خلق آدم على صورته كما في الملل و النحل للشهرستاني عند الكلام في المشبّهة (ص ٤٨ طبع ايران ١٢٨٨ ه) ، و إلى ردّ مارووا عنه صلّى الله عليه وآله من أنّه قال : رأيت ربّي في أحسن صورة . نقله الشهرستاني أيضاً في ص ٤٩ من الكتاب . و نقل بعضهم عنه صلّى الله عليه وآله أنّه رآه تعالى ليلة المعراج على صورة شابّ حسن الوجه أو على صورة الشابّ المراهق ونحوهما من المنقولات الظاهرة في أنّه تعالى على صورة البشر .

روي في عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق وفي الاحتجاج للطبرسي قدّس سرّهما عن الحسين بن خالد أنه قال : قلت للرضا عليه السلام : إنّ الناس يقولون : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : إنّ الله خلق آدم على صورته ، فقال : قاتلهم الله لقد حذفوا أوّل الحديث إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله مرّ برجلين يتسابّان فسمع أحدهما يقول: قبّح الله وجهك ووجه من يشبهك فقال صلّى الله عليه وآله له : يا عبدالله لاتقل هذا لأخيك فانّ الله خلق آدم على صورته .

روى لكليني في باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه من جامعه الكافي باسناده عن إبراهيم بن محمّد الخزاز و محمّد بن الحسين قالا : دخلنا على أبي الحسن الرضا عليه السلام فحكينا له أنّ محمّداً صلّى الله عليه وآله رأى ربّه في صورة الشاب الموفق في سنّ أبناء ثلاثين سنة ــ الى أن قال: ثمّ قال عليه السلام : يا محمّد إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله حين نظر إلى عظمة ربّه كان في هيئة الشاب الموفق و سنّ أبناء ثلاثين سنة ؟! يا محمّد عظم ربّي عزّ وجلّ أن يكون في صفة المخلوقين ــ الى أن قال عليه السلام : يا محمّد ماشهد له الكتاب والسنّة

فنحن القائلون به .

فبما حققّنا دريت أنّ الآية الأولى مطابقة للسؤال عن الرؤية ، والأخيرتين إنّما ذكرتا على نحو التمثيل والتنظير ، و هذا الدأب ليس بعزيز في الاحتجاجات و إن كان مورد السؤال نفي الرؤية، على أنّه يمكن إرجاع الآيات الثلاث إلى دلالتها على نفي الرؤية أيضاً ضمناً .

أمّا وجه دلالة الأولين عليه فقد علم ، و أمّا دلالة الأخيرة عليه فلأنّه لو تعلّق الادراك بالبصر عليه تعالى لزم أن يكون مماثلاً لأجسام كثيفة حتّى يتحقّق الرؤية بالعين ، لما علم في شرح الحديث الأوّل من أنّ الرؤية انّما تعلّق على الأجسام الّتي لا ينفذ عنها نور البصر ، فلا تكون إلاّ كثيفاً ذا وضع وجهة فيلزم من القول بالرؤية أن يكون له تعالى مماثل من الأجسام ، لأنّ كلّما يدرك بالأبصار فهو ذو مثل، وهذه الدّقيقة مستفادة ضمناً ويؤيّده قوله عليه السلام بعدذا : فاذا رأته الأبصار فقد أحاط به العلم ووقعت المعرفة .

و يحتمل بعيداً أن يرجع ضمير هو في « وهو على صورة البشر » إلى الرّجل أي النبيّ صلى الله عليه وآله بأن تكون الجملة حاليّة والآيات الثلاث استشهد بها لدلالتها على نفي الرؤية و منساقة اليه رأساً ، لا أنّه يستفاد ضمناً كما ذهب إليه جمٌّ غفير من شرّاح الحديث .

فيكون المعنى أنه صلى الله عليه وآله أخبرهم عن الله تعالى بأمره ، لاتدركه الأبصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثله شيء، تدلّ كلُّ واحدة منها على نفي رؤيته تعالى بالأبصار ، ثمّ يقول ذلك المخبر أنا رأيت الله بعيني وأحطت به علماً برؤيتي إيّاه بعيني أيضاً و الحال أنّه على صورة البشر أي إذا لم يكن للبشر إدراكه وإحاطته بالأبصار فكيف يجوز له صلى الله عليه وآله وهو من البشر أيضاً .

و لكن طبع الحديث يأبى عن هذا الأحتمال جدّاً كما لا يخفى على المتدرّب بصناعة الكلام من متن الحديث و اُسلوبه ، والمختار هو المتعيّن .

و بعض نسخ الكافي بلا ضمير هو ، أي وأحطت به علماً على صورة البشر فعلى

هذا الوجه إمّا أن تتعلّق على بضمير الفاعل في أحطت فيكون الرائي أي النبي صلى الله عليه وآله على صورة البشر ، و إمّا أن تتعلّق بالضمير المجرور في به فيكون المرئيُّ أي الله تعالى على صورة البشر .

و بما حقّقناه يعلم أنّ تلك النسخة ليست بصواب و اسقط الضمير من الكاتب و كم له من نظير .

قوله عليه السلام : «أما تستحيون ماقدرت الزنادقة أن ترميه عليه السلام بهذا أن يكون يأتي من عندالله بشيء ثمّ يأتي بخلافه من وجه آخر » و في بعض النسخ أما تستحون وهي صحيحة أيضاً لأنها مخفّفة الأولى و لغة منها . و كلمة ما في قوله : ما قدرت ، نافية .

قوله : أن ترميه عليه السلام بهذا أي تنسبه به والضمير يرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و قال العلامة المجلسي ـ ره ـ في مرآة العقول : و إرجاع الضمير إلى الله بعيد جدّاً . و أقول : بل هووهم رأساً لعدم مناسبته الحجّة ولالفظ الحديث.

قوله : أن يكون «اه» بدل لقوله هذا و بيان و تفصيل له . و المراد أنّ الزنادقة مع كفرهم و عنادهم لاينسبونه صلى الله عليه وآله إلى ما نسبتموه إليه من المناقضة في أقواله و كذبه على الله تارة يقول من أمرالله لاتدركه الأبصار و تارة يقول إني رأيته ببصري فكيف أنتم مع اعترافكم بنبوّته صلى الله عليه وآله ترمونه به .

قوله : « ثم قال أبو قرة فانه تعالى يقول و لقدرآه نزلة أخرى» لمّا بيّن الإمام عليه السلام استحالة إدراكه تعالى بالأبصار استدلّ أبوقرة في مقام المعارضة بقوله تعالى على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رآه تعالى بعينه بناء على أنّ ضمير المفعول في رآه راجع إليه تعالى ، فأجابه الإمام عليه السلام بأنّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً وأنّ بعد هذه الاية ما يدلّ على ما رأى حيث قال تعالى «ما كذب الفؤاد مارأى » وفسّرها عليه السلام بقوله ما كذب فؤاد محمّد ما رأت عيناه ، ثمّ استشهد بالآية التالية المبيّنة لما رأت عيناه صلى الله عليه وآله « مازاغ البصر و ماطغى ۞ لقدر أى من آيات ربّه الكبرى »فضمير المفعول في رآه راجع إلى المخلوق لا إلى الخالق حيث قال: لقد رأى من آيات

ربه الكبرى و آيات الله غير الله . ثم احتج عليه بقوله تعالى « ولا يحيطون به علماً » ثم فسره زيادة توضيح و بيان في دلالة الآية على نفى الرؤية بالأبصار بقوله : فإذا رأته الأبصار فقد أحاط به العلم ووقعت المعرفة .

ثم إن كثيراً من نسخ مخطوطة و مطبوعة من الكافي متفقة في تأنيث فعل أحاط أي « فقد أحاطت به العلم » ولكنها من تصحيف النساخ ظناً منهم أن ضمير الفعل راجع إلى الأبصار ، و هو وهم لأن العلم فاعله و إلا يلزم أن يكون العلم تميزاً والتميز يجب أن يكون نكرة .

قال الجوهري في الصحاح : أحاط به علمه ، وأحاط به علماً ، و أحاطت الخيل بفلان ، و احتاطت به أي أحدقت . و في الوحي الإلهي « ولا يحيطون به علماً » و « أن الله قد أحاط بكل شيء علماً » .

قوله : « فقال أبو قرة فتكذب بالروايات» لما استدل الامام عليه السلام بالدليلين العقلي و النقلي على استحالة رؤيته تعالى بالأبصار ولم يبق لأبي قرة دليل يستدل به على مطلوبه اعترض على الإمام فقال على صورة الاستفهام للانكار : أفتكذب بالروايات ؟ يعني إذا لم تكن تلك الروايات دالة على رؤيته تعالى لزم تكذيبها أي القول بعدم اسنادها إلى النبي صلى الله عليه وآله .

فأجابه الامام بالتزامه فقال : إذا كانت مخالفة للقرآن كذبتها ، و ذلك لأنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فهو الأصل الصدق والمعيار الحق ولا يعارضه الأخبار المتخالفة المختلفه ، ولا يجوز التجاوز في التوحيد عما في القرآن المجيد و قد أدب الأئمة عليهم السلام أصحابهم بذلك .

ففي الحديث الحادي و الثلاثين من الباب الأول من كتاب التوحيد للصدوق -ره- باسناده عن الفضل بن شاذان ،عن ابن أبي عمير قال : دخلت على سيدي موسى ابن جعفر عليهما السلام فقلت له: يا ابن رسول الله علمني التوحيد، فقال : يا أبا أحمد لا تتجاوز في التوحيد ما ذكره الله تعالى في كتابه فتهلك ، الحديث .

فما وافقته من الأخبار و إلّا تضرب بالجدار ، و لايخفى أنّ الأخبار الّتي يمكن الجمع بينها و بين الكتاب ليست بمخالفة له ،و نسخة التوحيد للصدوق: كذبت بها ، وهي أنسب بقول أبي قرة فتكذب بالروايات مطابقة .

قوله : « وما أجمع المسلمون عليه أنّه لايحاط به علماً ، ولاتدركه الأبصار وليس كمثله شيء » قوله عليه السلام انّه لايحاط به علماً إشارة إلى قوله تعالى « يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم ولايحيطون به علماً » (طه ـ ١١١) .

ولاتدركه الأبصار بعض آية ١٠٤ من الأنعام قوله تعالى: «لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللّطيف الخبير » .

و ليس كمثله شيء بعض آية ١٠ من الشورى قوله تعالى : « فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً و من الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » .

وكلمة ماموصولة اسميّ مبتداء و خبره كلّ واحد من أنّه لايحاط به علماً ولاتدركه الأبصار ، وليس كمثله شيء ، و ليست معطوفة على القرآن حتّى يكون التقدير : إذا كانت الروايات مخالفة لما أجمع المسلمون عليه كذّبتها ، ولو كانت معطوفة عليه لوجب أن تقدم على كذّبتها .

و معنى العبارة أنّ القرآن لمّا كان منزّلاً من عندالله تعالى و أجمع المسلمون قاطبة على تسليم ما فيه و منه قوله تعالى : لايحيطون به علماً، ولاتدركه الأبصار وليس كمثله شيء ، لم يجز الاعراض عنه و خرقه بروايات تنافيه و تخالفه ومن تمسّك بها خالف القرآن و إجماع المسلمين .

و إلى هنا تمّت الحجّة على أبي قرة على أتمّ بيان وأكمل برهان في استحالة إدراكه تعالى بالأبصار ما فاه بشيء من مناقضة أو معارضة في المسألة أصلاً ، بل انتقل إلى أسألة اُخرى قدّمناها من رواية الطبرسي في الاحتجاج و في آخرها : قال صفوان : فتحيّر أبوقرة ولم يحرجوا باً حتّى قام و خرج .

«تقديم مطالب يليق أن يشار اليها»

الاول: أن قوله عليه السلام : « فمن المبلّغ عن الله إلى الثقلين من الجنّ والإنس و قوله عليه السلام « كيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً » أفادا ثلاثة أُمور .

الأوّل: أنّ الثقلين بفتحتين هما الجنّ و الانس و عليه إجماع أهل اللغة والتفسير في قوله تعالى : «سنفرغ لكم أيّها الثقلان »(الرحمن ـ ٣٣)

و يفسّر الثقلين بالجنّ و الانس آيات أُخرى من سورة الرحمن كقوله تعالى « خلق الانسان من صلصال كالفخّار ◎ وخلق الجانّ من مارج من نار »وقوله تعالى « يا معشر الجنّ و الانس » الآية . وقوله تعالى « فيومئذ لايسئل عن ذنبه انس ولاجانّ » .

قال القاضي البيضاوي في تفسير أنوار التنزيل : الثقلان الإنس و الجنّ سمّيا بذلك لثقلهما على الأرض ،أولرزانة رأيهم وقدرهم ، أولأنهما مثقلان بالتكليف انتهى قوله .

و الجنّ والانس يؤنّثان باعتبار أنّهما طائفةأوجماعة، قال المرزوقيّ في شرح قول إياس بن مالك الطائيّ (الحماسة ١٩٤) .

كلا ثقلينا طامع بغنيمة وقد قدّر الرحمن ما هوقادر

قوله : كلا ثقلينا ، أي كلّ واحد من جماعتينا ، و الثقل « بالتحريك » الجماعة . و الثقلان الجنّ والانس .

الأمر الثاني: أنّ الجنّ مكلّفون بما كلّف بها الأنس .

الأمر الثالث: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مبعوث إليهم أيضاً ، والقرآن الكريم ناطق بذين في عدّة مواضع .

قال تعالى : « قل لئن اجتمعت الانس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذاالقرآن لايأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيراً » (الاسراء ـ ٩١)

وجه الاستدلال بالآية عليه أنّهم لولم يكونوا مكلّفين بما كلّف بها الانس و لم يكن خاتم النبيّين مبعوثاً إليهم أيضاً لما تحدّيهم الله تعالى بالاتيان

بمثل القرآن .

و قال تعالى : « و يوم يحشرهم جميعاً يامعشر الجنّ قد استكثرتم من الإنس و قال أولياؤهم من الانس ربّنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الّذي أجّلت لنا قال النار مثويكم خالدين فيها إلاّ ما شاءالله إنّ ربّك حكيم عليم ۞ و كذلك نولّي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ۞ يا معشر الجنّ و الانس ألم ياتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي و ينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرّتهم الحيوة الدّنيا و شهدوا على أنفسهم أنّهم كانوا كافرين » (الانعام ـ ١٣٠ـ١٣٢)

أي اذكر يوم يحشرهم الله تعالى ، بالياء على قراءة حفص عن عاصم، وعلى قراءة أبي بكر عنه يوم نحشرهم بالنون ، وضميرهم لمن يحشر من الثقلين .

ووجه الاستدلال بهما بيّن ، فانّ لهم حشراً و ثواباً و عقاباً فهم مكلّفون .

والآية الأخيرة صريحة على أنّ رسلاً اُرسلوا إليهم ، و أمّا أنّ هؤلاء الرسل المبعوثون إلى الانس فلاتدلّ عليه هذه الآية صريحةً و إن دلّت على أنّ رسول الله ﷺ مبعوث اليهم ، لأنّهم مخاطبون بالقرآن ، ولولا القرآن كتابهم و الرسول ﷺ بعث إليهم ايضاً لما خوطبوا به وانّما الكلام في الرسل الذين كانوا قبله ﷺ .

وانّما قلنا لاتدلّ الآية عليه صريحاً ،لامكان ارجاع الضمير في قوله :رسل منكم إلى الانس خاصّة لما سنشير اليه بعيد هذا، ولكنّ الآية ظاهرة في أنّ لكلّ طائفتين نبيّا من جنسهما .

و قال تعالى في سورة الملك : « ولقد زيّنا السماء الدّنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين ۞ و أعتدنا لهم عذاب السعير ۞ وللّذين كفروا بربّهم عذاب جهنم وبئس المصير ۞ إذا اُلقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور ۞ تكاد تميّز من الغيظ كلّما اُلقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ۞ قالوا بلى قد جاءنا نذير ۞ فكذّبنا وقلنا مانزّل الله من شيء إن أنتم إلاّ في ضلال كبير ۞ و قالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السعير ۞ فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير » .

فالآيات تدلّ على أنّ للجنّ ثواباً و عقاباً حيث قال تعالى: و أعتدنا لهم عذاب السعير، ثمّ إنّ لهم نذيراً أيضاً حيث قالوا بلى قد جاءنا نذير، والّذين كفروا يشملهم أيضاً بدليل قولهم لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السعير و قال تعالى أوّلاً: وأعتدنا لهم عذاب السعير فأصحاب السعير شامل للكافرين من الجنّ أيضاً و تدلّ ايضاً على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث إليهم بدليل المخاطبة و الانذار، وأمّا أنّ جميع نذرهم هل كانوا منهم أو من الانس فلاتدلّ الآية عليه.

و نظير هذه الآيات الدّالّة على أنّه كان لهم نذير في كلّ زمان قوله تعالى « وإن من امّة إلاّ خلافيها نذير » (فاطر - ٢٣) لأنّ الجنّة امّة أيضاً بلا كلام والقرآن ناطق بذلك.

قال تعالى « فمن أظلم ممّن افترى على الله كذباً أو كذّب بآياته اُولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتّى إذا جائتهم رسلنا يتوفّونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلّوا عنّا وشهدوا على أنفسهم أنّهم كانوا كافرين ✿ قال ادخلوا في اُمم قد خلت من قبلكم من الجنّ والانس في النار كلّما دخلت امّة لعنت اُختها حتّى إذا ادّاركوا فيها جميعاً قالت اُخريهم لاُوليهم ربّنا هؤلاء أضلّونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكلّ ضعف ولكن لاتعلمون ✿ و قالت اُوليهم لاُخريهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون » الاعراف ٣٧ - ٣٩)

نعم ولقائل أن يقول: إنّ جميع نذرهم لم يكونوا من الانس بدليل قوله تعالى « والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم » (الحجر - ٢٨).

وجه الاستدلال أنّ الجانّ خلق من قبل خلق الانس من نار السموم، وقال تعالى « و إن من امّة إلاّ خلا فيها نذير » فكان لهم نذير ولم يكن خلق الانسان بعد، والله تعالى أعلم، وما اُوتينا من العلم إلاّ قليلاً.

١ ثمّ إنّ الشياطين في سورة الملك هم بعض من طائفة الجنّ و كذا قوله تعالى « فوربّك لنحشرنّهم و الشياطين ثمّ لنحضرنّهم حول جهنّم جثيّاً » (مريم - ٧١).

و ذلك لأنّه تعالى قال : ولسليمان الرّيح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها و كنّا بكلّ شيء عالمين ☆ ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك و كنّا لهم حافظين » (الانبياء ـ ٨٢ و٨٣) و كذا قال: « ولقد فتنّا سليمان ـ الى قوله: فسخّرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ☆ والشياطين كلّ بنّاء و غوّاص ☆ و آخرين مقرّنين في الأصفاد » (ص ،٣٥ ـ ٣٩) .

و إذا أضفناها إلى قوله تعالى « ولسليمن الريح غدوّها شهر ورواحها شهر و أسلنا له عين القطر و من الجنّ من يعمل بين يديه بإذن ربّه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ☆ يعملون له مايشاء من محاريب و تماثيل و جفان كالجواب و قدور راسيات اعملوا آل داود شكراً و قليل من عبادي الشكور ☆ فلمّا قضينا عليه الموت مادلّهم على موته إلاّ دابّة الأرض تأكل منسأته فلمّا خرّ تبيّنت الجنّ أن لوكانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين » (سباء ، ١٢ ـ ١٤) و إلى قوله تعالى : « و حشر لسليمان جنوده من الجنّ و الانس و الطير فهم يوزعون » (النمل ـ ١٩) و إلى قوله تعالى : « قال عفريت من الجنّ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك » (النمل ـ ٤٢) تنتج أنّ هؤلاء الشياطين كانوا من الجنّ .

و كذا إذا أضفنا قوله تعالى : «ولقد زيّنّا السماء الدّنيا بمصابيح و جعلناها رجوماً للشياطين » (الملك ـ ٦) إلى قوله تعالى : « قل اُوحي إليّ أنّه استمع نفر من الجنّ ـ إلى قوله تعالى مخبراً عنهم : و أنّا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً و شهباً ☆ و أنّا كنا مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً» (الجن ،٢ـ١٠) ينتج أنّ الشياطين طائفة من الجنّ .

و قال تعالى : « سنفرغ لكم أيّها الثقلان » (الرحمن ـ ٣٣) أي سنجرّد لحسابكم و جزائكم وذلك يوم القيامة قال القاضي : وفيه تهديد مستعار من قولك لمن تهدّده : سأفرغ لك فانّ المتجرّد للشيء كان أقوى عليه و أحدّ فيه. ووجه الاستدلال به ظاهر .

و كذا آية اُخرى من تلك السورة و هي قوله تعالى « فيومئذ لايسئل عن

ذنبه إنس و لاجانّ » بل المخاطب فيها الجنّ و الانس في آيات فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان ، بدليل قوله تعالى: سنفرغ لكم أيّها الثقلان ،و قوله تعالى : يا معشر الجنّ و الانس ، و بعض آي اُخرى وعليه إجماع المفسرين ، ولولم يكن الرسول صلى الله عليه وآله مبعوثاً إليهم أيضاً لما خوطبوا بالقرآن الكريم .

و قال تعالى في سورة الجنّ : « قل اُوحي إليّ انه استمع نفر من الجن فقالوا إنّا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلي الرُشد فآمنّا به و لن نشرك بربّنا أحداً إلى قوله تعالى مخبراً عنهم : و أنّا منّا الصالحون و منّا دون ذلك كنّا طرائق قدداً ۞ و أنّا ظننّا أن لن نعجز الله في الأرض و لن نعجزه هرباً ۞وأنّا لمّا سمعنا الهدى آمنّا به فمن يؤمن بربّه فلايخاف بخساً و لارهقاً ۞ و أنّا منّا المسلمون و منّا القاسطون فمن أسلم فاُولئك تحرّوا رشداً ۞ و أمّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطباً » .

و قال تعالى آخر الأحقاف : « و إذ صرفنا إليك نفراً من الجنّ يستمعون القرآن فلمّا حضروه قالوا أنصتوا فلمّا قضى و لّوا إلى قومهم منذرين ۞ قالوا يا قومنا إنّا سمعنا كتاباً اُنزل من بعد موسى مصدّقاً لما بين يديه يهدي إلى الحقّ و إلى طريق مستقيم ۞ يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ۞ و من لايجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض و ليس له من دونه أولياء اُولئك في ضلال مبين » .

وجه الاستدلال بآيات هاتين السورتين ظاهر و أنها تدلّ مع كونهم مكلّفين على أنّ القرآن كتابهم أيضاً فرسول الله صلى الله عليه وآله مبعوث اليهم أيضاً ،بل ما في الأحقاف تدلّ على أنّ أنبياء السلف من الانس كانوا مبعوثين إليهم أيضاً حيث قالوا ياقومنا إنّا سمعنا كتاباً اُنزل من بعد موسى مصدّقاً لما بين يديه ، كما تدلّ على أنّ هؤلاء النفر من الجنّ كانوا يهوداً ما آمنو بعيسى عليه السلام .

و لعلّ هؤلاء النفر هم القوم الّذين أخبر الله تعالى عنهم : « ومن قوم موسى اُمّة يهدون بالحقّ و به يعدلون » (الأعراف ـ ١٦١) أو أنّ هذه الآية تشملهم

أيضاً كقوله الآخر : « وممّن خلقنا اُمّة يهدون بالحقّ و بهيعدلون»(الأعراف - ٢٨٢)واللهتعالى أعلم .

و قالتعالى : « و لقد خلقناكم ثمّ صوّرناكم ثمّ قلناللملائكة اسجدوالآدم فسجدوا إلاّ ابليس لم يكن من الساجدين - الى قوله تعالى : قال اخرج منها مذؤماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأنّ جهنّم منكمأجمعين» (الأعراف،١٢-١٩)

وجه الاستدلال به أنّ العقاب فرع التكليف ، و قالتعالى: لأملأنّ جهنّم منكم أجمعين ، عدل عن الغيبة إلى الخطابليشمل الحكم و الخطاب كلا الفريقين من الجنّ و الانس .

نظير قوله تعالى أيضاً : و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ ابليس إلى قوله:قالاذهبفمن تبعكمنهمفانّجهنّمجزاؤكمجزاءموفوراً(الاسراء-٦٤-٦٦)

و يفسّره قولهتعالى آيات آخر ص : « فسجد الملائكة كلّهم أجمعون ۞ إلاّ ابليس استكبروكان من الكافرين - الى قوله تعالى:قال فالحقّ و الحقّأقول لأملئنّ جهنم منك و ممّن تبعك منهم أجمعين » و قوله تعالى : « و تمّت كلمة ربك لأملئنّ جهنّم من الجنّة و الناس أجمعين » (هود - ١٢١) و قوله تعالى: « و لكن حقّ القول منّي لأملئنّ جهنّم من الجنّة والناس أجمعين » (السجدة - ١٥) وقوله تعالى : « ولقد ذرأنالجهنّم كثيراً من الجنّوالانس لهم قلوبلايفقهون بها » الآية (الأعراف - ١٨٠) .

و كذا يبيّنأنّ المراد كلاالفريقين قول أميرالمؤمنين عليه السلام (الخطبةالأولى من النهج): فقالسبحانه اسجدوا لآدم فسجدواإلاّ ابليس و قبيله.الخ، وفي بعضالنسخ إلاّ ابليس و جنوده .

و بالجملة أنّ الآيات القرآنيّة تدلّ على أنّ الجنّ مكلّفون كالانس ولاريب أنّ من شرائط التكليف أن يكون المكلّف عاقلاً ، فلهم عقل و تمييز ولذا هدى هؤلاءالنفر من الجنّ عقولهم إلى الهداية و الرشد حيث قالوا « إنّا سمعنا قرآناً عجبا يهدي إلىالرّشد فآمنّا به ولن نشركبربّناأحداً » وقال تعالى «ولقد

ذرأنا »الآية، و القلب في القرآن بمعنى العقل.

كماتدلّ أنّهم رجال و اُناث كالانس حيث قال تعالى مخبرا عنهم: « وأنّه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجنّ » (الجن - ٧) و أخبر تعالى أنّ بعضهم فرسانا والآخر مشاة حيث قال :« و استفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك » (الاسراء -٦٧) .

فالآيات تنتج بأنّهم ليسوا بمجرّدين ، لأنّ التكثّر إنّما يصحّ فيما كان له مادّة .

على أنّ الله تعالى صرّح بذلك أيضاً في قوله : « وخلق الجانّ من مارج من نار » (الرحمن - ١٦) و قوله تعالى : « و الجانّ خلقناه من قبل من نار السموم » (الحجر - ٢٨) وقوله تعالى : ولقد فتنّا سليمان - إلى قوله تعالى : فسخّرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ٭ والشياطين كلّ بنّاء وغوّاص ٭ وآخرين مقرّنين في الأصفاد » (الزمر ٣٥ - ٣٩) .

وجه الاستدلال به أنّ كونهم مقرّنين في الأصفاد إنّما يصحّ مع عدم تجرّدهم ، و قال تعالى « و ترى المجرمين يومئذ مقرّنين في الأصفاد»(ابراهيم - ٥١) والله أعلم .

و كذا القرآن يدلّ على أنّهم يتوالدون ، لدلالة النّارية على ذلك ، و قد قال الله تعالى : « و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ ابليس كان من الجنّ ففسق عن أمر ربّه أفتتّخذونه و ذريّته أولياء من دوني وهم لكم عدوّ بئس للظالمين بدلا » (الكهف - ٤٩) . وحيث قال عزّ من قائل: «فيهنّ قاصرات الطرف لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جانّ » (الرحمن- ٥٨) .

ثمّ إذا كانت الجنّ مادية جسمانيّة ومع ذلك أنّا لانراهم و هم يرونا كما قال عزّ من قائل : « يا بني آدم لايفتننّكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنّة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنّه يريكم هو و قبيله من حيث لاترونهم إنّا جعلنا الشياطين أولياء للّذين لايؤمنون » (الاعراف - ٢٨) علمنا أنّهم من الأجسام

اللطيفة و ليس بلازم أن يدرك بالأبصار كلّ ماهو جسم فإنّ بعض الأجسام الّذي قبلنا لانراه بالعين كالهواء مثلاً .

و الشيطان في الآية هو ابليس و ابليس من الجنّ بدليل قوله تعالى : « و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ ابليس كان من الجنّ ففسق عن أمر ربّه » الآية المتقدّمة. و قوله تعالى « و كذلك جعلنا لكل نبيّ عدوّاً شياطين الانس و الجنّ » (الانعام ـ ١١٢) . وقوله تعالى«ثمّ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ ابليس لم يكن من الساجدين ـ إلى قوله تعالى مخبراً عنه : قال فبما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم ـ إلى قوله تعالى: فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما من سوآتهما » (الاعراف ١٢ ـ ٢١)

و كذا إذا أضفنا قوله تعالى : « و قال الشيطان لمّا قضي الأمر إنّ الله وعدكم وعد الحقّ ووعدتكم فأخلفتكم وماكان لي عليكم من سلطان إلاّ أن دعوتكم فاستجبتم لي فلاتلوموني ولوموا أنفسكم » الآية (ابراهيم ـ٢٨) إلى قوله تعالى « و لقد صدّق عليهم ابليس ظنّه فاتّبعوه إلاّ فريقاً من المؤمنين ۞ وما كان له عليهم من سلطان إلاّ لنعلم من يؤمن بالآخرة ممّن هو منها في شك » الآية (سبأ ـ٢١) ينتج أنّ الشيطان هو ابليس .

و قوله تعالى : (و اذقلنا للملائكة اسجدوا فسجدوا إلاّ ابليس ـ إلى قوله تعالى : وعدهم و ما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً ۞ إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان و كفى بربّك وكيلا » (الاسراء ٦٤ ـ ٦٨) كالصريح بأنّ الشيطان هو ابليس .

فقد تحصّل من الآيات المتقدّمة أنّ الجنّ مكلّفون ولهم عقل وتمييز وأنّ رسول الله ﷺ مبعوث إليهم أيضاً ، وأنّ بعضهم مسلم وبعضهم قاسط وكافر كما اعترفوا في سورة الجنّ بذلك حيث قالوا : «وأنّا منّا المسلمون ومنّا القاسطون » وقال تعالى في الاية المتقدّمة من الكهف « فسجدوا إلاّ ابليس كان من الجنّ » الخ، و قال تعالى « فسجدوا إلاّ ابليس أبى و استكبر وكان من الكافرين » (البقرة ـ ٢٤)

فبعض الجنّ كافر .

وأنّ مَن كان من الجنّ و الإنس شريراً متمرّداً عن الله تعالى فهو شيطان قال تعالى : « وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم » (البقرة ـ ١٤) وقال تعالى : « و كذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدوّاً شياطين الإنس والجنّ » (الانعام ـ ١٣) و أنّ بعض أنبياء الانس مبعوثون إليهم أيضاً ، و أنّ نذيراً أو نذراً من جنسهم بعثوا إليهم .

ثمّ ههنا يخلق بنا أن نبحث عن مسائل :

منها أنّ أنبياء الانس كيف بعثوا إلى الجنّ وهما ليسا من جنس واحد ، وقد مرّ في شرح الخطبة ٢٣٧ (ص ٧٩ ـ ٨٢ ج ١٦) البحث عن لزوم التناسب و التجانس في ذلك وقد قال تعالى : « وما منع النّاس أن يؤمنوا إذ جائهم الهدى إلاّ أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً ✿ قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنّين لنزّلنا عليهم من السّماء ملكاً رسولاً » ✿ (الاسراء ـ ٩٨) .

وحيث أنكر النّاس أن يكون الرّسل بشراً قال تعالى لرسوله صلّى الله عليه وآله «قل» جواباً لشبهتهم « لو كان في الأرض » الآية وذلك لتمكينهم من الاجتماع بالرسول والتلقّي منه . وقريب من هذه الآية قوله تعالى : « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً » (الأنعام ـ ١٠) .

ومنها أنّ شياطين الإنس والجنّ كيف يضلّون غيرهم من الجنّ و الانس عن سواء الصراط ، وعلى أيّ نحو كان سلطانهم عليهم ، وما معنى قوله تعالى « من شرّ الوسواس الخنّاس ✿ الّذي يوسوس في صدور النّاس ✿ من الجنّة والنّاس» ؟ .

ومنها لم بعث بعض الأنبياء من الانس إليهم أيضاً و بعضهم الآخر من جنسهم وما سرّ التبعيض ، أو أنّ قوله تعالى : « يامعشر الجنّ والانس ألم يأتكم رسل منكم» الآية (الانعام ـ ١٣١) .

ليس المراد أن بعث إلى كلّ من الثقلين رسل من جنسهم بل إنّما المراد الرّسل من الانس خاصّة ، ولكن لما جمعوا مع الجنّ في الخطاب صحّ ذلك ، نظير

قوله تعالى « يخرج منهما اللّؤلؤوالمرجان » والمرجان يخرج من الملح دون العذب.
أو أنّ الرسل من الجنّ رسل الرسل إليهم لقوله تعالى: « ولّوا إلى قومهم منذرين».

ومنها أنّ الجنّ إذا كانوا مكلّفين فلابدّ لهم في كلّ زمان من نبي ، قال الله تعالى « ولو أنّا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربّنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتّبع آياتك من قبل أن نذلّ ونخزى » (طه ـ ١٣٦) ولمّا كان بدؤ خلقهم قبل الانس بلا ارتياب فلابدّ من أن يكون لهم نبيٌّ من جنسهم من قبل بلا كلام ، ويحمل قوله تعالى في سورة الأنعام « ألم يأتكم رسل منكم » على ظاهره .

وغيرها من المسائل الّتي يحتاج عنوانها وحلّها والبحث عنها و عن الرّوايات المرويّة في المقام إلى تدوين كتاب على حدة ، ولعلّنا نبحث عن بعضها في أثناء مباحثنا الآتية .

المطلب الثاني : أنّ احتجاجه عليه السلام على أبي قرة بقوله : إنّ بعد هذه الآية ما يدلّ على ما رآى ـ الخ، تحريض النّاس على التدبّر في آيات القرآن الكريم ، وتعليمهم بأسلوب التنعم من تلك المأدبة الإلهيّة وقد فهمنا بعمله هذا أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً .

وقد مضى الكلام من سميّه و جدّه باب مدينة العلم أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك عند شرحنا على المختار الأوّل من باب الكتب والرسائل قال عليه السلام : كتاب الله تبصرون به وتنطقون به وتسمعون به يفسّر بعضه بعضاً ويشهد بعضه على بعض (ص ٢٥٤ ج ٢ من تكملة المنهاج) .

وكذلك قد تبيّن في (ص ٨٩ منها) أنّ الله تعالى نزّل القرآن تبياناً لكلّ شيء ، وقال عزّ من قائل : « ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء » (النحل ـ ٩٢) وقال تعالى « وما فرّطنا في الكتاب من شيء » (الانعام ـ ٣٩) .

فكيف لايكون تبياناً لنفسه . والله تعالى حثّ عباده على التدبّر في كلامه ، قال عزّ من قائل : « أفلا يتدبّرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » (النساء ـ ٨٥) . و قال تعالى : « أفلا

يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها » (محمد - ٢٧) . و قال سبحانه: « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته و ليتذكّر أولوا الألباب » (ص - ٣٠) .

فممّا بيّنا دريت أنّ من ذهب إلى عدم جواز التدبّر في آيات الله و الأخذ بها إلاّ بما ورد تفسيره عنهم عليهم السلام خالف كتاب الله ، و قد ذهب إلى هذا القول الأخباريّون على ما نقل الخوانساري في روضات الجنّات عند ترجمة محمد أمين الأخباري الاسترابادي عن الشيخ عبدالله بن صالح السماهيجي البحراني في الفروق بين المجتهدين والأخباريّين (١) .

حيث قال : الفرق الخامس عشر إنهم يجوّزون الأخذ بظاهر الكتاب بل يرجّحونه على ظاهر الخبر والأخباريّون لايجوّزون الأخذ إلاّ بما ورد تفسيره عنهم عليهم السلام . حتّى أنّ بعض الأخباريّين لايعدّ الكتاب من الأدلّة أيضاً ويقتصر على السنة فقط، وهذا الفرق بينهما في التمسك بالكتاب وعدمه إنّما هو في الفروع و أمّا في الأصول فانّهم لايجوّزون أخذ العقائد من القرآن وأخبار الآحاد، والأخباريّون يقولون بعكس ذلك .

ولايخفى عليك أنّ الأخباريّين سلكوا في الفروع والأصول مسلكي الافراط والتفريط . ولو قيل بجواز أخذ الأصول من الكتاب ليلزم الدّور لأنّ اعتقاد أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله مبعوث من عند الله تعالى مثلا لو كان بأخذ آية « يا أيّها النبيّ إنّا أرسلناك شاهداً» الآية ، مثلاً إنّما يصحّ إذا اعتقد أنّه رسول الله و كلامه وحي من عنده تعالى ، ولو كان الاعتقاد به من نفس هذه الآية ولم يثبت نبوّته بعدمثلاً لكان هو الدّور .

المطلب الثالث : أنّه عليه السلام في جواب أبي قرة لمّا سأله فتكذّب بالرّوايات؟ قال : إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذّبتها . و ذلك أنّ القرآن هو معيار

---

(١) نقل ٢٩ فرقاً فيما اختلف فيها المجتهدون و الاخباريون من كتاب السماهيجى الموسوم بمنية الممارسين لايخلو من فائدة، فراجع .

الحقّ وميزان الصّدق ، وهوالأصل في المعارف و ميزان كلّ شيء بحسبه ، فاذا كانت رواية لم يمضها القرآن ولوكانت من الكتب الأربعة لايجوزالأخذ بها .

وذهب الأخباريّون إلى أنّ جملة ما فيها صحيحة ، فلو كانت دعواهم أنّ جميع الروايات المنقولة فيها موافقة لكتاب الله ففيه القطع بأنّ بعضها لا يوافقه الكتاب ولاالعقل، فمجرّد أنّ الرّواية منقولة فيها لايوجبصحّتها والمعيار كتاب الله كما قدّمنا البحث عن ذلك فيصدر هذه المسئلة فيالرؤية .

المطلب الرابع قوله عليه السلام : وما أجمع المسلمون عليه الى آخره دليل على حجيّة الاجماع ففي كلّ مسألة تحقّق فيها إجماع المسلمين عليها فلا يجوز التخلّف عنها ، وأجمعوا على حجيّة القرآن وهو ناطق بعدم إدراكالأبصار إيّاه تعالى ، والمتّبعالإجماع المحقّق .

والعجب من الأخباريّين كيف يقتصرون في الأدلّة على الكتاب والسنّة بل بعضهم على الثّاني فقط كما دريت و يد عون الاجماع و العقل مع شدّة اهتمامهم بالتمسّك بالأخبار ، وهذا هوخبر مرويٌّ في الكافي ذهب الأخباريّون إلى أنّ جملة ما فيه صحيحة ، و ينادي الامام عليه السلام بأعلى صوته بأنّ ما أجمع المسلمون عليه لايجوز الاعراض عنه ، فهل هذا إلاّ الاعراض عنالكتاب والسنّة .

المطلب الخامس أنّ أباقرة لمّا زعم منالرؤية ، الرؤية بالأبصار احتجّ الامام عليه السلام عليه على مقدار فهمه وحذاء زعمه بعدم رؤيته تعالى بها ، وإلاّ فسيأتي أخبار اُخر فيصحّة رؤيته تعالى بمعنى آخرأدقّ و ألطف لا يعقله إلاّ الأوحدي من النّاس .

« الحديث الثالث »

رواه الكلينيُ قدّسسرُه في باب إبطال الرؤية من جامعه الكافي عن محمّد بن يحيى ، عن أحمدبن محمّد ، عن أبيهاشم الجعفري ، عن أبيالحسنالرّضا عليه السلام قال سألته عنالله هليوصف ؟ فقال : أما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، قال : أماتقرأقوله تعالى « لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ؟ » قلت : بلى ، قال : فتعرفون

الأبصار ؟ قلت : بلى ، قال : ماهي ؟ قلت : أبصار العيون ، فقال : إنّ أوهام القلوب أكبر من أبصار العيون ، فهو لاتدركه الأوهام وهو يدرك الأوهام .

وقريب منه رواية اُخرى في ذلك الباب من الكافي أيضاً رواها عن محمّد بن أبي عبدالله ، عمّن ذكره ، عن محمّد بن عيسى ، عن داود بن القاسم أبي هاشم الجعفري قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ؟ فقال : يا أبا هاشم أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون ، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان الّتي لم تدخلها ولا تدركها ببصرك ، وأوهام القلوب لا تدركه فكيف أبصار العيون .

وقد رواهما الصّدوق قدّس سرّه في باب ماجاء في الرؤية من كتابه في التوحيد فروى الأوّل باسناده عن محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد ، عن محمّد بن الحسن الصفار ، عن أحمد بن محمّد ، عن أبي هاشم الجعفري ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام . والثاني عن عليّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقاق ، عن محمّد بن أبي عبدالله على حذو ما في الكافي .

وروى في المجلس الرابع والستّين من أماليه عن الحسين بن إبراهيم بن أحمد ابن هشام المؤدب قال : حدّثنا أبو الحسين محمّد بن جعفر الأسدي ، قال : حدّثني محمّد ابن إسماعيل بن بزيع ، قال : قال أبو الحسن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ « لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » قال : لا تدركه أوهام القلوب فكيف تدركه أبصار العيون .

بيان : أبو جعفر عليه السلام هو الامام التاسع محمّد بن عليّ الرضا ، بقرينة رواية أبي هاشم الجعفري عنه ، وصرّح به الصّدوق في التوحيد حيث قال في ذلك الاسناد : عن داود بن القاسم عن أبي هاشم الجعفري قال : قلت لأبي جعفر ابن الرضا عليه السلام .

الأوهام جمع وهم وهو يطلق في الكتب الحكميّة على القوّة الوهميّة الّتي من شأنها إدراك المعاني الجزئيّة المتعلّقة بالمحسوسات كعداوة زيد و محبّة عمرو قال الشيخ في الشفاء : القوّة المسمّاة بالوهم هي الرئيسة الحاكمة في الحيوان حكماً

ليس فصلاً كالحكم العقلي، ولكن حكماً تخييلاً مقروناً بالجزئيّة وبالصّورة الحسيّة وعنه يصدر أكثر الأفعال الحيوانيّة، انتهى كلامه.

و كما أنّ العقل رئيس الوهم ومخدومه كذلك الوهم رئيس الحواسّ الظاهرة والباطنة و مستعملها ومستخدمها ولذا بيّنوا أنّ آلتها الدّماغ كلّه ولكنّ الأخصّ بها التجويف الأوسط على التفصيل الّذي بيّن في محلّه.

ولكنّ المراد بالوهم في تلك الرّوايات معناه اللّغوي أي ما يقع في القلب من الخاطر. قال الطريحيّ في مجمع البحرين: الوهم ما يقع في الخاطر يقال: وهمت الشيء أهمه وهما من باب ضرب أي وقع في خلدي. و قال الفيوميّ في المصباح: وهمت وهماً وقع في خلدي، والجمع أوهام.

فالمراد بأوهام القلوب إدراكاتها ومنه قول الصّادق و الباقر عليهما السلام: كلّما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم ـ الحديث الّذي ذكرناه في صدر هذا البحث.

وقد مرّ غير مرّة أنّ القلب في الآيات والأخبار بمعنى النفس والعقل. والوهم بذلك المعنى أعني الإدراك المتعلّق بالقوّة العقليّة المتعلّقة بالمعقولات في الأخبار غير عزيز بل شائع ذائع.

ولا يبعد أن يقال: وجه التعبير بالأوهام إنّما كان من جهة عدم إحاطة العقول به تعالى أعني أنّ هذا التعبير يشير ضمناً إلى أنّ تلك الادراكات في صفة الباري تعالى أوهام من الوهم بمعنى الغلط وخيالات لأنّها حقائق و معقولات صحيحة.

وإنّما كان إدراكات القلوب أكبر من أبصار العيون لأنّ القلب أعني العقل مجرّد والعقل قد لا يحتاج في إدراكه إلى المادّة والجهة وغيرهما ممّا يحتاج إليها غيره من القوى المدركة في إدراكاتها.

ولا يخفى أنّ إدراك البصر مثلاً مقصور على ماهو محصور في المادّة و لابدّ أن يكون ذا جهة و وضع وضوء ولون وأن لا يكون بعيداً مفرطاً عن محسّة الرؤية ولا قريباً منها كذلك، وأن لا يكون صغيراً جدّاً ممّا يحتاج في رؤيتها إلى الآلات

المكبّرة وأن لايكون بينهما حاجب ممّا قدّمنا في صدرهذا البحث من شرائط الابصار

وأمّا العقل فيدرك ما هومجرّد عن المادّة والجهة ولايشترط في رؤيته وجود الواسطة وعدم الظلمة وعدم القرب والبعد المفرطين ولا عدم الحاجب ، فانه يدرك مطلقاً ولذا قال عليه السلام : أنت قدتدرك بوهمك أي بعقلك السندوالهند ـ الخ ،والمجرّد عن المادّة يكون أدقّ وألطف وأكبر وأعظم وجوداً من إدراكات البصر،لأنّ مدركاتها محبوسة محصورة .

وفي نسخة مخطوطة مصحّحة من توحيد الصّدوق موجودة عندنا : أنّ أوهام القلوب أكثر من أبصار العيون ، بالثاء المثلّثة وهذا صحيح أيضاً ، و الكلّ يشير إلى معنى واحد أي أوسع وجوداً .

وبالجملة أنّ كلّ ماتدركه أوهام القلوب لاتدركه العيون ، بخلاف العكس وأنّ العقل مجرّد عن المادّة ومدركاتها كذلك،وساير القوى ليست في مرتبته، و كذلك مدركاتها .

فالمدركات العقليّة أدقّ وأكبر وأكثروجوداً من الحسيّة ، قل كلّ يعمل على شاكلته، فاذالم يكن الوهم قادراً على إدراكه تعالى و الاحاطة به فما ظنّك بالعيون الّتي دون الوهم بمراحل ، فنفي إدراكه تعالى بالوهم الّذي هو أوسع وجوداً وأتمّ إدراكاً يستلزم نفي إدراكه بالأبصار بطريق أولى ، فانّ نفي الأعمّ يستلزم نفي الأخصّ، كما أنّ نفي الحيوان يستلزم نفي الانسان على ما بيّن في صنعة الميزان .

ثمّ لايخفى على من ساعده التوفيق أنّ هذه الأخبار الصادرة من أهل بيت العصمة تشير إلى تجرّد الرّوح الانساني الّذي به امتازالانسان عن سائرالحيوانات وبه كرّم الله بني آدم عليهم ، فالحيوانات وإن كانت قويّة في إدراكاتها الحسيّة لكنّها عاجزة عن نيل ما رزق به الانسان من تعقّل المعقولات و إدراك الحقائق المجرّدة والمعاني اللّطيفة الخفيّة من فعل العقل ، و الفرق بين المعاني الحسيّة وبين المعاني العقليّة شرفاً كالفرق بين الحاسّة والعقل .

والمراد من سؤال أبي هاشم الجعفري أبا الحسن الرّضا عليه السلام عن الله هل يوصف يعني هل يدرك سبحانه بالحواسّ والعقول ثمّ يوصف بأن يقال: إنّ الله ذاته كذا وصفاته كذا ولامحالة ينجرّ إلى محدوديّته تعالى وإلى وصفه بالصورة و التخطيط وغيرها من صفات خلقه كما يستفاد من الأخبار الواردة في باب النّهي عن الصّفة بغير ما وصف به نفسه جلّ و علا كما في الكافي والتوحيد وغيرهما.

ثمّ إنّ هذه الأخبار لاتفسّر الأبصار بالأوهام، بل لمّا انجرّ الكلام إلى إدراك الأبصار الحقّ تعالى قالوا عليهم السّلام: إنّ أوهام القلوب لاتدركه تعالى فكيف الأبصار تقدر على إدراكه، وكذا أنّه تعالى يدرك أوهام القلوب مع دقّتها وسعتها فكيف لايدرك الأبصار ويظهرما قلنا بأدنى تأمّل في سياق تلك الأخبار، فقدوهم من قال إنّها فسّر الأبصار بأوهام القلوب.

نعم رواية اُخرى منقولة في باب في قوله تعالى: «لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار» من الكافي وفي باب ما جاء في الرؤية من توحيد الصدوق بسند واحد ومتن واحد من غير اختلاف ظاهرة في أنّها تفسّر الأبصار بأبصار القلوب.

ففيهما باسنادهما عن محمّد بن يحيى العطّار، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن أبي نجران، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله «لاتدركه الأبصار» قال: إحاطة الوهم؛ ألاترى إلى قوله: «قد جاءكم بصائر من ربّكم» ليس يعني بصر العيون «فمن أبصر فلنفسه» ليس يعني من البصر بعينه «ومن عمي فعليها» ليس يعني عمي العيون إنّما عنى إحاطة الوهم كما يقال: فلان بصير بالشعر، وفلان بصير بالفقه، و فلان بصير بالدراهم، وفلان بصير بالثياب، الله أعظم من أن يرى بالعين، انتهى.

وكأنّه عليه السلام أراد من قوله هذا مفسّراً كما أنّ للعين بصراً كذلك للقلب بصر وبصر القلب يسمّى بصيرة، فالمراد من إحاطة الوهم إحاطة بصيرة القلب ومع ذلك لايبعد أن يقال: إنّه عليه السلام أراد من كلامه هذا التنبيه على إرادة أبصار القلوب بالآية أيضاً لا أبصار العيون فقط، أي أنّ الأبصار في الآية تشمل أبصار العيون

والقلوب كليهما .

و أشار عليه السلام في صحّة إرادة إدراك القلبي من الأبصار إلى إطلاق البصر على بصيرة القلب في القرآن الكريم بقوله : ألا ترى إلى قوله تعالى « قد جاءكم بصائر من ربّكم » الخ ، و إلى إطلاقه عليها في العرف أيضا بقوله : كما يقال : فلان بصير ـ الخ . وقوله : إنّما عنى إحاطة الوهم ، أي إنّما أراد الله من قوله : « لاتدركه الأبصار » إحاطة الوهم .

إن قلت : هذه الأخبار تكذّب إدراكه تعالى بأوهام القلب ، و قد رويت أخبار اُخر أنّ القلوب تدركه بحقائق الايمان فكيف التوفيق ؟.

قلت : المراد من الأخبار النافية ، إدراكه تعالى بالاكتناه والإحاطة، ومن الأخبار المثبتة إدراكه بوجه بمعنى الانكشاف التامّ الحضوري والشهود العلمي من غير اكتناه كما تتلوها عليك مبيّنة .

« الحديث الرابع »

في الكافي عن محمّد بن أبي عبدالله ، عن عليّ بن أبي القاسم ، عن يعقوب بن إسحاق قال : كتبت إلى أبي محمّد عليه السلام أسأله كيف يعبد العبد ربّه وهو لايراه؟ فوقّع عليه السلام يا بايوسف جلّ سيّدي ومولاي والمنعم عليّ وعلى آبائي أن يُرى ، قال : و سألته هل رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله ربّه ؟ فوقّع عليه السلام : إنّ الله تبارك و تعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحبّ .

أقول : هذا هو الحديث الأوّل من باب في إبطال الرؤية من اُصول الكافي وقريب منه الحديث الثامن منه .

قال : محمّد بن يحيى وغيره عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن ابن أبي نصر ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : لمّا اُسري بي إلى السّماء بلغ بي جبرئيل مكاناً لم يطأه قطّ جبرئيل فكشف له فأراه الله من نور عظمته ما أحبّ

ورواه الصّدوق في التوحيد عن أبيه ، عن محمّد العطّار ، عن ابن عيسى ، عن البزنطي عن الرّضا عليه السلام .

بيان : محمّد بن أبي عبدالله هو الّذي أكثر المشايخ الثلاثة رضوان الله عليهم الرواية عنه . وعليّ بن أبي القاسم عبدالله بن عمران البرقيّ المعروف أبوه بماجيلويه يكنّى أبا الحسن، وذهب المولى صالح المازندراني والمولى صدرا الشيرازي في شرحهما على أُصول الكافي إلى إنّ يعقوب بن إسحاق هو الشيخ أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ابن السكّيت الدورقي ، وابن السكّيت هذا من أكابر علماء العربيّة وعظماء الشيعة وهو من أصحاب الجواد والهادي عليهما السلام ، ومؤلّف كتاب إصلاح المنطق .

قال ابن خلّكان في وفيات الأعيان : قال بعض العلماء : ما عبر على جسر بغداد كتاب من اللّغة مثل إصلاح المنطق وقال : قال أبو العبّاس المبرّد: مارأيت للبغداديّين كتاباً أحسن من كتاب ابن السكّيت .

وقال الشيخ الجليل النجاشي في الفهرست : يعقوب بن إسحاق السكيت أبو يوسف كان مقدماً عند أبي جعفر الثاني وأبي الحسن عليهما السلام و كان يختصّانه (وكان يخصانه ـ ظ) وله عن أبي جعفر عليه السلام رواية ومسائل، وقتله المتوكّل لأجل التشيّع وأمره مشهور ، وكان وجيها في علم العربيّة واللّغة ثقة مصدق لايطعن عليه وله كتب ثمّ عدّ كتبه .

قال ابن النديم في الفهرست : وكان يعقوب بن السكّيت يكنّى بأبي يوسف وكان مؤدّباً لولد المتوكّل ويقال : إنّ المتوكّل ناله بشيء حتّى مات في سنة ست وأربعين ومائتين ، وليعقوب ابن يقال له : يوسف نادم المعتضد وخصّ به ، انتهى ما أردنا من نقل كلامه .

وفي وفيات الأعيان وكان يميل في رأيه واعتقاده إلى مذهب من يرى تقديم عليّ بن أبيطالب رضي الله عنه ، قال أحمد بن عبيد : شاورني ابن السكيت في منادمته المتوكّل فنهيته ، فحمل قولي على الحسد وأجاب إلى ما دعى إليه من المنادمة فبينما هو مع المتوكّل يوماً جاء المعتزّ والمؤيّد فقال المتوكّل: يا يعقوب أيّما أحبّ إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين ؟ فغضّ ابن السكّيت من ابنيه وذكر الحسن والحسين رضي الله عنهما بما هما أهله، فأمر الأتراك فداسوا بطنه فحمل إلى

داره فمات بعد غد ذلك اليوم ، وكان ذلك في سنة أربع وأربعين ومائتين – إلى أن قال:

وقد روي في قتله غيرما ذكرته أوّلاً ، فقيل : إنّ المتوكّل كان كثير التحامل على عليّ بن أبيطالب رضي الله عنه وابنيه الحسن و الحسين رضي الله عنهم أجمعين ، وكان ابن السكيت من المغالين في محبّتهم و التوالي لهم ، فلمّا قال له المتوكّل تلك المقالة قال ابن السكّيت : والله إنّ قنبر خادم علي رضي الله عنه خير منك ومن ابنيك ، فقال المتوكّل : سلّوا لسانه من قفاه ، ففعلوا ذلك به فمات وذلك في ليلة الاثنين لخمس خلون من رجب سنة أربع وأربعين ومائتين ، وقيل : سنة ثلاث وأربعين . وبلغ عمره ثمانياً وخمسين سنة .

وقال المجلسي ـ ره ـ في مرآة العقول : و ظنّ أصحاب الرّجال أنّ يعقوب ابن إسحاق هو ابن السكّيت ، والظّاهر أنّه غيره ، لأنّ ابن السكيت قتله المتوكّل في زمان الهادي عليه السلام ولم يلحق أبا محمّد عليه السلام . انتهى كلامه ـ ره ـ .

أقول : أبو محمّد في الرّوايات هو الحسن بن عليّ العسكري الامام الحاديعشر والد الامام المنتظر عليهما السلام .

قال في الكافي : ولد أبو محمّد الحسن بن علي عليهما السلام في شهر رمضان وفي نسخة اُخرى في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وقبض عليه السلام يوم الجمعة لثمان ليال خلون من شهر ربيع الأوّل سنة ستّين ومائتين وهو ابن ثمان و عشرين سنة .

وفي الكافي أنّ والده أبا الحسن الثالث عليّ بن محمّد الهادي الامام العاشر عليه السلام قبض سنة أربع وخمسين ومائتين فكان أبو محمّد عليه السلام عند وفات أبيه الهادي عليه السلام ابن اثنتين وعشرين سنة ، و عند وفاة ابن السكّيت ابن اثنتين وعشر سنة . فابن السكّيت لحق أبا محمّد عليه السلام إلاّ أنّ نقل ابن السكّيت عنه عليه السلام مستغرب في ظاهر الأمر فلا يبعد احتمال المجلسي ـ ره ـ عن الصّواب .

فالظّاهر أنّ يعقوب بن إسحاق هذا هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي فيلسوف العرب المتوفي ـ ٢٤٦ هـ ولمّا كان هو وابن السكّيت في الاسم والكنية واسم الوالد مشتركين ، وكانا أيضاً معاصرين اشتبه على الشرّاح أحدهما بالآخر .

ومما يؤيد هذا الاحتمال الاحتجاج الّذي وقع بين أبي محمد عليه السلام و بين الكندي لمّا أخذ في تأليف تناقض القرآن على زعمه نقله المجلسيّ ـ ره ـ في احتجاجات البحار عن مناقب ابن شهر آشوب قال :

أبوالقاسم الكوفيّ في كتاب التبديل إنّ اسحاق الكندي كان فيلسوف العراق في زمانه ، أخذ في تأليف تناقض القرآن وشغل نفسه بذلك وتفرّد به في منزله وأنّ بعض تلامذته دخل يوماً على الامام الحسن العسكري عليه السلام فقال له أبومحمد عليه السلام : أما فيكم رجل رشيد يردع استاذكم الكندي عمّا أخذ فيه من تشاغله بالقرآن ؟ فقال التلميذ : نحن من تلامذته كيف يجوز منّا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره ؟ فقال أبومحمد عليه السلام: أتؤدّي إليه ما ألقيه إليك ؟ قال : نعم ، قال فصر إليه (فسر إليه ـ خ ل) وتلطّف في مؤانسته ومعونته على ماهو بسبيله ، فاذا وقعت المؤانسة في ذلك فقل : قدحضرتني مسألة أسألك عنها فانّه يستدعي ذلك منك فقل له : إن أتاك هذا المتكلّم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلّم به منه غير المعاني الّتي ظننتها أنّك ذهبت إليها ؟ فانّه سيقول : إنّه من الجائز لأنّه رجل يفهم إذا سمع ، فاذا أوجب ذلك فقل له : فما يدريك لعلّه قد أراد غير الّذي ذهبت أنت إليه فتكون واضعاً لغير معانيه ، فصار الرّجل الى الكندي وتلطّف إلى أن ألقى إليه (عليه ـ خ ل) هذه المسألة فقال له: أعد عليّ فأعاد عليه فتفكّر في نفسه ورأى ذلك محتملاً في اللّغة وسائغاً في النظر.

ومما يؤيد هذا الاحتمال أيضاً أنّ السؤال عن نحو هذه المسألة أنسب بحال الكندي من ابن السكّيت لأنّه كان فيلسوفاً حكيماً ، وقد عدّ ابن النديم في الفهرست من كتبه الفلسفيّة أكثر من عشرين كتاباً ، وكأنّه أراد اختبار الامام فيه تعالى فأجابه عليه السلام بما يناسبه .

ولكن مع ذلك كلّه ههنا كلاماً يختلج بالبال وهو أنّ عليّ بن أبي القاسم لم يكن ممّن يروي عن الكندي أو يكون أحد تلامذته ولم نجد في الكتب الرّجاليّة والفهارس من عدّه من تلامذته أو رواته بل عدّوه من رواة ابن السكيت ومنهم المولى

الأردبيلي - ره - في جامع الرواة .

ثمّ إنّ أبا محمّد عليه السلام كان عند وفاة الكندي ابن أربع عشرة سنة لما مضى من تاريخ وفاتهما ، وعند وفاة ابن السكيت ابن اثنتين و عشرة سنة كما دريت ، فكان الفاصلة بين وفاة ابن السكيت والكندي سنتين ، فلو كان نقل ابن السكيت عنه عليه السلام مستغرباً لكان كذلك الكلام في نقل الكندي عنه كما لا يخفى وقول المجلسي - ره - إنّ ابن السكّيت لم يلحق أبا محمّد ليس بصواب كما علم .

وقال بعضهم في تعليقة على جامع الرواة المذكور آنفاً في المقام ما هذا لفظه فيه اشتباه لأنّ يعقوب بن إسحاق السكيت لم يروعن أبي محمد جزماً إذ كما صرّح المؤلّف أيضاً قتله المتوكّل فكيف يمكن روايته عن أبي محمّد عليه السلام ، فالظّاهر أنّه يعقوب بن إسحاق البرقي لأنّه من رواة العسكري كما صرّح « مح » انتهى قوله .

وفيه أوّلاً أنّ ابن السكّيت أدرك أبا محمّد عليه السلام كما علم .

وثانياً أنّ يعقوب بن إسحاق البرقي لم يكنّ بأبي يوسف ، على أنّه مجهول الحال عدّه الشيخ - ره - في الفهرست بعنوان يعقوب بن إسحاق من أصحاب الهادي عليه السلام وبزيادة وصفه بالبرقي من أصحاب العسكري عليه السلام ، ولم يعلم من هو ومن روى عنه ولم يذكر أحد أنّ عليّ بن أبي القاسم روى عنه . والله تعالى أعلم .

وأمّا سؤال أبي يوسف أبا محمّد عليه السلام عن رؤيته تعالى ففيه كلام أيضاً ، لأنّ السائل إن كان ابن السكّيت فكيف لم يكن استحالة رؤيته تعالى بالأبصار معلومة له وهو أدرك الجواد والعسكريّين عليهما السلام وقال النجاشيّ : وله عن أبي جعفر الثاني عليه السلام رواية ومسائل .

نعم إن كان السائل الكندي فلا ضير فيه لأنّه سأله اختباراً و كيف كان فأجابه عليه السّلام بأنّ الله تعالى جلّ أن يرى بالأبصار ، لما دريت آنفاً أنّ مـا يدرك بالأبصار يجب أن يكون جسماً كثيفاً له ضوء ولون وجهة ومكان وسائر ما يشترط في الأبصار حتّى يرى ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً .

ثمّ سأله من باب المكاتبة أيضاً بدليل مقابلته بالتوقيع هل رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله

ربّه وإنّما سأل عن ذلك لأنّ طائفة من الرّوايات و بعض آيات النجم تدلّ على أنّه صلى الله عليه وآله رآه تعالى ، ويتبادر وهم العامّة في أمثال هذه المعاني إلى ما يتوهّمونها في الأجسام فيزعمون أنّ كلّ ما هو موجود فهو مرئيٌ فما لم يكن بمرئيٍ فليس بموجود ، أو أنّ كلّ ماهومرئيٌ فهومرئيٌ بالأبصار فقط ، ولا يعلمون أنّ الرؤية بعين القلب أعني العقل أتمّ وأكمل وأشرف وأقوى وأبقى من الرؤيه بعين الرأس ، والفرق بين الرؤيتين كالفرق بين المدركين من العقل والعين .

فأجابه عليه السلام بأتمّ بيان بأنّه تعالى أرى رسوله بقلبه من نورعظمته ما أحبّ نفى رؤيته تعالى بالبصر وقال : أرى رسوله بقلبه ما أحبّ من نورعظمته .

ورؤية القلب أشرف من رؤية العين ، لعدم احتياجها إلى ما يشترط في الابصار بالعين ، بل هو انكشاف تامٌ و وصول لايتأتي بيانه بالقلم يفهمه من كان له قلب وقال أبوالحسن الرضا عليه السلام في الحديث المقدّم ذكره : فكشف له فأراه ـ الخ ، كأنّه بيان لقول أبي محمّد عليه السلام أرى بقلبه أي الإرائة ههنا هي الكشف التامّ .

وقوله عليه السلام : من نورعظمته ، بيان لكلمة ما قدّم عليها توسعة للظرف . وأسلوب الكلام يقتضي إرجاع ضمير أحبّ إليه تعالى لا إلى رسوله .

فبما حقّقنا في المقام علمت أنّ أباالحسن عليه السلام احتجّ على أبي قرة في الحديث المقدّم على زنة معرفته وقدر عقله ، ولو وجده الامام أهلاً للاشارات الرقيقة لفسّر له قوله تعالى « ما كذب الفؤاد ما رأى » بما رأى الفؤاد كما في الحديث الآتي .

وعلمت أيضاً أنّ ما جاء في الروايات بأنّه صلى الله عليه وآله رآه تعالى ، فالمراد رؤيته بالقلب من غير إحاطة لا بالبصر جمعاً بين ما حكم به العقل الناصع وبين ظاهر النقل .

فنعم ما أشار إليه العالم الجليل الصدوق ـ ره ـ في باب ما جاء في الرؤية من كتابه في التوحيد حيث قال : حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد ، قال: حدّثنا إبراهيم بن هاشم ، عن ابن أبي عمير ، عن مرازم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربّه عزّ وجلّ ـ يعني بقلبه ـ وتصديق ذلك ما حدّثنا به محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد ، قال : حدّثنا محمّد بن الحسن الصفّار ، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب ، عن محمّد بن الفضيل قال : سألت أبا الحسن عليه السلام هل رأى

رسول الله صلى الله عليه وآله ربّه عزّ وجلّ؟ فقال : نعم بقلبه رآه . أماسمعت الله عزّ وجلّ يقول « ما كذب الفؤاد ما رأى » أي لم يره بالبصر ولكن رآه بالفؤاد . انتهى ما أفاده ره.

الحديث الخامس

في الكافي : عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر ، عن أبي الحسن الموصلي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : جاء حبر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك حين عبدته؟ قال فقال : ويلك ما كنت أعبد ربّاً لم أره ، قال : وكيف رأيته ؟ قال : ويلك لاتدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان .

أقول : هذه الرّواية جائت في الجوامع بطرق متعدّدة بينها اختلاف لفظاً وكمّاً في الجملة وما أتى به الكليني في هذا الباب من جامعه الكافي جزء ممّا نقل في الجوامع الأُخر .

ثمّ إنّ الظاهر أنّ ذلك الحبر هو ذعلب اليماني و الحديث بعض حديث ذعلب المشهور رواه الخاصّة والعامّة بألفاظ مختلفة متقاربة وأسناده متعدّدة .

نعم لايبعد أن يذهب إلى أنّ ذلك السؤال والجواب وقع بينه عليه السلام وبين ذلك الحبر مرّة ، وبينه وبين ذعلب مرّة أُخرى ، و لكن مشاركتهما في هيئة السؤال والجواب ونضد الألفاظ تأبيان بظاهرهما عن ذلك الاحتمال .

ففي باب التوحيد من الكافي وفي الوافي ص ٩٥ ج ١ في باب جوامع التوحيد وفي مرآة العقول ص ٩١ ج ١ : محمّد بن أبي عبدالله رفعه عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

بينا أمير المؤمنين يخطب على منبر الكوفة إذ قام إليه رجل يقال له : ذعلب دولسان بليغ في الخطب شجاع القلب فقال : يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك ؟

فقال : ويلك يا ذعلب ما كنت أعبد ربّاً لم أره .

فقال : يا أمير المؤمنين كيف رأيته ؟

قال : ويلك يا ذعلب لم تره العيون بمشاهدة هذه الأبصار ، ولكن رأته القلوب بحقايق الايمان ، ويلك يا ذعلب إنّ ربّي لطيف اللّطافة لا يوصف باللّطف ، عظيم

العظمة لا يوصف بالعظم، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ، قبل كلّ شيء لا يقال شيء قبله، وبعد كلّ شيء لا يقال له بعد، شاء (شيئاً خ ل) الأشياء لا بهمّة، درّاك لا بخديعة، في الأشياء كلّها غير متمازج بها ولا بائن منها، ظاهر لا بتأويل المباشرة، متجلّ لا باستهلال رؤية، نائي لا بمسافة، قريب لا بمداناة، لطيف لا بتجسّم، موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدّر لا بحركة مريد لا بهامة، سميع لا بآلة، بصير لا بأداة، لا تحويه الأماكن، ولا تضمنه الأوقات ولا تحدّه الصفات، ولا تأخذه السنات، سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزله، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له، وبمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له، ضادّ النّور بالظّلمة، واليبس بالبلل، والخشن باللّين، والصرد بالحرور، مؤلّف بين متعادياتها، مفرّق بين متدانياتها، دالّة بتفريقها على مفرّقها وبتأليفها على مؤلّفها، وذلك قول الله تعالى «و من كلّ شيء خلقنا زوجين لعلّكم تذكّرون».

ففرّق بين قبل وبعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد، شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغرّزها، مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقّتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبين خلقه، كان ربّاً إذ لا مربوب، وإلهاً إذ لا مألوه، وعالماً إذ لا معلوم وسميعاً إذ لا مسموع. انتهى ما في الكافي.

ورواه الصّدوق في باب إثبات حدوث العالم من كتابه في التّوحيد بطريقين وكلّ واحد منهما يشتمل على أكثر ممّا في الكافي إلّا أنّ ما في الكافي واقع في أثناء الطريق الأوّل وأمّا الطريق الثاني فمبتدء بما في الكافي.

فعلى الثاني قال: حدّثنا عليّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقاق - ره - قال: حدّثنا محمّد بن أبي عبد الله الكوفي قال: حدّثنا محمّد بن إسماعيل البرمكي قال: حدّثنا الحسين بن الحسن قال: حدّثنا عبد الله بن زاهر قال: حدّثني الحسين بن يحيى الكوفي قال: حدّثني قثم بن قتادة، عن عبد الله بن يونس، عن أبي عبد الله عليه السلام

قال : بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على منبر الكوفة إذ قام إليه رجل يقال له ذعلب ذرب اللسان بليغ في الخطاب شجاع القلب ـ إلى آخر ما في الكافي، إلاّ أنّ في التوحيد شائي الأشياء على صورة الفاعل و يمكن أن يكون ما في الكافي أيضاً على اسم فاعل منوّن كرامٍ . وفي التوحيد : لاتصحبه الأوقات . ضاد النور بالظلمة والجسوّ بالبلل ، ليعلم أن لاحجاب بينه وبين خلقه غير خلقه .

وجاء ذيل الحديث بعدقوله وسميعاً إذ لامسموع أبيات على هذا الوجه : ثمّ أنشأ يقول :

ولم يزل سيّدي بالحمد معروفاً	ولم يزل سيّدي بالجود موصوفاً
وكنت إذ ليس نور يستضاء به	ولا ظلام على الآفاق معكوفاً
و ربّنـا بخلاف الخلق كلّهـم	و كلّما كان في الأوهام موصوفاً
و من يرده على التشبيه ممتثلا	يرجع أخا حصر بالعجز مكتوفاً
وفي المعارج يلقى موج قدرته	موجاً يعارض طرف الروح مكفوفا
فاترك أخا جدل في الدين منعمقاً	قد باشر الشك فيه الرأي موؤفاً
و اصحب أخا ثقة حبّاً لسيّده	و بالكرامات من مولاه محفوفاً
أمسى دليل الهدى في الأرض منتشراً	وفي السماء جميل الحال معروفاً

قال : فخرّ ذعلب مغشيّاً عليه ثمّ أفاق وقال : ماسمعت بمثل هذا الكلام ولا أعود إلى شيء من ذلك ، انتهى .

أقول : والأبيات مذكورة في الديوان المنسوب إلى الأمير عليه السلام ، و بين النسختين اختلاف في الجملة .

وأمّا الطّريق الأوّل فالظاهر من التوحيد ـ إن لم يكن صريحاً ـ أنّ حديث ذعلب إنّما كان من جملة ما قالها عليه السلام في أوّل خطبة خطب بها الناس على المنبر بعد ما بايعوه .

قال الصدوق ـ ره ـ : حدّثنا أحمد بن الحسن القطّان و عليّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقاق ـ ره ـ قالا : حدّثنا أحمد بن يحيى بن زكريّا القطان ، قال :

حدّثنا محمّد بن العبّاس ، قال : حدّثني محمّد بن أبي السرى قال : حدّثنا أحمد بن عبدالله بن يونس ، عن سعد الكناني ، عن الأصبغ بن نباتة قال : لمّا جلس عليٌّ عليه السلام الخلافة و بايعه النّاس خرج إلى المسجد متعمّماً بعمامة رسول الله صلّى الله عليه وآله، لابساً بردة رسول الله صلّى الله عليه وآله ،متنعّلاً نعل رسول الله صلّى الله عليه وآله، متقلّداً سيف رسول الله صلّى الله عليه وآله فصعد المنبر فجلس عليه متمكّناً ثمّ شبّك أصابعه فوضعها أسفل بطنه ثمّ قال :

يا معاشر النّاس سلوني قبل أن تفقدوني هذا سفَط العلم هذا لعاب رسول الله صلّى الله عليه و آله هذا ما زقّني رسول الله زقّاً زقّاً ، سلوني فانّ عندي علم الأوّلين و الآخرين ، أما والله لو ثنّيت لي الوسادة فجلست عليها لأفتيت لأهل التوراة بتوراتهم حتّى تنطق التوراة فتقول : صدق عليٌّ ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ . وأفتيت أهل الانجيل بانجيلهم حتّى ينطق الانجيل فيقول : صدق عليٌّ ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ . وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتّى ينطق القرآن فيقول : صدق عليٌّ ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ . وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه ، ولولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان ومايكون وما هو كائن إلى يوم القيامة وهي هذه الآية « يمحو الله ما يشاء و يثبت وعنده اُمّ الكتاب » .

ثمّ قال : سلوني قبل أن تفقدوني فوالله الّذي فلق الحبّة و برأ النسمة لو سألتموني عن آية آية في ليل اُنزلت ، أو في نهار اُنزلت ، مكيّها ، ومدنيّها ، سفريها وحضريها ، ناسخها ، ومنسوخها ، محكمها ، و متشابهها ، تأويلها ، و تنزيلها لأخبرتكم .

فقام إليه رجل يقال له : ذعلب وكان ذرب اللّسان بليغاً في الخطب شجاع القلب فقال : لقد ارتقى ابن أبيطالب مرقاة صعبة لأخجلنّه اليوم لكم في مسألتي إيّاه فقال : يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك ؟

قال : ويلك يا ذعلب لم أكن بالّذي أعبد ربّاً لم أره .

قال : فكيف رأيته صفه لنا ؟

قال : ويلك يا ذعلب إنّ ربّي لايوصف بالبعد، ولابالحركة ، ولابالسكون ولا بالقيام قيام انتصاب ، ولابمجيء ولا ذهاب ، لطيف اللّطافة لايوصف باللّطف، عظيم العظمة لايوصف بالعظم ، كبير الكبرياء لايوصف بالكبر ، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ ، رؤوف الرحمة لايوصف بالرقّة، مؤمن لابعبادة ، مدرك لا بمجسّة ، قائل لاباللّفظ ، هو في الأشياء على غير ممازجة ، خارج منها على غير مباينة ، فوق كلّ شيء فلايقال شيء فوقه ، وأمام كلّ شيء ولايقال له أمام ، داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل ، وخارج منها لا كشيء من شيء خارج .

فخرّ ذعلب مغشيّاً ثمّ قال : تالله مـا سمعت بمثل هذا الجواب والله لاعدت إلى مثلها .

ثمّ قال عليه السلام : سلوني قبل أن تفقدوني .

فقام إليه الأشعث بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين كيف يؤخذ من المجوس الجزية ولم ينزل عليهم كتاب ولم يبعث إليهم نبيٌّ ؟

قال : بلى يا أشعث قد أنزل الله عليهم كتاباً ، و بعث إليهم رسولاً حتّى كان لهم ملك سكر ذات ليلة فدعا بابنته إلى فراشه فارتكبها ، فلمّا أصبح تسامع به قومه فاجتمعوا إلى بابه فقالوا : أيّها الملك دنّست علينا ديننا فأهلكته فاخرج نطهّرك ونقيم عليك الحدّ. فقال لهم : اجتمعوا واسمعوا كلامي فإن يكن لي مخرج ممّا ارتكبت وإلاّ فشأنكم ، فاجتمعوا فقال لهم : هل علمتم أنّ الله لم يخلق خلقاً أكرم عليه من أبينا آدم واُمّنا حوّاء ؟ قالوا : صدقت أيّها الملك . قال : أفليس قد زوّج بنيه بناته وبناته من بنيه ؟ قالوا : صدقت هذا هو الدّين فتعاقدوا على ذلك فمحى الله ما في صدورهم من العلم ورفع عنهم الكتاب ، فهم الكفرة يدخلون النار بلا حساب والمنافقون أشدّ حالاً منهم .

قال الأشعث: والله ماسمعت لمثل هذا الجواب ، والله لاعدت إلى مثلها أبداً.

ثمّ قال عليه السلام : سلوني قبل أن تفقدوني .

فقام إليه رجل من أقصى المسجد متوكّياً على عصاه فلم يزل يتخطّى النّاس

حتّى دنا منه ، فقال : يا أمير المؤمنين دلّني على عمل إذا أنا عملته نجاني الله من النار .

فقال له : اسمع ياهذا ثمّ افهم ثمّ استيقن قامت الدُّنيا بثلاثة : بعالم ناطق مستعمل لعلمه ، وبغنيّ لايبخل بماله على أهل دين الله ، و بفقير صابر . فاذا كتم العالم علمه ، وبخل الغنيُّ ، ولم يصبر الفقير فعندها الويل والثبور ، وعندها يعرف العارفون بالله أنّ الدّار قدرجعت إلى بدئها أي الكفر بعد الايمان .

أيّها السّائل فلاتغترنّ بكثرة المساجد و جماعة أقوام أجسادهم مجتمعة وقلوبهم شتّى .

أيّها النّاس إنّما النّاس ثلاثة : زاهد ، وراغب ، وصابر ، فأمّا الزّاهد فلا يفرح بشيء من الدُّنيا أتاه ولايحزن على شيء منها فاته ، وأمّا الصّابر فيتمنّاها بقلبه فان أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه لم «لما ظ» يعلم من سوء عاقبتها ، وأمّا الراغب فلايبالي من حلّ أصابها أم من حرام .

قال له : يا أمير المؤمنين فما علامة المؤمن في ذلك الزّمان ؟

قال : ينظر إلى ما أوجب الله عليه من حقّ فيتولاّه ، و ينظر إلى مـا خلفه فيتبرّأ منه وإن كان حميماً قريباً .

قال : صدقت يا أمير المؤمنين ثمّ غاب الرّجل فلم نره فطلبه النّاس فلم يجدوه فتبسّم عليٌّ عليه السلام على المنبر ثمّ قال : ما لكم هذا أخي الخضر عليه السلام .

ثمّ قال : سلوني قبل أن تفقدوني فلم يقم إليه أحد فحمد الله و أثنى عليه وصلّى على نبيّه صلى الله عليه وآله .

ثمّ قال للحسن عليه السلام : ياحسن قم فاصعد المنبر فتكلّم بكلام لاتجهلك قريش من بعدي فيقولون : إنّ الحسن بن عليّ لايحسن شيئاً ، قال الحسن عليه السلام : ياأبه كيف أصعد وأتكلّم وأنت في النّاس تسمع وترى؟ قال له : بأبي واُمّي وأرى «اُواري ظ» نفسي عنك وأسمع وأرى وأنت لاتراني .

فصعد الحسن عليه السلام المنبر فحمد الله بمحامد بليغة شريفة وصلّى على النبي صلى الله عليه وآله صلاة موجزة ثمّ قال :

أيّها النّاس سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها وهل تُدخَل المدينة إلاّ من بابها ، ثمّ نزل ، فوثب إليه عليٌّ عليه السلام فحمله و ضمّه إلى صدره .

ثمّ قال للحسين عليه السلام: يا بنيّ قم فاصعد المنبر وتكلّم بكلام لا تجهلك قريش من بعدي فيقولون : إنّ الحسين بن عليّ لا يبصر شيئاً ، و ليكن كلامك تبعاً لكلام أخيك .

فصعد الحسين عليه السلام المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيّه صلاة موجزة ثمّ قال :

يا معاشر النّاس سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول : إنّ عليّاً هو مدينة هدى فمن دخله نجى ومن تخلّف عنها هلك . فوثب إليه عليٌّ عليه السلام فضمّه إلى صدره وقبّله ثمّ قال : معاشر النّاس اشهدوا أنّهما فرخا رسول الله و وديعته الّتي استودعنيها ، وأنا أستودعكموها ، معاشر النّاس ورسول الله سائلكم عنهما . انتهى ما في التوحيد .

وروى هذا الطريق في أوّل المجلس الخامس والخمسين من أماليه بهذا الاسناد في التوحيد .

واعلم أنّ كلامه عليه السلام في جواب ذعلب مذكور في النهج أيضاً ، و هو الكلام ١٧٧ من باب الخطب أوّله : ومن كلامه عليه السلام وقد سأله ذعلب اليماني فقال : هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام : أفأعبد ما لا أرى ، قال: و كيف تراه الخ.

لكن ما في النهج يكون قريباً من ثلث ما في الكافي والتوحيد ، على أنّ نسخة النهج لا يوافقهما في الألفاظ والعبارات وبينهما تفاوت إلاّ في صدر الرواية حيث قال عليه السلام: لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان . وأمّا سائر كلامه هذا ليس بمذكور في النهج إلاّ أنّ قوله عليه السلام : قامت الدّنيا بثلاثة : بعالم ناطق مستعمل علمه ـ الخ، شبيه بقوله عليه السلام لجابر بن عبدالله الأنصاري : يا جابر قوام الدّنيا بأربعة : عالم مستعمل علمه ـ الخ، وهو الحكمة ٣٧٢ من باب المختار من حكمه عليه السلام من النهج .

تنبيه : قد قدّمنا في شرح المختار الأوّل من كتبه عليه السلام (ص٣٥٧ ج ٢ من تكملة المنهاج) اختلاف الأقوال في أوّل خطبة خطبها عليه السلام بعدما بويع له بالخلافة وقد حقّقنا هنالك أنّ الخطب : ٢١و٢٨ و١٦٦و١٧٦ من النهج كانت جميعاً خطبة واحدة ، فبما نقلنا من رواية التوحيد ههنا علمت أنّ كلامه في جواب ذعلب أي ذلك الكلام ١٧٧ من باب الخطب أيضاً كان منها ، و أنّ الجميع ممّا قالها في جلسة واحدة حين صعد المنبر بعد ما بويع له عليه السلام بالخلافة .

وروى الكلينيُّ في ذلك الباب من الكافي حديثاً عن أبي جعفر عليه السلام وقع بينه وبين رجل من الخوارج مثل ماوقع بين أمير المؤمنين عليه السلام و ذعلب فأجاب الرّجل بمايقرب من كلام أمير المؤمنين عليه السلام .

قال : عليُّ بن إبراهيم عن أبيه ، عن عليِّ بن معبد ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبيه قال : حضرت أباجعفر عليه السلام فدخل عليه رجل من الخوارج فقال : يا با جعفر أيّ شيء تعبد ؟ قال : الله ، قال : رأيته ؟ قال : بلى لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان ، لايعرف بالقياس ، ولايدرك بالحواس ، ولايشبه بالناس ، موصوف بالآيات ، معروف بالعلامات ، لا يجور في حكمه ، ذلك الله لا إله إلاّ هو ، قال : فخرج الرّجل وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته . انتهى .

ورواه الصدوق في المجلس السابع والأربعين من أماليه وفي باب ما جاء في الرؤية من التوحيد أيضاً . وأبو جعفر هذا هو محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام لا الامام التاسع بقرينة رواية سنان عنه عليه السلام صرّح به في اسناد الأمالي حيث قال : عن عبدالله بن سنان عن أبيه قال : حضرت أباجعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام .

قال الصدوق في التوحيد بعد نقل حديث ذعلب : في هذا الخبر ألفاظ قد ذكرها الرضا عليه السلام في خطبته ، وهذا تصديق قولنا في الأئمّة عليهم السلام أنّ علم كلّ واحد منهم مأخوذ عن أبيه حتّى يتّصل ذلك بالنبيّ صلّى الله عليه وآله . انتهى قوله رحمه الله .

أقول : إنّ ما يجب أن يعتقد ويذعن فيهم عليهم السلام أنّ علمهم من معدن واحد لايخالفون الحقّ ولايختلفون فيه ، ولقد أجاد الصدوق رحمه الله بما أفاد ، ولكن

ذلك الحديث المروي في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام منسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام على نسق واحد .

روى الطبرسي في كتاب الاحتجاج في باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام فيما يتعلّق بتوحيد الله وتنزيهه عمّا لا يليق به ما هذا لفظه :

وروى أهل السير أنّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن الله أرأيته حين عبدته ؟ فقال له أمير المؤمنين : لم أك بالّذي أعبد من لم أره ، فقال له : كيف رأيته يا أمير المؤمنين ؟ فقال له : ويحك لم تره العيون بمشاهدة العيان ، ولكن رأته العقول بحقائق الايمان ، معروف بالدّلالات ، منعوت بالعلامات لا يقاس بالناس ، ولا يدرك بالحواس ، فانصرف الرّجل وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته ، انتهى .

والناقد في الأحاديث يرى أنّ ذينك الحديثين واحد قاله أحدهما عليهما السلام ووقعت تلك الواقعة لأحدهما ، وتعدّدت من سهو الراوي فتأمّل والله تعالى أعلم .

أمّا بيان الحديث فيجوز قراءة الأبصار بالفتح والكسر ، فعلى الأوّل جمع وعلى الثاني مصدر ، وفي نسختي النهج والاحتجاج بمشاهدة العيان ، والمراد بالقلوب العقول كما في الاحتجاج ، وقد بيّنّا في شرح المختار ٢٣٧ من باب الخطب أنّ المراد من القلب في الآيات و الأخبار و اصطلاح الإلهيّين هو اللّطيفة القدسيّة الرّبانيّة الّتي يعبّر عنها بالقوّة العقليّة ، لا الجسم اللّحمي الصنوبري .

قوله عليه السلام : لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار . قد عرفت في شرح الأحاديث المتقدّمة أنّ ما تدركه الأبصار لابدّ من أن يكون جسماً ذا ضوء ولون ، و ما يقبل الضوء واللّون لابدّ من أن يكون كثيفاً ، فلزم من رؤيته تعالى بالأبصار كونه جسماً ، والجسم مركّب حادث ذو جهة و وضع ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً .

وأمّا قوله : ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان فاعلم أنّ السائل الحبر لما سأله عليه السلام هل رأيت ربّك حين عبدته وأجابه عليه السلام ما كنت أعبد ربّاً لم أره ، حمل الرؤية على الرؤية بالعين ، لأنّ المرتكز عند عامّة الناس إنّما تكون الرؤية

بهذا المعنى لأنّهم يتبادرون إلى الأحكام الّتي تحسّ بمحسّة لحشرهم معها وأُنسهم بها.

وأمّا التوجّه إلى ما وراء الطبيعة والسير إلى باطن عالم الشهود بقدم المعرفة فلا تيسّر لهم إلّا بعد تنبيه وايقاظ وإرشاد ، ولمّا رأى عليه السلام أنّه حمل الرؤية على ذلك بيّن له أنّ المراد من الرؤية هو الرؤية القلبيّة لا العينيّة ، و قال عليه السلام رأته القلوب بحقائق الايمان .

وأمّا الرؤية القلبيّة بحقائق الايمان فلابدّ من أن نمهّد مقدّمة في بيانه كي يتّضح المراد وهي :

أنّ حقيقته تعالى غير معلومة لأحد بالعلم الحصولي الصوري كما أنّها غير معلومة لأحد أيضاً بالعلم الاكتناهي أعني إحاطته تعالى بالعقل أو الحسّ أو بغيرهما من القوى المدركة ، واتّفق على امتناع ذينك العلمين به تعالى الحكماء الالهيّون والعرفاء الشامخون .

أمّا الأوّل فلأنّ العلم الحصولي به تعالى إنّما يتمشّي فيما له ماهيّة حتّى يصحّ تعدّد أنحاء الوجود لتلك الماهيّة فيحصل نحو من وجوده في الأذهان ، والعلم الحصولي هو حصول صورة الشيء وارتسامه في الذّهن ، والعلم بالشيء ليس إلّا نحو وجوده لدى الذات العاقلة المجرّدة ، فهذا الوجود الذهني نحو من وجود ذلك الشيء الخارجي ، غاية الأمر أنّ للذهني بالنسبة إلى الخارجي تجرّداً ما ، ولكن الواجب تعالى لمّا كان حقيقته وجوده العيني الخاص وتعيّنه عين ذاته و إنيّته ماهيّته لا يتطرّق إليه التعدّد والكثرة ، فلا يرتسم في الذهن ، فلا يكون معلوماً لأحد بالعلم الحصولي .

وأمّا الثّاني فلأنّ ماسواه معلول له ، وأنّى للمعلول أن يحيط بعلّته وهو دونها وشأن من شؤنها ، وهو تعالى لشدّة نوريّة وجوده الغير المتناهي العيني الخاصّ به و نهاية كماله وسعة عظمته وقاهريّة ذاته وتسلّطه على من سواه حجب العقول المجرّدة والنفوس الكاملة ، فضلاً عن الأوهام و الأبصار عن الإحاطة به و اكتناه ذاته

لقصورها وفتورها .

وفي الحديث : إنّ الله قداحتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وأنّ الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم وفي الكتاب الإلهي « لا يحيطون به علماً وعنت الوجوه للحيّ القيّوم » (طه ـ ١١٠) و العلم به تعالى على ماهو عليه مختصٌ به .

سبحان من تحيّر في ذاته سواه فهم خرد بكنه كمالش نبرده راه
ازما قياس ساحت قدسش بود چنانك موري كندمساحت گردون زقعر چاه

و كما أنّ أبصارنا عاجزة عن أن تملأ من نورالشمس المشرقة و عن إحاطة الرؤية بها واكتناهها ، كذلك بصيرتنا عن اكتناه ذاته تعالى .

على أنّ هذا التمثيل للتقريب ، كيف ؟ وهوتعالى أجلّ و أعلى عن التشبيه والتمثيل والقياس بمخلوقاته « ولله المثل الأعلى وهوالعزيز الحكيم» (النحل-٦١).

اى برون از وهم وقال وقيل من خاك بر فرق من و تمثيل من

نكتة : فاذا كان الأبصار عاجزة عن أن تملأها من نورالشمس المشرقة فما ظنّك برؤية من هوفي شدّة نوريّته فوق ما لايتناهى بما لايتناهى .

وقد روى في ذلك الكلينيُّ في باب إبطال الرؤية من جامعه الكافي و الصدوق في باب ما جاء في الرؤية من كتابه في التوحيد عن أحمدبن ادريس ، عن محمّدبن عبد الجبّار ، عن صفوان بن يحيى ، عن عاصم بن حميد ، عن أبيعبدالله عليه السلام قال: ذاكرت أباعبدالله عليه السلام فيما يروون من الرؤية ، فقال : الشمس جزء من سبعين جزءاً من نورالكرسي ، والكرسيُّ جزء من سبعين جزءاً من نورالعرش ، و العرش جزء من سبعين جزءاًمن نورالحجاب ، والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نورالستر، فان كانوا صادقين فليملؤوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب .

فاذا ساقنا البرهان إلى أنّ العلم به تعالى حصولياً واكتناهياً محال ، فلا جرم يكون المراد من الرؤية القلبيّة بحقائق الايمان غيرهذين النحوين من العلم بل هي طور آخر أدقّ وألطف وهو:

أنّ الرؤية القلبيّة به تعالى هي الكشف التامّ الحضوري وشهوده تعالى للعبد على مقدار تقرّبه منه تعالى بقدم المعرفة و درج معارف العقل و عقائد حقّانيّة برهانيّة ، فإنّه عزّوجلّ يتجلّى للعبد بقدر وعائه الوجوديّ ، لأنّه ربّ العباد والطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، وهم في وجودهم وبقائهم في جميع الأحوال والعوالم ربط محض وفقر صرف ، والأوّل تعالى لاينفكّ فيضه عليهم طرفة عين ، ويفيض عليهم على مقدار قابليّتهم وسعة وجودهم وتقرّبهم ، والعارف السالك يشهده على مقدار حقائق ايمانه لا بالكنه ، و هذا الشهود الوجودي و الانكشاف التامّ الحضوري ذو درجات « يرفع الله الّذين آمنوا و الّذين اُوتوا العلم درجات » (المجادلة ـ ١٢) .

وتنتهي هذه الدّرجات إلى مرتبة يقول العبد السالك النائل بها على لسان صدق وقول حق : لو كشف الغطاء لما ازددت يقيناً .

قال يعقوب بن إسحاق الكندي فيلسوف العرب : إذا كانت العلّة الأولى متّصلة بنا لفيضه علينا و كنّا غيرمتّصلين به إلاّ من جهته ، فقديمكن فينا ملاحظته على قدر ما يمكن للمفاض عليه أن يلاحظ المفيض ، فيجب أن لاينسب قدر إحاطته بنا إلى قدر ملاحظتنا له ، لأنّها أغزر وأوفر وأشدّ استغراقاً .

وقال المحقّق الشهرزوريّ في الشجرة الالهيّة : الواجب لذاته أجمل الأشياء وأكملها ، لأنّ كلّ جمال و كمال رشح وفيض وظلّ من جماله و كماله ، فله الجلال الأرفع ، والنور الأقهر ، فهو محتجب بكمال نوريّته وشدّة ظهوره ، و الحكماء المتألّهون العارفون به يشهدونه لا بالكنه ، لأنّ شدّة ظهوره وقوّة لمعانه وضعف ذواتنا المجرّدة النوريّة يمنعنا عن مشاهدته بالكنه كما منع شدّة ظهور الشمس وقوّة نورها أبصارنا اكتناهها ، لأنّ شدّة نوريّتها حجابها ، و نحن نعرف الحقّ الأوّل ونشاهده ، لكن لانحيط به علماً كما ورد في الوحي الالهي « ولا يحيطون به علماً وعنت الوجوه للحيّ القيّوم » . نقلهما صدر المتألّهين عنهما في الفصل الثالث من المنهج الثاني من أوّل الأسفار .

والمراد من حقائق الايمان مراتبه لأنّ الايمان به في كلّ مرتبة كان حقيقة وعقيدة حقّة.

فانّ قول الأعرابي حيث سئل عن الدّليل علي وجود الصّانع: البعرة تدلّ على البعير وآثار الأقدام تدلّ على المسير، أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج لاتدلّ على وجود اللّطيف الخبير، مرتبة من مراتب الايمان، وهو استدلال بالآثار المحوجة إلى السبب الدّالّ على وجوده تعالى، وهواعتقاد صدق وايمان حق.

وقد سلك هذا المسلك أمير المؤمنين عليه السلام في مقام إرشاد من كان وعاء عقله يقتضي هذا القدر من الخطاب بقوله: البعرة تدلّ على البعير، والروثة تدلّ على الحمير وآثار الأقدام تدلّ على المسير فهيكل علويّ بهذه اللّطافة، ومركز ثفليّ بهذه الكثافة كيف لايدلّان على اللّطيف الخبير؟.

وكأنّ قول الأعرابي مأخوذ من كلامه عليه السلام كما أشار إليه السيد نعمة الله الجزائري في تعليقته على أوّل كتابه الموسوم بالأنوار النّعمانيّة.

واستدلال المتكلّمين بحدوث الأجسام والأعراض على وجود الخالق وبالنظر في أحوال الخليقة على صفاته تعالى واحدة فواحدة أيضاً مرتبة من الايمان، وهذه المرتبة حقيقة من حقائق الايمان.

وهذا طريق إبراهيم الخليل عليه السلام في مقام هداية العباد، فانّه استدلّ بالأفول الّذي هو الغيبة المستلزمة للحركة المستلزمة للحدوث المستلزم لوجود الصّانع تعالى.

وما استدلّ به الحكماء الطبيعيّون من وجود الحركة على محرّك، وبامتناع اتّصال المحرّكات لا إلى نهاية على وجود محرّك أوّل غير متحرّك، ثمّ استدلّوا من ذلك على وجود مبدء أوّل أيضاً حقيقة من حقائق الايمان ومرتبة من مراتبه

وما استدلّ به طائفة اُخرى من الالهيّين كالعرفاء الشامخين من ذاته على ذاته من غير الاستعانة بابطال الدّور والتسلسل، أعني برهان الصديقين حقّ وحقيقة من مراتب حقائق الايمان. واُشير إليه في الكتاب الالهي «سنريهم آياتنا في الآفاق

وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ أولم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد » (فصّلت ــ ٥٥) فعرفوا بذاته ذاته و وحدانيّته شهدالله أنّه لا إله إلّا هو ، وبذاته عرفوا غيره ، أولم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد .

واعلم أنّ أظهر الموجودات وأجلاها عندأهل البصيرة هوالله تعالى ، ويستدلّون بذاته على وجود غيره لا بالعكس كما هودأب من لم يصل إلى تلك المرتبة العلياء وقد نطق ببرهان الصدّيقين على أوضح بيان إمام الموحّدين سيّد الشهداء أبوعبدالله الحسين عليه السلام في دعاء عرفة : كيف يستدلّ عليك بما هوفي وجوده مفتقر إليك ، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يكون هوالمظهر لك ، متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك ، ومتى بعدت حتّى تكون الآثار هي الّتي توصل إليك ــ الخ .

ونعم قال العارف الشبستري :

زهي نادان كه اوخورشيد تابان　ز نور شمع جويد در بيابان

ولايخفى أنّ أتمّ مراتب الإيمان وحقائقه هذه المرتبة الأخيرة ، وهي أيضاً بحسب مراتب العرفان متفاوتة ، وقدكان الفائزون بهذه الرتبة العلياء والنائلون بهذه النعمة العظمى يكتمونها عن غير أهلها مخافة أن تزلّ أقدام لم تسلك منازل السائرين ، وتضطرب أحلام لم ترق إلى مقامات العارفين .

قد روى الشيخ الجليل السعيد الصدوق قدّس سرّه في باب ما جاء في الرؤية من كتابه في التوحيد حديثاً في ذلك .

قال : حدّثنا عليّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقاق ، قال : حدّثنا محمّد بن أبي عبدالله الكوفي ، قال : حدّثنا موسى بن عمران النخعي ، عن الحسين بن يزيد النوفلي ، عن عليّ بن أبي حمزة ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : أخبرني عن الله عزّ وجلّ هل يراه المؤمنون يوم القيامة ؟ قال : نعم و قد رأوه قبل يوم القيامة . فقلت : متى ؟ قال : حين قال لهم : « ألست بربّكم قالوا بلى » (الأعراف ١٧٣) ثمّ سكت ساعة ثمّ قال : إنّ المؤمنين ليرونه في الدّنيا قبل يوم القيامة

ألست تراه في وقتك هذا ؟ قال أبو بصير : فقلت له : جعلت فداك فأُحدّث بهذا عنك ؟ فقال : لا فانّك إذا حدّثت به فأنكره منكر جاهل بمعنى ما نقوله ثمّ قدّر أنّ ذلك تشبيه كفر ، و ليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين ، تعالى الله عمّا يصفه المشبّهون والملحدون .

بيان : قوله : فأُحدّث جملة استفهاميّة أو أنّ أداة الاستفهام محذوفة أي أفأُحدّث بهذا عنك ؟ .

وقوله عليه السلام : كفر ، فعل ماض جزاء للشرط أعني إذا حدّثت به . والمراد بالكفر ، الكفر بأهل البيت عليهم السلام ، لأنّ الجاهل بذلك المعنى الرّقيق الّذي أشار إليه الامام عليه السلام يعتقد أنّهم عليهم السلام قائلون بالتشبيه المحال .

وفي الفتح الرابع من الفاتحة الأُولى من شرح الميبدي على الديوان المنسوب إلى الأمير عليه السلام أبيات منسوبة إلى الامام السجاد عليه السلام أنّه قال :

إنّي لأكتم من علمي جواهره	كيلا يرى الحقّ ذو جهل فيفتتنا
و قد تقدّم في هذا أبو حسن	إلى الحسين ووصّى قبله الحسنا
و ربّ جوهر علم لو أبوح به	لقيل لي أنت ممّن يعبد الوثنا
ولاستحلّ رجال مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسناً

أو المراد بالكفر ، الكفر بالله باعتقاد تشبيهه تعالى بسائر المرئيّات بالأبصار كما مرّ في الحديث الأوّل عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنّ الرائي متى ساوى المرئيّ في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه و كان ذلك التشبيه ، و كأنّ الكفر بهذا المعنى أنسب بسياق العبارة .

وبما حقّقنا دريت أنّ معنى الرؤية القلبيّة هو الانكشاف التامّ الحضوري الّذي شهد على صحّته العقل و النقل ، وأنّ الرؤية البصريّة على أيّ نحو كانت محالة في حقّه تعالى بشهادة العقل والنقل أيضاً .

فقد أخطأ من فسّر قوله تعالى : « ما كذب الفؤاد ما رأى » (النجم - ١٢) بقوله : إنّ الله تعالى جعل بصر رسول الله في فؤاده أو خلق لفؤاده بصرا حتّى رآه

تعالى رؤية العين . ونسب هذا الرأي إلى النواوي من العامة .

ويرد عليه جميع ما يرد على إدراكه تعالى بالعين ، لأنّ الإدراك البصري محال فيه تعالى سواء كانت قوّة الإبصار في هذه البنية المخصوصة أعني العين أو في غيرها ، وجعل العين في القلب لا يخرج الرؤية عن الإدراك البصري ولا يدخلها في الرؤية القلبيّة ، بل هي رؤية بصريّة بلا كلام .

مثلاً رؤيتنا زيداً في المنام وإن لم تكن بعين الرأس لكن ما يعتبر فيها حالة اليقظة معتبر في المنام أيضاً ، فزيد المرئيُّ في المنام محدود ذو جهة مسامت للرائي فرؤيته في المنام بغير هذه المحسّة أعني عين الرأس لا تخرج عن أحكام الرؤية العينيّة ولا تدخل في الرؤية القلبيّة المجرّدة عن أوصاف الجسم .

ولو أراد هذا القائل من كلامه ذلك المعنى اللّطيف ، الصّحيح الّذي بيّناه آنفاً فنعم الوفاق ولكن صرّح غير واحد بأنّه لم يرده ، ولفظه يأبى عن حمله عليه .

ودريت أيضاً أنّ الّذين ذهبوا إلى عكس ما ذهب إليه النواوي أي إلى جواز أن يحوّل الله تعالى قوّة القلب إلى العين فيعلم الله تعالى بها فيكون ذلك الادراك علماً باعتبار أنّه بقوّة القلب ، ورؤية باعتبار أنّه قد وقع بالمعنى الحالّ في العين سلكوا طريقة عمياء أيضاً ، و يرد عليهم الإيراد من وجوه رأينا الاعراض عنها أجدر .

ولمّا كان هذا البحث الحكمي العقلي حاوياً لتلك النكات الأنيقة والمطالب الرقيقة ، أكثرها كان مستفاداً من كلمات الأئمّة الهداة عليهم السلام ، رأينا أن نشير إليها على حسب ما يقتضي المقام ، ولعمري من ساعده التوفيق وأخذت الفطانة بيده اغتنم ذلك البحث العقلي الجامع لكثير من ضوابط عقليّة تزيده بصيرة و رُقيّاً في معرفة الله تعالى وفقهاً في الأخبار المرويّة في الرؤية وغيرها ممّا يغترّ المنتسبون إلى العلم بظاهرها . الحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

الترجمة

این نامه ایست که امیر المؤمنین علي عليه السلام بجریر بن عبدالله بجلي گاهی که او را بسوی معاویه گسیل داشت تا از وی بیعت بگیرد، نوشت.

معاویه در بیعت با آن بزرگوار به تسویف ومماطله می گذرانید و ببهانه‌های بیجا امروز وفردا می کرد، وبدین‌سبب جریر مدتی دراز در شام سر گردان بود وأمیر المؤمنین عليه السلام چون دید که معاویه در أمر بیعت دودل است وبه لعل وعسی روزگار می گذراند این نامه را بجریر نوشت:

أمّا بعد ای جریر برسیدن نامه ام، معاویه را وادار که قبول بیعت یا امتناع آنرا یکسره کند، وفراگیرش که در إطاعت یا عصیان بجزم سخن گوید، پس او را میان کارزاری که آواره‌اش کند، ویا گردن نهادني که ارجش دهد وبهره‌اش رساند، (١) مخيّر گردان. اگر کارزار را بر گزید عهد أمان بسویش افکن واعلام‌جنگ درده، واگر بصلح گراید بیعت از وی بستان. والسلام.

ومن كتاب له عليه السلام الى معاوية وهو الكتاب التاسع من باب المختار من كتبه عليه السلام و رسائله

فَأَرادَ قَوْمُنا قَتْلَ نَبِيِّنا، وَاجْتِياحَ أَصْلِنا وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ، وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفاعِيلَ، وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ، وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، وَاضْطَرُّونا إِلىٰ جَبَلٍ وَعْرٍ، وَأَوْقَدُوا لَنا نارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللهُ لَنا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ، وَالرَّمْيِ مِنْ وَراءِ حُرْمَتِهِ، مُؤْمِنُنا يَبْغِي بِذٰلِكَ الْأَجْرَ، وَكافِرُنا يُحامِي عَنِ الْأَصْلِ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ مِمّا

---

(١) بنا بر نسخه مخزيه: ویا گردن نهادني که خوارش گرداند ورسوایش سازد.

نَحْنُ فيهِ بِحَلْفٍ يَمْنَعُهُ ، أَوْ عَشيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكانٍ أَمْنٍ .

وَ كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله إِذا احْمَرَّ الْباسُ ، وَ أَحْجَمَ النّاسُ ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ ، فَوَقى بِهِمْ أَصْحابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَ الْأَسِنَّةِ ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ ابْنُ الْحارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَ قُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَ قُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُوتَةَ ، وَ أَرادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذي أَرادُوا مِنَ الشَّهادَةِ ، وَ لٰكِنَّ آجالَهُمْ عُجِّلَتْ ، وَ مَنِيَّتَهُ أُجِّلَتْ (أُخِّرَتْ ـ خ ل) .

فَيا عَجَباً لِلدَّهْرِ إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمي ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسابِقَتِي الَّتي لا يُدْلي أَحَدٌ بِمِثْلِها إِلا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ ما لا أَعْرِفُهُ وَلا أَظُنُّ اللهَ يَعْرِفُهُ ، وَالْحَمْدُ لِلهِ عَلىٰ كُلِّ حالٍ .

وَ أَمّا ما سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمانَ إِلَيْكَ ، فَإِنّي نَظَرْتُ في هٰذَا الْأَمْرِ فَلَمْ أَرَهُ يَسَعُني دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلا إِلىٰ غَيْرِكَ ، وَ لَعَمْري لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ وَشِقاقِكَ ، لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَليلٍ يَطْلُبُونَكَ ، لا يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ في بَرٍّ وَ لا بَحْرٍ ، وَ لا جَبَلٍ وَ لا سَهْلٍ ، إِلا أَنَّهُ طَلَبٌ يَسُوءُكَ وِجْدانُهُ ، وَ زَوْرٌ لا يَسُرُّكَ لُقْيانُهُ ، وَ السَّلامُ لِأَهْلِهِ .

« سند الكتاب ونقله على صورته الكاملة وذكر ما »
« وقع من الخلط والشتات فيه »

ما أتى به السيد رضوان الله عليه من كتابه عليه السلام هذا فملتقط من كتاب طويل هو من محاسن كتابه عليه السلام بلا كلام كما سيتلى عليك والرضي – ره – أسقط كثيراً من هذا الكتاب وأتى بشرذمة قليلة منه ، وهذه عادته رضوان الله عليه، لأن غرضه التقاط الفصيح والبليغ من كلامه عليه السلام .

كتبه عليه السلام إلى معاوية جواب كتابه إليه، ودفع معاوية كتابه إلى أبي مسلم الخولاني فقدم به على علي أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة و الكتابان مذكوران في كتاب صفين لنصر بن مزاحم المنقري التميمي الكوفي المتوفى في سني المائة الثانية من الهجرة (ص ٤٧، الطبع الناصري ١٣٠١هـ) ونقل عنه المجلسي رحمه الله في المجلد الثامن من البحار (ص ٥٤٧ الطبع الكمباني) والرضي توفي سنة ٤٠٦ من الهجرة .

ونحن نورد ما أتى به نصر في كتاب صفين : نصر: عن عمر بن سعد ، عن أبي روق أن أبا مسلم الخولاني قام إلى معاوية في أناس من قراء أهل الشام فقالوا يا معاوية على ما تقاتل علياً وليس لك مثل صحبته ولا قرابته ولا سابقته ؟.

قال لهم : ما أقاتل علياً وأنا أدعي أن لي في الاسلام مثل صحبته ولا هجرته ولا قرابته ولا سابقته ، ولكن خبروني عنكم ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما؟ قالوا : بلى . قال : فليدع إلينا قتلته فنقتلهم به ولا قتال بيننا و بينه . قالوا : فاكتب كتاباً يأتيه بعضنا .

فكتب إلى علي هذا الكتاب مع أبي مسلم الخولاني ، فقدم به على علي . ثم قام أبومسلم خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد فإنك قد قمت بأمر وتولّيته والله ما أحب أنه لغيرك إن أعطيت الحق من نفسك ، إن عثمان قتل مسلماً محرماً مظلوما ، فادفع إلينا قتلته وأنت أميرنا ، فإن خالفك أحد من الناس كانت أيدينا لك ناصرة ، وألسنتنا لك شاهدة ، وكنت ذا عذر وحجة .

فقال له عليٌّ : اغد عليَّ غداً فخذ جواب كتابك .

فانصرف ثمّ رجع من الغد ليأخذ جواب كتابه ، فوجد النّاس قد بلغهم الّذي جاء فيه ، فلبست الشيعة أسلحتها ، ثمّ غدوا فملؤوا المسجد و أخذوا ينادون : كلّنا قتل ابن عفّان ، وأذن لأبي مسلم فدخل على عليّ أمير المؤمنين فدفع إليه جواب كتاب معاوية .

فقال له أبو مسلم : قد رأيت قوما مالك معهم أمر ، قال : وما ذاك ؟ .قال : بلغ القوم أنّك تريد أن تدفع إلينا قتلة عثمان فضجّوا واجتمعوا ولبسوا السلاح وزعموا أنّهم كلّهم قتلة عثمان .

فقال عليٌّ عليه السلام والله ما أردت أن أدفعهم إليك طرفة عين ' لقد ضربت هذا الأمر أنفه وعينيه ما رأيته ينبغي لي أن أدفعهم إليك ولا إلى غيرك ، فخرج بالكتاب وهو يقول : الآن طاب الضراب .

« كتاب معاوية الى أمير المؤمنين على عليه السلام »

قال نصر بالسند المقدم : وكان كتاب معاوية إلى علي عليه السلام :

بسم الله الرّحمن الرّحيم من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب سلام عليك فإنّي أحمد إليك الله الّذي لا إله إلاّ هو ، أمّا بعد فإنّ الله اصطفى محمّداً بعلمه وجعله الأمين على وحيه ، والرسول إلى خلقه ، و اجتبى له من المسلمين أعواناً أيّده الله بهم ، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام .

فكان أفضلهم في إسلامه وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة من بعده وخليفة خليفته والثالث الخليفة المظلوم عثمان فكلّهم حسدت ، وعلى كلّهم بغيت ، عرفنا ذلك في نظرك الشزر وفي قولك الهجر وفي تنفسك الصعداء ، وفي إبطائك عن الخلفاء ، تقاد إلى كلّ منهم كما يقاد الفحل المخشوش حتّى تبايع وأنت كاره .

ثمّ لم تكن لأحد منهم بأعظم حسداً منك لابن عمك عثمان وكان أحقّهم أن لا تفعل ذلك به في قرابته وصهره ، فقطعت رحمه ، وقبّحت محاسنه ، وألّبت الناس عليه ، وبطنت وظهرت حتّى ضربت إليه آباط الإبل ، وقيدت إليه الخيل العراب

وحمل عليه السلاح في حرم رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقتل معك في المحلّة وأنت تسمع في داره الهائعة لاتردع الظنّ والتهمة عن نفسك فيه بقول ولافعل .

فاُقسم صادقاً أن لوقمت فيماكان من أمره مقاماً واحداً تُنَهنِهُ النّاسَ عنه ما عدل بك من قبلنا من النّاس أحد ، ولمحى ذلك عندهم ماكانوا يعرفونك به من المجانبة لعثمان والبغي عليه .

واُخرى أنت بها عند أنصار عثمان ظنين إيواءك قتلة عثمان ، فهم عضدك وأنصارك ويدك وبطانتك ، وقد ذكر لي أنّك تنصّل من دمه ، فان كنت صادقاً فأمكنّا من قتلته نقتلهم به ونحن أسرع إليك ، وإلاّ فانّه ليس لك ولا لأصحابك إلاّ السيف .

والّذي لا إله إلاّ هو لنطلبنّ قتلة عثمان في الجبال والرمال والبرّ والبحر حتّى يقتلهم الله أولتلحقنّ أرواحنا بالله ، والسّلام .

« جواب أمير المؤمنين عليه السلام الى معاوية »

قال نصر : فكتب إليه عليّ عليه السلام :

بسم الله الرّحمن الرّحيم من عبدالله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان ، أمّا بعد ، فانّ أخا خولان قدم عليّ بكتاب منك تذكر فيه محمّداً صلى الله عليه وآله وما أنعم الله عليه به من الهدى والوحي ، فالحمد لله الّذي صدّقه الوعد ، وتمّم له النصر ومكّن له في البلاد ، وأظهره على أهل العدى و الشنآن من قومه الّذين وثبوا به (وثبوا عليه ـ خ ل) وشنفوا له ، وأظهروا له التكذيب ، و بارزوه بالعداوة ، وظاهروا على إخراجه وعلى إخراج أصحابه ، وألّبوا عليه العرب و جامعوهم على حربه ، وجهدوا في أمره كلّ الجهد ، و قلّبوا له الاُمور حتّى ظهر أمر الله و هم كارهون ، وكان أشدّ النّاس عليه إلبةً اُسرته والأدنى فالأدنى من قومه إلاّ من عصمه الله منهم .

يا ابن هند فلقد خبأ لنا الدّهر منك عجباً ، ولقد قدمت فأفحشت ، إذطفقت تخبرنا عن بلاء الله تعالى في نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وفينا ، فكنت في ذلك كجالب التمر إلى

هجر ، أو كداعي مسدده إلى النضال ، وذكرت أن الله اجتبى له من المسلمين أعواناً أيده الله بهم فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الاسلام ، فكان أفضلهم زعمت (كما زعمت ـ خل) في الاسلام وأنصحهم لله و رسوله الخليفة وخليفة الخليفة ، ولعمري إن مكانهما من الاسلام لعظيم ، وإن المصاب بهما الجرح في الاسلام شديد ، رحمهما الله وجزاهما بأحسن الجزاء (١) .

وذكرت أن عثمان كان في الفضل ثالثاً ، فان يكن عثمان محسناً فسيجزيه الله باحسانه ، وإن يكن مسيئاً فسيلقى رباً غفوراً لايتعاظمه ذنب أن يغفره .

ولعمر الله (٢) إني لأرجو إذا أعطى الله الناس على قدر فضائلهم في الاسلام ونصيحتهم لله ولرسوله أن يكون نصيبنا في ذلك الأوفر .

إن محمداً صلى الله عليه وآله لما دعا إلى الايمان بالله و التوحيد كنا أهل البيت أول من آمن به وصدق بما جاء به ، فلبثنا أحوالاً مجرمة وما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا ، فأراد قومنا قتل نبينا واجتياح أصلنا ، وهموا بنا الهموم ، وفعلوا بنا الأفاعيل .

فمنعونا الميرة ، وأمسكوا عنا العذب ، و أحلسونا الخوف ، و جعلوا علينا الأرصاد والعيون ، واضطرونا إلى جبل وعر ، وأوقدوا لنا نار الحرب ، و كتبوا علينا بينهم كتاباً لايواكلونا ، ولا يشاربونا ، ولايناكحونا ، ولا يبايعونا ، ولانأمن فيهم حتى ندفع النبي صلى الله عليه وآله فيقتلونه ويمثلوا به ، فلم نكن نأمن فيهم إلا من موسم إلى موسم .

فعزم الله لنا على منعه والذب عن حوزته ، و الرمي من وراء حرمته ،

---

(١) في البحار : وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة الصديق ، وخليفة الخليفة الفاروق ولعمري ذكرت أمراً ان تم اعتزلك كله وان نقص لم يلحقك ثلمة ، وما انت والصديق فالصديق من صدق بحقنا وأبطل باطل عدونا ، وما انت والفاروق فالفاروق من فرق بيننا وبين أعدائنا وذكرت أن عثمان كان في الفضل ـ الخ ، منه .

(٢) في البحار : ولعمري اني لارجو . منه

والقيام بأسيافنا دونه في ساعات الخوف واللّيل والنهار ، فمؤمننا يرجو بذلك الثواب وكافرنا يحامي به عن الأصل .

فأمّا من أسلم من قريش بعدُ فانّهم ممّا نحن فيه أخلياء فمنهم حليف ممنوع أو ذو عشيرة تدافع عنه ، فلا يبغيه أحد بمثل ما بغانا به قومنا من التلف ، فهم من القتل بمكان نجوة وأمن ، فكان ذلك ماشاء الله أن يكون .

ثمّ أمر الله رسوله بالهجرة ، وأذن له بعد ذلك في قتال المشركين ، فكان إذا احمرّ البأس ودُعيت نزال ، أقام أهل بيته فاستقدموا ، فوقى أصحابه بهم حرّ الأسنّة والسّيوف .

فقتل عبيدة يوم بدر ، وحمزة يوم اُحد ، وجعفر وزيد يوم موتة ، وأراد لله من لوشئت ذكرت اسمه مثل الّذي أرادوا من الشهادة مع النبيّ صلّى الله عليه وآله غير مرّة إلاّ أنّ آجالهم عجّلت ، ومنيّته اُخّرت ، والله وليّ الاحسان إليهم ، والمنّان عليهم بما قد أسلفوا من الصالحات .

فما سمعت بأحد ولا رأيت فيهم من هو أنصح لله في طاعة رسوله ، ولا أطوع لرسوله في طاعة ربّه ، ولا أصبر على اللأواء والضرّاء وحين البأس ومواطن المكروه مع النبيّ صلّى الله عليه وآله من هؤلاء النفر الّذين سمّيت لك ، وفي المهاجرين خير كثير نعرفه جزاهم الله بأحسن أعمالهم .

وذكرت (فذكرت ـ خ ل) حسدي الخلفاء وإبطائي عنهم وبغيي عليهم، فأمّا البغي فمعاذ الله أن يكون . وأمّا الابطاء عنهم والكراهة لأمرهم فلست أعتذر منه إلى النّاس ، لأنّ الله جلّ ذكره لمّا قبض نبيّه صلّى الله عليه وآله قالت قريش : منّا أمير وقالت الأنصار: منّا أمير ، فقالت قريش : منّا محمّد رسول الله فنحن أحقّ بذلك الأمر ، فعرفت ذلك الأنصار فسلّمت لهم الولاية والسلطان فاذا استحقّوها بمحمّد صلّى الله عليه وآله دون الأنصار فانّ أولى النّاس بمحمّد صلّى الله عليه وآله أحقّ بها منهم وإلاّ فانّ الأنصار أعظم العرب فيها نصيباً فلاأدري أصحابي سلموا من أن يكونوا حقّي أخذوا، أو الأنصار ظلموا عرفت أنّ حقّي هو المأخوذ وقد تركته لهم تجاوز الله عنهم .

وأمّا ما ذكرت من أمر عثمان وقطيعتي رحمه وتأليبي عليه ، فانّ عثمان عمل ما بلغك ، فصنع النّاس ما قد رأيت ، وقد علمت أنّي كنت في عزلة عنه إلاّ أن تتجنّى فتجنّ ما بدا لك .

وأمّا ما ذكرت من أمر قتلة عثمان فإنّي نظرت في هذا الأمر وضربت أنفه وعينيه ، فلم أر دفعهم إليك ولا إلى غيرك ، ولعمري لئن لم تنزع عن غيّك و شقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك ولا يكلّفونك أن تطلبهم في برّ ولا بحر ولا جبل ولا سهل وقد كان أبوك أتاني حين ولّى النّاس أبا بكر فقال : أنت أحقّ بعد محمّد صلّى الله عليه وآله بهذا الأمر وأنا زعيم لك بذلك على من خالف عليك، ابسط يدك اُبايعك فلم أفعل .

وأنت تعلم أنّ أباك قد كان قال ذلك وأراده حتّى كنت أنا الّذي أبيت لقرب عهد الناس بالكفر، مخافة الفرقة بين أهل الإسلام ، فأبوك كان أعرف بحقّي منك فإن تعرف من حقّي ما كان يعرف أبوك تصب رشدك، وإن لم تفعل فسيغني (فسيغنيني ظ) الله عنك والسلام.

انتهى كتابه الشريف برمّته على ما أتى به نصر في صفين و إذا قايست بينه وبين ما نقله الرّضيّ رضوان الله عليه في النهج يظهر لك أنّه ـ ره ـ أسقط كثيراً من فصول الكتاب ونقل في النهج طائفة منه .

ثمّ يوجد بعض فقرات هذا الكتاب في الكتاب الثامن والعشرين من هذا الباب أوّله قوله : ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً وهو من محاسن الكتاب ، أمّا بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء ـ الخ .

اللغة

(الاجتياح) اجوف واويّ يقال : جاحه من باب قال و اجتاحه بمعنى أي أهلكه واستأصله . والجوح : الاستيصال والاهلاك .

(الهَمّ) بالفتح : واحد الهموم أي القصد ، أوما تُجيل لفعله وإيقاعه فكرك والهم أيضاً مصدر هممت بالشيء من باب نصر إذا نويته وعزمت عليه و قصدته .

(الفعل) بالكسر اسم الحدث جمعه فعال مثل قِدح وقِداح و يجمع على الأفعال أيضاً ، ويجمع الأفعال على الأفاعيل . وقيل : الأفاعيل جمع أفعولة وهي

الفعل الذمّي ويقال لمن أثر آثاراً منكرة: فعل الأفاعيل .

(العذب) بفتح أوّله وسكون ثانيه : قال الراغب : ماءٌ عذب : طيّب بارد قال تعالى : «هذا عذب فرات سائغ شرابه ـ الفاطر ١٢» . عذُب الماء عُذُوبةً من باب شرف : ساغ مشربه فهو عذوب واستعذبته رأيته عذباً و جمعه عذاب مثل سهم وسهام . والعذب أيضاً : المستساغ من الطّعام . والطيّب من العيش .

(أحلسونا الخوف) قال المرزوقي في شرح الحماسة : الحِلس واحد من أحلاس البيت . قال : قال الخليل : و هو ما يبسط تحت حُرّ المتاع من مِسحٍ وجُوالِقٍ و نحوهما .

وفي الصحاح عن الأصمعي : الحلس للبعير و هو كساء رقيق يكون تحت البَرذَعة ، وأحلاس البيوت ما يبسط تحت حُرّ الثياب . وفي الحديث: كن حلس بيتك ، أي لاتبرح ، وقولهم : نحن أحلاس الخيل أي نقتنيها و نلزم ظهورها ، وأحلست البعير أي ألبسته الحِلس ، وأحلست فلاناً يميناً إذا أمررتها عليه . وأحلست السماء أي مطرت مطراً دقيقاً دائماً .

وفي النهاية الأثيرية : وفي حديث الفتن عدّ منها فتنة الأحلاس ، الأحلاس جمع حلس وهو الكساء الّذي يلي ظهر البعير تحت القتب ، شبّهها به للزومها ودوامها ومنه حديث أبي موسى قالوا : يا رسول الله فما تأمرنا ؟ قال : كونوا أحلاس بيوتكم أي ألزموها . و منه حديث أبي بكر : كن حلس بيتك حتّى يأتيك يد خاطئة أو منيّة قاضية .

فتحصّل ممّا قدّمنا في الحلس أنّ المراد من قوله عليه السلام « أحلسونا الخوف» أنّهم جعلوا الخوف لهم كالحلس أي جعلوه ملازماً لهم من حيث إنّ الحلس ملازم ظهر البعير ، وأحلاس البيوت ملازمة لها . أو أنّهم ألبسوهم الخوف و هذا كالأوّل يفيد أنّهم ألزموهم الخوف .

(وَعر) بفتح أوّله وسكون ثانيه: المكان الصلب الغليظ ضدّ السهل، يقال مكان وَعر وطريق وعر ومطلب وعر ويقال بالفارسية : دشوار وسخت . قالت كنزة

(الحماسة ٢٤١) :

لهفي على القوم الّذين تجمّعوا بذي السّيد لم يلقوا عليّاً ولاعمرا
فان يك ظنّي صادقاً و هو صادقي بشمله يحبسهم بها محبساً وعراً

والوعر أيضاً : المكان المخيف الوحش . والجبل الوعر : الصعب المرتقى .

(الذبّ) : الدّفع والمنع . (حوزته) في الصحاح : الحوزة : الناحية وحوزة الملك بيضته . (الحرمة) كلُقمة : مالايحلّ انتهاكه . (يبغي) أي يطلب. ومنه قوله صلى الله عليه وآله : ألا إنّ الله يحبّ بغاة العلم (ج١ من الوافي ص٣٦) أي طلاّب جمع باغ كهداة وهاد . (أحجم النّاس) أي نكصوا وتأخّروا هيبة وكفّوا عن الحرب قال الجوهريّ : حجمته عن الشيء أحجُمُه ـ بالضم ـ أي كففته عنه ، يقال : حجمته عن الشيء فأحجم أي كففته فكفّ، وهو من النوادر مثل كببته فأكبّ .

(لم يسع) من السعي . (لايدلى) واويّ من دل و، يقال : أدلى برحِمِه أي توسّل بقرابته ، وأدلى بحجّته أي أحضرها واحتجّ بها . و أدلى إلى الحاكم بمال أي دفعه إليه ليجعله وسيلة إلى قضاء حاجته منه وفي القرآن الكريم : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكّام » (البقرة ـ ١٨٩) والأصل في ذلك من دلوت الدلو و أدليتها ثمّ استعير للتوصّل إلى الشيء . و في الشفاعة يقال : دلوت بفلان أي استشفعت به ولايقال حينئذ أدليت به .

قال عصام بن عبيدالله كما في الحماسة (الحماسة ٤٠٢) و على ما في البيان والتبيين (ص ٣١٦ ج ٢) قال همّام الرّقاشي :

فقد جعلت إذا ما حاجتي نزلت بباب قصرك أدلوها بأقوام

قال المرزوقيّ في معناه : إذا اتّفق ما لابدّ لي منك ومن معونتك من حاجة أو عارض سبب فانّي معتمد على غيري في التنجّز والاستعساف ، ومعنى « أدلوها » من قولك دلوت الدلو إذا أخرجتها من البئر ، أي أتسبّب بغيري و أصون من التبذّل عرضي .

(لعمري) العمر بالفتح : الحياة و الدّين ، قال في أقرب الموارد : و منه

لعمري في القسم أي لديني .

(لم تنزع عن غيّك) النزع عن الشيء : الكفّ عنه . (الغيّ) : الضلال (الشقاق) الخلاف . التكليف : الأمر بما يشقّ عليك من الكلفة بمعنى المشقّة .

(زور) بالفتح جاء مصدراً وغير مصدر وعلى الثاني يستوي فيه المفرد والمثنّى والجمع والمذكّر والمؤنّث . يقال : رجل زور وقوم زور ونساء زور. قال الجوهري: الزّور ، الزائرون يقال : رجل زائر وقوم زور وزوار مثل سافر وسَفر وسفار ، ونسوة زور أيضاً . زاره زوراً من باب قال : أتاه بقصد الالتقاء به .

قال زياد بن حمل كما في كتاب الحماسة لأبي تمام الطائي (الحماسة ٥٧٧) أو زياد بن منقذ كما قاله الجوهري في مادّة قزم من الصحاح :

زارت رُويقة شُعثاً بعد ما هجعوا لدى نواحل في أرساغها الخَدَم

و قمت للزّور مُرتاعاً و أرّقني فقلت أهي سَرت أم عادني حُلُم

والأصل في ذلك زرت فلاناً أي تلقّيته بزوري أو قصدت زوره نحو وجهته والزّور أعلى الصدر .

(لقيان) بضمّ اللاّم و كسرها مصدر من لقيت فلاناً من باب علم أي صادقته و رأيته .

الاعراب

الضميران في حوزته وحرمته يرجعان إلى النبيّ صلى الله عليه وآله كما يدلّ عليه سياق الكلام ، وقوله عليه السلام بعد ذلك « والقيام بأسيافنا دونه في ساعات الخوف و اللّيل والنهار » على ما مرّ في ذكر سند الكتاب .

« ومن أسلم » الواو للحال فالجملة حاليّة ، أصحابه مفعول لفعل وقى وحرّ السيوف مفعول ثان له .

قوله عليه السلام « أراد من » من فاعل أراد ، و مثل الّذى مفعوله و الضمير في منيّته راجع إلى من ، وفي أرادوا و آجالهم إلى عبيدة ومن بعده ، وكلمة من في

من الشهادة بيانيّة تبيّن المثل .

والعمر بالفتح والضمّ وإن كانا مصدرين بمعنى إلّا أنّ المفتوح منهما يستعمل في القسم ، فاذا أدخلت عليه اللام رفعته بالابتداء واللّام لتوكيد الابتداء والخبر محذوف والتقدير لعمري قسمي أو ما أقسم به ، فان لم تأت باللام نصبته نصب المصادر

وفتحة الفاء في « لتعرفنّهم » ليست علامة النصب ، بل هي لمكان النون المشدّدة المؤكّدة ، لأنّ آخر الفعل المخاطب المذكّر إذا كان مؤكّداً بنوني التأكيد يفتح لئلاّ يلتبس بالجمع المذكّر والمفرد المؤنّث إذا كانا مؤكّدين بهما .

واختلف في هذه الفتحة فقال ابن السرّاج والمبرّد والفارسي : بناء للتركيب وقال سيبويه والسيرافي والزّجاج : عارضة للساكنين و هما آخر الفعل و النون الأولى ، ومحلّ يطلبونك النصب مفعولاً ثانياً لتعرفنّهم بمعنى لتعلمنّهم .

« طلبهم » منصوب ، أي لا يكلّفونك في طلبك إيّاهم في برّ ولا بحر ـ الخ .

« لقيانه » الضمير فيه راجع إلى الزور فان كان الزور مصدراً كما هو الظاهر من سياق الكلام حيث جعل قبال الطلب فالأمر ظاهر ، وإن كان اسم جمع بمعنى الزائرين فافراد الضمير باعتبار إفراد لفظ الزور ، وهذا لا يخلو من تكلّف .

المعنى

قد أشار عليه السلام في هذا الكتاب المستطاب إلى طائفة من فضائله وحماية أهل بيت النبيّ من المسلم والكافر النبيّ صلى الله عليه وآله عن الأعداء ، و إلى نبذة ممّا دار بين المسلمين والمشركين وغيرها ممّا سنتلوها عليك . و قد أجاب عليه السلام عن كلّ فصل من كتاب معاوية بفصل و ذلك لما يلي :

قوله عليه السلام : (بسم الله الرّحمن الرّحيم من عليّ أمير المؤمنين ـ إلى قوله إلّا من عصمه الله منهم) قد أشار في هذا الفصل بعد حمد الله وثنائه إلى ما فعل أهل العدى والشنآن من قومه صلى الله عليه وآله به حيث كذّبوه و بارزوه بالعداوة وشنفوا له أي أبغضوه حتّى ظاهروا على إخراجه من مكّة وحرّضوا العرب على حربه صلى الله عليه وآله ، ولم يقصّروا في شيء كان يؤذيه من قول أو فعل إلّا فعلوه ، وكانت عداوتهم به صلى الله عليه وآله واغرة في

صدورهم حتّى أجمعوا في قتله ، ولكنّ الله تعالى صدّقه الوعد ، و تمّم له النصر ومكّن له في البلاد ، وأظهره عليهم ، قال : عزّ من قائل « كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي إنّ الله قويّ عزيز » (المجادلة ـ ٢٢) .

ثمّ ذكر أنّ اُسرته أي أهله كانوا أشدّ النّاس به صلى الله عليه وآله إلبة وعداوة ،وفيه تعريض بما فعل أبوسفيان وشيعته به صلى الله عليه وآله من أنحاء الايذاء وأنواع المعاداة ، وكان أبوسفيان يحثّ النّاس ويحرّضهم على قتاله وقتله .

ثمّ استثنى عليه السلام من الاُسرة من عصمهم الله ، أي حفظهم و وقاهم من إيذائه صلّى الله عليه وآله ، بل وفّقهم الله بنصره و عزم لهم على منعه و الذّبّ عن حوزته والمراد من قوله عليه السلام : « إلاّ من عصمهم الله منهم » هو من عصمهم الله بالاسلام منهم وكانوا يومئذ قليلين، كما في السيرة الهشاميّة (ص٢٦٤ ج١ طبع مصر ١٣٧٥ هـ) قال ابن اسحاق : فلمّا بادى رسول الله صلى الله عليه وآله قومه بالاسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه، ولم يردّوا عليه ـ فيما بلغني ـ حتّى ذكر آلهتهم وعابها فلمّا فعل ذلك أعظموه و ناكروه و أجمعوا على خلافه و عداوته إلاّ من عصم الله تعالى منهم بالإسلام وهم قليل مستخفون .

أو أراد بمن عصمهم الله نفسه وأباه أبا طالب والعباس وحمزة ممّن حدب على رسول الله صلى الله عليه وآله وقام دونه و وقاه عن أذى النّاس وحماه وإن لم يكن بعضهم أسلم بعد كما سيتّضح لك بعيد هذا .

قوله عليه السلام : (يا ابن هند فلقد ـ إلى قوله : أن يغفره) أجاب عليه السلام بهذا الفصل عمّا كتب إليه معاوية من : « أنّ الله تعالى اجتبى له صلى الله عليه وآله من المسلمين أعواناً أيّده الله بهم فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام » .

غرضه أنّ هذا الأمر كان له عليه السلام أوضح وأبين ، وأنّه عليه السلام كان أعلم به من غيره ، لأنّه عليه السلام كان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وآله في كلّ زحف و كان أوّل من آمن به ، وأوّل من صلّى معه ، وما رأى أحد من المسلمين مثل عنائه في الحروب ولم يشركه أحد في حماية الدين والذبّ عن حوزته وفي خذلان أهل الكفر والعدوان

وإرغام شيعة الشيطان .

و العجب من معاوية يخبره عليه السلام بذلك ولم يكن له سعي في الدّين و لذا قال له الأمير عليه السلام تهكّما به : يا ابن هند فلقد خبأ لنا الدّهر منك عجباً .

قوله عليه السلام : « كجالب التمر إلى هجر » مثل يضرب به لمن يجيء بالعلم إلى من هو أعلم منه ، ويأتي بشيء إلى من كان أصل ذلك الشيء عنده ، كما يقال بالفارسيّة : لقمان را حكمت آموخت ، قطره بدريا فرستاد ، زيره بكرمان برد خرما بعربستان فرستاد ، ولاريب أنّ هذا العمل خطاء وعامله مخطىء .

قال الميداني في فصل الكاف المفتوحة من الباب الثاني والعشرين من مجمع الأمثال في بيان مثل « كمستبضع التمر إلى هجر » : قال أبو عبيدة : هذا من الأمثال المبتذلة ومن قديمها وذلك أنّ هجر معدن التمر والمستبضع إليه مخطىء ، ويقال أيضاً : كمستبضع التمر إلى خيبر . قال النابغة الجعدي :

و إنّ امرءاً أهدى إليك قصيدة كمستبضع تمراً إلى أهل خيبرا

وهجر محرّكة اسم بلد معروف باليمن . و قال آخر :

أهدى كمستبضع تمراً إلى هجر أو حامل وشي أبراد إلى يمن

وقوله عليه السلام : « أو كداعي مسدّده إلى النضّال » مثل كالأوّل ، أي كمن يدعو من يعلّمه الرّمي إلى المناضلة أي المراماة .

والغرض أنّ إخبار معاوية أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام بأنّ الله اجتبى للرسول أعواناً من المسلمين أيّده الله بهم ، كمن جلب التمر إلى هجر أو كمن دعى مسدّده إلى النضال ، لأنّه عليه السلام كان لرسول الله صلى الله عليه وآله ظهيراً في كلّ شدّة وعناء من ابتداء دعوته صلى الله عليه وآله إلى الاسلام إلى لقائه الملك العلاّم .

ولذا قال عليه السلام : يا ابن هند فلقد خبأ لنا الدّهر منك عجباً ، و لقد قدمت فأفحشت إذ طفقت تخبرنا عن بلاء الله تعالى في نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وفينا ، فكنت في ذلك كجالب التمر إلى هجر - الخ ، ولا يخفى لطف كلامه عليه السلام .

قوله عليه السلام : « ولعمر الله إنّي لأرجو - إلى قوله : نصيبنا في ذلك الأوفر »

معنى لعمر الله ، أحلف ببقاء الله ودوامه ، والغرض من هذا الفصل جواب عمّا قال معاوية « من أنّ الله اجتبى للرسول صلى الله عليه وآله أعواناً ـ إلى قوله : على قدر فضائلهم في الاسلام » .

ولمّا كان أمير المؤمنين عليه السلام عوناً لرسول الله صلى الله عليه وآله في الشدائد ، و لم يبلغ إلى رتبة حمايته عن الدّين ولا إلى قدر فضيلته في الاسلام وزنة نصيحته لله ولرسوله أحد ، ولا اخال إنساناً ينكرها ، قال عليه السلام : إنّي لأرجو إذا أعطى الله الناس على قدر فضائلهم في الاسلام ونصيحتهم لله ورسوله أن يكون نصيبنا في ذلك الأوفر .

قال المسعوديّ في مروج الذّهب (ص٤٩ ج ٢ طبع مصر ١٢٤٦ هـ) : والأشياء الّتي استحقّ بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الفضل هي السبق إلى الايمان ، والهجرة ، والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وآله ، والقربى منه ، والقناعة ، و بذل النفس له والعلم بالكتاب والتنزيل ، والجهاد في سبيل الله ، والورع ، و الزهد ، و القضاء والحكم ، والعفّة ، والعلم ، و كلّ ذلك لعليّ عليه السلام منه النصيب الأوفر والحظّ الأكبر مضافاً إلى ما ينفرد به من قول رسول الله صلى الله عليه وآله حين آخى بين أصحابه : أنت أخي ، وهو صلى الله عليه وآله لاضدّ له ولاندّ ، وقوله صلى الله عليه وآله : أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لانبيّ بعدي ، وقوله صلى الله عليه وآله : من كنت مولاه فعليّ مولاه اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه ، ثمّ دعاه صلى الله عليه وآله وقد قدّم إليه أنسٌ الطائر : اللّهمّ ادخل إليّ أحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر فدخل عليه عليٌّ عليه السلام إلى آخر الحديث ، فهذا وغيره من فضائله .

قوله عليه السلام : « إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله لما دعى الى الايمان بالله و التوحيد كنّا أهل البيت أوّل من آمن به وصدّق بما جاء به » توافرت الأخبار من الفريقين أنّ عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام كان أوّل ذكر أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله و أوّل من كان صلّى معه صلى الله عليه وآله . هذا لوسلّمنا أنّه عليه السلام لم يكن أوّل من أسلم معه فقد قال أبو جعفر الطبريّ في التاريخ (ص ٥٦ ج ٢) : حدّثنا أبو كريب قال : حدّثنا وكيع عن شعبة ، عن عمرو بن مرّة ، عن أبي حمزة مولى الأنصار ، عن زيد بن أرقم قال :

أوّل من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبيطالب عليه السلام . وبهذا الاسناد عن زيد بن أرقم يقول: أوّل رجل صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله علي عليه السلام .

وفي السيرة الهشاميّة (ص٢٤٥ ج١) : قال ابن اسحاق : ثمّ كان أوّل ذكر من النّاس آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وصلّى معه و صدّق بما جاءه من الله تعالى : عليّ بن أبيطالب بن عبدالمطلب بن هاشم رضوان الله وسلامه عليه ، وهو يومئذ ابن عشر سنين .

وفي السيرة الحلبيّة (ص ٣٠٣ ج١) : في المرفوع عن سلمان أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال : أوّل هذه الأمّة وروداً عليّ الحوض أوّلها اسلاماً عليّ بن أبيطالب عليه السلام .

وقال أبوجعفر الطبري في التاريخ : حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا إبراهيم ابن المختار عن شعبة ، عن أبي بلج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس قال : أوّل من صلّى عليّ .

و قال أيضاً : حدّثنا زكريا بن يحيى الضرير قال : حدّثنا عبدالحميد بن بحر قال : أخبرنا شريك عن عبدالله بن محمّد بن عقيل ، عن جابر قال: بعث النبيّ صلى الله عليه وآله يوم الاثنين وصلّى عليّ يوم الثلاثاء .

وقال اليعقوبي في التاريخ : (ص ١٧ ج ٢) : كان أوّل من أسلم خديجة بنت خويلد من النساء ، وعليّ بن أبيطالب من الرّجال .

وقال أبوجعفر الطبري (ص٥٦ ج ٢) : حدّثنا أحمد بن الحسن الترمذي قال : حدّثنا عبيدالله بن موسى قال : أخبرنا العلاء عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبدالله قال: سمعت علياً عليه السلام يقول : أنا عبدالله ، وأخو رسوله ، وأنا الصدّيق الأكبر لا يقولها بعدي إلاّ كاذب مفتر، صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الناس بسبع سنين.

وقال : حدّثني محمّد بن عبيد المحاربي قال : حدّثنا سعيد بن خثيم عن أسد بن عبدة البجلي، عن يحيى بن عفيف ، عن عفيف قال : جئت في الجاهليّة إلى مكّة فنزلت على العبّاس بن عبدالمطلب قال : فلمّا طلعت الشمس وحلقت في السّماء و أنا أنظر إلى الكعبة أقبل شابّ فرمى ببصره إلى السماء ، ثمّ استقبل الكعبة فقام مستقبلها فلم يلبث حتّى جاء غلام فقام عن يمينه ، قال : فلم يلبث حتّى جاءت امرأة فقامت

خلفهما ، فركع الشابّ فركع الغلام والمرأة ، فرفع الشابّ فرفع الغلام و المرأة فخرّ الشابّ ساجداً فسجدامعه . فقلت : ياعباس أمرعظيم فقال : أمرعظيم، أتدري من هذا ؟ فقلت : لا. قال: هذامحمّد بن عبدالله بن عبدالمطلب ، ابن أخي ، أتدري من هذامعه ؟ قلت : لا. قال : هذا عليّ بن أبيطالب بن عبدالمطلب ، ابن أخي . أتدري من هذه المرأة الّتي خلفهما ؟ قلت: لا. قال : هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي وهذا حدّثني إنّ ربّك ربّ السّماء أمرهم بهذا الّذي تراهم عليه وأيم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلّها أحداً على هذا الدين غيرهؤلاء الثلاثة .

أقول : وقدرواه ابن الأثير في اُسد الغـابة في ترجمة عفيف هذا وهو عفيف الكندي .

بيان : قوله : استقبل الكعبة ، واعلم أنّ الكعبة زادها الله شرفاً لم تكن عندئذ قبلة ، وأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله صلّى إلى بيت المقدس بعد النبوّة ثلاث عشرة سنة بمكّة و تسعة عشرشهراً بالمدينة ، ثمّ صرفه الله تعالى عن البيت المقدس إلى الكعبة .

وفي السيرة الهشاميّة (ص٦٠٦ ج١طبع مصر ١٣٧٥هـ) . قال ابن اسحاق : ويقال : صرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله صلّى الله عليه وآله المدينة .

وفي إزاحة العلّة في معرفة القبلة لأبي الفضل شاذان بن جبرئيل القمّي: قال معاوية بن عمّار: قلت لأبي عبدالله عليه السلام : متى صرف رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى الكعبة ؟قال: بعد رجوعه من بدر وكان يصلّي بالمدينة إلى بيت المقدس سبعة عشر شهراً ثمّ اُعيد إلى الكعبة .

وفي القانون المسعودي للعلامة أبي الريحان البيروني (ص٢٥٦ ج١طبع حيدر آباد الدكن) : صرف القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة لصلاة العصر كان في اليوم السادس عشر من شعبان .

وقول عفيف بأنّه صلّى الله عليه وآله قام للصلاة مستقبل الكعبة يوافق ما روي أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله طول مقامه بمكّة كان يجعل الكعبة بينه و بين بيت المقدس إذا أمكن كما

رواه الشيخ الجليل في الاحتجاج باسناده إلى أبي محمد العسكري عليه السلام .

وفي السيرة النبويّة لابن هشام : كان رسول الله صلى الله عليه وآله بمكّة وقبلته إلى الشام فكان إذا صلّى صلّى بين الركن اليماني والحجر الأسود ، وجعل الكعبة بينه و بين الشام (ص ٢٩٨ ج ١ طبع مصر ١٣٧٥ هـ) .

ولنا رسالة مفردة في الوقت والقبلة أتينا فيها بجميع مايجب أن يعلم فيهما من طرق معرفة خط الزوال تنتهي إلى ثلاثين طريقاً ، وطرق تحصيل سمت القبلة و بيان أخبارهما وغيرها ببراهين هندسيّة وأدلّة فقهيّة ما إخال بغاة العلم يستغنون عنها أو يبغون لها بدلاً .

وقال أبوجعفر الطبريّ : حدّثنا ابن حميد قال : حدّثنا سلمة عن ابن اسحاق قال : كان أوّل ذكر آمن برسول الله صلى الله عليه وآله عليّ بن أبيطالب وهو يومئذ ابن عشر سنين وكان ممّا أنعم الله به على عليّ بن أبيطالب عليه السلام أنّه كان في حجر رسول الله صلّى الله عليه وآله قبل الاسلام .

وقد تظافرت الأخبار بأنّه عليه السلام قد ربّي في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الاسلام ففي السيرتين وتاريخ الطبري وغير واحد من الكتب المدوّنة في ذلك من الفريقين وقد أتى أبوجعفر الطبريّ بما أتى به ابن هشام في السيرة من غير تغيير .

قال الطبريّ : حدّثنا ابن حميد قال : حدّثنا سلمة قال : حدّثني محمد بن إسحاق قال . فحدّثني عبدالله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج قال : كان من نعمة الله على عليّ بن أبيطالب وما صنع الله له و أراده به من الخير أنّ قريشاً أصابتهم أزمة شديدة وكان أبوطالب ذا عيال كثير فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للعبّاس عمّه وكان من أيسر بني هاشم : يا عباس إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال وقد اصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة فانطلق بنا فلنخفّف عنه من عياله آخذ من بنيه رجلاً وتأخذ من بنيه رجلاً فنكفهما عنه .

قال العباس : نعم فانطلقا حتّى أتيا أبا طالب فقالا : إنّا نريد أن نخفّف

عنك من عيالك حتّى ينكشف عن الناس ماهم فيه .

فقال لهما أبوطالب : إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ماشئتما ، فأخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله عليّاً فضمّه إليه ، و أخذ العباس جعفراً فضمّه إليه ، فلم يزل عليّ بن أبيطالب مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى بعثه الله نبيّاً فاتبعه عليٌّ فآمن به وصدّقه ، و لم يزل جعفر عند العباس حتّى أسلم واستغنى عنه .

وقال : حدّثنا ابن حميد قال : حدّثنا سلمة قال : فحدّثني محمّد بن إسحاق قال : وذكر بعض أهل العلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا حضرت الصّلاة خرج إلى شعاب مكّة وخرج معه عليُّ بن أبيطالب مستخفياً من عمّه أبيطالب وجميع أعمامه وسائر قومه ، فيصلّيان الصلوات فيها ، فاذا أمسيا رجعا ، فمكثا كذلك ماشاء الله أن يمكثا . ثمّ إنّ أباطالب عثر عليهما يوماً و هما يصلّيان ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله : يا ابن أخي ما هذا الدّين الّذي أراك تدين به ؟ قال : أي عمّ هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم ، أو كما قال صلى الله عليه وآله بعثني الله به رسولاً إلى العباد وأنت ياعمّ أحقّ من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى وأحقّ من أجابني إليه وأعانني عليه ، أو كما قال ، فقال أبوطالب : يا ابن أخي إنّي لا أستطيع أن أُفارق ديني ودين آبائي وماكانوا عليه ، ولكن والله لايخلص إليك بشيء تكرهه ماحييت

انتهى مارواه أبوجعفر عن ابن اسحاق وفي السيرة الهشاميّة أتى بمثل ما أتى به الطبريُّ إلاّ أنّ فيه « ما بقيت » مكان « ماحييت » يعني أنّ أباطالب قال له صلى الله عليه وآله ولكن لا يوصل إليك مكروه مادام لي الحياة والبقاء ، أي أدفع عنك شرّ النّاس و أذاهم ، و سنشير إلى إسلام أبيطالب إنشاء الله تعالى .

وفي السيرة وتاريخ الطبري : ذكروا أنّ أباطالب قال لعلي عليه السلام : أي بنيّ ما هذا الدّين الّذي أنت عليه ؟ فقال : يا أبت ، آمنت بالله و برسول الله صلى الله عليه وآله وصدّقته بماجاء به ، وصلّيت معه لله واتّبعته ، قالا : فزعموا أنّه قال له : أما إنّه لم يدعك إلاّ إلى خير فالزمه .

في الإرشاد للمفيد قدّس سرّه : فأمّا مناقب أمير المؤمنين علي عليه السلام الغنيّة لشهرتها وتواتر النقل بها وإجماع العلماء عليها عن إيراد أسانيد الأخبار فهي كثيرة يطول بشرحها الكتاب ، و في رسمنا منها طرفاً كفاية عن ايراد جميعها في الغرض الّذي وضعنا له هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

فمن ذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله جمع خاصّة أهله وعشيرته في ابتداء الدّعوة إلى الاسلام ، فعرض عليهم الايمان ، واستنصرهم على أهل الكفر والعدوان ، وضمن لهم على ذلك الحظوة في الدّنيا والشرف وثواب الجنان ، فلم يجبه أحد منهم إلاّ أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام ، فنحله بذلك تحقيق الاُخوّة والوزارة ، و الوصيّة والوراثة والخلافة ، وأوجب له به الجنّة .

وذلك في حديث الدّار الّذي أجمع على صحّته نُقّاد (نقلة ــ خل) الآثار حين جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بني عبد المطّلب في دار أبيطالب و هم أربعون رجلاً يومئذ يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً فيما ذكره الرواة ، وأمر أن يصنع لهم طعاماً فخذ شاة مع مدّ من برّ ويعدّ لهم صاع من اللّبن ، وقد كان الرجل منهم معروفاً بأكل الجذعة في مقام واحد و بشرب الفرق من الشراب في ذلك المقعد .

فأراد عليه وآله السلام باعداد قليل الطّعام والشراب لجماعتهم إظهار الآية لهم في شبعهم وريّهم ممّا كان لا يشبع واحداً منهم ولا يرويه ، ثمّ أمر بتقديمه لهم فأكلت الجماعة كلّها من ذلك اليسير حتّى تملّوا منه و لم يبن ما أكلوه منه و شربوه فيه فبهرهم بذلك و بيّن لهم آية نبوّته وعلامة صدقه ببرهان الله تعالى فيه .

ثمّ قال لهم بعد أن شبعوا من الطعام ورووا من الشراب : يا بني عبد المطلب إنّ الله بعثني إلى الخلق كافّة وبعثني إليكم خاصّة فقال « وأنذر عشيرتك الأقربين » وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللّسان ثقيلتين في الميزان ، تملكون بهما العرب والعجم ، و تنقاد لكم بهما الاُمم ، و تدخلون بهما الجنّة ، و تنجون بهما من النّار : شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّي رسول الله .

فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويوازرني عليه وعلى القيام به يكن أخي و وصيّي

و وزيرى و وارثي وخليفتي من بعدي . فلم يجبه أحدمنهم .

فقال أمير المؤمنين : فقمت بين يديه من بينهم و أنا إذ ذاك أصغرهم سنّاً ، وأحمشهم ساقاً ، وأرمصهم عيناً ، فقلت : أنا يا رسول الله اُوازرك على هذا الأمر .

فقال صلّى الله عليه وآله : اجلس . ثمّ أعاد القول على القوم ثانية فأصمتوا ، فقمت أنا وقلت مثل مقالتي الاُولى ، فقال : اجلس ثمّ أعاد القول على القوم ثالثة فلم ينطق أحد منهم بحرف فقمت وقلت : أنا اُوازرك يا رسول الله على هذا الأمر ، فقال : اجلس فأنت أخي و وصيّي و وزيرى و وارثي وخليفتي من بعدي .

فنهض القوم وهم يقولون لأبي طالب : يا أباطالب ليهنئك اليوم ان دخلت في دين ابن أخيك ، فقد جعل ابنك أميراً عليك .

ثمّ قال ـ ره ـ : و هذه منقبة جليلة اختصّ بها أمير المؤمنين عليه السلام ولم يشركه فيها أحد من المهاجرين الأوّلين ولا الأنصار و لا أحد من أهل الاسلام ، وليس لغيره عِدل لها من الفضل ، ولامقارب على حال ، وفى الخبر بها ما يفيد أنّ به عليه السلام تمكّن النبيّ صلّى الله عليه وآله من تبليغ الرسالة ، وإظهار الدعوة ، والصدع بالاسلام ، ولولاه لم تثبت الملّة ، ولا استقرّت الشريعة ، ولاظهرت الدّعوة .

فهو عليه السلام ناصر الاسلام ، ووزير الدّاعي إليه من قبل الله عزّوجلّ ، و بضمانه لنبيّ الهدى عليه وآله السلام النصرة تمّ له في النبوّة ما أراد وفي ذلك من الفضل ما لايوازنه الجبال فضلاً ، ولاتعادله الفضائل كلّها محلاً وقدراً . انتهى كلامه ـ ره ـ في الارشاد .

تنبيه : ما نقله المفيد رحمه الله في الارشاد أتى به أبو جعفر الطبريّ في التاريخ فراجع إلى ـ ص٦٢ ج٢ ـ منه ، فتبصّر أنّ خليفة رسول الله صلّى الله عليه وآله كان من بدء الأمر متعيّناً وصرّح رسول الله صلّى الله عليه وآله بأنّ عليّاً عليه السلام هو أخوه و وصيّه و وزيره و وارثه وخليفته من بعده فمن قال بغيره فقد سلك غير سبيل الله ورسوله .

وقال ابن الأثير في اسد الغابة : وهو يعني أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام أوّل الناس

إسلاماً في قول كثير من العلماء على ما نذكره ـ إلى أن قال : حدّثنا محمد بن عيسى حدّثنا محمد بن بشار وابن مثنى قالا : حدّثنا محمد بن جعفر، حدّثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة رجل من الأنصار ، عن زيد بن أرقم قال : اوّل من أسلم عليّ .

وروى باسناده عن ابي بلخ عن ابن عباس قال : اوّل من أسلم عليّ .

وباسناده عن انس بن مالك قال : بعث النبيُّ صلى الله عليه وآله يوم الاثنين وأسلم عليٌّ يوم الثلاثاء .

وباسناده عن حبّة العرني قال : سمعت علياً يقول : أنا أوّل من صلّى مع النبيّ صلى الله عليه وآله .

وباسناده عن أبي أيّوب الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لقد صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ سبع سنين وذاك أنّه لم يصلّ معي رجل غيره .

والروايات من الفريقين في أنّه عليه السلام كان أوّل من أسلم وأوّل من صلّى معه صلّى الله عليه وآله أكثر من أن يحصى .

فان قلت : قد توجد روايات في أنّ أبا بكر كان أوّل من أسلم فكيف التوفيق ؟

قلت : من تتبّع الجوامع علم أنّ المسلّم عند الفحول من المحقّقين هو ما قدّمنا ومن ذهب إلى خلافه فحجّته داحضة بلا مرية وريب ، ولم يرض أحد ممّن جانب المراء والتعصّب بتقدّم إسلام أبي بكر ، وكفاك في ذلك قول جلّ من كبار أهل السنّة برد من وهم ذلك .

قال الحلبيُّ الشافعيّ في كتابه انسان العيون في سيرة الأمين و المأمون المعروف بالسيرة الحلبيّة (ص ٣١١ـ ج١) بعد ما ذهب إلى أنّه عليه السلام كان أوّل من أسلم : وقول بعض الحفّاظ أنّ أبا بكر أوّل النّاس إسلاماً هو المشهور عند الجمهور من أهل السنّة لا ينافي ما تقدّم من أنّ علياً أوّل الناس إسلاماً بعد خديجة ، ثمّ مولاه زيد بن حارثة ، لأنّ المراد أوّل رجل بالغ ليس من الموالي أبو بكر ، ومن الصبيان عليّ ومن النساء خديجة ، ومن الموالي زيد بن حارثه ، إلى آخر ما قال .

ثمّ إنّ إسلامه عليه السلام وهوابن عشرسنين أو ابن خمس عشرسنة ، أو ابن ثمان سنين وإن كان الأخير فما دونه يخالف المشهور و يضادّ المعروف و روايته شاذّة مطرودة إنّما كان لسعة قلبه و كمال عقله وشرح صدره ، و ليس ذلك ممّن اجتبيه الله تعالى بمستنكر، كيف وقدنطق القرآن الحكيم بنظائره :

قال في يحيى عليه السلام : « يا يحيى خذ الكتاب بقوّة و آتيناه الحكم صبياً » (مريم - ١٣) وفي عيسى عليه السلام : « فأشارت إليه قالوا كيف نكلّم من كان في المهد صبيّاً ۞ قال إنّي عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً ۞ و جعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصّلاة و الزكاة ما دمت حيّاً » الآيات (مريم ٣٠ـ ٣٤) .

فكم ضلّ ونصب العداوة كالناصبة الذاهبة إلى أنّ ايمانه عليه السلام في تلك الحالة إنّما كان على وجه التقليد والتلقين وماكان بهذه المنزلة لم يستحقّ صاحبه المدحة ولم يجب له به الثواب وكان هو حينئذ ابن سبع سنين فلم يكن كامل العقل ولا مكلفاً فراجع إلى البحار (ص ٣٢٧ ج ٩ من الطبع الكمباني) .

على أنّ ظاهرقوله تعالى : « وأنذرعشيرتك الأقربين » يدلّ على أنّه عليه السلام كان في موضع التكليف وكان ممّن دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الاسلام ، وقدتقرّر في الفقه إمكان من بلغ عشراً عاقلاً من الذكور أن يبدومنه بعض آثار التكليف من إنبات الشعر وحصول الاحتلام وعلامة البلوغ ليست بمنحصرة في العدد .

ثمّ لولم يكن دالاً على أنّه عليه السلام كان في موضع التكليف ليدلّ على كمال فضله وحصول معرفته بالله وبرسوله وعلى أنّه عليه السلام كان من آيات الله الخارقة للعادة وعلى اختصاصه وتأهيله لما رسخه الله له من الامامة والحجّة على الخلق فجرى في خرق العادة مجرى عيسى و يحيى عليهما السلام كما قدّمنا ، فلولا أنّه عليه السلام كان كاملاً وهو من أبناء عشر فما دونها لما كلّفه رسول الله صلى الله عليه وآله من الاقرار بنبوّته ، ولا دعاه إلى الاعتراف بحقّه ، ولا افتتح به الدّعوة قبل جميع الرّجال

قال المسعوديّ في مروج الذّهب (ص ٤٠٠ ج ١ طبع مصر ١٣٤٦ هـ) : وقد تنوزع في عليّ بن أبيطالب عليه السلام ، فذهب كثير من النّاس إلى أنّه لم يشرك بالله شيئاً

فيستأنف الاسلام ، بل كان تابعاً للنبيّ صلى الله عليه وآله في جميع فعاله ، مقتدياً به ، وبلغ وهو على ذلك . و أنّ الله عصمه و سدّده و وفّقه لتبعيّته لنبيّه عليه السلام ، لأنهما كانا غير مضطرين ، ولامجبورين على فعل الطاعات ، بل مختارين قادرين فاختارا طاعة الرّبّ وموافقة أمره واجتناب منهيّاته .

ومنهم من رأى أنّه أوّل من آمن ، و أنّ الرّسول دعاه وهو موضع التكليف بظاهر قوله عزّوجلّ : « وأنذر عشيرتك الأقربين » وكان بدؤه بعليّ عليه السلام إذكان أقرب الناس إليه وتبعهم له .

ومنهم من رأى غير ما وصفنا ، وهذا موضع قد تنازع الناس فيه من الشيعة وقد احتجّ كلّ فريق لقوله . ومنهم من قال بالنصّ في الامامة والاختيار . وأرض (كذا) كل فريق و كيفيّة إسلامه و مقدار سنيه قد أتينا على الكلام في ذلك على الشرح والايضاح في كتابنا المترجم بكتاب الصفوة في الامامة، وفي كتاب الاستنصار ، وفي كتاب الزاهي ، وغيره من كتبنا في هذا المعنى . انتهى كلامه ـ ره ـ .

أقول : أمّا قوله ـ ره ـ : فذهب كثير من النّاس إلى أنّه عليه السلام لم يشرك بالله شيئاً ـ الخ ، فكلام في غاية الحسن والجودة والمتانة لما برهنّا في شرح المختار ٢٣٧ من باب الخطب أنّ النبيّ و وصيّه يجب أن يكونا معصومين مطلقاً فعلاً وقولاً وذاتاً من جميع ما يأبى وينفر عنه الطبع السليم والعقل الناصع ، ومن جميع الذنوب وأنحاء الظلم والشرك فانّ الشرك لظلم عظيم ، ومن جميع ما يعتبر في التبليغ كالعصمة عن الخطاء في تلقّي الوحي والرسالة إن كان نبيّاً ، والعصمة عن الخطاء في التبليغ سواء كان نبيّاً أو وصيّاً .

وأمّا قوله : ومنهم من رأى أنّه أوّل من آمن ـ الخ، فقد دريت أنّه هو الحق.

قوله : وأنّ الرسول دعاه وهو موضع التكليف ، فقد دريت تفصيل الكلام فيه

و أمّا قوله : و كان بدؤه بعليّ ـ الخ ، فنعم ما تمسّك فيه بقوله : إذ كان أقرب الناس إليه .

وأمّا قوله : ومنهم من قال بالنصّ - إلخ ، فقد علمت من مباحثنا السالفة يجب أن يكون الإمام منصوباً ومنصوصاً من الله تعالى ورسوله .

وأمّا قوله : وغيره من كتبنا في هذا المعنى فمن ذلك الغير رسالة اثبات الوصيّة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام وقد عدّها النجاشي وغيره من مصنّفي الكتب الرّجالية من كتبه وقد طبعت هذه الرّسالة في عاصمة طهران سنة ١٣١٨ه وقد شكّ فيها بأنّها هل هي تلك الرّسالة من المسعودي أو هي غيرها لغيره .

وقد عدّه العامّة من علمائهم وعلى ظهر كتابه مروج الذّهب المطبوع في مصر عدّوه من الشافعيّة ، ولكنّه وهم ، وهو - ره - من كبار علماء الإماميّة ومن فقهائهم ، وقد نقل أقواله الفقيه صاحب الجواهر قدّس سرّه في غير موضع . كان رحمه الله معاصراً للصدوق وهو منسوب إلى مسعود الصحابي والد عبدالله بن مسعود كما في المقالة الثالثة من الفنّ الثالث من الفهرست لابن النديم فراجع إلى الكتب الرّجالية للاماميّة كفهرست النجاشي وخلاصة العلاّمة وجامع الرواة للأردبيلي ورجال المامقاني وفي الفائدة الثانية من خاتمة المستدرك للمحدّث النوري ص٣١٠ وغيرها .

قوله عليه السلام : « فلبثنا أحوالاً مجرّمة وما يعبدالله في ربع ساكن من العرب غيرنا » الحول : السنة يجمع على الأحوال ، والمجرّم التامّ الكامل أي سنين تامّة والربع : الدار والمحلّة وقيل : الربع المنزل في الرّبيع خاصّة . وقد مضى الخبر عن أبي جعفر الطبري آنفاً في أنّ أمير المؤمنين عليه السلام صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الناس بسبع سنين .

قوله عليه السلام : « فأراد قومنا قتل نبيّنا - إلى قوله و أوقدوا لنا نار الحرب » ما لقى رسول الله صلى الله عليه وآله من قومه من الأذى أكثر من أن يحصى وأشهر من أن يذكر حتّى قال صلى الله عليه وآله : ما اُوذي نبيّ مثل ما اُوذيت ، كيف لا وقدرموه بالسحر والجنون وهو خاتم النبيّين وأفضل الرّسل والعقل الكلّ .

ففي السيرة النبويّة لابن هشام : قال ابن اسحاق : ثمّ إنّ قريشاً اشتدّ أمرهم

للشقاء الّذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ ومن أسلم معه منهم ، فأغروا برسول الله ﷺ سفهاءهم ، فكذّبوه وآذوه و رموه بالشعر والسحر والكهانة و الجنون ، ورسول الله ﷺ مُظهر لأمر الله لايستخفي به ، مُبادٍ لهم بمايكرهون من عيب دينهم واعتزال أوثانهم وفراقه إيّاهم على كفرهم (ص ٢٨٩ ج١) .

ثمّ قال في عدوان المشركين وقسوة قريش على من أسلم : قال ابن إسحاق: ثمّ إنّهم عدوا على من أسلم واتّبع رسول الله ﷺ من أصحابه ، فوثبت كلّ قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذّبونهم بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاء مكّة إذا اشتدّ الحرّ من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يفتن من شدّة البلاء الّذي يصيبه ، ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم ، ثمّ ذكر تعذيب قريش بلالاً وعمّار بن ياسر وأباه ياسراً واُمّه سميّة وغيرهم (ص ٣١٧ ج ١) .

وقال ابن اسحاق كما في السيرة لابن هشام : حدّثني حكيم بن جبير عن سعيد ابن جبير قال : قلت لعبدالله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب مايُعذرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم والله ، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطّشونه حتّى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدّة الضرّ الّذي نزل به حتّى يعطيهم ماسألوه من الفتنة حتّى يقولوا له : اللاّت والعزّى إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم حتّى أنّ الجُعل ليمرّ بهم فيقولون له : أهذا الجعل إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم افتداءاً منهم ممّا يبلغون من جهده . (ص ٣٢٠ ج ١) .

وبالجملة أنّ إيذاء القوم بالمسلمين بلغ إلى غاية ، أمر رسول الله ﷺ المسلمين أن يهاجروا إلى أرض الحبشة ، فخرجوا مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم وأقام المسلمون بأرض الحبشة حتّى ولد لهم الأولاد وجميع أولاد جعفر بن أبيطالب ولدوا بأرض الحبشة ولم يزالوا بها في أمن و سلامة .

والمرويّ عن أحمد في مسنده عن ابن عبّاس قال : إنّ الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاهدوا باللاّت والعزّى ومناة الثالثة الاُخرى ، وقد رأينا محمّداً

قمنا إليه قيام رجل واحد فلايفارقه حتّى يقتله .

قال : فأقبلت فاطمة عليها السلام حتّى دخلت عليه صلى الله عليه وآله فأخبرته بقولهم وقالت له لوقد رأوك لقتلوك وليس منهم رجل إلاّ وقدعرف نصيبه من دمك ، فقال : يا بنيّة اريني وضوءاً فتوضّأ ثمّ دخل عليهم المسجد فلمّا رأوه غضّوا أبصارهم ثمّ قالوا : هو ذا ، ثمّ لم يقم إليه منهم أحد فأقبل صلى الله عليه وآله حتّى قام على رؤوسهم فأخذ قبضة من تراب فحصبهم بها وقال : شاهت الوجوه ، فما أصاب رجل منهم شيء إلاّ قتل يوم بدر كافراً .

قال أبوجعفر الطبريّ : حدّثنا ابن حميد قال: حدّثنا سلمة عن محمّد بن إسحاق(١) قال : لمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله مايصيب أصحابه من البلاء و ما هو فيه من العافية بمكانه من الله وعمّه أبيطالب وأنّه لايقدر أن يمنعهم ممّاهم فيه من البلاء قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فانّ بها ملكاً لا يظلم أحد عنده وهي أرض صدق حتّى يجعل الله لكم فرجاً ممّا أنتم فيه .

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحـاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله عزّوجلّ بدينهم ، فكانت أوّل هجرة كانت في الاسلام إلى أن قال :

ولمّا استقرّ بالّذين هاجروا إلى أرض الحبشة القرار بأرض النجاشي واطمأنّوا تآمرت قريش فيما بينها في الكيد بمن ضوى إليها من المسلمين ، فوجّهوا عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي إلى النجاشي لتسليم من قبله وبأرضه من المسلمين إليهم ، فشخص عمرو وعبدالله إليه في ذلك فنفذا لما أرسلهما إليه قومهما فلم يصلا إلى ما أمّل قومهما من النجاشي ، فرجعا مقبوحين وأسلم عمر بن الخطّاب .

فلمّا أسلم وكان رجلاً جلداً جليداً منيعاً ، وكان قد أسلم قبل ذلك حمزة بن عبدالمطّلب و وجد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في أنفسهم قوّة وجعل الاسلام يفشو في القبائل ، وحمى النجاشي من ضوى إلى بلده منهم .

(١) ونقله ابن هشام عن ابن اسحاق في السيرة ص ٣٢١ ج ١ .

اجتمعت قريش فائتمرت بينها أن يكتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه على أن لا ينكحوا إلى بني هاشم وبني المطّلب ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم .

فكتبوا بذلك صحيفة وتعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثمّ علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً بذلك الأمر على أنفسهم .

فلمّا فعلت ذلك قريش انحازت بنوهاشم وبنوالمطلب إلى أبي طالب ،فدخلوا معه في شِعبه واجتمعوا إليه في شِعبه ، وخرج من بني هاشم أبولهب عبدالعزّى بن عبدالمطلب إلى قريش وظاهرهم عليه فأقاموا على ذلك من أمرهم سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا لا يصل إلى أحد منهم شيء إلا سرّاً مستخفياً به ممّن أراد صلتهم من قريش.

وفي السيرة النبويّة لابن هشام عن ابن إسحاق : وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة ، ويقال : النضر بن الحارث ، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فشلّ بعض أصابعه .

قال اليعقوبي في التاريخ (ص٢٢ ج٢) : وهمّت قريش بقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وأجمع ملأُها على ذلك وبلغ أباطالب فقال :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم　　حتّى أُوسّد في التراب دفينا
ودعوتني وزعمت أنّك ناصح　　ولقد صدقت وكنت ثمّ أمينا
وعرضت ديناً قد علمت بأنّه　　من خير أديان البريّة دينا

فلمّا علمت قريش أنّهم لا يقدرون على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنّ أباطالب لا يسلّمه وسمعت بهذا من قول أبيطالب ، كتبت الصحيفة القاطعة الظالمة أن لا يبايعوا أحداً من بني هاشم ولا يناكحوهم ولا يعاملونهم حتّى يدفعوا إليهم محمّداً صلى الله عليه وآله فيقتلوه وتعاقدوا على ذلك وتعاهدوا وختموا على الصحيفة بثمانين خاتماً ، وكان الّذي كتبها منصور بن عكرمة فشلّت يده .

ثمّ حصرت قريش رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته من بني هاشم وبني المطّلب بن عبدمناف في الشعب الّذي يقال له : شعب بني هاشم بعد ستّ سنين من مبعثه . فأقام ومعه جميع بني هاشم وبني المطلب في الشعب ثلاث سنين حتّى أنفق رسول الله صلى الله عليه وآله ماله ، وأنفق أبوطالب ماله ، وأنفقت خديجة بنت خويلد مالها ، وصاروا إلى حدّ

الضرّ والفاقة .

ثمّ نزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ، إنّ الله بعث الأرضة على صحيفة قريش فأكلت كلّ ما فيها من قطيعة و لا ظلم «كذا» إلاّ المواضع الّتي فيها ذكر الله فخبر رسول الله صلى الله عليه وآله أباطالب بذلك ، ثمّ خرج أبوطالب ومعه رسول الله وأهل بيته حتّى صار إلى الكعبة فجلس بفنائها .

وأقبلت قريش من كلّ أوب فقالوا : قدآن لك يا أباطالب أن تذكر العهد وأن تشتاق إلى قومك وتدع اللّجاج في ابن أخيك .

فقال لهم : ياقوم احضروا صحيفتكم فلعلّنا أن نجد فرجاً وسبباً لصلة الأرحام وترك القطيعة ، وأحضروها و هي بخواتيمهم ، فقال : هذه صحيفتكم على العهد لم تنكروها ؟ قالوا : نعم . قال : فهل أحدثتم فيها حدثا ؟ قالوا : اللّهمّ لا. قال: فانّ محمّداً أعلمني عن ربّه أنّه بعث الأرضة فأكلت كلّما فيها إلاّ ذكر الله أفرأيتم إن كان صادقاً ما ذا تصنعون ؟ قالوا : نكفّ و نمسك . قال : فان كان كاذباً دفعته إليكم تقتلونه ، قالوا : قد أنصفت وأجملت . وفضّت الصحيفة فاذاً الأرضة قد أكلت كلّ ما فيها إلاّ مواضع بسم الله عزّ وجلّ . فقالوا: ماهذا إلاّ سحر وما كنّا قطّ أجدّ في تكذيبه منّا ساعتنا هذه ، وأسلم يومئذ خلق من النّاس عظيم ، وخرج بنو هاشم من الشعب وبنو المطلب فلم يرجعوا إليه . انتهى كلام اليعقوبي .

وقريب ممّا أتى به اليعقوبي ذكره ابن هشام في السيرة ص ٣٧٧ ج ١ فعلم بما نقلنا أنّ قريشاً حصرت رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته وفعلت تلك الأفاعيل بحماته و أنصاره ليدفع إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله فيقتلونه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في الكتاب : حتّى ندفع النبيّ صلى الله عليه وآله ويمثّلوا به .

والظّاهر من سياق الكلام وما نقله المورّخون في ماجرى على المسلمين أنّ الجبل الوعر في كلامه عليه السلام هو شعب أبيطالب .

والمراد من الموسم في قوله عليه السلام : فلم نكن نأمن فيهم إلاّ من موسم إلى

موسم، هو موسم الحجّ وهو من أشهر الحرم و كان أهل الجاهليّة أيضاً يحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمته.

قوله عليه السلام: « فمؤمننا يبغي بذلك الأجر » أي من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله من بني‌هاشم و بني المطلب كأبي طالب و حمزة‌بن عبدالمطلب رضوان‌الله عليهما يطلب بمالقى من قريش من الأذي وبالذبّ والدّفع سيّما زمن الحصر في‌الشعب الأجر من الله تعـالى قال عزّ من قائل: « من عمل صالحاً من ذكر أوا ُنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حيوة طيّبة و لنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون»(النحل- ١٠٠) و كان أبوطالب رضوان الله عليه سيد المحصورين في الشعب ورئيسهم و هو الكافل والمحامي وقدعينّه‌رسول‌الله صلى الله عليه وآله بقوله : أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنّة.

وقد روى الصدوق قدّس سرّه في المجلس الثالث والستين من الأمالي (ص ٢٤٤ الطبع الناصري) عن محمّد‌بن موسى بن المتوكل، عن محمدبن يحيى العطار، عن سهل بن زياد الآدمي ، عن سنان ، عن عمرو‌بن ثابت ، عن حبيب‌بن أبي ثابت رفعه قال : دخل رسول‌الله صلى الله عليه وآله على عمّه أبي‌طالب و هو مسجّى فقال : يا عمّ كفلت يتيماً ، و ربّيت صغيراً ، و نصرت كبيراً ، فجزاك الله عنّي خيراً ثمّ أمر علياً عليه السلام بغسله .

«اسلام أبى طالب رضوان الله عليه»

قد أجمعت أصحابنا الإماميّة رضوان الله عليهم أنّ أباطالب مات مسلماً وقد تظافرت الروايات عن أئمتنا عليهم السلام بذلك . و إنّ عدم اظهاره الإسلام لم يكن من عنـاد، بل إنّما كان من حسن تدبيره في دفع كياد القوم عنه صلى الله عليه وآله و لمصلحة الذبّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله و التمكن من حمايته ، ولا يخفي أنّه كان بذلك أقدر على إعانة النبيّ صلى الله عليه وآله لأنّه كان زعيماً نبيهاً حازماً‌سياّساً، فقد قال الشيخ‌الجليل أبوالفتح الكراجكي في كنز الفوائد (ص ٨٤ طبع ايران ١٣٢٢ ه) : و روي انّه قيل لأكثم‌بن صيفي وكان حكيم العرب : إنّك لأعلم‌أهل زمانك وأحكمهم وأعقلهم و أحلمهم . فقال : و كيف لا أكون كذلك وقد جالست أبا طالب بن

عبدالمطلب دهره ، و هاشماً دهره ، و عبدمناف دهره ، و قصياً دهره ، و كلّ هؤلاء سادات أبناء سادات فتخلّقت بأخلاقهم ، و تعلّمت من حلمهم ، واقتنيت سوددهم و اتّبعت آثارهم .

فقد روى الكليني قدّس سرّه في الكافي باسناده عن عليّ بن إبراهيم ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسرّوا الايمان وأظهروا الشرك ، فآتاهم الله أجرهم مرّتين (الحديث ٢٨ من أبواب تاريخ مولد النبيّ صلى الله عليه وآله و وفاته من اُصول الكافي و ص ٣٦٨ ج ١ من مرآة العقول للمجلسي ـ ره ـ ، وص ١٥٩ ج ٢ من الوافي).

و روى هذا الخبر الشيخ الصدوق ـ ره ـ في الأمالي باسناده عن الطالقاني عن أحمد الهمداني ، عن المنذر بن محمّد ، عن جعفر بن سليمان ، عن عبدالله بن الفضل الهاشمي ، عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام كما في البحار ص ١٥ ج ٩ الطبع الكمباني .

قال العلامة المجلسي في مرآة العقول في بيان الحديث : المثل بالتحريك الحال العجيبة ، و قيل الايمان : التطوع القلبي بجميع ماجاء به الرّسول فإنّ الأوّل لايجتمع مع الجحد بخلاف الثاني كما قال تعالى : « جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم » (النّمل ـ ١٤) . وأظهروا الشرك أي عند من تجب التقيّة عنده لاعند جميع الناس . مرّتين مرّة للايمان ومرّة للتقيّة عند وجوبها ، فإنها من أفضل الطاعات لاسيّما تقيّة أبي طالب عليه السلام لأنّها صارت سبباً لشدّة اقتداره على إعانة الرّسول صلى الله عليه وآله . والخبر يدلّ على أنّ أصحاب الكهف كانوا مؤمنين ولم يحدث إيمانهم عند خروجهم ، و هو المشهور أيضاً بين المفسّرين وغيرهم . انتهى كلامه .

أقول : الظاهر أنّ قوله عليه السلام : فآتاهم الله أجرهم مرّتين ، يشير إلى قوله تعالى : « اُولئك يؤتون أجرهم مرّتين بما صبروا » (القصص آية ٥٦) و إنّ كلمة مرّتين لايراد بها حقيقة التثنية ، بل المراد بها كثرة الأجر ، نظير قولهم : لبّيك سعديك ، أي كلّما دعوتني فأنا ذو إجابة بعد إجابة و ذو ثبات بمكاني بعد ثبات

و قوله تعالى : « ثمّ ارجع البصر كرّتين ينقلب إليك البصر خاسئاً و هو حسير » (الملك آية ٥) .

ويؤيّد ما ذهب إليه من أنّ إخفاء أبي طالب إيمانه كان من تقيّة كلام اليعقوبي في تاريخه المعروف من أنّ معاوية لمّا وجّه بسر بن أرطاة إلى المدينة و أمره أن يقتل من لم يكن ليدخل في طاعته، انطلق جابر بن عبدالله الأنصاري إلى اُمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله فقال : إنّي قدخشيت أن اُقتل و هذه بيعة ضلال قالت : إذاً فبايع فإنّ التقيّة حملت أصحاب الكهف على أن كانوا يلبسون الصلب و يحضرون الأعياد مع قومهم (ص ١٧٣ ج٢ طبع النجف).

ولكنّ إخفاء أبي طالب الإيمان و إن كان لمصلحة الذبّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله و كان به أقدر على إعانته لكن عدّه تقيّة ليس بمرضيّ فانّ التقيّة كما عرّفها الشهيد ـ ره ـ في القواعد: مجاملة الناس بمايعرفون و ترك ما ينكرون حذراً من غوائلهم ، و موردها الطاعة و المعصية غالباً فمجاملة الظالم فيما يعتقده ظلماً و الفاسق المتظاهر بفسقه اتّقاء شرّهما من باب المداهنة الجائزة لاتكاد تسمّى تقيّة و كيف كان عمله تقيّة وقد ذبّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله و أبى إلاّ أن يحاميه جهاراً و أخبر قريشاً بأنّه غير مسلّم رسول الله صلى الله عليه وآله إليهم ولا تاركه لشيء أبداً حتّى يهلك دونه ، كما صرّح به المورّخون و أجمعوا عليه و منهم ابن هشام في السيرة «ص٢٧٢ ج ١» فتأمل.

وفي الكافي باسناده عن الحسين بن محمّد و محمّد بن يحيى، عن أحمد بن إسحاق عن بكر بن محمّد الأزدي ، عن إسحاق بن جعفر ، عن أبيه عليه السلام قال : قيل له : إنّهم يزعمون أنّ أبا طالب كان كافراً ، فقال عليه السلام : كذبوا كيف كان كافراً و هو يقول:

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً　　نبيّاً كموسى خطّ في أوّل الكتب

ثمّ قال : الكليني : و في حديث آخر كيف يكون أبو طالب كافراً و هو يقول :

لقد علموا أنّ ابننا لا مكذّب لدينا ولا يعبأ بقول (بقيل خ ل) الأباطل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

أقول: والخبر مرويّ في الوافي (ص١٥٩ ج٢) وفي مرآة العقول (ص٣٦٧ ج١) وفي البحار عن الأمالي للصدوق وعن السيد فخار بن معد الموسوي عن شاذان بن جبرئيل باسناده إلى ابن الوليد ص١٥ ج٩ الطبع الكمباني.

والمراد أنّ أشعار أبي طالب دالّة على إسلامه و اقراره بنبوّة رسول الله صلّى الله عليه وآله ولا فرق في ذلك بين الكلام المنظوم والمنثور.

و البيت الأوّل من أبيات قالها أبو طالب رضوان الله عليه في قريش حين تظاهروا على رسول الله صلّى الله عليه وآله و اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا صحيفة يتعاقدون فيها على بني هاشم و بني المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم، كما مرّ خبر الصحيفة آنفاً.

و قد نقل الأبيات ابن هشام في السيرة النبويّة (ص ٣٥٢ ج ١ طبع مصر ١٣٧٥ هـ) وهي:

ألا أبلغا عنّي على ذات بيننا لؤيّاً و خصّا من لؤيّ بني كعب
ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً نبيّاً كموسى خطّ في أوّل الكتب
و أنّ عليه في العباد محبّة ولا خير ممّن خصّه الله بالحبّ
و أنّ الذى ألصقتم من كتابكم لكم كائن نحساً كراغية السقب
أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى و يصبح من لم يجن ذنباً كذي الذنب
ولا تتبعوا أمر الوشاة و تقطعوا أو اصرنا بعد المودّة و القرب
و تستجلبوا حرباً عواناً وربّما أمرّ على من ذاقه جلب الحرب
فلسنا و ربّ البيت نسلم أحمداً لعزّاء من عضّ الزّمان ولا كرب
و لمّا تبن منّا و منكم سوالف و أيد أترّت بالقساسية الشهب
بمعترك ضيق ترى كسر القنا به والنسور الطخم يعكفن كالشرب
كأنّ مجال الخيل في حجراته و معمعة الأبطال معركة الحرب

أليس أبونا هاشم شدّ أزره و أوصى بنيه بالطّعان و بالضرب
ولسنا نملّ الحرب حتّى تملّنا ولاتشتكي ماقد ينوب من النكب
ولكنّنا أهل الحفائظ والنّهى إذا طار أرواح الكماة من الرّعب

ثمّ قال ابن إسحاق: فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتّى جهدوا لايصل إليهم شيء إلاّ سرّاً مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش.

والبيتان الآخران من أبيات قصيدته اللاّمية الّتي بلغت شهرة كالشمس في رابعة النهار، والقصيدة طويلة تنتهي إلى أكثر من تسعين بيتاً أتى بها ابن هشام في السيرة «ص٢٨٢ـ الى ـ ٢٧٠ ج١» بعض أبيات تلك القصيدة مايلي:

قال ابن هشام: فلما خشي أبوطالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته الّتي تعوّذ فيها بحرم مكّة و بمكانه منها و تودّد فيها أشراف قومه وهوعلى ذلك يخبرهم و غيرهم في ذلك من شعره أنّه غير مسلّم رسول الله ﷺ ولا تاركه لشيء أبداً حتّى يهلك دونه فقال:

و لمّا رأيت القوم لاودّ فيهم وقد قطعوا كلّ العرا و الوسائل
وقدصارحونا بالعداوة والأذى وقدطاوعوا أمر العدوّ المزايل
وقد حالفوا قوماً علينا أظنّة يعضّون غيضاً خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة و أبيض عضب من تراث المقاول
وأحضرت عندالبيت رهطي وإخوتي و أمسكت من أثوابه بالوصائل

إلى أن قال :

كذبتم و بيت الله نترك مكّة و نطعن أمركم في بلابل
كذبتم و بيت الله نبزى محمّداً و لمّا نطاعن دونه و نناضل
و نسلمه حتّى نصرّع حوله و نذهل عن أبنائنا والحلائل

إلى أن قال :

و ماترك قوم ، لاأبالك، سيّداً يحوط الذمار غير ذرب مواكل
و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاّك من آل هاشم فهم عنده في رحمة و فواضل

إلى أن قال :

لعمري لقد كلّفت وجداً بأحمد و إخوته دأب المحبّ المواصل

فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها و زيناً لمن والاه ربّ المشاكل

فمن مثله في الناس أيّ مؤمّل إذا قاسه الحكّام عند التفاضل

حليم رشيد عادل غير طائش يوالي إلهاً ليس عنه بغافل

فوالله لو لا أن أجيء بسنّة تجرّ على أشياخنا في المحافل

لكنّا اتّبعناه على كلّ حالة من الدّهر جدّاً غير قول التهازل

لقد علموا أنّ ابننا لا مكذّب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل

فأصبح فينا أحمد في أرومة تقصّر عنه سورة المتطاول

حدبت بنفسي دونه و حميته و دافعت عنه بالذّرا و الكلاكل

فأيّده ربّ العباد بنصره و أظهر ديناً حقّه غير باطل

و من أبيات تدلّ على أنّ أباطالب مات مسلما ما نقله ابن هشام في السيرة أيضاً (ص ٢٦٩ ج١) قال : فلمّارأى أبوطالب من قومه ما سرّه في جهدهم معه و حدبهم عليه جعل يمدحهم و يذكر قديمهم و يذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم و مكانه منهم ليشدّ لهم رأيهم و ليحدبوا معه على أمره فقال:

اذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر فعبد مناف سرّها و صميمها

و إن حصّلت أشراف عبدمنافها ففي هاشم أشرافها و قديمها

و إن فخرت يوماً فانّ محمّداً هو المصطفى من سرّها و كريمها

تداعت قريش غثّها و سمينها علينا فلم تظفر وطاشت حلومها

و كنّا قديماً لا نقرّ ظلامة إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها

و نحمي حماها كلّ يوم كريهة و نضرب عن أحجارها من يرومها

بنا انتعش العود الذّواء و إنّما بأكنافنا تندى و تنمى أرومها

قال الطبرسي قدّس سرّه في مجمع البيان في تفسير القرآن: قوله تعالى:

« وهم ينهون عنه و ينئون عنه و إن يهلكون إلاّ أنفسهم و ما يشعرون » (الأنعام آية ٢٦) قيل : عنى به أباطالب بن عبدالمطلب ، و معناه يمنعون النّاس عن أذي النبي صلى الله عليه وآله ولايتبعونه عن عطا و مقاتل. و هذا لايصحّ ، لأنّ هذه الآية معطوفة على ماتقدّمها « و منهم من يستمع إليك و جعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه وفي آذانهم و قراً و إن يروا كلّ آية لايؤمنوا بها حتّى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلاّ أساطير الأوّلين ، وهم ينهون عنه ـ الخ » وما تأخّر عنها معطوف عليها « ولو ترى إذ وقفوا على النار ـ الخ» . و كلّها في ذمّ الكفّار المعاندين للنبيّ صلى الله عليه وآله هذا .

وقد ثبت إجماع أهل البيت عليهم السلام على إيمان أبي طالب و إجماعهم حجّة لأنّهم أحد الثقلين الّذين أمر النبيّ صلى الله عليه وآله بالتمسّك بهما بقوله : إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا .

و يدلّ على ذلك أيضاً ماروراه ابن عمر أنّ أبابكر جاء بأبيه أبي قحافة يوم الفتح إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلم فقال صلى الله عليه وآله: ألا تركت الشيخ فأتيته وكان أعمى ؟ فقال أبوبكر : أردت أن يأجره الله تعالى ، والّذي بعثك بالحقّ لأنا كنت باسلام أبي طالب أشدّ فرحاً منّي باسلام أبي النمس بذلك قرّة عينك. فقال صلى الله عليه وآله: صدقت.

و روى الطبريّ باسناده أنّ رؤساء قريش لمّا رأوا ذبّ أبي طالب عن النبيّ صلى الله عليه وآله اجتمعوا عليه وقالوا: جئناك بفتى قريش جمالاً وجوداً وشهامة عمارة بن الوليد ندفعه إليك و تدفع إلينا ابن أخيك الّذي فرّق جماعتنا و سفّه أحلامنا فنقتله. فقال أبوطالب : ما أنصفتموني تعطوني ابنكم فأغذوه وأعطيكم ابني فتقتلونه بل فليأت كلّ امرىء منكم بولده فأقتله وقال:

منعنا الرسول رسول المليك ببيض تلالا كلمع البروق
أذود و أحمي رسول المليك حماية حامٍ عليه شفيق

و أقواله و أشعاره المنبئة عن إسلامه كثيرة مشهورة لا تحصى فمن ذلك قوله :

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمداً ـ البيت ألیس أبوهاشم ، البيت

و قوله من قصيدة :

و قالوا لأحمد أنت امرؤ خلوف اللّسان ضعيف السبب

ألا إنّ أحمد قد جاء هم بحقّ و لم يأتهم با لكذب

و قوله في حديث الصحيفة و هو من معجزات النبيّ صلّى الله عليه وآله :

و قد كان في أمر الصحيفة عبرة متى ما يخبّر غائب القوم يعجب

محى الله منها كفرهم و عقوقـهم و ما نقموا من ناطق الحقّ معرب

و أمسى ابن عبدالله فينا مصدّقـاً على سخط من قومنا غير معتب

و قوله في قصيدة يحضّ أخاه حمزة على اتباع النبيّ صلّى الله عليه وآله و الصبر في طاعته.

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد و كن مظهراً للدّين و فّقت صابرا

فقد سرّني إذ قلت إنك مؤمن فكن لرسول الله في الله ناصراً

و قوله من قصيدة :

اُقيم على نصر النبيّ محمّد اُقاتل عنه بالقنا والقنابل

و قوله يحضّ النجاشي على نصر النبيّ صلّى الله عليه وآله :

تعلّم مليك الحبش أنّ محمداً وزير لموسى و المسيح بن مريم

أتى بهدى مثل الّذي أتيا به و كلّ بأمر الله يهدي و يعصم

و إنّكم تتلونـه في كتابكم بصدق حديث لاحديث المرجّم

فلا تجعلوا الله ندّاً و أسلموا و إنّ طريق الحقّ ليس بمظلم

و قوله في قصيدة في وصيته وقد حضرته الوفاة :

اُوصي بنصر النبيّ الخير مشهده عليّاً ابني و شيخ القوم عبّاساً

و حمزة الأسد الحامي حقيقته و جعفراً أن يذودوا دونه الناسا

كونوا فدى لكم اُمّي وماولدت في نصر أحمد دون الناس أتراساً

في أمثال هذه الأبيات ممّا هو موجود في قصائده المشهورة و وصاياه وخطبه يطول بها الكتاب .

على أنّ أباطالب لم ينأ عن النبيّ صلى الله عليه وآله قطّ بل كان يقرب منه و يخالطه و يقوم بنصرته فكيف يكون المعنيّ بقوله : و ينأون عنه .

و قال ـ ره ـ في تفسير قوله تعالى : « إنّك لاتهدي من أحببت و لكنّ الله يهدي من يشاء و هو أعلم بالمهتدين » (القصص آية ٥٦)

قيل : نزلت قوله« إنك لاتهدي من أحببت» في أبي طالب فانّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يحبّ إسلامه فنزلت هذه الآية ، و كان يكره إسلام وحشي قاتل حمزة فنزل فيه « يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله» الآية (الزّمر ـ ٥٤) فلم يسلم أبوطالب وأسلم وحشي ورووا ذلك عن ابن عباس و غيره.

و في هذا نظر كما ترى ، فانّ النبيّ صلى الله عليه وآله لايجوز أن يخالف الله سبحانه في إرادته كما لايجوز أن يخالفه في أوامره و نواهيه، وإذا كان الله تعالى على ما زعم القوم لم يرد إيمان أبي طالب و أراد كفره، و أراد النبيّ إيمانه فقد حصل غاية الخلاف بين إرادتي الرسول والمرسل، فكأنه سبحانه يقول على مقتضى اعتقادهم إنك يا محمد تريد إيمانه ولا اُريد إيمانه، ولا أخلق فيه الايمان مع تكلّفه بنصرتك و بذل مجهودة في إعانتك والذبّ عنك و محبّته لك و نعمته عليك، و تكره أنت إيمان وحشي لقتله عمّك حمزة و أنا اُريد إيمانه و أخلق في قلبه الايمان و في هذا ما فيه.

وقد ذكرنا في سورة الأنعام أنّ أهل البيت عليهم السلام قد أجمعوا على أنّ أبا طالب مات مسلماً، و تظاهرت الروايات بذلك عنهم، و أوردنا هناك طرفاً من أشعاره الدالة على تصديقه للنبيّ صلى الله عليه وآله و توحيده، فانّ استيفاء ذلك جميعه لاتتّسع له الطوامير، و ما روي من ذلك في كتب المغازي وغيرها أكثر من أن يحصى. يكاشف فيها من كاشف النبيّ صلى الله عليه وآله و يناضل عنه ويصحّح نبوّته .

وقال بعض الثقات: إنّ قصائده في هذا المعنى الّتي تنفث في عقد السحر وتعير وجه شعراء الدهر يبلغ قدر مجلّد وأكثر من هذا. ولاشكّ في أنه لم يختر تمام مجاهرة الأعداء استصلاحاً لهم وحسن تدبيره في دفع كيادهم لئلاّ يلجئوا الرسول

إلى ما ألجأوه إليه بعد موته. انتهى كلامه ـ ره ـ.

ومن تلك الأشعار قوله في أبيات كثيرة:

أنت النبي محمد قرم أعز مسود
لمسودين أكارم طابوا وطاب المولد
مازلت تنطق بالصواب وأنت طفل أمرد

ومن تلك الأبيات قوله يخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله و يسكّن جاشه ويحضّه على إظهار الدعوة و يغريه بها:

لا يمنعنّك من حقّ تقوم به أيد تصول ولا سلق بأصوات
فإنّ كفّك كفّي إن مُليت بهم و دون نفسك نفسي في الملمّات

واعلم أنّ هذه الأشعار إن لم تكن آحادها متواترة فمجموعها يدلّ على تواتر معنوي أعني أنّها تدلّ على أنّ أباطالب مات مسلماً. و نظيره غير عزيز، مثلاً أنّ الأخبار الدالّة على شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام وإن لم تكن آحادها متواترة لفظاً، فمجموعها يدلّ على أمر واحد مشترك يفيد العلم الضروري بشجاعته عليه السلام، و كذلك الكلام في سخاء حاتم و نظائرهما.

ثمّ نقول: من جانب المراء والاعتساف، و نظر نظرة في تلك القصائد بعين العدل والانصاف. رأى أنّها ما صدرت إلاّ من قلب مؤمن بما قال، فإنّ الكلام الصادر عمّن ليس مؤمناً به لا يتجلّى بتلك التجلّيات الساطعة، ولا يسبك بتلك الأساليب الباهرة، بل يلوح منه التكلّف والتعسف.

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي نصر، عن إبراهيم بن محمد الأشعري، عن عبيد بن زرارة، عن أبي عبدالله عليه السلام. قال: لمّا توفي أبوطالب نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد اخرج من مكّة فليس لك فيها ناصر، وثارت قريش بالنبيّ صلى الله عليه وآله فخرج هارباً حتّى جاء إلى جبل بمكّة يقال له الحجون فصار إليه.

(الحديث ٣١ من أبواب تاريخ مولد النبي صلى الله عليه وآله من اُصول الكافي، ص٣٦٩، ج ١ من مرآة العقول، و في الوافي في باب ماجاء في عبدالمطلب وأبي طالب ص١٦٠ ج٢).

وروى قريباً من هذه الرواية المجلسي ـ ره ـ في البحار نقلاً عن إكمال الدين باسناده عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن أيوب بن نوح، عن العباس بن عامر، عن علي بن أبي سارة، عن محمد بن مروان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ أباطالب أظهر الشرك و أسرّ الايمان. فلمّا حضرته الوفاة أوحى الله عزّوجلّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله اخرج منها فليس لك بها ناصر فهاجر إلى المدينة. (ص ١٧ ج ٩ الطبع الكمباني)

وفي الشرح المعتزلي: روي أنّ عليّ بن الحسين عليه السلام سئل عن هذا، فقال: واعجبا إنّ الله تعالى نهى رسوله أن يقرّ مسلمة على نكاح كافر، وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام، و لم تزل تحت أبي طالب حتّى مات.

أقول: و ذلك أنّ أباطالب رضوان الله عليه توفي في آخر السنة العاشرة من المبعث بعد الخروج من الشعب بشهرين.

وروي أنّ رجلا من رجال الشيعة وهو أبان بن محمود كتب إلى عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: جعلت فداك إني قد شككت في اسلام أبي طالب، فكتب إليه «ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبيّن له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين» الآية (النساء ـ ١١٦) و بعدها، إن لم تقرّ بايمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار.

وجملة الأمر أنّ الأخبار من أئمتنا عليهم السلام متظافرة بأنّه مامات إلاّ مسلماً كأشعاره الدالّة على ذلك، وإنما بقي في المقام أخبار مرويّة من القوم، بأنّه مات كافراً و أتى بطائفة منها المفسّرون منهم في تفسير قوله تعالى: «ما كان للنبيّ والّذين آمنوا معه أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أُولي قربى من بعد ماتبيّن لهم أنّهم أصحاب الجحيم ۞ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها إيّاه فلّما تبيّن له أنّه عدوٌّ لله تبرّأ منه» الآية (التوبة ـ ١١٦).

وفي تفسير قوله تعالى: «وهم ينهون عنه و ينئون عنه» الآية (الأنعام ـ ٢٦).

و في تفسير قوله تعالى: «إنّك لا تهدي من أحببت» الآية (القصص ـ ٥٦).

و تلك الأخبار المرويّة عنهم تناقض بعضها بعضاً وبعضها لايناسب ذكره في

نزول الآيات أصلاً ولاحاجة إلى نقلها و ردّها ولاطائل تحت إطالة الكلام بعد وضوح الحقّ، فلوأنّ بيتاًمن أبي طالب رضوان الله عليه أو رواية تدلّ بظاهرهما على كفره فالجواب عنهما ماذكرنا من أنّ اظهاره الشرك انّماكان لمصلحة الذّبّ عن رسول الله ومن حسن تدبيره في دفع كياد القوم عنه صلى الله عليه وآله.

على أنّ مقابلهما إجماع أهل البيت عليهم السلام على إسلامه وقد علمت أنّ إجماعهم حجّة، و أشعاره الدالّة صريحةً على إسلامه ومـاذا أوجب علينا أن نعرض عن أشعاره المصرّحة المنصوصة على إسلامه و نتمسّك بما هي تنبيء بظاهرها على كفره، و ليست بدالّة عليه و صريحة فيه، بل نعلم أنّه أبطن الإسلام فيها ليتمكّن من نصرة النبيّ صلى الله عليه وآله و القيام دونه جمعاً بين الطائفتين من أشعاره على ماهدانـا لهذا أهل بيت العصمة. أو أن نعرض عن كلام أهل البيت وهم أدرى بما في البيت و نأخذ بالمرويّ عن زيد وعمرو المناقض بعضه بعضاً.

«سبب اسلام حمزة رضوان الله عليه»

و كان سبب إسلامه ما نقل ابن هشام في السيرة النبوية ج١ ص ٢٩١ وابن الأثير في اسد الغابة عن ابن إسحاق من أنّ أباجهل اعترض رسول الله صلى الله عليه وآله عند الصفا فآذاه و شتمه و نال منه بعض مايكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره، فلم يكلّمه رسول الله صلى الله عليه وآله و مولاة لعبدالله بن جُدعان التميمي في مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك، ثمّ انصرف عنه فعمد إلى نادٍ لقريش عند الكعبة فجلس معهم.

فلم يلبث حمزة بن عبدالمطلب رضوان الله عليه أن أقبل متوشّحاً قوسه راجعاً من قَنَص له، و كان صاحب قنص يرميه و يخرج له، و كان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتّى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمرّ على نادٍ من قريش إلاّ وقف و سلّم و تحدّث معهم، و كان أعزّ فتى في قريش و أشدّ شكيمة، و كان يومئذٍ مشركاً على دين قومه، فلمّا مرّ بالمولاة وقد قام رسول الله صلى الله عليه وآله فرجع إلى بيته، قالت له : يا أباعمارة ـ وقد كان حمزة يكنّى بابنيه : يعلى وعمارة فكنّى بأبي يعلى تارة و بأبي عمارة اُخرى ـ لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد آنفاً من أبي

الحكم بن هشام ـ و أبوالحكم هو أبوالجهل ـ وجده ههنا جالساً فآذاه و سبّه و بلغ منه ما يكره، ثمّ انصرف عنه ولم يكلّمه ﷺ.

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى ولم يقف على أحد كما كان يصنع يريد الطواف بالبيت، معدّاً لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به، فلمّا دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم، فأقبل نحوه حتّى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجّه شجّة منكرة، ثمّ قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول، فردّ ذلك عليّ إن استطعت؟

وقامت رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أباجهل فقالوا: ما نراك يا حمزة إلّا قد صبأت، فقال حمزة: و ما يمنعني و قد استبان لي منه ذلك أنا أشهد أنه رسول الله وأنّ الذي يقول الحق، فو الله لا أنزع فامنعوني إن كنتم صادقين.

فقال أبوجهل: دعوا أباعمارة فإنّي والله لقد سببت ابن أخيه سبّاً قبيحاً.

وتمّ حمزة رضوان الله عليه على إسلامه. فلمّا أسلم حمزة عرفت قريش أنّ رسول الله ﷺ قد عزّ و امتنع، و أنّ حمزة سيمنعه فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه.

أقول: وكان قبوله الاسلام قبل حصار الشعب.

قوله عليه السلام: «وكافرنا يحامي عن الأصل» يعني أنّ رجالاً من بني هاشم و بني المطلب وإن كانوا كافرين وعلى دين قومهم لكنّهم كانوا يذبّون عن رسول الله ﷺ ويحامون عنه ويدفعون كياد القوم عنه ويحولون بينه وبين ما أرادوا من البطش به لا من حيث الحماية عن الاسلام، بل من حيث المراعاة لأصلهم والمحافظة على نسبهم وقبيلتهم.

و كان بعض هؤلاء المحامين في حصار الشعب ولم يسلم بعدُ: العباس، وعقيل ابن أبي طالب، و طالب بن أبي طالب، و نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، و ابنه الحارث بن نوفل، و أخوه أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، و كان أبولهب ابن عبدالمطلب عمّ رسول الله ﷺ و كذلك ابنه يبغضانه، و كانا شديدين عليه

و نزل في أبي لهب و امرأته ام جميل عمة معاوية حمالة الحطب قوله تعالى «تبت يدا أبي لهب» السورة .

و إنما أجرينا بني هاشم و بني المطلب مجرى واحداً لأنهم كانوا يداً واحدة لم يفترقوا في جاهلية ولا إسلام، و كان من المسلمين المحصورين في الشعب هاشم ابن عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف.

قوله عليه السلام: «فأما من أسلم- إلى قوله: ماشاءالله أن يكون» يعني أن من أسلم من قريش كانوا آمنين مما نحن أهل البيت فيه من القتل و البلاء و الأذى و ذلك لأن بعضهم كانوا على حلف و عهد من الكفار ، فمن أجل ذلك كانوا آمنين، و بعضهم الآخر لم يكن لهم العهد ولكنهم كانوا ذوي عشيرة تقوم دونهم و تمنعهم من الأعداء .

فالمراد أن البلية إنما كانت متوجهة إليه عليه السلام و إلى ساير بني هاشم و بني المطلب لم يكونوا على عهد ولم يكن لهم من يقوم دونهم ، و بذلك يعلم فضيلتهم في حماية رسول الله و ذبه عن كيد الأعداء.

قوله عليه السلام: «ثم أمر الله رسوله بالهجرة» وقد تقدمت آنفا طائفة من الأخبار في أن أبا طالب رضوان الله عليه مات في آخر السنة العاشرة من المبعث بعد الخروج من الشعب بشهرين أنه لما توفي نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا محمد اخرج من مكة فليس لك فيها ناصر. و قدمضى كلامنا في هجرته صلى الله عليه وآله في شرح المختار ٢٣٤ من باب للخطب و هو قوله عليه السلام: فجعلت اتبع مأخذ رسول الله- الخ (ص١٢٦ ج ١٥) فراجع.

قوله عليه السلام: «و أذن له بعد ذلك في قتال المشركين» قال الطبرسي في المجمع: إن قوله تعالى «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ۞ الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق» الآية (الحج -٤٢و٤٣) هي أول آية نزلت في القتال، و كان المشركون يؤذون المسلمين ولايزال يجيء مشجوج و مضروب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و يشكون ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول لهم

صلوات الله عليه و آله : اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتّى هاجر، فأنزل الله عليه هذه الآية، انتهى كلامه.

أقول: وقد مضى كلامنا في نزول الأمر لرسول الله صلى الله عليه وآله في القتال في شرح المختار ٢٣٤ من باب الخطب أيضاً (ص١٣١ ج١٥) فراجع.

قوله عليه السلام: « فكان إذا احمرّ البأس- إلى قوله : حرّ الأسنّة والسيوف» بين البأس والناس جناس لاحق نحو قوله تعالى: ويل لكلّ همزة لمزة . و البأس : الحرب ، قال حسّان بن ثابت في قصيدة يعدد فيها أصحاب اللّواء يوم اُحد:

ولي البأس منكم إذ أبيتم ... اُسرة من بني قُصيّ صميم

و احمرار البأس كناية عن شدّة الحرب و ذلك كأنّما شبّهت الحرب بمحارب تلطّخ بالدّم السائل من مقاديم بدنه بكثرة ما ورد عليه من طعن السيوف والأسنّة كما أنّ احمرار القنا كناية عن شدّة الحرب كأنّه احمرّ من الدّم السائل عليه لكثرة الطعن، قال سوّار بن المضرب في حماسة ٢٣٣:

يدعون سوّاراً إذا احمرّ القنا ... و لكلّ يوم كريهة سوّار

أو أنّ الحرب شبّهت بانسان غضبان احمرّ وجهه و يقال : موت أحمر و ميتة حمراء وسنة حمراء وسنون حمراوات يراد بها الشدّة؛ قالت عاتكة بنت زيد في حماسة ٣٩٣:

إذا أشرعت فيه الأسنّة خاضها ... إلى الموت حتّى يترك الموت أحمرا

أي حتّى يخوض الموت بها فيتركه أحمر أي شديداً . و يقال : الحسن أحمر، أي طلب الجمال تتجشّم فيه المشاق والشدائد ، قال بشّار بن برد (ص٢٢٥ ج١ من البيان والتبيين للجاحظ طبع مصر ١٣٨٠ هـ) :

و خذي ملابس زينة ... و مصبّغات فهي أفخر

وإذا دخلت تقنّعي ... بالحمر إنّ الحسن أحمر

قال الجوهريّ في الصحاح: و موت أحمر يوصف بالشدّة و منه الحديث كنّا إذا احمرّ البأس.

أو أنّ الحرب شبّهت بالنّار واتّصفت بصفاتها أعني حمرة النار كقوله عليه السلام آنفاً: و أوقدوا لنا نار الحرب.

ففي النهاية الأثيريّة: و في الحديث لوتعلمون ما في هذه الأمّة من الموت الأحمر يعني القتل لما فيه من حمرة الدّم أو لشدّته، يقال: موت أحمر أي شديد، و منه حديث عليّ كنّا إذا احمرّ البأس اتّقينا برسول الله صلّى الله عليه وآله أي إذا اشتدّت الحرب استقبلنا العدوّ به و جعلناه لنا وقاية، وقيل أراد إذا اضطرمت نار الحرب و تسعّرت كما يقال في الشرّ بين القوم: اضطرمت نارهم تشبيهاً بحمرة النار، و كثيراً ما يطلقون الحمرة على الشدّة، و منه حديث طهفة أصابتنا سنة حمراء أي شديدة الجدب، لأنّ آفاق السماء تحمرّ في سني الجدب و القحط ومنه حديث حليمة أنّها خرجت في سنة حمراء قدبرت المال انتهى كلامه.

فالمعنى أنّ الحرب إذا اشتدّت و نكص الناس عنها قدّم رسول الله صلّى الله عليه وآله أهل بيته إلى القتال فوقى صلّى الله عليه وآله بأهل بيته أصحابه من حرّ الأسنّة و السّيوف.

و حرّ السّيوف و الأسنّة كأنّه كناية عن حدّة جزّهما و شدّة وقوعهما، أو كناية عن شدّة القتال من حيث إنّهما إذا حرّكتا غير مرّة و قطعت الأبدان والرؤوس بهما ووقعتا على المبارز كثيراً حرّتا و حميتا، لأنّ من شأن الحديد بل مطلق الجسم ذلك، أو كناية عن تعبهما، ففي النهاية الأثيريّة: وفي حديث عليّ عليه السلام أنّه قال لفاطمة: لوأتيت النبيّ فسألته خادماً تقيك حرّ ما أنت فيه من العمل، و في رواية حارّ ما أنت فيه يعني التعب والمشقّة من خدمة البيت لأنّ الحرارة مقرونة بهما كما أنّ البرد مقرون بالراحة و السكون، و الحارّ: الشاقّ المتعب. انتهى.

و اعلم أنّ المتفق عند الكلّ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان في جميع الشدائد المتوجّهة إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله والمسلمين أسبق و أقدم في الوقاية و الحماية، و كان يجاهد مع رسول الله صلّى الله عليه وآله فيقيه بنفسه وقد أقرّ أعداؤه بشجاعته وسبقه على أقرانه، و ما ولّى قطّ عن أحد مع طول ملاقاته الحروب و كثرة من لاقاه

من صناديد الأعداء.

وكان كما قال ابنه الحسن المجتبى كما في تاريخ اليعقوبي (ص ١٩٠ ج ٢ طبع النجف) ومروج الذهب للمسعودي (ص٤٢ ج٢) والخرائج والجرائح للراوندي (ص ١٤٦ طبع ايران ١٣٠١ ﻫ) والارشاد للمفيد(ص ١٧٠ طهران ١٣٧٧ ﻫ) في صبيحة الليلة التي قبض فيها أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبة خطب بها الناس :

لقد قبض في هذه الليلة رجل ما سبقه الأولون إلا بفضل النبوة، ولا يدركه الآخرون ، و أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يبعثه المبعث فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه ـ الخ.

قوله عليه السلام: « فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر» قال ياقوت الحموي في كتابه المترجم بمراصد الاطلاع في معرفة الأمكنة والبقاع : بدر بالفتح ثم السكون ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء بينه و بين الجار وهو ساحل البحر ليلة به كانت الوقعة المشهورة بين النبي صلى الله عليه وآله و أهل مكة .

و قال الجوهري في الصحاح: بدر موضع يذكر و يؤنث و هو اسم ماء ، و قال الشعبي: بدر بئر كانت لرجل يدعى بدراً ومنه يوم بدر.

أقول : بدر أقرب إلى المدينة من مكة. و الظاهر أن القول بأنها ماء مشهور والآخر بأنها اسم بئر شيران إلى معنى فارد و إنما الاختلاف في التعبير.

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان من سنة اثنتين من الهجرة وهي المذكورة في القرآن الكريم حيث يقول جل اسمه في الأنفال: « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » ـ الخ، والمراد بالبيت في الآية المدينة يعني خروجه صلى الله عليه وآله منها إلى بدر .

و كان سببها ـ كما في تاريخ اليعقوبي ـ أن أباسفيان بن حرب قدم من الشام بعير لقريش تحمل تجارات و أموالاً ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله يعارضه ، وجاء الصريخ إلي قريش بمكة يخبرهم الخبر ، و كان الرسول بذلك ضمضم بن عمرو

الغفاري ، فخرجوا نافرين مستعدّين و خالف أبوسفيان الطريق فنجى بالبعير ، و أقبلت قريش مستعدّة لقتال رسول الله صلى الله عليه وآله و عدّتهم ألف رجل و قيل تسعمائة و خمسون.

« مقتل عبيدة بن الحارث رضوان الله عليه »

عبيدة بضمّ العين و فتح الباء هو عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف، يكنّى أبا الحارث و أبامعاوية . وكان أسنّ من رسول الله صلى الله عليه وآله بعشر سنين، و كان إسلامه قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وآله دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكّة،وكان لعبيدة قدر و منزلة كبيرة عند رسول الله صلى الله عليه وآله ، و كان عمره حين قتل ثلاثاً و ستّين سنة ، قتله شيبة بن ربيعة .

ففي الارشاد: روى عليّ بن هاشم عن محمّد بن عبيدالله بن أبي رافع ، عن أبيه عن جدّه أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله قال :

لمّا أصبح الناس يوم بدر اصطفّت قريش أمامها عتبة بن ربيعة و أخوه شيبة و ابنه الوليد ، فنادى عتبة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد اخرج إلينا أكفاءنا من قريش، فبدر إليهم ثلاثة من شبّان الأنصار، فقال لهم عتبة: من أنتم ؟ فانتسبوا اله فقال لهم : لاحاجة بنا إلى مبارزتكم إنّما طلبنا بني عمّنا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للأنصار : ارجعوا إلى مواقفكم ثمّ قال: قم يا عليّ قم يا حمزة قم يا عبيدة، قاتلوا على حقكم الذي بعث الله به نبيّكم إذ جاؤا بباطلهم ليطفؤا نور الله.

فقاموا فصفّوا للقوم و كان عليهم البيض فلم يعرفوا فقال لهم عتبة : تكلّموا فان كنتم أكفاءنا قاتلناكم،فقال حمزة :أنا حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وآله، فقال عتبة : كفو كريم. و قال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا عليّ بن أبي طالب ابن عبد المطلب، و قال عبيدة : أنا عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب.

فقال عتبة لابنه الوليد : قم يا وليد فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام و كان إذ ذاك أصغر الجماعة سنّاً فاختلفا ضربتين أخطأت ضربة الوليد أمير المؤمنين عليه السلام

و اتّقى بيده اليسرى ضربة أمير المؤمنين عليه السلام فأبانتها ـ فروي أنه عليه السلام يذكر بدراً و قتله الوليد فقال في حديثه : كأنّي أنظر إلى و ميض خاتمه في شماله ثمّ ضربته ضربة اُخرى فصرعته وسلبته فرأيت به ردعا من خلوق فعلمت أنه قريب عهد بعرس .

ثمّ بازعتبة حمزة رضي الله عنه فقتله حمزة، و مشى عبيدة و كان أسنّ القوم إلى شيبة فاختلفا ضربتين فأصاب ذباب سيف شيبة عضلة ساق عبيدة فقطعها، واستنقذه أمير المؤمنين و حمزة ، و قتلا شيبة، و حمل عبيدة من مكانه فمات بالصفراء.

و في اسد الغابة: قيل : إنّ عبيدة كان أسنّ المسلمين يوم بدر فقطعت رجله فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه على ركبته فقال : يا رسول الله لو رآني أبوطالب لعلم أني أحقّ بقوله منه حيث يقول :

و نسلمه حتى نصرّع حوله و نذهل عن أبنائنا والحلائل

و عاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله من بدر فتوفّي بالصفراء..

بيان : البيض جمع بيضة يقال بالفارسية: كلاه‌خود. أصغري كلمة جمع اسقط نونه بالإضافة . ردعاً من خلوق أي أثر منه و الخلوق ضرب من الطيب ٠ والصفراء اسم موضع قريب من بدر.

قوله عليه السلام: « و حمزة يوم اُحد » أي قتل حمزة في غزوة اُحد و اُحد اسم جبل في قرب المدينة.

و كان يوم اُحد يوم بلاء و مصيبة و تمحيص اختبر الله المؤمنين و محن به المنافقين ممن كان يظهر الايمان بلسانه و هو مستخف بالكفر في قلبه ، و يوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته حتّى خلص العدوّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فدثّ بالحجارة حتّى وقع لشقّه فاُصيبت رباعيّته، و كُلمت شفته و شجّ في وجهه ، فجعل الدّم يسيل على وجهه، و جعل يمسح الدّم و هو يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيّهم و هو يدعوهم إلى ربّهم ، فأنزل الله عزّوجلّ في ذلك « ليس لك من الأمر شيء » الآية (آل عمران-۱۲۳) كما نقله ابن هشام في السيرة

عن ابن اسحاق و قتل في ذلك اليوم من المسلمين أحد و ثمانين رجلاً ، و من المشركين ثمانية وعشرون.

و في السيرة لابن هشام أنّ حمزة بن عبدالمطلب قاتل يوم اُحد حتّى قتل أرطاة بن عبد شرحبيل و كان أحد النفر الذين يحملون اللّواء ، ثمّ مرّ به سباع بن عبدالعزّى فقال له حمزة: هلمّ إليّ يا ابن مقطعة البظور.

قال ابن هشام : قال وحشي: كنت غلاماً لجُبير بن مطعم و كان عمّه طعيمة ابن عديّ قد اصيب يوم بدر ، فلمّا سارت قريش إلى اُحد قال لي جبير: إن قتلت حمزة عمّ محمّد بعدّي فأنت عتيق.

قال : وحشي : فخرجت مع الناس و كنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة قلّما أخطىء بها شيئاً ، فلمّا التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصّره حتّى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأورق يهدّ الناس بسيفه هدّاً ، ما يقوم له شيء فوالله إني لأتهيّأ له اُريده وأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو منّي إذ تقدّمني إليه سباع بن عبدالعزّى ، فلمّا رآه حمزة قال له : هلمّ إليّ يا ابن مقطعة البظور قال : فضربه ضربة كأنّ ما أخطأ رأسه.

قال : و هززت حربتي حتّى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنّته حتّى خرجت من بين رجليه، و ذهب لينوء نحوي فغُلب و تركته و إيّاها حتّى مات ثمّ أتيته فأخذت حربتي ثمّ رجعت إلى العسكر فقعدت فيه ولم يكن لي بغيره حاجة و إنّما قتلته لأعتق. فلمّا قدمت مكّة اُعتقت.

ثمّ أقمت حتّى إذا افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكّة هربت إلى الطائف، فمكثت بها، فلمّا خرج وفد الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليُسلموا تعيّت عليّ المذاهب ، فقلت : ألحق بالشام، أو اليمن، أو ببعض البلاد.

فوالله إنّي لفي ذلك من همّي إذ قال لي رجل: و يحك إنّه والله ما يقتل أحداً من الناس دخل في دينه وتشهّد شهادته، فلمّا قال لي ذلك خرجت حتّى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة، فلم يَرُعه إلاّ بي قائماً على رأسه أتشهّد بشهادة الحقّ

فلمّا رآني قال:أوحشيٌّ ؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال : اقعد فحدّثني كيف قتلت حمزة، فحدّثته فلمّا فرغت من حديثي قال: ويحك غيّب وجهك فلا أرينّك قال: فكنت أتنكّب رسول الله ﷺ حيث كان لئلاّ يراني حتّى قبضه الله ﷺ.

«هندو تمثيلها بحمزة»

قال ابن اسحاق : و وقعت هند بنت عتبة كما حدّثني صالح بن كيسان و النسوة اللاّتي معها يمثّلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يجدّ عن الآذان والآنف حتّى اتّخذت هند من آذان الرجال و آنفهم خدَماً و قلائد، و أعطت خدمها و قلائدها و قرطتها وحشياً غلام جبير بن مطعم ، و بقرت عن كبد حمـزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها، فلفظتها ثمّ علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت:

نحن جزيناكـم بيوم بدر / و الحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر / ولا أخي و عمّه وبـكري
شفيتُ نفسي وقضيتُ نذري / شفيت وحشيٌّ غليـل صدري
فشكر وحشيّ عليّ عُمري / حتى ترِمّ أعظُمي في قبري

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عبّاد بن المطلب فقالت :

خزيت في بدر و بعـد بدر / يا بنت وقّاع عظيم الكفر
صبّحك الله غداة الفجر / ملها شميّين الطوال الزهر
بكلّ قطّاع حسام يفري / حمزة ليثي و عليّ صقري
إذ رام شيب و أبوك غدري / فخضّبا منه ضواحي النحر
ونذرك السوء فشرُّ نذر

و قال محمّد بن إسحاق كما في السيرة لابن هشام: ومن الشعر الذي ارتجزت به هند بنت عتبة أيضاً يوم اُحد :

شفيت من حمزة نفسي باُحد / حتّى بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عني ذاك ما كنت أجد / من لذعة الحزن الشديد المعتمد

والحرب تعلوكم بشؤبوب برد تقدم إقداماً عليكم كالأسد

بيان : قولها : ملهاشميين ، مخفف من الهاشميين و حذفت من لكثرة استعمالها ولايجوز ذلك إلاّ فيها وحدها.

«حزن الرسول(ص)على حمزة وتوعده بالمشركين بالمثلة»

قال ابن إسحاق۔ كما في السيرة لابن هشام۔: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فيما بلغني يلتمس حمزة بن عبدالمطلب فوجده ببطن الوادي قد بُقر بطنه عن كبده ومثّل به فجدع أنفه واُذناه .

قال: فحدّثني محمد بن جعفر بن الزبير: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال حين رأى ما رأى: لولا أن تحزن صفيّة و يكون سنّة من بعدي لتركته حتّى يكون في بطون السباع و حواصل الطير، و لئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثّلنّ بثلاثين رجلاً منهم. فلمّا رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وآله وغيظه على من فعل بعمّه مافعل قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدّهر لنمثّلنّ بهم مثلة لم يمثّلها أحد من العرب.

قال ابن هشام: ولمّا وقف رسول الله صلى الله عليه وآله على حمزة قال: لن اصاب بمثلك أبداً، ماوقفت موقفاً قطّ أغيظ إليّ من هذا، ثمّ قال صلى الله عليه وآله. جاءني جبريل فأخبرني أنّ حمزة ابن عبدالمطلب مكتوب في أهل السماوات السبع حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله.

« ما نزل في النهى عن المثلة و البحث عنها و رد بعض »
« الروايات المختلفة المنتسبة اليه (ص) »

قال ابن اسحاق ـ على ما في السيرة لابن هشام ـ: و حدّثني بريدة بن سفيان ابن فروة الأسلمي عن محمد بن كعب القُرظي، و حدّثني من لاأتّهم عن ابن عباس أنّ الله عزّوجلّ أنزل في ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وآله و قول أصحابه: «وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ۞ و اصبرو ما صبرك إلاّ بالله ولاتحزن عليهم ولاتك في ضيق ممايمكرون» (النحل الآية ـ١٢٨) فعفارسول الله صلى الله عليه وآله وصبر ونهى عن المثلة.

قال ابن اسحاق: وحدّثني حميد الطويل عن الحسن عن سمرة بن جندب قال:

ماقام رسول الله صلّى الله عليه وآله في مقام قطّ ففارقه حتّى يأمرنا بالصدقة وينهانا عن المثلة

أقول: كلّ ما نقلنا عن محمّد بن اسحاق منقول عن الواقدي و غيره أيضاً و قد ذكرنا في ذلك بعض الأقوال في شرح المختار ٢٣٦ من الخطب (ص ٢٤٦ ج ١٥).

و سيأتي في وصيّته عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لمّا ضربه ابن ملجم، قوله عليه السلام: ولا يمثّل بالرّجل فانّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: إيّاكم و المثلة ولو بالكلب العقور.

و قال الشارح المعتزلي في شرحه : فأمّا المثلة فمنهيّ عنها أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يمثّل بهبّار بن الأسود لأنّه روّع زينب حتّى اجهضت، ثمّ نهى عن ذلك و قال: لامثلة المثلة حرام.

و اعلم أنّ القول المرويّ بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : لئن أظهرني على قريش في موطن من المواطن لأمثّلنّ بثلاثين رجلاً منهم كما في السيرة ، أو أمثّلنّ سبعين رجلاً كما في تفسير الصافي للفيض -ره- ينافي مقام النبوّة و عصمة النبيّ صلّى الله عليه وآله.

والصواب أنّ ذاك القول كان من المسلمين دون النبيّ صلّى الله عليه وآله كمافي كتاب مجمع البيان لأمين الاسلام الطبرسي - ره - حيث قال : قال المسلمون : لئن أمكننا الله منهم لنمثّلنّ بالأحياء فضلاً عن الأموات ، فنزلت « و إن عاقبتم فعاقبوا » الآية.

و ظاهر الآية حيث خاطب بلفظ الجمع دون المفرد يؤيّده بل يدلّ عليه و أمّا قول ابن اسحاق المذكور آنفاً : و حدّثني من لاأتّهم عن ابن عباس: انّ الله عزّوجلّ أنزل في ذلك من قول رسول الله صلّى الله عليه وآله و قول أصحابه: «وان عاقبتم» الآية، ففيه ما دريت من أنّ النبيّ أجلّ و أعلا من أن يختار مالم يكن مأذوناً فيه ولم ينزل فيه حكم سماويّ بعد .

قال ابن الأثير في النهاية : فيه - يعني في الحديث - أنّه نهى عن المثلة يقال : مثلت بالحيوان أمثل به مثلا إذا قطعت أطرافه وشوّهت به، ومثلت بالقتيل

إذا جذعت أنفه و اُذنه أو مذاكيره أو شيئاً من أطرافه ، والاسم المثلة فأمّا مثّل بالتشديدفهو للمبالغةومنه الحديث نهى أن يمثّل بالدواب" أي تنصب فترمى أوتقطع أطرافه وهي حيّة،زاد في رواية: و أن يؤكل الممثول بها.

و قيل : جعل بعض الأعضاء تمثيلاً باعتبار كونه مشتقاً من المثل فانّ الممثّل يصير بسبب ما فعل الجاني به من الأمر الفظيع مشهورا كالمثل.

ثمّ إنّ النهي عن المثلة إنّما يصحّ فيما لم يكن عن قصاص، و أمّا المثلة قصاصاً فلابأس فقد روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مثل بالعرنيين فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم لأنّهم قطعوا أيدي الرعاء و أرجلهم و سملوا أعينهم، و إن قيل إنّ ذلك كان قبل تحريم المثلة.

و قد قال الله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد والاُنثى بالاُنثى ــ الى قوله تعالى : ولكم في القصاص حيوة يااُولي الألباب»(البقرة ١٧٧).

و قوله تعالى : «الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم و اتّقوا الله و اعلموا أنّ الله مع المتقين» (البقرة ١٩٢)

و قوله تعالى : « و كتبنا عليهم فيها أنّ النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والاُذن بالاُذن والسنّ بالسنّ والجروح قصاص» الآية(المائدة ٥٠)

وقد أفتى الفقهاء في قصاص الطرف بذلك و فرّعوا عليه أنّ الاُذن الصحيحة تقطع بالصمّاء، والأنف الشام بالأخشم، و ذكر الشابّ بذكر الشيخ ، و ذكر المختون بالأغلف، والفحل بمسلول الخصيتين و كذا يقلع عين الأعور بعين ذي العينين المماثلة لها، وإن عمى بذلك الأعور،والأعورهوذوالعين الواحدة خلقة،أوبآفة أو قصاص أوجناية، أي لوكان الجاني بعين واحدة والمجنيّ عليه باثنتين قلعت عين الجاني وان استلزم عماه، فانّ الحقّ أعماه .

كما نطق بذلك خبر عن أبان سأله عليه السلام عن أعور فقأ عين صحيح فقال عليه السلام:

تفقأ عينه ، قـال: قلت: يبقى أعمى فقال: الحقّ أعماه . و غيرها ممّا حرّر في كتاب القصاص.

وذهب غير واحد منهم إلى أنّ الجاني إذا جمع بين التمثيل والقتل بضربات يقتصُّ الوليُّ منه في الطرف ثم يقتصُّ في النفس .

ففي الكافي والتهذيب والفقيه عن محمّد بن قيس عن أحدهما عليهما السلام في رجل فقأ عيني رجل وقطع أنفه وأُذنيه ثمّ قتله، فقال عليه السلام: إن كان فرّق بين ذلك اقتصّ منه ثمّ يقتل، وإن كان ضربه ضربة واحدة ضربت عنقه ولم يقتصّ منه.

وفي التهذيب عن حفص بن البختري قـال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن رجل ضرب على رأسه فذهب سمعه وبصره و اعتقل لسانه ثمّ مات فقال عليه السلام : إن كان ضربه ضربة بعد ضربة اقتصّ منه ثمّ قتل، وإن كان أصابه هذا من ضربة واحـدة قتل ولم يقتصّ منه.

و المراد بالطرف في القصاص مادون النفس و إن لم يتعلّق بـالأطراف المشهورة من اليد والرّجل والأُذن و الأنف و غيرها كالجرح على البطن و الظهر و غيرهما .

و كما أنّ النهي عن المثلة لايشمل المثلة قصاصاً، كذلك لا يشملها اذا كانت عن حدّ مثل قطع الأصابع الأربع ما عدا الابهام من اليد اليمنى للسارق إذا كانت سرقته أوّل مرة و قطع رجله اليسرى من مفصل القدم وترك العقب يعتمد عليه حالة المشي والصلاة لو سرق ثانياً، قال عزّ من قائل: « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله » (المائدة ٤٣).

و نظير ما قلنا أيضاً ماورد من النهى عن تعذيب البهائم و قتلها عبثاً ومع ذلك إنّ جعفر بن أبي طالب في غزوة موتة إذا الحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، فكان جعفر أوّل رجل من المسلمين عقر في الإسلام ولم يعب ذلك عليه أحد لأنّه خاف أن يأخذها العدوّ فيقاتل عليها المسلمين.

« صلاة الرسول (ص) على حمزة رضوان الله عليه »

في الكافي والفقيه كما في الوافي (ص ٥٢ ج١٣) باسناد عن أبان بن تغلب قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن الذي يقتل في سبيل الله أيغسّل و يكفّن و يحنّط؟ قال: يدفن كما هو في ثيابه بدمه إلاّ أن يكون به رمق ثمّ مات فانه يغسّل ويكفّن و يحنّط و يصلّى عليه، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى على حمزة و كفّنه و حنّطه لأنّه كان جرّد .

و في الكافي باسناده عن ابن سنان عن أبان بن تغلب قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : الذي يقتل في سبيل الله يدفن في ثيابه ولا يغسّل إلاّ أن يدركه المسلمون و به رمق ثمّ يموت بعد، فانّه يغسّل ويكفّن ويحنّط ، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كفّن حمزة في ثيابه ولم يغسّله و لكنّه صلّى عليه.

و في الكافي باسناده عن إسماعيل بن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له: كيف رأيت الشهيد يدفن بدمائه ؟ قال . نعم في ثيابه بدمائه ولا يحنّط ولا يغسّل و يدفن كما هو، ثمّ قال: دفن رسول الله صلى الله عليه وآله عمّه حمزة في ثيابه بدمائه الّتي اُصيب فيها، ورداه النبيّ برداء فقصر عن رجليه فدعا له بأذخر فطرحه عليه وصلّى عليه سبعين صلاة، و كبّر عليه سبعين تكبيرة.

و في الكافي باسناده عن مثنى بن الوليد، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال : صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله على حمزة سبعين صلاة.

و فيه باسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال : كبّر رسول الله صلى الله عليه وآله على حمزة سبعين تكبيرة .

و في السيرة النبويّة لابن هشام قال: قال ابن إسحاق : و حدّثني من لا أتّهم عن مقسم مولى عبدالله بن الحارث عن ابن عباس قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بحمزة فسجّي ببردة ثمّ صلّى عليه فكبّر سبع تكبيرات ثمّ اُتي بالقتلى ،فيوضعون إلى حمزة فصلّى عليهم وعليه معهم حتى صلّى عليه ثنتين و سبعين صلاة.

أقول: الرواية الأولى ناطقة بأنّ حمزة كان جرّد و كفّنه رسول الله صلى الله عليه وآله

والثالثة ناطقة بأنّه صلى الله عليه وآله دفنه في ثيابه بدمائه التي اُصيب فيها و ظاهرها أنّ كفنه كان ثيابه والثانية تؤمي إلى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كفّنه بثوب آخر حالكونه في ثيابه التي اُصيب فيها فينافي بعضها بعضاً والتوفيق بينها أنّ حمزة رضوان الله عليه جرّد عن بعض ثيابه أي جرّده المشركون عنه بعد قتله عن بعضها لا عن كلّها حتّى ترك عرياناً، و ما بقي عليه من الثياب لم يكن كافياً لكفنه. فكفّنه رسول الله صلى الله عليه وآله بثوب آخر ولم يجرّده عن ما بقي عليه من الثياب كما تؤمي إليه الثانية فصح أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كفّنه بثوب آخر كما صح أنّ حمزة دفن في ثيابه الّتي اُصيب فيها أي دفن في بعض ثيابه و جرّد عن بعضها.

ثمّ إنّ بين روايات الكافي الناطقة بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى عليه سبعين صلاة و كبّر عليه سبعين تكبيرة وبين ما في السيرة من أنّ رسول الله صلّى عليه ثنتين و سبعين صلاة تنافياً ظاهراً.

فنقول: إنّ روايات الكافي موافقة لما بلغنا من أئمّتنا عليهم السلام من أنّ التكبير على الميّت المؤمن خمس تكبيرات و إنّما انتهى عددها إلى سبعين تكبيرة لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كبّر عليه خمس تكبيرات ثمّ كلما صلّى لسائر القتلى أشرك حمزة في صلاتهم كما في صحيفة الرضا عليه السلام على ما نقله الفيض في الوافي (ص ٦٧ ج ١٣) باسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله كبّر على عمّه حمزة خمس تكبيرات و كبّر على الشهداء بعده خمس تكبيرات فلحق حمزة بسبعين تكبيرة ووضع يده اليمنى على اليسرى، انتهى.

فصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله على حمزة أربع عشرة مرة لأنّه يحصل من ضرب خمسة في أربعة عشر سبعون.

نظير ذلك صلاة أمير المؤمنين عليه السلام على سهل بن حنيف فانّه عليه السلام كبّر عليه خمساً و عشرين تكبيرة، ففي التهذيب باسناده إلى عمرو بن شمر قال: قلت لجعفر ابن محمّد عليهما السلام: جعلت فداك إنّا نتحدّث بالعراق أنّ علياً عليه السلام صلّى على سهل بن حنيف، فكبّر عليه ستّاً ثمّ التفت إلى من كان خلفه فقال: إنّه كان بدرياً قال:

فقال جعفر عليه السلام: إنّه لم يكن كذا و لكنّه صلّى عليه خمساً ثمّ رفعه و مشى به ساعة ثمّ وضعه فكبّر عليه خمساً ، ففعل ذلك خمس مرّات حتّى كبّر عليه خمساً و عشرين تكبيرة.

و في الفقيه قال أبو جعفر عليه السلام: كبّر خمساً خمساً كلّما أدركه الناس قالوا : يا أمير المؤمنين لم ندرك الصلاة على سهل فيضعه فيكبّر عليه خمساً حتّى انتهى إلى قبره خمس مرّات.

وأمّا قول ابن إسحاق من أنّه صلّى الله عليه وآله صلّى عليه ثنتين و سبعين صلاة فلا يوافق المذهب الحقّ لأنّه يلزم أن يكبّر عليه رسول الله صلّى الله عليه وآله أربع تكبيرات و كذا كبّر على الشهداء بعده أربع تكبيرات فلحق حمزة بثنتين وسبعين تكبيرة أي صلّى عليه ثماني عشرة مرّة و هو كما ترى مخالف لاجماعنا والصحاح المستفيضة وغيرها المتواترة ولو معنى من أئمّتنا عليهم السلام ، على أنّ صلاة جنازة المؤمن خمس تكبيرات

فما وردت بالأربع إمّا متأوّلة بالحمل على الصلاة على المنافقين ففي الكافي والتهذيب باسنادهما عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يكبّر على قوم خمساً و على قوم آخرين أربعا فاذا كبّر على رجل أربعاً اتّهم بالنفاق.

و في الكافي باسناده عن محمّد بن مهاجر عن امّه امّ سلمة قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا صلّى على ميّت كبّر فتشهّد، ثمّ كبّر فصلّى على الأنبياء ودعا ، ثمّ كبّر ودعا للمؤمنين، ثمّ كبّر و انصرف ، فلمّا نهاه الله عزّ وجلّ عن الصلاة على المنافقين كبّر فتشهّد ، ثمّ كبّر فصلّى على النبيّين صلى الله عليهم . ثمّ كبّر و دعا للمؤمنين ، ثمّ كبّر الرابعة و انصرف و لم يدع للميّت.

و في التهذيب عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : سألته عن الصلاة على الميّت فقال : أمّا المؤمن فخمس تكبيرات، و أمّا المنافق فأربع ولاسلام فيها، انتهى.

ولا يخفى عليك أنّ أهل البيت أدرى بما فيه.

و إمّا محمولة على التقيّة لأنّها مذهب جميع العامّة كما صرّح به شيخ الطائفة قدّس سرّه .

على أنّ صدر قول ابن إسحاق لا يوافق ذيله لأنّه قال أوّلا إنّه صلى الله عليه وآله صلّى عليه فكبّر سبع تكبيرات ولا ينتهي تكرار السبع مرّة بعد اُخرى إلى ثنتين و سبعين. اللّهمّ إلاّ أن يقال إنّه صلّى عليه في الدّفعة الاُولى سبع تكبيرات و صلّى ثلاث عشرة صلاة اُخرى خمس تكبيرات ، فلحق حمزة بثنتين وسبعين تكبيرة.

نحو ما روى الكشي باسناده عن الحسن بن زيد أنّه قال : كبّر عليّ بن أبي طالب عليه السلام على سهل بن حنيف سبع تكبيرات و كان بدرياً، و قال : لو كبّرت عليه سبعين لكان أهلاً .

و إنّما كبّرا عليهما سبعاً تشريفاً لهما و إنّما وقع في واقعة خاصّة لا يجوز التجاوز عنها فتأمّل جيّداً .

فان قلت: قد جاءت روايات على عدم جواز الصلاة على الميّت مرّتين فصاعداً ففي التهذيب باسناده عن محمّد بن أحمد ، عن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن وهب بن وهب، عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى على جنازة فلّما فرغ جاءه ناس فقالوا : يا رسول الله لم ندرك الصلاة عليها فقال : لا يصلّى على جنازة مرّتين ولكن ادعوا لها .

و فيه باسناده عن ابن كلوب، عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى على جنازة فلّما فرغ جاء قوم فقالوا فاتتنا الصلاة عليها فقال : إنّ الجنازة لا يصلّى عليه مرّتين ادعوا له وقولوا له خيراً.

ثمّ إنّ إطلاق الخبرين أو عمومهما يقتضي عدم الفرق في المنع بين ما لو صلّيت ثانياً جماعة أو فرادى فكيف التوفيق بين تلك الأخبار ؟

قلت : يمكن أن يقال : التعدّد يختصّ بمن له مزيد كرامة ، أو يقال إنّ صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله على حمزة وعلي عليه السلام على سهل إنّما كانت مختصّة بهما فالاحتياط أن يترك التعدّد في الصلاة على الجنازة .

ولم يذهب أحد منّا إلى القول بحرمة الصلاة على الجنازة الواحدة مرّتين فصاعداً، بل ذهب بعضهم إلى القول باستحباب التكرار على الإطلاق لها، و أفتى غير واحد بالجواز لمن لم يدرك الصلاة عليها، ولكنّ المشهور على كراهة الصلاة عليها مرّتين فصاعداً، بل من محكيّ الغنية الاجماع عليها، للخبرين المنقولين في التهذيب، و لضعف سندهما حملا على الكراهة.

و في التهذيب باسناده عن الفطحيّة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الميّت يصلّى عليه مالم يوار بالتراب و إن كان قد صلّي عليه.

و فيه عن يونس بن يعقوب عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن الجنازة لم أدركها حتّى بلغت القبر أُصلّي عليها؟ قال: إن أدركتها قبل أن يدفن فان شئت فصلّ عليها.

و فيه عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام - في رواية - إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج إلى جنازة امرأة من بني النجار فصلّى عليها فوجد الحفرة لم يمكنوا فوضعوا الجنازة فلم يجيء قوم إلّا قال لهم: صلّوا عليها. فتأمّل جيّداً.

و إن قلت: فما معنى الصلاة في قول أبي جعفر المرويّ آنفاً من الكافي عن زرارة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى على حمزة سبعين صلاة ومثله ما في السيرة حتّى صلّى عليه ثنتين و سبعين صلاة؟.

قلت: الصلاة هذه بمعنى الدّعاء أي دعا له سبعين مرّة بعد كلّ تكبيرة، ويبيّنه قوله الآخر المرويّ آنفاً أيضاً من الكافي عن إسماعيل بن جابر أنّه صلى الله عليه وآله صلّى عليه سبعين صلاة و كبّر عليه سبعين تكبيرة.

و يعبّر عن الدّعاء للميّت فيما بين التكبيرات بالصلاة ففي التهذيب باسناده عن محمّد بن يزيد، عن أبي بصير قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام جالساً فدخل رجل فسأله عن التكبير على الجنائز فقال له: خمس تكبيرات، ثمّ دخل آخر فسأله عن الصلاة على الجنائز فقال له: أربع صلوات، فقال الأوّل: جعلت فداك سألتك فقلت خمساً و سألك هذا فقلت أربعاً؟ فقال: إنّك سألتني عن التكبير و سألني هذا عن الصلاة

ثمّ قال: إنها خمس تكبيرات بينهنّ أربع صلوات، ثمّ بسط كفّه فقال : إنهـنّ خمس تكبيرات بينهنّ أربع صلوات.

« حث الرسول (ص) على طلب العلم حتى فى دفن القتلى »

قال ابن هشام في السيرة (ص ٨٩ ج٢) قال ابن اسحاق : حدّثني محمد بن مسلم الزهري، عن عبدالله بن ثعلبة بن صُعير العُذري حليف بني زهرة أنّ رسول الله ﷺ لمّا أشرف على القتلى يوم اُحد قال: أنا شهيد على هؤلاء أنّه ما من جريح يجرح في الله إلاّ والله يبعثه يوم القيامة يدمي جرحه اللّون لون دم والريح ريح مسك انظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن فاجعلوه أمام أصحابه في القبر، و كانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد.

قوله عليه السلام: « وجعفر وزيد يوم موتة» أي قتلا في غزوة موتة وجعفر هو ابن أبي طالب بن عبدالمطلب وكان ثالث الإخوة من ولد أبي طالب أكبرهم طالب، وبعده عقيل، و بعده جعفر، و بعده عليّ أمير المؤمنين عليه السلام و كلّ واحد منهم أكبر من الآخر بعشر سنين واُمّهم جميعاً فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف .

و كان لجعفر رضوان الله عليه فضل كثير، فقال ابن هشام في السيرة النبويّة (ص ٣٥٩ ج٢) : و ذكر سفيان بن عيينة عن الأجلح ، عن الشعبي : أنّ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قدم على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر فقبّل رسول الله بين عينيه والتزمه وقال: ما أدري بأيّهما أنا أسرّ : بفتح خيبر ، أم بقدوم جعفر .

و كفى في فضله ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في حقّه في زمرة من مدحهم في هذا الكتاب الذي نقلناه عن نصر من أنّ الله وليّ الاحسان إليهم والمنّان عليهم بما قد أسلفوا من الصالحات، فما سمعت بأحد ولا رأيت فيهم من هو أنصح لله في طاعة رسوله ولا أطوع لرسوله في طاعة ربّه ولا أصبر على اللأواء والضرّاء وحين البأس و مواطن المكروه مع النبيّ ﷺ من هؤلاء النفر ـ الخ.

و قال اليعقوبي في التاريخ (ص ٩٧ ج ٢ طبع النجف) : كان المشبّهون برسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب ، قال رسول الله ﷺ : أشبهت خَلقي

و خُلقي . الخ.

و قال ابن عبدالبرّ في كتاب الاستيعاب : كان سنّ جعفر يوم قتل إحدى و أربعين سنة و قال ابن هشام في السيرة (ص ٣٧٨ ج ٢) : و هو ابن ثلاث و ثلاثين سنة.

ومؤتة بالهمز وحكي أيضاً غير الهمز قرية من أرض البلقاء من الشام ، و قيل: غزوة مؤتة تسمّى أيضاً غزوة جيش الأُمراء لكثرة جيش المسلمين فيها و ما لاقوه من الحرب الشديد مع الكفار.

وزيد هذا هو زيدبن حارثة وكان جعفر وزيد و عبدالله بن رواحة أُمراء الجيش لرسول الله صلى الله عليه وآله وكان لعبدالله قصائد وأراجيز في غزوة مؤتة وتشجيع النـاس على قتال الخصم و سنتلو بعضها عليك .

قال ابن واضح الأخباري في كتابه المعروف بتاريخ اليعقوبي (ص ٤٩ ج٢): ووجّه ـ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ـ جعفربن أبي طالب ، و زيدبن حارثة، و عبدالله بن رواحة في جيش إلى الشام لقتال الرّوم سنة ثمان و روى بعضهم أنّه صلى الله عليه وآله قال: أميرالجيش زيدبن حارثة، فان قتل زيدبن حارثة فجعفربن أبي طالب ، فان قتل جعفربن أبي طالب فعبدالله بن رواحة، فان قتل عبدالله بن رواحة فليرتض (١) المسلمون من أحبّوا ، و قيل : بل كان جعفر المقدّم ، ثمّ زيدبن حارثة ، ثمّ عبدالله بن رواحة.

و صار إلى موضع يقال له مؤتة من الشام من البلقاء من أرض دمشق فأخذ زيد الراية فقاتل حتّى قتل. ثمّ أخذها جعفر فقطعت يده اليمنى فقاتل باليسرى فقطعت يده اليسرى ثمّ ضرب وسطه. ثمّ أخذها عبدالله بن رواحة فقتل.

فرفع لرسول الله صلى الله عليه وآله كلّ خفض، وخفض له كلّ رفع حتى رأى مصارعهم وقال: رأيت سرير جعفر المقدّم فقلت يا جبريل إني كنت قدّمت زيداً فقال : إنّ الله قدّم جعفراً لقرابتك، و نعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أنبت الله لجعفر جناحين من

(١) و في بعض الكتب : فان قتل فليتربص المسلمون برجل من بينهم يجعلونه عليهم.

زبرجد يطير بهما في الجنّة حيث يشاء، واشتدّ جزعه، وقال : على جعفر فلتبك البواكي. و تأمّر خالدبن الوليد على الجيش .

قالت أسماء بنت عميس الخثعمية وكانت امرأة جعفر و اُمّ ولده جميعاً: دخل عليّ رسول الله و يدي في عجين فقال: يا أسماء أين ولدك ؟ فأتيته بعبدالله و محمد وعون فأجلسهم جميعاً في حجره وضمّهم إليه و مسح على رؤوسهم و دمعت عيناه ، فقلت: بأبي و اُمّي أنت يارسول الله لم تفعل بولدي كما تفعل بالأيتام لعلّه بلغك عن جعفر شيء ؟ فغلبته العبرة وقال: رحم الله جعفراً، فصحت واويلاه و اسيّداه ، فقال: لاتدعي بويل ولاحرب و كلّ ماقلت فأنت صادقة ،فصحت واجعفراه وسمعت صوتي فاطمة بنت رسول الله ﷺ فجاءت وهي تصيح واابن عمّاه، فخرج رسول الله ﷺ يجرّ رداءه ما يملك عبرته و هو يقول: على جعفر فلتبك البواكي، ثمّ قال يا فاطمة اصنعي لعيال جعفر طعاماً فانّهم في شغل فصنعت لهم طعاماً ثلاثة أيّام فصارت سنّة في بني هاشم.

قال ابن اسحاق كما في السيرة لابن هشام : بعث رسول الله ﷺ بعثه إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان- إلى أن قال: فتجهّز الناس ثمّ تهيّؤا للخروج وهم ثلاثة آلاف، فلّما حضر خروجهم ودّع الناس اُمراء رسول الله ﷺ و سلّموا عليهم -يعني بالأمراء جعفراً وزيداً وعبدالله-.

فلّما ودّع عبدالله بن رواحة من ودّع من اُمراء رسول الله ﷺ بكى،فقالوا: ما يبكيك ياابن رواحة ؟

فقال: أما والله مابي حبّ الدّنيا و لاصبابة بكم، و لكنّي سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آيةً من كتاب الله عزّوجلّ يذكر فيها النار «و إن منكم إلاّ واردها كان على ربّك حتماًمقتضياً» (مريم - آية ٧٤) فلست أدري كيف لي بالصّدر بعد الورود .

فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم وردّكم إلينا صالحين فقال: عبدالله ابن رواحة:

لكنّني أسأل الرحمن مغفرةً / وضربة ذات فرغ تقذف الزّبدا
أو طعنة بيدي حرّان مُجهزةً / بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتّى يقال إذا مرّوا على جدثي / أرشده الله من غازٍ و قد رشدا

قال ابن اسحاق: ثمّ إنّ القوم تهيّؤا للخروج فأتى عبدالله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وآله فودّعه ثمّ قال:

فثبّت الله ما آتاك من حسنٍ / تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا(١)
إنّي تفرّست فيك الخير نافلةً / الله يعلم أنّي ثابت البصر (٢)
أنت الرّسول فمن يحرم نوافله / والوجه منه فقد أزرى به القدر

و هذه الأبيات في قصيدة له ثمّ خرج القوم و خرج رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى إذا ودّعهم وانصرف عنهم قال عبدالله بن رواحة:

خلف السلام على امرىءٍ ودّعته / في النخل خير مُشيّعٍ وخليل

«تخوف الناس من لقاء هرقل و تشجيع ابن رواحة الناس على القتال»

ثمّ مضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام فبلغ الناس أنّ هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الرّوم و انضمّ اليهم من لخم و جذام والقين و بهراء وبليّ مائة ألف منهم عليهم رجل من بليّ ثمّ أحد إراشة يقال له مالك بن زافلة فلمّا بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكّرون في أمرهم، و قالوا: نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فنخبره بعدد عدوّنا فإمّا أن يمدّنا بالرجال وإمّا أن يأمرنا بأمره فنمضي له.

فشجّع الناسَ عبدُالله بن رواحة و قال: يا قوم والله إن الّتي تكرهون للّتي خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوّة ولا كثرة ما نقاتلهم إلّا بهذا الدّين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فانما هي إحدى الحسنيين إمّا ظهور، و إمّا شهادة.

---

(١) فالمصراع الثاني فى رواية: فى المرسلين و نصراً كالذى نصروا.
(٢) والمصراع الثانى فى رواية: فراسة خالفت فيك الذى نظروا. يعنى المشركين.

فقال الناس : قدوالله صدق ابن رواحة ، فمضى الناس حتّى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الرّوم و العرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ثمّ دنا العدوّ و انحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة، فالتقى الناس عندها فتعبأ لهم المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عُذرة يقال له قطبة بن قتادة ، و على ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عباية (عبادة ـ خ ل) بن مالك .

ثمّ التقى الناس و اقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى شاط في رماح القوم.

ثمّ أخذها جعفر فقاتل بها حتّى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، ثمّ قاتل حتّى قتل ، فكان جعفر أوّل رجل من المسلمين عقر في الإسلام.

أقول: وقد مضى كلامنا في البحث عن المثلة آنفاً من أنّ جعفراً رضوان الله عليه لما ذا عقرها.

قال ابن اسحاق: و حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزبير، عن أبيه عبّاد قال : حدثني أبي الذي أرضعني و كان أحد بني مرّة بن عوف و كان في تلك الغزوة غزوة مؤتة قال: والله لكأنّي أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثمّ عقرها ثمّ قاتل حتّى قتل و هو يقول :

ياحبذا الجنّة و اقترابها طيّبةً و بارداً شرابها
والروم روم قد دنى عذابها كافرة بعيدة أنسابهـا
عليّ إذ لاقيتها ضرابُها

قال ابن هشام : و حدّثني من أثق به من أهل العلم : أنّ جعفر بن أبيطالب أخذ اللّواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتّى قتل رضي الله عنه و هو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنّة يطير بهما حيث شاء .

فلما قتل جعفر أخذ عبدالله بن رواحة الراية ثمّ تقدّم بها و هو على فرسه فجعل يستنزل نفسه و يتردّد بعض التردّد ثمّ قال :

أقسمت يا نفس لتنزلنّه لتنزلنّ أو لتكرهنّه
إن أجلب الناس وشدّوا الرنّه مالي أراك تكرهين الجنّه
قد طال ما قد كنت مطمئنّه هل أنت إلاّ نطفة في شنّه

و قال أيضاً :

يا نفس إلاّ تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت
و ما تمنّيت فقد أُعطيت إن تفعلي فعلهما هديت

يريد بقوله فعلهما صاحبيه جعفراً و زيداً.

ثمّ نزل فلّما نزل أتاه ابن عمّ له بعرق من لحم فقال: شدّ بهذا صلبك فانك قد لقيت في أيّامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده ثمّ انتهس منه نهسة ثمّ سمع الحطمة في ناحية الناس فقال : و أنت في الدّنيا، ثمّ ألقاه من يده ثمّ أخذ سيفه فتقدّم فقاتل حتّى قتل .

والعرق بالفتح ثمّ السكون : العظم الذي عليه بعض اللّحم .

ثمّ أخذ الراية ثابت بن أقران أخو بني العجلان فقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم . قالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلّما أخذ الراية دافع القوم و حاشى بهم ، ثمّ انحاز وانحيز عنه حتّى انصرف بالناس.

« تنبؤ الرسول (ص) بما حدث للمسلمين مع الروم »

قال ابن هشام في السيرة: قال ابن إسحاق : و لما اُصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيما بلغني: أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتّى قتل شهيداً. ثمّ أخذها جعفر فقاتل بها حتّى قتل شهيداً ، قال: ثمّ صمت رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى تغيّرت وجوه الأنصار وظنّوا أنّه قد كان في عبدالله بن رواحة بعض ما يكرهون ، ثمّ قال : ثمّ أخذها عبدالله بن رواحة فقاتل بها حتّى قتل شهيداً ، ثمّ قال: لقد رفعوا إليّ في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبدالله بن رواحة ازوراراً عن سريري صاحبيه، فقلت : عمّ هذا ؟ فقيل لي: مضيا و تردّد عبدالله بعض التردّد

ثمّ مضى .

ثمّ نقل ابن إسحاق رواية أسماء بنت عميس الّتي نقلناها عن تاريخ اليعقوبي والروايتان تختلفان في بعض الألفاظ - إلى أن قال: فقال ﷺ: لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً فانّهم قد شغلوا بأمر صاحبهم.

ثمّ نقل رجوع الجيش إلى المدينة و تلقّى الرسول لهم و غضب المسلمين عليهم فقال: حدّثني محمّد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال: لمّا دنوا من حول المدينة تلقّاهم رسول الله ﷺ والمسلمون ، قال : ولقيهم الصبيان يشتدّون و رسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابّة، فقال: خذوا الصبيان فاحملوهم واعطوني ابن جعفر فاُتي بعبدالله فأخذه فحمله بين يديه قال: و جعل الناس يحثّون على الجيش التراب و يقولون يا فرّار فررتم في سبيل الله قال : فيقول رسول الله ﷺ ليسوا بالفرّار ولكنّهم الكرّار إن شاء الله تعالى.

قال ابن إسحاق: و حدّثني عبدالله بن أبي بكر عن عامر بن عبدالله بن الزبير، عن بعض آل الحارث بن هاشم وهم أخواله ، عن اُمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ قال: قالت اُمّ سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن العاص بن المغيرة: مالي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ و مع المسلمين؟ قالت: والله ما يستطيع أن يخرج كلّما خرج صاح به الناس يا فرّار فررتم في سبيل الله حتّى قعد في بيته فما يخرج.

و سمّى ابن هشام في السيرة من استشهد يوم مؤتة من المسلمين اثنى عشر رجلاً منهم جعفر بن أبي طالب ، و زيد بن حارثة من بني هاشم، و عبدالله بن رواحة ، و عباد بن قيس من الأنصار، ثمّ من بني الحارث بن الخزرج .

قوله عليه السلام: « و أراد الله من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة مع النبيّ غير مرّة ولكن آجالهم عجّلت ، ومنيّته اُجّلت» أراد عليه السلام: بقوله: « من لو شئت ذكرت اسمه » نفسه، و قوله: غير مرّة متعلّق بقوله أراد، و بين عجّلت واُجّلت جناس مضارع نحو بيني و بين كنّي ليل دامس و طريق طامس .

والمراد أنه عليه السلام أخبر عن نفسه بأني أردت لله تعالى الشهادة في سبيله مع

النبيّ صلى الله عليه وآله غير مرّة أي في غزوات عديدة مثل هؤلاء النفر الذين رزقوها لكن آجالهم عجلّت، أي جاء أجلهم و قضوا نحبهم ، و منيّتي اُجّلت، أي اُخّرت فانّ الآجال بيد الله تعالى قال عزّ من قائل «ما تسبق من اُمّة أجلها وما يستأخرون» (الحجر- ٧) .

و روى الشيخ الجليل أبوالفتح الكراجكي في كنز الفوائد (ص ١٣٧طبع ايران ١٣٢٢ هـ) باسناده عن خالدبن يزيد، عن أبي جعفر محمّدبن عليّ ، عن أبيه ، عن الحسين بن عليّ ، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الأحزاب: اللّهمّ إنّك أخذت منّي عبيدة بن الحارث يوم بدر ، و حمزة بن عبدالمطّلب يوم اُحد و هذا أخي عليّ بن أبيطالب، ربّ لاتذرني فرداً و أنت خير الوارثين .

قوله عليه السلام: «فياعجبا للدّهر إذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي ولم تكن له كسابقتي الّتي لايدلى أحد بمثلها» لمّا ذكر طائفة ممايدلّ على سابقته في الإسلام و تقدّمه و أفضليّته على من سواه أردفه بالتعجّب من الدّهر حيث أنزله ثمّ أنزله حتّى قرنه بمن لم يكن له سعي في الدفاع عن الدّين ، وحماية بيضة الاسلام بقدم مثل قدمه عليه السلام، ولم يكن له سابقة كسابقته الّتي ليس لأحد أن يتوسّل بمثلها، و يحتجّ به.

وقد قدّمنا في صدر شرح هذا الكتاب أنّ الأشياء الّتي استحقّ بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الفضل هي السبق إلى الإيمان، والهجرة، والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وآله والقربى منه، والقناعة ، وبذل النفس له ، والعلم بالكتاب والتنزيل ، و الجهاد في سبيل الله ، والورع ، والزهد، والقضاء ، والحكم، والعفّة، والعلم، و كلّ ذلك كان لعليّ عليه السلام منه النصيب الأوفر، والحظّ الأكبر، فأين لابن آكلة الأكباد أن يوازنه ويوازيه ويقرن به ؟!.

ثمّ إذا كان له عليه السلام في جميع مايستحقّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فضلاً النصيب الأوفر والسبق على من سواه بحيث لايدلى أحد بمثلها فأنّى لغيره عليه السلام أن يتقدّمه في الخلافة؟ فهل هذا إلا ازوراراً عن الحقّ ؟!.

فبما ذكرنا دريت أنه عليه السلام أشار بقوله: من لم يسع بقدمي ـ الخ، إلى معاوية

ظاهراً، وإلى من تقدّم عليه من الخلفاء تلويحاً وقد قال عليه السلام في الشقشقيّة : فيالله و للشورى متى اعترض الريّب فيّ مع الأوّل منهم حتّى صرت أُقرن إلى هذه النظائر؟

وفي الكافي باسناده عن السرّاد عن عبدالله بن سنان قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: ثلاثة هم شرار الخلق ابتلى بهم خيار الخلق: أبوسفيان بن حرب أحدهم قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله و عاداه، و معاوية قاتل علياً وعاداه، و يزيد بن معاوية لعنه الله قاتل الحسين بن علي عليهما السلام و عاداه حتّى قتله . (الوافي ص٥٨ ج ٢).

« كلام معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في جده وأبيه»

و يعجبني أن نذكر في المقام ما وصف معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في خلافته جدّه و أباه، فانه كان أدرى بمافيهما. نقل كلامه اليعقوبيُّ في التاريخ (ص ٢٢٦ ج٢ طبع النجف) والعلامة الشيخ بهاء الدين العاملي في الكشكول و نحن ننقل عن اليعقوبي.

قال : ثمّ ملك معاوية بن يزيد بن معاوية وامّه امّ هاشم بنت أبي هاشم ابن عتبة بن ربيعة أربعين يوماً و قيل بل أربعة أشهر ، و كان له مذهب جميل فخطب الناس فقال :

أمّا بعد حمدالله والثناء عليه أيّها الناس إنّا بلينا بكم و بليتم بنا، فما نجهل كراهتكم لنا وطعنكم علينا، ألا و إنّ جدّي معاوية بن أبي سفيان نازع الأمر من كان أولى به منه في القرابة برسول الله صلى الله عليه وآله و أحقّ في الإسلام، سابق المسلمين ، و أوّل المؤمنين ، و ابن عمّ رسول ربّ العالمين ، وأبا بقيّة خاتم المرسلين ، فركب منكم ماتعلمون ، و ركبتم منه مالاتنكرون حتّى أتته منيّته، و صار رهناً بعمله . ثمّ قلّد أبي وكان غير خليق للخير، فركب هواه ، و استحسن خطأه ، وعظم رجاؤه فأخلفه الأمل و قصر عنه الأجل، فقلّت منعته ، وانقطعت مدّته ، وصار في حفرته رهناً بذنبه، و أسيراً بجرمه، ثمّ بكى و قال : إنّ أعظم الأُمور علينا علمنا بسوء مصرعه ، وقبح منقلبه، وقد قتل عترة الرسول صلى الله عليه وآله، و أباح الحرمة، وحرّق الكعبة

و ما أنا المتقلد أمور كم، ولا المتحمل تبعاتكم ، فشأنكم أمر كم، فوالله لئن كانت الدنيا مغنماً لقد نلنا منها حظاً. وإن تكن شراً فحسب آل سفيان ما أصابوا منها .

قوله عليه السلام: « إلا أن يدعي مدع ما لا أعرفه ولا أظن الله يعرفه » يعني أن من يدعي خلاف ماذكرته فهو كاذب مختلق، و دعواه باطلة زاهقة.

و لما كان عليه السلام أفضل الصحابة في جميع الصفات الكمالية فما لايعرفها فهي داحضة ، فأشار بقوله: إلا أن يدعي مدع ما لاأعرفه، إلى أن ماادعاه مما لايعرفه باطل.

و ضمير يعرفه يرجع إلى ما كضمير أعرفه ، و المراد أن ما ادعاه مدع خلاف ماذكرته غير موجودة و ما ليس بموجود لاتتعلق المعرفة بوجوده و الظن بمعنى العلم و الغرض العلم بالسلب أي الله يعلم أن ما ادعاه مدع مما لا أعرفه ليس بموجود.

قوله عليه السلام: « والحمدلله على كل حال» تأسى عليه السلام في كلامه هذا برسول الله صلى الله عليه وآله، و هذا القول يؤمي إلى اغتمامه عليه السلام، و ذلك أن ثقة الاسلام الكليني رضوان الله عليه روى في الكافي باسناده عن محمد، عن ابن عيسى، عن القاسم ،عن جده، عن مثنى الحناط عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ورد عليه أمر يسره قال : الحمد لله على هذه النعمة ، و إذا ورد عليه أمر يغتم به قال: الحمد لله على كل حال.

و روى هذه الرواية الفيض قدس سره في باب الشكر من أبواب جنود الايمان من الوافي (ص ٦٨ ج٣) عن الكافي أيضاً.

قوله عليه السلام: « وذكرت حسدي الخلفاء و إبطائي عنهم ، و بغيي عليهم، فأما البغي فمعاذالله أن يكون » كلامه هذا إلى قوله: إن حقي هو المأخوذ وقد تركته لهم تجاوز الله عنهم، جواب عن قول معاوية في كتابه: فكلهم حسدت و على كلهم بغيت- إلى قوله: و في إبطائك عن الخلفاء.

وقد مضى كلامنا في البحث عن الامامة في المختار ٢٣٧ أن الامام أجل شأناً من أن يكون باغياً، فان البغي من الذنوب العظيمة و جميع الذنوب أربعة

أوجه لاخامس لها: الحرص، والحسد، والغضب، والشهوة، فهذه منفيـّة عنه، فراجع إلى(ص٤٤ من ج١٥) .

و أمّا اجتماع الناس في سقيفة بني ساعدة و اختلاف المهاجرين والأنصار في البيعة و لم يغسّل رسول الله صلى الله عليه وآله بعد حتّى غصبوا أميرالمؤمنين علياً عليه السلام حقّه فقد ذكره الشارح الخوئي قدّس سرّه في المباحث السالفة ، و نحن أشرنا إلى شر ذمة منه في المجلد السادس عشر (ص ٣٨٢).

واليعقوبي في التاريخ في خبر السقيفة (ص ١٠٢ ج٢) بعد ما نقل كلام عبدالرحمن بن عوف في فضل الأنصار قال: و قام المنذر بن الأرقم فقال: ما ندفع فضل من ذكرت و إنّ فيهم لرجلاً لوطلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد ـ يعني عليّ بن أبيطالب عليه السلام. إلى أن قال:

و جاء البراء بن عازب فضرب الباب على بني هاشم وقال: يامعشر بني هاشم بويع أبو بكر ، فقال بعضهم: ما كان المسلمون يحدثون حدثا نغيب عنه و نحن أولى بمحمّد صلى الله عليه وآله ، فقال العباس: فعلوها وربّ الكعبة. وكان المهاجرون والأنصار لايشكّون في عليّ عليه السلام فلمّا خرجوا من الدّار قام الفضل بن العباس، و كان لسان قريش فقال: يامعشر قريش إنه ماحقّت لكم الخلافة بالتمويه و نحن أهلها دونكم، و صاحبنا أولى بها منكم، و قام عتبة بن أبي لهب فقال: ـ ـ ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف ـ إلى آخر الأبيات الّتي نقلنا في (ج ١٦ ص ٣٨٣) عن خزيمة بن ثابت الأنصاري.

ثمّ قال اليعقوبي: و تخلّف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار و مالوا مع عليّ بن أبي طالب منهم: العباس بن عبدالمطلب، والفضل بن العباس والزبير بن العوام بن العاص، و خالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو ، و سلمان الفارسي ، و أبوذر الغفاري ، و عمّار بن ياسر، و البراء بن عازب، وأُبيّ ابن كعب.

قال: و كان خالد بن سعيد غائباً فأتى علياً فقال: هلمّ أُبايعك فوالله مافي الناس أحد أولى بمقام محمّد منك.

قال: فأرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح والمغيرة ابن شعبة فقال: ما الرأي؟ قالوا: الرأي أن تلقى العباس بن عبد المطلب، فتجعل له في هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه من بعده، فتقطعون به ناحية عليّ بن أبي طالب حجة لكم على عليّ إذا مال معكم، فانطلق أبو بكر و عمر و أبو عبيدة بن الجراح والمغيرة حتّى دخلوا على العباس ليلاً.

فحمد أبو بكر الله و أثنى عليه ثمّ قال:

إنّ الله بعث محمداً نبياً، وللمؤمنين ولياً، فمنّ عليهم بكونه بين أظهرهم حتّى اختار له ما عنده، فخلى على الناس أُموراً ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم مشفقين فاختاروني عليهم والياً، ولأمورهم راعياً، فوليت ذلك وما أخاف بعون الله و تسديده وهناً ولا حيرة ولا جبناً، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أُنيب. و ما أنفك يبلغني عن طاعن يقول الخلاف على عامّة المسلمين يتّخذ كم لجأ فتكون حصنه المنيع و خطبه البديع، فإمّا دخلتم مع الناس فيما اجتمعوا عليه، وإمّا صرفتموهم عمّا مالوا إليه، و لقد جئناك و نحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك و يكون لمن بعدك من عقبك، إذ كنت عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن كان الناس قد رأوا مكانك و مكان صاحبك فعد لوا بالأمر عنكم على رسلكم بني هاشم فان رسول الله منّا و منكم.

فقال عمر بن الخطاب: إي والله، وأُخرى إنّا لم نأتكم لحاجة إليكم و لكن كرهاً أن يكون الطعن في ما اجتمع عليه المسلمون منكم، فيتفاقم الخطب بكم و بهم فانظروا لأنفسكم.

« احتجاج العباس عم رسول الله (ص) على أبى بكر وعمر فى أمر البيعة »

قال اليعقوبي: فحمد العباس الله وأثنى عليه وقال:

إنّ الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله كما وصفت نبياً، و للمؤمنين ولياً، فمنّ على أُمّته به حتّى قبض الله إليه واختار له ما عنده، فخلى على المسلمين أُمورهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين الحقّ، لا مائلين بزيغ الهوى، فان كنت برسول الله فحقاً أخذت

و إن كنت بالمؤمنين فنحن منهم، فما تقدمنا في أمرك فرطاً، ولاحللنا وسطاً، ولا برحنا سخطاً، و إن كان هذا الأمر إنّما وجب لك بالمؤمنين، فما وجب إذ كنّا كارهين، ما أبعد قولك من أنّهم طعنوا عليك من قولك إنهم اختاروك ومالوا إليك و ما أبعد تسميتك خليفة رسول الله صلّى الله عليه وآله من قولك خلى على الناس اُمورهم ليختاروا فاختاروك، فأمّا ما قلت إنّك تجعله لي فان كان حقّاً للمؤمنين فليس لك أن تحكم فيه، و إن كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض، و على رسلك فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله من شجرة نحن أغصانها و أنتم جيرانها، فخرجوا من عنده.

وفي الجمل للمفيد قدّس سرّه (ص ٤٥ طبع النجف) وقد عرفت الخاصة والعامّة ما أظهره أمير المؤمنين عليه السلام من كراهته من تقدّم عليه و تظلّمه منهم ، فقال في مقام بعد مقام: اللّهم إنّي أستعيذك « أستعديك. ظ» على قريش فانهم ظلموني حقّي ومنعوني إرثي و تمالوا عليّ. وقال عليه السلام: لم أزل مظلوماً منذ قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله، و قال: وقد عهد إليّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّ الاُمّة ستغدر بي من بعده، وقال: يا عمر لقد ظلمت الحجر والمدر. و قال: اللّهمّ اجز قريشاً عنّي الجوازي فقد قطعت رحمي و دفعتني عن حقّي وأغرت بي سفهاء الناس و خاطرت بدمي.

قوله عليه السلام: « و أمّا ما ذكرت من أمر عثمان وقطيعتي رحمه و تأليبي عليه ـ إلى قوله: إلاّ أن تتجنّى فتجنّ ما بدالك» هذا الفصل جواب عن قول معاوية في كتابه إليه عليه السلام مخاطباً له بقوله: ثمّ لم تكن لأحد منهم بأعظم حسداً منك لابن عمّك عثمان ـ إلى قوله: وقد ذكر لي أنك تنصّل من دمه.

وقد ذكرنا في شرح المختار الأوّل من كتبه و رسائله عليه السلام الأحداث الّتي أحدثها عثمان ممّا نقمها الناس منه و طعنوا عليه و صارت أسباب قتله (ص ٢٠٣ ج ١٦) ، و نصح أمير المؤمنين عليه السلام عثمان في ص (٣١١ ج ١٦ من) الواقدي و غيره ، و كذا قوله عليه السلام « ما زلت أذبّ عن عثمان حتّى أنّي لأستحي» المنقول من الطبري و غيره في شرح المختار ٢٣٨ من كلامه في باب الخطب (ص ١٨٣ ج ١٦) وقوله عليه السلام: والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثما.

وقد أشرنا في (ص٣٥١ ج١٦) إلى أنّ عثمان قتل نفسه بأحداثه التي أحدثها و أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: الله قتله، و أنه عليه السلام كان في عزلة عن قتله، وأنّه عليه السلام نصحه و نصره غير مرّة وما أراد عثمان منه نصحاً وإلّا لتاب من قوادحه حقيقة ولما خدع الناس مرّة بعد مرّة، و أنّ أهل البصرة اتّهموا علياً عليه السلام بدم عثمان اتباعاً لتسويلات شيطانيّة، وأنّ اسناد دم عثمان إليه تهمة وبهتان ليس إلّا و غيرها ممّا أشرنا إليها فراجع .

و قال ابن الأثير في مادّة عفو من النهاية: قالت اُمّ سلمة لعثمان : لاتعف سبيلاً كان رسول الله صلى الله عليه وآله لحبها، أي لاتطمسها.

ثمّ قد بينّا تفسير قوله عليه السلام : « إلّا أن تتجنّى فتجنّ ما بدالك » في شرح الكتاب السادس ، فراجع .

هنا انتهى المجلد السابع عشر من هـذه الطبعة النفيسة
فى اليوم الرابع و العشرين من شهر جمادى الثانية
سنة ـ ١٣٨٥ ـ بتصحيح و ترتيب من العبد :
ـ السيد ابراهيم الميانجي ـ عفى عنه
و عن والديه ، و ذلك فى المطبعة
المباركة الاسلامية بطهران .
ويليه انشاءالله المجلد
الثامن عشر فى شرح
بقية الكتاب
و الحمد
لله .

فهارس طائفة من مطالب الكتاب

كلام الشارح في النهج و شرحه عليه ١

تتمة المختار الاول من كتبه (ع)

ترجمة المختار الاول من كتبه (ع) ٥

الكتاب الثاني ٨

سنده ونقل صورته الكاملة ونسخ اخرى منه وردمن طعن على الرضي بأن النهج مماوضعه ١٠

كتابان آخران له (ع) ليسا بمذكورين في النهج ١٦

كتاب هاشم بن عتبة اليه (ع) من الكوفة ١٨

كتاب على (ع) الى أبي موسى الاشعري ولم يذكر في النهج ١٩

خطبة الحسن بن على (ع) في الكوفة يستنفر الناس الى أبيه (ع) ٢١

اشعار الصحابة و التابعين في أنه وصي رسول الله (ص) ٢٤

معجزته (ع) باخباره بالغيب ٢٦

عدة خطب خطب بها الامير (ع) في ذي قار وسند طائفة من خطب النهج وبيان اصلها ولم شعثها ٢٨

دخول الناكثين في البصرة والحرب بينهم وبين عثمان بن حنيف عامل الامير (ع) ٣٧

تنازع طلحة والزبير لامامتهما الناس في الصلاة ٤٠

تعجب أبي الاسود الدئلي من طلحة والزبير لما دخلا بيت مال البصرة ومن الامير عليه السلام لما دخله ٤١

كتابه عليه السلام الى طلحة والزبير و عائشة والكتاب ليس بمذكور في النهج ٤٢

من كلامه (ع) لما نفر من ذي قار متوجها الى البصرة والبحث عن سند عدة من خطب النهج. ٤٥

كلام المسعودي في مروج الذهب في ورود مواكب على (ع) في البصرة و نقل دعائه عليه السلام المقتبس من رسول الله (ص) و تقديم فوائد اخرى ٤٩

خطبة الامير (ع) في البصرة وخطبته الاخرى في تحريض أصحابه على الجهاد ٥١

أخذه (ع) مصحفاً وندائه في اصحابه بقوله من يأخذ هذا المصحف ويدعو القوم اليه الخ ٥٤

سؤال رجل الامير (ع) عن مقاتلته القوم وهم يكبرون و يهللون وسند بعض الخطب و انه (ع) أمر جنده أن لا يبدأوا بالقتال ٥٦

كلام عمار بن ياسر في الناكثين ٥٩

قول عائشة لعلى (ع) ملكت فاسمح وذكر مدارك بعض الابيات المذكورة الى الديوان المنسوب اليه (ع) بأنها اسندت اليه و ليست منه ٦١

خطبته (ع) فى اثناء حرب الجمل ٦٦
عدم مبالاته (ع) بالموت و وقـائع اخرى منه (ع) ٦٧
قتل الزبير بن العوام ٦٩
قتل طلحة و احتجاج الامير عليـه بقول رسول‌الله (ص) اللهم وال من والاه الخ ٧١
بيان قولهم: ندامة الكسعى ٧٣
بحث كلامى فى‌أن محاربى على (ع) كفرة وفى توبة طلحة والزبير واعتراضات القاضى
عبدالجبار ورد علم الهدى اياها فى الشافى ومآرب اخرى ٧٦
كلامه (ع) حين قتل طلحة وتفرق الناس ٨٠
كلام (ع) عند تطوفه على القتلى و تكليمه اياهم ٨١
خطبته (ع) فى البصرة بعد ما كتب الى المدينة والكوفة بالفتح ٨٤
عدله (ع) و زهده ٨٥
خطبتان له (ع) بعد قسمة المال ولما خرج من البصرة ٨٦
سند بعض الخطب المذكورة فى النهج ٨٨
فيما جرى بينه وبين الحسن البصرى ورجل آخر ٩٠
سيرته (ع) فى أهل البصرة وتجهيزه عائشة من البصرة الى المدينة وما ورد من
أنه (ع) بعث معها أربعين امرأة والتوفيق فى ذلك ٩٣
تاميره (ع) ابن العباس على البصرة ووصيته له وخطبته الناس ٩٥
اشارة اجمالية الى ماعند الائمة من سلاح رسول‌الله (ص) وغيرها ٩٧
شرح جمل الكتاب الثانى ٩٩
ترجمته بالفارسية ١٠٠
الكتاب الرابع لشريح بن الحارث ١٠١
سند الكتاب و رجم وهم الحافظ أبى نعيم الاصفهانى فى حلية الاولياء حيث اسند
ذلك الكتاب الى الفضيل بن عياض ١٠٢
بيان لغة الكتاب ١٠٩
بيان اعرابه ١٢٠
ما الذى اوجب سخط الامير (ع) على عمل شريح؟ ١٢٤
بيان جمل الكتاب و أن غضب اولياءالله لايكون الالله ١٢٦
تفسير قوله (ع) بدرهم فمافوقه ووجه خاص تفرد الشارح به ١٢٩
بيان الشارح البحرانى والاعتراض عليه والافتتاح بالبسملة وأن اول كل كتاب نزل
من السماء بسم‌الله الرحمن الرحيم ١٣١
الهلاك يستعجل غالباً فى ميتة السوء ١٣٣
الانبياء لايأمرون بالذل والسؤال ١٣٥

الاشارة الى بعض احكام النصب ١٣٧
كلام المجلسى فى شرح الكتاب والاعتراض عليه ١٣٨
دقيقة فى قوله (ع) شهد على ذلك العقل ـ الخ ١٤١
اشارة الى ما أتى به العلامة بهاء الدين العاملى فى كتابه الاربعين فى المقام و كلام الشارح فيه ١٤٢
القضاء والقاضى فى الاسلام ١٤٤
شريح و نسبه و خبره ١٥٤
ترجمة الكتاب بالفارسية ١٦٧
الكتاب الرابع و لغته و اعرابه و معناه ١٦٨
معنى السلطان ظل الله فى الارض ١٧١
رد الشارح البحرانى والمولى فتح الله القاسانى و ترجمة الكتاب ١٧٢
الكتاب الخامس ١٧٣
أول خطبته (ع) لما قدم من البصرة ١٧٥
خطبته (ع) فى الجمعة والاشارة الى مسألة فقهية ١٧٩
صورة الكتاب الكاملة وسنده ١٨١
فى من و صفوه (ع) بالوصى ١٨٤
ترجمة الكتاب بالفارسية ١٨٧
الكتاب السادس ١٨٨
كتابه (ع) الى جرير ١٩٠
فى من وصفوه بالوصى ١٩٣
صورة الكتاب كاملة و سنده ١٩٤
بحث كلامى فى نقل كلام الشارح المعتزلى و رده ٢٠١
ترجمة الكتاب ٢٠٤
الكتاب السابع ٢٠٦
اسناده و نقل صورته الكاملة و اختلاف الاراء فيه والتوفيق بينها ٢١٠
كتاب الامير (ع) الى معاوية ٢١٦
كلام الشارح فى هوان الدهر ٢١٨
كتابه (ع) الى معاوية ٢٢٢
بيان جمل الكتاب ٢٢٤
بحث حكمى روائى فى العقل و النكراء ٢٢٥
ترجمة الكتاب ٢٣٠
الكتاب الثامن ٢٣٣
سنده ٢٣٥

بيان جمل الكتاب ٢٣٦
جرير بن عبدالله من هو ؟ ٢٣٩
بحث حكمى فى ابطال رؤيته تعالى بالابصار ٢٤٢
شرائط الابصار بالعين و الاقوال فى الرؤية ٢٥٢
معنى الى ربها ناظرة ٢٥٤
الرؤية عند الاشعرى و كلام الفخر الرازى ٢٥٨
كلام الامام الصادق (ع): كلما ميزتموه بأوهامكم - الخ ٢٦٤
شرح الحديث المنقول من الكافى فى المقام ٢٦٥
لابد فى الابصار من توسط الجسم الشفاف ٢٦٩
الموحد يرى أن ما سواه تعالى مسخرات بأمره ٢٧٢
شرح الحديث الثانى فى عدم رؤيته تعالى بالابصار ٢٧٣
معنى الادراك ٢٨٠
معنى الحديث: ان الله تعالى خلق آدم على صورته ٢٨١
البحث عن الجن و أنهم مكلفون ٢٨٦
ابليس كان من الجن لا أنه كان ملكاً ٢٩٣
البحث عن أن انبياء الانس كيف بعثوا الى الجن وليسا من جنس واحد ٢٩٤
ان القرآن يفسر بعضه بعضاً وأنه نزل تبياناً لكل شيء ٢٩٥
الاشارة الى بعض الفروق بين المجتهدين والاخباريين ٢٩٦
القرآن هو المعيار فاذا كانت رواية لم يمضها القرآن لايجوز الاخذ بها وفى الاشارة
الى حجية الاجماع وشرح الحديث الثالث فى عدم رؤيته تعالى بالابصار ٢٩٧
الفرق بين الوهم فى لسان الحديث و فى اصطلاح الفلسفة ٢٩٩
شرائط ادراك ما هو مبصر و ما هو معقول. ٣٠٠
روايات تشير الى تجرد الروح ٣٠٠
شرح الحديث الرابع فى عدم رؤيته تعالى بالابصار ٣٠٢
قتل المتوكل ابن السكيت لاجل تشيعه ٣٠٣
البحث عن الفرق بين يعقوب بن اسحاق السكيت و يعقوب بن اسحاق الكندى
حكيم العرب و أن المراد فى الرواية أيهما كان؟ ٣٠٤
تأليف الكندى فى تناقض القرآن على زعمه وكفه من عمله بنصح الامام العسكرى (ع) له ٣٠٥
الفرق بين الرؤية بالعين والرؤية بالعقل كالفرق بين المدركين شرفاً و رتبة ٣٠٧
الحديث الخامس سؤال ذعلب علياً (ع) هل رأيت ربك حين عبدته ؟ وجوابه (ع)
واختلاف الروايات فى ذلك كماً ٣٠٨
عدة خطب من النهج كانت واحدة فتفرقت فى النهج ٣١٥

مراتب حقائق الايمان ٣١٧
نكتة في أن الابصار عاجزة عن أن تملاها من نور الشمس فما ظنك برؤية الله تعالى ٣١٨
المراد من الرؤية القلبية الكشف التام الحضورى وبيانه ٣١٩
رد النواوى من العامة حيث قال ان الله جعل بصر الرسول في قلبه. أو توجيهه ٣٢٢
ترجمة الكتاب الثامن بالفارسية ٣٢٤

الكتاب التاسع **٣٣٤**
بيان جمل الكتاب ٣٣٥
كلام المسعودى فى المروج أن الاشياء التى استحق بها اصحاب الرسول (ص)
الفضل كان كل ذلك لعلى منه النصيب الاوفر والكلام فى أنه (ع) كان أول من أسلم ٣٣٨
صرف رسول الله (ص) عن بيت المقدس الى القبلة ٣٤٠
دعوة النبى خاصة أهله الى الاسلام واجابة الامير (ع) وما جرى فى ذلك بين النبى والوصى ٣٤٤
اسلامه (ع) وهو ابن عشر سنين وما ذكر فى المقام من الايات القرآنية فى يحيى وعيسى عليهما السلام ٣٤٦
المسعودى صاحب مروج الذهب كان من الامامية ٣٤٨
عدوان المشركين على من أسلم و على النبى خاصة ٣٤٩
هجرة المسلمين الى أرض الحبشة ٣٥٠
اجتماع القريش على كتابة الصحيفة و حصر الرسول (ص) وأصحابه فى الشعب ٣٥١
ما فعلت الارضة بالصحيفة ٣٥٢
اسلام أبى طالب والسبب فى عدم اظهاره الاسلام ٣٥٣
سبب اسلام حمزة ٣٦٤
كلام الامام المجتبى فى أبيه (ع) ٣٦٩
مقتل عبيدة بن الحارث ٣٧٠
يوم احد و شهادة حمزة رضوان الله عليه ٣٧١
هند و تمثيلها بحمزة ٣٧٣
حزن الرسول (ص) على حمزة وتوعده بالمشركين بالمثلة وما نزل فى النهى عن
المثلة والكلام فيها . ٣٧٤
النهى عن المثلة لايشمل المثلة قصاصاً ٣٧٧
صلاة الرسول على حمزة و الكلام فى تكبيرات الصلاة على الميت ٣٧٨
حث الرسول على طلب العلم حتى فى دفن القتلى ٣٨٣
غزوة موتة و شهادة جعفر و زيد ٣٨٣
اخبار رسول الله (ص) بما جرى على المسلمين فى موتة ٣٨٨
كلام معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان فى الطعن على أبيه و جده ٣٩١
لم قال الامير (ع) والحمد لله على كل حال ورواية الكلينى فيه والاشارة الى أوصاف الامام ٣٩٢
احتجاج العباس عم رسول الله (ص) على أبى بكر و عمر فى أمر البيعة ٣٩٤

انتشارات

VETVS & NOVVM TESTAMENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY